المنافسة الكبرى

ضباط السي-آى-ايه "العروبيون"، وتشكيل الشرق الأوسط المعاصر



المؤلف : هيو ويلفورد

(تمت الترجمة في شهر يناير 2025)

ترجمة الدكتور خالد أحمد سليم
من مصر

للتواصل الإلكتروني:-

kselim657@gmail.com

facebook.com/shahloof.5680/

x.com/khaleds58620556

"لقد كنت أنوي أن أؤسس أمة جديدة، وأن أستعيد نفوذاً ضائعاً، وأن أعطي عشرين مليوناً من الساميين الأسس التي يمكنهم أن يبنوا عليها قصر أحلامهم الملهم الذي يجسد أفكارهم الوطنية."

- ت. إ. لورنس، أعمدة الحكمة السبعة (1922)

"لقد شَكّلتُ صورة جميلة ورشيقة، ورأيتها تذوب أمام عيني. وقبل أن يتم محو كل الخطوط العريضة النبيلة، فضّلتُ الرحيل؛ فعلى الرغم من حبي للأمة العربية وإحساسي بالمسؤولية عن مستقبلها، لم أعتقد أن بإمكاني تحمل رؤية الحلم الذي أرشدني يتبخر في الهواء."

- رسالة جيرترود بيل إلى الملك فيصل الأول ملك العراق (1922)

المحتويات

الجزء الثالث

الربح، (1949 – 1956) 196

الجزء الرابع

الخسارة، (1956 – 1958) 361

الاختصارات

ACJ المجلس الأمريكي لليهودية
AFME الأصدقاء الأميريكيون للشرق الأوسط
AIOC شركة النفط الأنجلو-إيرانية
AIPAC لجنة الشؤون العامة الأمريكية-الإسرائيلية (أيباك)
AMCOMLIB اللجنة الأمريكية للتحرير
ARAMCO شركة النفط العربية-الأمريكية (أرامكو) ، كانت شركة أمريكية بشكل غالب ساعة تأسيسها، وهي اليوم أصبحت شركة سعودية
AUB الجامعة الأمريكية في بيروت
AYC مؤتمر الشباب الأمريكي
BA&H شركة Booz, Allen & Hamilton
BP شركة البترول البريطانية
CBS هيئة البث الإذاعي كولومبيا
CCMCC اللجنة المستمرة للتعاون الإسلامي-المسيحي
CIA وكالة الاستخبارات المركزية
CIC فيلق مكافحة الاستخبارات
CIG مجموعة الاستخبارات المركزية
CJP لجنة العدالة والسلام في الأرض المقدسة
COI المكتب منسق المعلومات
FBI مكتب التحقيقات الفيدرالي
FOIA قانون حرية المعلومات
GID مديرية التحقيقات العامة
MP عضو البرلمان
NEA قسم الشرق الأدنى/أفريقيا

NSC مجلس الأمن القومي
OCB هيئة تنسيق العمليات
OPC مكتب تنسيق السياسات
OSO مكتب العمليات الخاصة
OSS مكتب الخدمات الاستراتيجية
OWI مكتب معلومات الحرب
PWB فرع الحرب النفسية
RAF سلاح الجو الملكي البريطاني
RCC مجلس قيادة الثورة
SIS خدمة الاستخبارات السرية البريطانية (والمعروفة أيضا بإسم MI6)
TAPLINE خط أنابيب النفط العابر للعربية "التابلاين"
UAR الجمهورية العربية المتحدة
UN منظمة الأمم المتحدة
VOA إذاعة "صوت أمريكا"

تعريف بالشخصيات
اللاعبون

(أ) ضباط السي آى ايه "المستعربون" / "العروبيون"

كيرميت "كيم" روزفلت الابن: رئيس العمليات السرية لوكالة المخابرات المركزية في الشرق الأوسط. حفيد الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت ، نجل رجل الأعمال والمستكشف كيرميت روزفلت الأب وبيلي ويلارد روزفلت، وزوج ماري "بولي" جاديس.

أرشيبالد ب. روزفلت الابن: حفيد آخر للرئيس ثيودور روزفلت وضابط في وكالة المخابرات المركزية؛ خبير في شؤون الشرق الأوسط ولكن ابن عمه "كيم" تغلب عليه في الفوز بمنصب رئيس العمليات السرية. تزوج أولاً من كاثرين وينثروب "KW" تويد، ثم من سلوى "لاكي" شقير.

مايلز أ. كوبلاند الابن: صديق من ألاباما لأبناء عمومة آل روزفلت، وملازم كيم في وكالة المخابرات المركزية، ومؤلف كتب مثيرة للجدل حول الاستخبارات. متزوج من لورين أدي.

(ب) الأسلاف لعروبيي السي-آى-ايه ، مُستعرِبي مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS

وليام أ. إيدي: مستعرب من مواليد لبنان، وجندي في البحرية، وباحث، وضابط استخبارات، وسفير أمريكي في المملكة العربية السعودية بدرجة وزير مفوض، مهد الطريق لوكالة المخابرات المركزية في العالم العربي.

هارولد ب. هوسكينز: ابن عم وليام إيدي؛ رجل أعمال ودبلوماسي كان أيضًا رائدًا في مجال الاستخبارات الأمريكية في الشرق الأوسط أثناء الحرب العالمية الثانية.

ستيفن ب. ل. بينروز الابن: مثقف و معلِّم، ورئيس محطة مكتب الخدمات الاستراتيجية في القاهرة

(ج) مسؤولون أميركيون آخرون

من ال OSS/CIA

ويليام ج. دونوفان : رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية وصديق عائلة روزفلت.

آلن دالاس : نائب دونوفان الأوروبي في مكتب الخدمات الاستراتيجية؛ نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية تالياً، ثم أصبح مديرًا للوكالة برمتها بين عامي 1953 و1961؛ مشهور بكونه مناصر شرس للعمليات السرية.
(من المترجم:- دالاس كان حلقة الوصل -مع آخرين عديدين- في اغتيال الرئيس الأمريكي كينيدي في 1963، كما قال مالكوم إكس مازحاً عن اغتيال كينيدي -قبل أن يغتاله هو ذاته الإف بي آي بعدها- :- "لقد عاد الدجاج الى بيته ليرقد")

والتر بيديل سميث : سلف دالاس كمدير لوكالة الاستخبارات المركزية.

فرانك ج. ويزنر : رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية في جنوب شرق أوروبا وأول رئيس لعمليات وكالة الاستخبارات المركزية السرية.

دونالد ن. ويلبر : خبير أكاديمي في شؤون إيران كان متمركزًا هناك كضابط في مكتب الخدمات الاستراتيجية أثناء الحرب العالمية الثانية؛ ساعد لاحقًا في التخطيط لعملية الانقلاب الإيرانية عام 1953.

مايكل ج. ميتشل: أول رئيس لقسم الشرق الأوسط في وكالة المخابرات المركزية، أوصى ب"كيم" بدلاً من ابن عمه أرتشي روزفلت كرئيس للعمليات السرية للمنطقة.

ستيفن ج. ميد: ضابط جيش قاسي يتم إعارته بشكل دوري إلى مكتب الخدمات الاستراتيجية ووكالة المخابرات المركزية لأداء مهام خاصة.

ماثر جرينليف إليوت: ضابط حالة شاب لوكالة المخابرات المركزية في الأصدقاء الامريكيون للشرق الأوسط (AFME).

لورين ني نورتون: خليفة ماثر إليوت كضابطة حالة في AFME (وتزوج الاثنين لاحقًا!).

جيمس م. إيشلبرجر: زميل لمايلز كوبلاند في فيلق مكافحة الاستخبارات CIC من زمن الحرب؛ ثم أصبح مسؤولا عن الدعاية والرئيس الدائم لمحطة وكالة المخابرات المركزية الCIA في القاهرة.

جيمس بورنهام : مثقف تروتسكي سابق أثناء شبابه المبكر ثم أصبح محافظاً متطرفاً، ومستشار لوكالة المخابرات المركزية، أثرت كتاباته على عمليات الوكالة في مصر في عهد عبد الناصر.
أخذ "وسام الحرية الرئاسي" من رونالد ريجان.

إدوارد جي لانسديل : زميل كيم روزفلت في مشروع "بناء الأمة" في الشرق الأقصى؛ يشتهر بأنه النموذج الحقيقي الذي استند إليه جراهام جرين في روايته "الأمريكي الهادئ".

جيمس جيسوس أنجلتون : الرئيس الأسطوري ل"وحدة مكافحة التجسس" في وكالة المخابرات المركزية، كما أدار "الحساب الإسرائيلي" للوكالة.

هوارد "روكي" ستون : عضو شاب في فريق وكالة المخابرات المركزية في إيران عام 1953. وحاول تقليد ذلك في عملية مماثلة في سوريا عام 1957 لكن فشل.

ويلبور كرين إيفلاند : ضابط في الجيش ومغامر في الشرق الأوسط تم اعارته إلى آلن دالاس بدءاً من عام 1956 للتخطيط لعملية تغيير النظام في سوريا.

من وزارة الخارجية الأمريكية:-

دين أتشيسون : مدير "برنامج الإعارة والتأجير" أثناء الحرب العالمية الثانية، ووزير الخارجية الأمريكية من عام 1949 إلى عام 1953، والراعي ل"كيم" روزفلت.

جون فوستر دالاس : شقيق آلن دالاس؛ خليفة أتشيسون كوزير للخارجية اثناء إدارة أيزنهاور.

إدوين م. رايت: متخصص في شؤون الشرق الأوسط في مجال استخبارات الجيش أثناء الحرب العالمية الثانية وفي وزارة الخارجية بعد ذلك.

لوي دبليو هندرسون : ضابط مخضرم في الخدمة الخارجية وخبير في الشؤون السوفييتية؛ مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى في الفترة التي أدت لإنشاء إسرائيل؛ سفير الولايات المتحدة لدى إيران ساعة انقلاب عام 1953.

جيمس هيو كيلي الابن: دبلوماسي مستعرب عمل سفيراً لدى سوريا في وقت انقلاب عام 1949.

جيفيرسون كافري: دبلوماسي مخضرم عمل سفيراً للولايات المتحدة لدى مصر في وقت الثورة المصرية عام 1952.

هنري أ. بيرود: جندي سابق شاب ومساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى؛ اختير خليفة للسفير كافري في مصر ل"يرعى" ناصر ولكن "الدبلوماسية المُشفَّرة" التي تبنتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قوضت هذا المنصب المفترض به القيادة.

(د) رجال الشبكة "العروبية" و"مناهضة الصهيونية" التي أسسها كيم روزفلت الابن من المدنيين الأمريكيين

جورج إل. ليفيسون: يهودي أميركي بارز مناهض للصهيونية؛ صديق مقرب جداً من كيم روزفلت الابن.

إلمر بيرجر: حاخام يهودي مناهض للصهيونية وأحد المقربين من كيم روزفلت؛ المدير التنفيذي للمجلس الأميركي لليهودية ACJ .

جيمس تيري دوك: نائب رئيس شركة "أرامكو"ِARAMCO ومقيم بواشنطن.

فيرجينيا سي. جيلدرسليف: مُربيّة بارزة في نيويورك ومعادية للصهيونية.

جارلاند إيفانز هوبكنز: قس ومحرر؛ المسؤول التنفيذي لعديد من المنظمات العروبية ومعادية الصهيونية المتعاقبة، بما في ذلك منظمة AFME.

دوروثي تومسون: صحفية مشهورة ترأست منظمة AFME.

كورنيليوس فان إتش إنجرت: ضابط متقاعد في الخدمة الخارجية ساعد في الاتصال بين آلن دالاس وبين AFME.

إدوارد إل. آر. إلسون: قس مشيخي لكل من الرئيس دوايت أيزنهاور ووزير خارجيته جون فوستر دالاس؛ مدير AFME.

(هـ) اللاعبون العرب

من العراق

عبد الاله بن علي بن الحسين الهاشمي : الوصي على العرش العراقي قبل تتويج الملك فيصل الثاني لصغر سنه (في الفترة من 1939 الى 1953) وهو أيضا خال الفتى فيصل، وسيصبح ولياً لعهد ابن اخته بعد تتويجه رسمياً 1953، وحتى هلاكهم جميعا في 1958

نوري السعيد : رئيس وزراء العراق الموالي لبريطانيا؛ والذي تم اغتياله مع عموم أفراد العائلة المالكة الهاشمية أثناء انقلاب عام 1958.

من المملكة العربية السعودية

عبد العزيز آل سعود:مؤسس المملكة العربية السعودية؛ خلفه ابنه الأقل إثارة للإعجاب سعود.

من سوريا

شكري القوتلي: الرئيس السوري الذي أطيح به في انقلاب عسكري عام 1949 ولكنه عاد إلى السلطة عام 1955.

حسني الزعيم: ضابط كردي في الجيش، أصبح رئيسًا بعد أن قاد انقلاب عام 1949 ولكن تم عزله وإعدامه بعد أشهر فقط.

أديب الشيشكلي: قائد دبابة وصديق مايلز كوبلاند ومشارك في العديد من المؤامرات الانقلابية المتتالية للسي آى ايه، وأصبح هو ذاته رئيسًا عسكريا لسوريا عام 1953.

ميخائيل إليان: سياسي سوري محافظ من حلب، خطط لتغيير النظام مع ويلبر كرين إيفلاند.

عبد الحميد السراج: رئيس ذكي لجهاز الأمن السوري أحبط عديداً من المؤامرات المتعاقبة لوكالة المخابرات المركزية للإطاحة بالحكومة.

من مصر

فاروق: ملك شاب مستهتر وخليع أطاحت به الثورة المصرية عام 1952.

محمد نجيب: جنرال مصري شعبي قاد الحكومة الثورية.

جمال عبد الناصر: ضابط جيش شاب لامع أطاح بمحمد نجيب، وبدعم من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، برز باعتباره "القومي العربي" الرائد في العالم العربي.

محمد حسنين هيكل: صحفي مصري ومقرب من عبد الناصر.

علي صبري: رئيس مخابرات القوات الجوية ومدير مكتب رئيس الوزراء في عهد ناصر.
حسن التهامي: ضابط الاتصال بين مايلز كوبلاند وحكومة ناصر.
زكريا محيي الدين: وزير داخلية عبد الناصر الذي أشرف على إنشاء جهاز المخابرات العامة المصرية على غرار السي اى ايه، وبالتعاون مع السي اى ايه.

من شرق الأردن/الأردن

عبد الله الأول: مؤسس مملكة شرق الأردن بالتعاون مع البريطانيين، اغتيل عام 1951؛ وبعد عام واحد تم الاطاحه بابنه طلال، وخلفه الحفيد الحسين بن طلال ذي ال17 سنة، والذي تلقى الدعم من وكالة المخابرات المركزية تاليا.

لبنان

كميل شمعون: رئيس مسيحي مؤيد لأميركا، أصبح مصيره اختبارًا حاسمًا ل"عقيدة أيزنهاور".

(و) اللاعبون الإسرائيليون

تيدي كوليك: مسؤول استخبارات "الوكالة اليهودية" خلال الحرب العالمية الثانية، وصديق لأبناء عمومة روزفلت، ورئيس بلدية القدس لاحقًا.
ديفيد بن جوريون: أحد الآباء المؤسسين لإسرائيل وأول رئيس وزراء للبلاد؛ ساعد في تأسيس الشراكة الاستخباراتية بين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبين الموساد.

(ز) اللاعبون الإيرانيون

محمد رضا بهلوي: الشاه الشاب لإيران والمدعوم سراً من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.
محمد مصدق: رئيس وزراء وطني كاريزمي أطيح به في انقلاب عام 1953.

(ي) اللاعبون البريطانيون

روديارد كبلينج: شاعر الإمبراطورية البريطانية وصديق عائلة روزفلت والذي ألهمت روايته "كيم" 1901 الأجيال اللاحقة من ضباط الاستخبارات، بما في ذلك عروبيو/مستعربو وكالة المخابرات المركزية.

تي إي لورنس: "لورنس العرب"، الضابط البريطاني الذي كان على اتصال بالثورة العربية على العثمانيين في الحرب العالمية الأولى 1916 ، وهو من أشعل خيال أبناء عمومة آل روزفلت.

هاري سانت جون "جاك" فيلبي: مستعرب/عروبي بريطاني مارق، ومستشار خاص لعبد العزيز ابن سعود،
وهو والد الجاسوس السوفييتي -كما سيتضح تاليا- الشهير في بريطانيا إتش إيه آر "كيم" فيلبي.

أنتوني إيدن: وزير الخارجية ثلاث مرات، وخلف ونستون تشرشل في منصب رئيس الوزراء في عام 1955 قبل أن يقوم بحرب السويس الكارثية التي أدت إلى استقالته في يناير 1957.

هارولد ماكميلان: وزير الخارجية في عهد إيدن ورئيس الوزراء بعده، وقد هندس المصالحة بعد السويس مع الأميركيين بينما كان يعمل خلف الكواليس لاستعادة الموقف البريطاني في الشرق الأوسط.

مقدمة المترجم

*إلى العرب المخدوعين في ربهم ومولاهم واشنطن، أمريكا "أرض الأحرار"،
سواء كانوا من المؤمنين ب"الحرية والديمقراطية" الأمريكية بشكل أعم،
أو كانوا خصيصاً من المؤمنين بإمكانية ثني واشنطن عن دعمها إسرائيل (وهؤلاء بالطبع أصبحوا قلة في القرن ال21، ولكنهم موجودين ما يزالون، وما تزال ذات الأوهام والخدع تعمل عليهم)،
أيا كانت النسخة المحدثة من منظمة "الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط" AFME التي يوالونها هم اليوم
أهدي لكم هذا العمل

*إلى العرب من المخدوعين ب"الأفندية الشباب" من ساسة العرب كما وصفهم كيرميت روزفلت الإبن في كتابه "العرب، النفط، والتاريخ" المكتوب في عام 1948، والمنشور في أوائل عام 1949
الأفندية العسكر، والأفندية المدنيين، الأفندية اليسار والأفندية اليمين،
أو أيا كان تلونهم حسب التلون المرحلي لواشنطن،
وربما أيضا أخاطب بعض العرب من "الأفندية الشباب" هؤلاء أنفسهم الذين قد يوقظهم هذا العمل
أهدي لكم هذا العمل

*وإلى العرب من المخدوعين بعموم سرديات التاريخ العربي الحديث والمعاصر، (السرديات العربية المتنوعة والمتضادة ضد بعضها، وكلها مبنية على الهواء والهراء)،
من أيام كانت "الأنوار" تأتي من لندن وباريس في القرن ال19،
ثم من "الثورة الكبرى" لعام 1916،
وحتى الدخول الأمريكي لبلاد العُرْبان مع الحرب العالمية الثانية
أهدي لكم هذا العمل

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب يبدأ بمفاجأتين، الأولى هي أنه لم يُكتَب من قبل. فمن إنقلاب عام 1953 الذي أطاح برئيس الوزراء الإيراني الوطني محمد مصدق، وحتى التقارير الأحدث عن السجون السرية، والتعذيب بالغمر بالماء والإيهام بالغرق، وحرب الدرونات تاليا لاحداث 11 سبتمبر، لعبت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية السي-آى-ايه دورًا حاسمًا في العلاقة المضطربة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط. ومع ذلك، وبصرف النظر عن العديد من الكتب حول الانقلاب الإيراني وعدد قليل من المقالات العلمية، لا يوجد عمل واحد مخصص على وجه التحديد لهذا الموضوع.(1) حتى سجلات تاريخ الوكالة نفسها لا تذكر الكثير عن عملياتها في الشرق الأوسط بخلاف إيران. ما زلت غير متأكد من السبب وراء ذلك. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عدم إمكانية الوصول إلى أغلب سجلات وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية حول هذا الموضوع - على الرغم من أنني اكتشفت بعد فترة وجيزة أن مصادر أخرى كانت متاحة للعامة - أو ربما يرجع ذلك إلى الأجواء الغامضة من سوء الموثوقية التي تحيط بمثل هذه المواضيع في الدوائر الأكاديمية الأميركية. وعلى أية حال، فقد ضربني خاطر أن هذا الكتاب يرجو أن يكتبه أحد.

وكانت المفاجأة الثانية عندما بدأت في التعمق في الموضوع. فخلافاً لما كنت أتوقعه، ونظراً لأفعال وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في إيران والسمعة الشيطانية التي اكتسبتها الوكالة في

مختلف أنحاء العالم العربي، فقد اكتشفت أن الأفراد المسؤولين عن أولى العمليات السرية الأميركية في المنطقة كانوا متعاطفين شخصياً مع العرب والمسلمين. والواقع أن كيرميت "كيم" روزفلت، حفيد الرئيس ثيودور روزفلت الذي ترأس قسم الشرق الأوسط في الوكالة في سنواتها الأولى وقاد عملية عام 1953 في إيران للإطاحة بمصدق، كان صديقاً ومؤيداً للقومي العربي البارز في ذلك الوقت، جمال عبد الناصر من مصر.

والأمر الأكثر إثارة للدهشة هو أن روزفلت رتب تمويلاً سرياً من وكالة المخابرات المركزية لجهود داخل الولايات المتحدة لتعزيز التقدير الأميركي للمجتمع والثقافة العربية، ومواجهة النفوذ المؤيد لإسرائيل من جانب الصهاينة الأميركيين على السياسة الخارجية الأميركية فيما يتصل بالصراع العربي-الإسرائيلي.

وبفعله هذا كان يعبر كيم روزفلت الابن عن دافع "عروبي" قوي في التاريخ المبكر لوكالة المخابرات المركزية والذي يمكن إرجاعه إلى المنظمة التي سبقتها في الحرب العالمية الثانية، مكتب الخدمات الاستراتيجية (OSS). بزغ بشكل أكثر تحديدا من بين هؤلاء مجموعة من ضباط مكتب الخدمات الاستراتيجية الذين وُلِدوا في الشرق الأوسط والذين عملوا سراً خلال أربعينيات القرن العشرين على تقريب الولايات المتحدة والدول العربية ومنع تقسيم فلسطين، والذين كانوا ينحدرون من المبشرين الأميركيين في العالم العربي في القرن التاسع عشر، وكانوا مناهضين للصهيونية ليس بسبب أي تحيز متأصل ضد اليهود، بل بسبب اعتقادهم الشديد ـ الذي كان في بعض الحالات حالة شبه صوفية ـ بالأهمية القصوى للعلاقات الأميركية-العربية، وأهمية العلاقات المسيحية-الإسلامية. فأدركت بسرعة أن كتابة تاريخ وكالة الاستخبارات المركزية في الشرق

الأوسط إبان أوائل الحرب الباردة من شأنه أن ينطوي على إعادة بناء هذا العالم المفقود الآن من "العروبية الأميركية" السرية.

إن هذا يعني أيضاً ضرورة الإجابة على سؤال واضح:- ما الذي تغير؟ لماذا تحولت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية من التعاطف مع العرب والمسلمين إلى أنها أصبحت تعتبر عدواً لهم؟ إن بعض العوامل التي طالما تم الاعتراف بأنها تؤثر على العلاقات الأميركية الشرق أوسطية بشكل عام كانت جزءاً واضحاً من التفسير. كان هناك تأثير الحرب الباردة مع السوفييت ونتج عن ذلك ميل من جانب مسؤولين أميركيين مثل وزير خارجية ادارة دوايت أيزنهاور جون فوستر دالاس إلى اللجوء إلى العمليات السرية من أجل القضاء على زعماء قوميين نُظِر إليهم (عادةً بشكل غير صحيح) على أنهم عرضة ل"الاستحواذ الشيوعي". ثم إن عزم واشنطن على الحفاظ على وصول الغرب إلى نفط الشرق الأوسط جعلها بشكل حتمي على خلاف مع القوميين المحليين، الذين كانوا، بعد أكثر من قرن من الاستعمار الفرنسي والبريطاني في المنطقة، عازمون بنفس القدر على التخلص من النفوذ الغربي، بما في ذلك التدخلات من جانب العملاء السريين. وحدث ذلك الانهيار أيضاً -بالطبع- مع تزايد الدعم الأميركي لإسرائيل، وهي الظاهرة التي نجمت جزئياً عن صعود ما يسمى بـ"اللوبي الإسرائيلي" داخل الولايات المتحدة والانحدار النسبي في قوة النخب الأنجلو-أميركية التي انحدر منها أغلبية كبيرة من المستعربين/العروبيين العاملين في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية. وأخيراً، أثبتت أطراف ثالثة متعددة - بما في ذلك المحافظون من العرب الذين شعروا بالتهديد من جانب الحركة القومية البازغة وأيضا المسؤولون الذين

يمثلون القوى الأوروبية القديمة في العالم العربي، وخاصة بريطانيا - براعتهم في إغراء الولايات المتحدة بالدفاع عن النظام الإمبراطوري الراسخ في المنطقة، ومرة أخرى على حساب العلاقات الأميركية الودية مع القوميين مثل عبد الناصر.

ساهمت كل هذه العناصر بوضوح في كسوف "عروبية" وكالة الاستخبارات المركزية في نهاية المطاف، وبالتالي سوف تحظى بالاهتمام الواجب في السرد الذي يلي. ولكن مع بحثي في الموضوع، أصبحت على وعي متزايد بمجموعة أخرى من الضغوط التي عملت على كيم روزفلت الابن وزملائه والتي لم تكن مرتبطة باعتبارات جيوسياسية واستراتيجية كبرى بقدر ما كانت مرتبطة بمعطيات شخصية أكثر فردية. ومثلهم مثل العديد من كبار ضباط وكالة الاستخبارات المركزية من جيلهم، كان كيم روزفلت الابن هو وابن عمه آرتشي روزفلت، رئيس آخر لقسم الشرق الأوسط في الوكالة في السنوات الأولى من الحرب الباردة نشأوا وتربوا في بيئة نخبوية هيّأتهما -قبل وقت طويل من أن يختبروا المنطقة ذاتها بشكل مباشر- للنظر إلى الشرق الأوسط كما كان نظر لها عملاء الإمبراطورية البريطانية من جيل سابق:- كمكان للمغامرة الفردية البطولية، حيث يمكن لمجموعة من الجواسيس الغربيين الشجعان والمبدعين التحكم في مصائر الأمم. وإلى حد ما، تم تحجيم هذا الإرث من ألعاب التجسس وصناعة الملوك من خلال التقليد التبشيري الأميركي الذي نقله مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS إلى وكالة المخابرات المركزية في بداياتها، والذي كان يميل -بدلاً من ذلك التقليد البريطاني السابق- إلى التأكيد على القيم الأخلاقية لحق العرب في تقرير المصير وعلى التبادل الثقافي المتبادل. ورغم

ذلك فقد تعززت النزعة المُغامِرة هى الاخرى بوجود نوع اجتماعي آخر من الأمريكيين مميز في قسم الشرق الأوسط المبكر لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، وأفضل مثال على ذلك النوع هو "الجنوبي" مايلز كوبلاند: شباب أذكياء وطموحون من خلفيات غير نخبوية التحقوا بوكالة الاستخبارات المركزية بفضل فرص الحراك الاجتماعي التي أتاحتها الحرب العالمية الثانية (عادة من خلال "فيلق مكافحة الاستخبارات" CIC وليس "مكتب الخدمات الاستراتيجية" OSS الأكثر أرستقراطية)، والذين، على الرغم من عدم امتلاكهم لنفس الأصول الاجتماعية مثل أبناء عمومة آل روزفلت، فقد شاركوا شهيتهم للعب. وبالتالي فإن قصة تورط وكالة الاستخبارات المركزية في العالم العربي خلال السنوات الأولى من الحرب الباردة هي -جزئياً على الأقل- قصة صراع داخلي بين تأثيرين متناقضين: الإرث الإمبراطوري البريطاني والتقاليد التبشيرية الأميركية. وإذا كان الدافع الأخير، الأكثر أخلاقية ومثالية، قد شكل العمليات الأولى للوكالة، فإن الدافع الأول ـ الذي يتسم نسبيا بالبراجماتية والواقعية، بل وحتى الكلبية ـ هو الذي هيمن في نهاية المطاف، حيث عمل الانقلاب في إيران 1953 كنوع من "نقطة تحول".

ولقد حفزتني عدة اعتبارات على الاهتمام بهذه العوامل الشخصية والاجتماعية-الثقافية. فقد حذا المجال الأكاديمي للتاريخ الدبلوماسي الأميركي حذو فروع أخرى من فروع التاريخ، فأخذ "منعطفاً ثقافياً"، بل وحتى "منعطفاً عاطفياً"، فبحث في تأثير مجموعة من القضايا التي لا ترتبط عادة بالعمل الدبلوماسي العقلاني الجاد على السياسة الخارجية الأميركية.(2) وثانياً، أعتقد اعتقاداً راسخاً أن

السيرة الذاتية أو السيرة الجماعية ـ التي تبرز الأفراد وتحاول تصوير حياتهم الاجتماعية والعاطفية بكل تعقيداتها ـ تشكل نوعاً ثرياً ومجزياً من الكتابة التاريخية.(3) وأخيراً، والأهم من ذلك، بدا لي أن الأدلة تتطلب مثل هذا النهج. ذلك أن ممارسة الألعاب، سواء كانت نسخة أميركية من "اللعبة الكبرى" البريطانية، أو الصدام بين الإرادات الشخصية الذي نشأ في نهاية المطاف بين كيم روزفلت وبين جمال عبد الناصر، أو الاهتمام الراسخ الذي أبداه مايلز كوبلاند ب"نظرية الألعاب"، لم تكن مجرد استعارة فقط. بل كانت عاملاً تاريخياً حاسماً في تكوين ثم انهيار "عروبية وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية" في نهاية المطاف.

مثل أغلب المؤرخين الذين يكتبون عن تاريخ وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، فقد اضطررت إلى حد كبير إلى الاستغناء عن الوصول إلى سجلات الوكالة ذات الصلة، والتي تم تدمير الغالبية العظمى منها أو ماتزال سرية (على الرغم من أنني حصلت على فرصة الاطلاع على ملفات الموظفين الخاصة بكيم وأرتشي روزفلت ومايلز كوبلاند). ومن حسن الحظ أن السجلات الرسمية الأخرى المتاحة للباحثين في الأرشيف الوطني الأميركي والمكتبات الرئاسية، وخاصة تلك التابعة لوزارة الخارجية، أثبتت أنها تكشف بشكل مدهش عن العمليات السرية الأميركية في أوائل حقبة الحرب الباردة، في حين ساعدت ملفات الحكومة البريطانية في لندن في إلقاء الضوء على المشاريع الأنجلو-أميركية المشتركة. وعلاوة على ذلك، ترك العديد من الأفراد المعنيين مجموعات خاصة من الأوراق التي، على الرغم من أنها لا تكشف بالضرورة الكثير عن

حياتهم المهنية، توفر توثيقًا واسع النطاق لمواقفهم وعواطفهم الشخصية. إن أحد مجالات عمل وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية الموثقة جيداً في الأرشيفات هو برنامج شبكة المواطنين الامريكان العروبيين والمناهضين للصهيونية التي مولها كيم روزفلت سراً؛ وهو برنامج سيتم وصفه بالتفصيل هنا للمرة الأولى. ثم هناك مجموعة كبيرة من المذكرات المنشورة التي كتبها مستعربو وكالة الاستخبارات المركزية. ومن المسلم به أن هذه الروايات تطرح مشاكل باعتبارها مصادر تاريخية، وقد كنت حذراً في استخدامها، فقارنت بين الادعاءات الواقعية والسجلات الأخرى وأشرت إلى حيث لا تزال هناك أي شكوك حول موثوقيتها. ومع ذلك، إذا ما قرأناها كنصوص أدبية مؤلَّفة وليس كمصادر تاريخية أولية شفافة، فإنها تشكل مجموعة لا تقدر بثمن من الأدلة، وفي رأيي أنها لم تستخدم حتى الآن بشكل كاف. والروايات الأدبية هي وسيلة أخرى مهمة لفهم مستعربي وكالة الاستخبارات المركزية، الذين تأثرت تصوراتهم وأفعالهم (بما في ذلك، كما أزعم، بعض العمليات السرية الرئيسية في تلك الفترة) بشدة بقصص المغامرات التي رواها جيل سابق، والذين هم أنفسهم ألهموا تاليا تصويراً خيالياً من قبل كتاب آخرين. أخيرًا، ورغم أن ضباط الاستخبارات الرئيسيين الذين تم تصويرهم في الصفحات التالية هم جميعًا متوفون للأسف، فإن المقابلات التاريخية الشفوية والمراسلات الشخصية مع أفراد الأسرة الناجين والأصدقاء والزملاء توفر رؤى مهمة حول شخصياتهم وكذلك عوالمهم الاجتماعية والثقافية.

المراجع المحددة لجميع هذه المصادر موجودة في الملاحظات الموجودة في نهاية النص.

على مدار فترة طويلة من هذا المشروع، تكبدت عددًا من ديون الامتنان. أود أن أشكر الأشخاص التاليين للرد على استفساراتي ومشاركتي ذكرياتهم معي في المقابلات والكتابة: ليني كوبلاند، ولورين كوبلاند (التي كانت مفيدة بشكل خاص، والتي توفيت في الوقت الذي كان هذا الكتاب يدخل فيه الإنتاج)، ومايلز كوبلاند الثالث، وجراهام كريبين، ولورين ني إليوت، وباتريس جودفري-ديمومبينز، وإد كين، وجيمس نويس، وأورين باركر، وجوناثان روزفلت، وكيرميت روزفلت الثالث، وسلوى "لاكي" روزفلت، وآنا إيشيلبرجر تازويل.

لقد قدم لي العديد من الأصدقاء والزملاء نصائح الخبراء والمصادر وخطابات الدعم أو التشجيع البسيط على طول الطريق لدرجة أنني أواجه خطر نسيان الأسماء، ولكن إليكم بعض الأسماء التي أتذكرها:

ريتشارد ألدريتش، روبرت أمان، نايجل أشتون، جو آيلا، ديفيد بلانك، ناثان سيتينو، روبرت كوك، جيري ديفيس، روبرت دريفوس، مارك جاسيووسكي، بيتر هان، آن هايس، علي إيجمان، آندي جنكس، إيان جونسون، ماثيو جونز، تيم كيرن، تشارلز ستيوارت كينيدي، ماثيو كولستيدت، أرلين لازارويتز، نيلسون ليختنشتاين، إيلين لور، ميلاني ماكاليستر، دان مورغنسترن، جون بالفري، ديفيد روبارج، جورج روب، يوجين روجان، إميلي روزنبرج، دومينيك ساندبروك، توني شو، ر. هاريس سميث، شون سميث، بيل سترايفر، مايكل ثورن هيل، ستيفن واجنر، جيم والاس، ومايكل وارنر، وباتريك وايت، وجيم وولف. كما قدم عامر غزال بعض الترجمات الممتازة للمصادر العربية، وقدمت هوري بربريان نصائح لا تقدر بثمن حول نسخ الأسماء العربية والفارسية. كما

ذهب براندون هاي، ورودري جيفريز-جونز، وسكوت لوكاس، ومرة أخرى هوري بربريان جميعهم إلى ما هو أبعد من نداء الزمالة والصداقة في الموافقة على قراءة المخطوطة وتقديم الملاحظات. وقد تميز رولاند بوب وسليم يعقوب بكرم مساعدتهما أثناء مرحلة البحث في هذا المشروع ودقة وتبصر تعليقاتهما على المخطوطة.

كما قدم أفراد الأسرة على جانبي المحيط الأطلسي الضيافة أثناء بحثي في الأرشيفات: كارول كلياري-شولتز، وجيف شولتز، وابنتيهما الجميلتين، كيلي وكايرا؛ ووالدتي، جان ويلفورد؛ وديفيد وكاث ويلفورد؛ وبيتر وجيلي ويلفورد (وشكر خاص لأخي الموسوعي بيتر على تعليقاته على المسودات السابقة). وفي جروتون، استضافني توم لامونت ليلًا وأخذ قسطًا من الراحة من يومه المزدحم ليصطحبني في جولة في المدرسة. وفي واشنطن العاصمة، كان كيم كلوج وكاثرين فاسار مضيفين كريمين، وكذلك ستيف وآنا سكوبي في لندن.

وفي وقت لاحق، في عملية كتابة شاقة في بعض الأحيان، قدم كل من كيتي ولاري وميجان وأليسون آدموفيتش أذنًا متعاطفة ورعاية أطفال من الدرجة الأولى. وكان برايان كلياري وشانون فوس مصدرًا دائمًا للدعم الحاسوبي الخبير والمبهج.

منحني رب عملي، جامعة ولاية كاليفورنيا، لونغ بيتش، عدة جوائز زمنية محددة ومنحة صغيرة بالإضافة إلى إجازة الفرق في الأجر في عامي 2010 و2011؛ وأنا ممتن للغاية لهذا الدعم المستمر، ليس أقلها أنه جاء في وقت الأزمة المالية المنهكة في نظام التعليم العالي العام في كاليفورنيا. وأود بشكل خاص أن أشيد بالجهود

البطولية التي بذلها عميدي المنتهية ولايته، جيري ريبوسا، ورئيسة القسم، نانسي كوام ويكهام، لحماية أجندات البحث لزملائهم في الفنون الليبرالية. لقد منحتني جمعية أصدقاء مكتبة جامعة برينستون منحة سخية لتمكيني من استشارة مجموعات المخطوطات في مكتبة مود في عام 2009، وقد كنت أقدر الترحيب الحار الذي قدمه لي هناك أندريا إميل ودان لينك وليندا أوليفيرا. كما قدم أمناء الأرشيف وأمناء المكتبات في مجموعة من المؤسسات الأخرى مساعدة حاسمة على طول الطريق؛ وأتوجه بالشكر الخاص إلى زملائي في المكتبة في جامعة ولاية كاليفورنيا في لونغ بيتش، الذين عالجوا جبلًا من طلبات الكتب الخاصة بي من خلال LinkPlus، وهو نظام إقراض بين المكتبات يعتبر استمرار وجوده ضروريًا للبحث مثل بحثي.

لقد قام وكلائي الأدبيان، فيليسيتي برايان وجورج لوكاس، بعمل رائع في تقديم اقتراحي إلى Basic Books وقدما نصائح سريعة وحكيمة بشكل رائع طوال فترة حمل الكتاب. في Basic، قامت لارا هايمرت بتحرير مخطوطتي بمزيج رائع من المهارة والطاقة والفكاهة. وكانت مساعدتها، كاتي أودونيل، نموذجًا للدعم الودود والفعال. قدم روجر لابري العديد من الاقتراحات التحريرية المفيدة لاحقًا. كما قامت محررة المشروع راشيل كينج ومحررة النسخ بيث رايت من Trio Bookworks برعاية المخطوطة ببراعة خلال المراحل النهائية للإنتاج.

ولكن أعظم ديني يعود إلى زوجتي وزميلتي المؤرخة باتريشيا كلياري، التي اضطرت إلى تحمل عدة سنوات من العمل لمدة اثنتي عشرة ساعة في اليوم وستة أيام في الأسبوع، ناهيك عن الحديث المتواصل أثناء تناول الطعام عن تصرفات أصدقائي الخياليين

الجدد، "مايلز" و"كيم" و"آرتشي". وعلى الرغم من كل هذا، فقد حظيت بالقدر الكافي من اللطف لقراءة عدة مسودات من المخطوطة الناتجة وتقديم ملاحظاتها القيمة المعتادة، بما في ذلك ترجمة الهفوات غير المقصودة إلى اللغة الإنجليزية البريطانية. إنها مساعدتي الفكرية والعاطفية، وما زال ديني لها وحبي لها مستمرين.

هذا الكتاب مخصص لطفلنا الصغير، جوناثان كلياري أوين ويلفورد، على أمل أن يشارك والديه ذات يوم حبهما للتاريخ. إنه يحب ممارسة الألعاب بالفعل.

الجزء الأول

ما قبل بدء اللعبة، 1916 – 1947

الفصل الأول :-

تعلم اللعبة

"لقد قرأت عن الشرق لسنوات لا تعد ولا تحصى،
لقد حلمت به منذ أن نمت،
لقد تعلمت عنه من خلال القصائد والأبيات،
لقد سمعت عن وسائل الراحة فيه، وسمعت عن لعناته،
لقد تحدثت عنه مع رجال كانوا هناك،
أعرف المتاعب، والأوساخ، والخطايا هناك،
ومع ذلك، عند جمع الحقائق معًا،
ما زلت أرغب في الذهاب إلى هناك بقدر ما كنت أرغب في ذلك."

- كيم روزفلت (في الخامسة عشر من عمره)، "إغراء الشرق"(1)

عندما -في يوليو 1953- دخل كيرميت "كيم" روزفلت إلى إيران بإسم مستعار لتنفيذ عملية سرية ربما كانت الأكثر شهرة لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في

بداية حقبة الحرب الباردة ـ الانقلاب الذي أطاح برئيس الوزراء الإيراني محمد مصدق ـ لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتظاهر فيها بأنه شخص آخر. فقبل نحو ثلاثين عاماً، عندما منعه مرض ما أثناء طفولته من الذهاب إلى مدرسته الإعدادية في نيو إنجلاند، كان يسلي نفسه بسرد "قصة تلو الأخرى" على معلم عجوز يأتيه المنزل، كما يتذكر لاحقاً، عن "طفولته (الخيالية تماماً) في الهند". وفي بعض الأحيان، كان ينسى نفسه على ما يبدو ويضيف "عبارة باللغة الهندوستانية" لإضافة التأثير اللازم. ولكن ذات يوم، قال المعلم العجوز لوالدة الصبي: "يا لها من طفولة رائعة" لابد وأن قضاها كيرميت الصغير "في لاهور"، وانكشفت "حيلته الصغيرة". (2)

طفولة روزفلت لم تكن تنتمي إلى شخص حقيقي كما ادّعى، بل كانت تنتمي إلى شخصية خيالية، وهو البطل الذي تحمل الرواية التي كتبها عام 1901 الكاتب والشاعر البريطاني روديارد كبلينج بإسم "كيم". وتدور أحداث رواية كبلينج في شمال غرب الهند البريطانية في أواخر القرن التاسع عشر، وتحكي قصة كيمبال أوهارا، الابن اليتيم لجندي أيرلندي ومربية أطفال، الذي نشأ في شوارع لاهور، ويعيش على ذكائه الكبير. وبسبب شغفه بالمغامرة، وقدرته على التظاهر بأنه مواطن أصلي، يلتصق كيم ب"كاهن/لاما" من التبت أثناء تجواله بحثًا عن نهر مقدس. وفي أثناء هذه المهمة، ينضم البطل الشاب الذكي ولكن المشاغب إلى "اللعبة الكبرى" ـ

المنافسة في القرن التاسع عشر بين الإمبراطوريتين البريطانية والروسية للسيطرة الاستراتيجية على آسيا الوسطى - بالتجسس لصالح ضابط استخبارات إنجليزي، العقيد كرايتون. وتبلغ الأحداث ذروتها في جبال الهيمالايا، حيث يقاتل كيم عملاء روس ويهرب بوثائق حيوية لصالح البريطانيين. وبعد أن يتعافى من محنته، يعلم أن اللاما قد وجد نهره.

والآن، بعد أن أصبح رجلاً، يواجه كيم خيارًا بين مواصلة سعيه الخاص نحو "الاستنارة الروحية" أو الاستمرار في لعب اللعبة الكبرى.

ولم يكن الصبي كيرميت وحده في حبه لرواية كيم: فقد حظي الكتاب بشعبية هائلة بين الجماهير في كل من بريطانيا وأميركا، وحصل مؤلفه على جائزة نوبل للأدب في عام 1907. ومايزال الكتاب بالفعل يفتن القراء اليوم، على الرغم من أن الإعجاب بإنجازات كيبلينج الأدبية، بما في ذلك اللون النابض بالحياة للشخصيات الأنجلو-هندية والأماكن التي يستحضرها، يناقضه اعتراف الكاتب بالافتراضات الإمبريالية التي توجد في أساسات قصته، فضلاً عن تصويره المهين أحيانًا لـ "الشرقيين". كا يقول الناقد إدوارد سعيد، كان كيم التعبير الأدبي الأسمى ل"الاستشراق"، وهو تقليد غربي في إدراك ثم تصوير "الشرق" على أساس إخضاعه للاستعمار.(3)

ولكن كان هناك شيء غير عادي في شدة تماهي كيرميت روزفلت مع بطل كبلينج. وكان هذا واضحًا ليس فقط في المقلب الذي لعبه مع معلمه ولكن أيضًا في صلابة التصاق لقب طفولته كيم به، حتى أنه أصبح معروفًا به للعامة كشخص بالغ. (سيتبع هذا الكتاب نفس الممارسة، فيشير إليه باسم كيم روزفلت، جزئيًا لمساعدة القارئ على التمييز بينه وبين والده، الذي كان اسمه هو الآخر كيرميت.) إن التأثير الدائم لقصة كبلينج على خيال كيم روزفلت الشاب يوفر دليلاً كاشفًا عن الخلفية الاجتماعية والثقافية المميزة التي شكلت ضابط الاستخبارات المستقبلي والتي ستمارس لاحقًا تأثيرًا حاسمًا على عمليات وكالة المخابرات المركزية في الشرق الأوسط.

وُلِد كيم روزفلت في بوينس آيرس عام 1916، وكان ابنًا لرجل الأعمال والكاتب والمغامر كيرميت روزفلت وبيلي ويلارد، اللذين كانت عائلتهما تمتلك العديد من العقارات في واشنطن العاصمة وحولها، بما في ذلك "فندق ويلارد" الفاخر الشهير، بالقرب من البيت الأبيض. ولكن منذ طفولته، كانت هوية جد كيم، وليس هوية والديه، هي التي أشار إليها الناس أولاً. فقد هيمن ثيودور روزفلت، الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة، على الثقافة الأمريكية أكثر من أي عضو آخر في جيله، ولذلك لم يكن من المستغرب أنه حتى بعد وفاته في عام 1919، كان له دور كبير في حياة أحفاده.

وبالنسبة لآرتشي روزفلت الابن، ابن عم كيم وزميله في وكالة المخابرات المركزية، كان ثيودور روزفلت "بطلنا ورفيقنا في اللعب". كان منزل جدهم يقع على "تلة ساجامور" في خليج أويستر، لونغ آيلاند، مليئًا بتذكارات من رحلاته إلى بلاد بعيدة، وهو مكان سحري لمغامرات الطفولة. كان لدى كيم -الذي بنى والده منزله العائلي الخاص، موهانيس، مجاورا لمنزل الجد في خليج أويستر- ذكريات جميلة بشكل خاص عن أعياد الميلاد في طفولته في ساجامور:
"كان والدي يُقطّع الخنزير المشوي، ... الشجرة في الغرفة الشمالية، ... [و] مباريات هوكي الحقل الحماسية، وإن كانت قاتلة إلى حد ما، عند الحظيرة". بعد سنوات، في عام 1960، اصطحب كيم ولديه الأكبر سناً إلى شرق إفريقيا وأعاد تمثيل رحلة سفاري قام بها جده ووالده هناك في عام 1909. باتباع نفس المسارات، وصيد نفس الطرائد، وحتى اتخاذ نفس الوضعيات في الصور، طور كيم "فهمًا متزايدًا ... وشعورًا بالألفة مع جده تي آر نفسه". بالنسبة لأجيال من رجال روزفلت، شبح الرئيس ورب الأسرة، الذي كان أكبر من الحياة حتى في موته، لم يكن بعيدًا أبدًا، كان حضورًا حميدًا ولكنه أيضًا قادر على إثارة مشاعر عدم الكفاءة والخسارة.(4)
هذا لا يعني أن والد كيم، كيرميت، كان خاليًا من صفات مثيرة للإعجاب. من بين أشقائه الذكور (ثيودور الابن، وأرشيبالد

الأب، وكوينتين)، كان كيرميت الأكثر جاذبية ـ شاب نحيف وسيم موهوب كرياضي وراوي. كما كشفت رحلة السفاري في شرق إفريقيا مع تي آر في عام 1909 عن كونه رفيق سفر شجاعًا وذكيًا، وهي السمعة التي تأكدت بعد خمس سنوات، عندما قام هو ووالده برحلة استكشافية أكثر صعوبة في البرازيل لاستكشاف ريو دا دوفيدا، أو "نهر الشك"، الذي لم يتم اكتشافه من قبل. كاد العجوز ثيودور أن يهلك في الدغل البرازيلي، ولم ينجُ منها إلا بفضل شجاعة ابنه. وقد وصف كيرميت رحلات السفاري السابقة والرحلات اللاحقة إلى جبال الهيمالايا وبورما مع شقيقه تيد في مذكرات سفر منشورة لاقت نجاحًا أدبيًا كبيرًا.

ومن بين المعجبين بهما كان روديارد كبلينج نفسه، وهو صديق للعائلة وضيف متكرر على العشاء لدى آل روزفلت، والذي كان يتراسل كثيرًا مع كيرميت.

ويبدو أن كيم روزفلت ورث على الأقل بعضًا من حبه للسفر والاستكشاف مباشرة من والده. فقد تذكر لاحقًا أنه "تربى على قصص والده عن "رحلاته الرائعة والمغامرة".

وكانت أكثر هذه القصص صلة بمستقبل كيم المهني رواية كيرميت الأب عن خدمته في الحرب العالمية الأولى. وبتشجيع من والدهم المحارب، الذي كان صعوده إلى "تل كيتل" في الحرب الإسبانية الأمريكية عام 1898 بمثابة أعظم الاعمال العسكرية شجاعة في جيله، تنافس أبناء روزفلت مع بعضهم البعض لإثبات أنفسهم في الحرب العظمى. كان تيد، الابن

الأكبر، قد تولى زمام المبادرة في وقت مبكر من خلال المساعدة في إنشاء معسكر تدريب للضباط في بلاتسبورج، نيويورك، قبل أن ينهي وودرو ويلسون رسميًا الحياد الأمريكي، ثم انطلق إلى فرنسا بمجرد إعلان الحرب في أبريل 1917. وسرعان ما انضم إليه آرتشي الاب وكوينتين. ومع ذلك، بالنسبة لكيرميت الحالم، كانت الجبهة الغربية/الأوروبية تفتقر إلى الرومانسية. وبدلاً من ذلك، كان "الشرق" هو الذي يغريه.(5)

في أوائل القرن العشرين، لم يكن للولايات المتحدة أي وجود سياسي أو عسكري تقريبًا في الشرق الأوسط. كانت القوى المهيمنة في المنطقة هي الإمبراطورية العثمانية التي يعود تاريخها إلى قرون مضت، وعاصمتها إسطنبول (التي لا تزال تُعرف في الغرب باسم القسطنطينية)؛ والبريطانيون؛ والفرنسيون. في البداية، دعمت بريطانيا العثمانيين كوسيلة لكبح جماح الروس في اللعبة الكبرى وحماية الطرق البرية المؤدية إلى الهند، "جوهرة تاج" الإمبراطورية البريطانية. ولكن بحلول وقت الحرب العالمية الأولى، كانت التمردات المحلية للحركات القومية قد قوضت حكم إسطنبول بشدة، وكان البريطانيون، الذين كانوا يسيطرون بالفعل على مصر وأصولها الاستراتيجية التي لا تقدر بثمن، قناة السويس، يريدون شق طريقهم بالقوة الى الخليج الفارسي الغني بالنفط. (في غضون ذلك، كان الفرنسيون يهيمنون على معظم شمال إفريقيا غربي مصر، وكانوا يتطلعون بحسد إلى الممتلكات

العثمانية في شرق البحر الأبيض المتوسط، أو بلاد الشام). وبعد أن دخل العثمانيون الحرب بالتحالف مع ألمانيا في عام 1914، فتحت بريطانيا وفرنسا عدة جبهات حرب ماوراء البحار جديدة، بما في ذلك جبهة في بلاد ما بين النهرين (العراق حديثا). وبعد عامين، بدأ البريطانيون في تقديم الدعم لانتفاضة عربية ضد الحكم العثماني، والمعروفة باسم "الثورة العربية". وعلى النقيض من ذلك، لم تعلن الولايات المتحدة الحرب على الإمبراطورية العثمانية، حتى بعد أن أخذت جانب البريطانيين والفرنسيين.

"ألا يكون من الرائع أن نكون حاضرين عند سقوط القسطنطينية؟"
-كتب كيرميت روزفلت إلى والده في عام 1917.

"إن الأمر برمته يروق لي أكثر بكثير من حرب الخنادق"
-رد تي آر متعاطفًا مع ابنه؛

ففي شبابه، كان ثيودور روزفلت هو أيضًا مفتونًا بالشرق الأوسط، حيث نظر إليه على الطريقة الاستشراقية الكلاسيكية كمكان للإمبراطوريات العظمى الهالكة وللانحطاط الحالي، وهو الانطباع الذي تأكد على ما يبدو عندما قام بجولة في المنطقة على ظهور الخيل في عام 1872.

كما وافق تمامًا على نفوذ بريطانيا في العالم العربي، حيث أعلن أثناء رحلة أخرى إلى مصر في عام 1910 أن البريطانيين كانوا يعملون على تطوير "القرن السابع بحيث يقربونه الى حد ما من القرن العشرين"، وهي مهمة "رفيعة ومشرفة" "لا يمكن إلا لأمة عظيمة وقوية أن تحاول القيام بها". الآن، وحرصًا منه على رؤية جميع أبنائه في الحرب، اتصل تي آر برئيس الوزراء البريطاني ديفيد لويد جورج، الذي أعطى إذنًا خاصًا لكيرميت للانضمام إلى الحملة العسكرية الى بلاد ما بين النهرين/العراق، برتبة نقيب. ولعل روديارد كبلينج، الذي شعر بأن تركيز اللعبة الكبرى قد تحول من الهند إلى الشرق الأوسط، كان سعيداً بهذا التطور. فكتب إلى كيرميت: "يا هلا! يتعين علينا أن نقبض على الناس الآن أينما نستطيع... هيا بنا معا!"(6)

وعندما هبط كيرميت في مدينة البصرة جنوب العراق، انبهر على الفور بمناظر وأصوات السوق، الذي بدا له (كما يتذكر في مذكراته عام 1919، "حرب في جنة عدن") وكأن له صفات "أشياء غير ملموسة"، وأشياء "غريبة بشكل محيط". ومثله كمثل العديد من الزوار الغربيين السابقين إلى الشرق الأوسط، وصل الشاب الأميركي إلى هناك وهو يشعر بإحساس قوي بالألفة مع المنطقة، وذلك بفضل قراءته عنها منذ طفولته في "ألف ليلة وليلة" (الليالي العربية). ولقد كان كيرميت سعيداً بملاحظة كشك في السوق "مزين بالمصابيح والفوانيس من كل نوع، وقد كُتب فوقه "علاء الدين ابن

سعيد". ومن البصرة إلى بغداد، حيث تضاعفت أصداء ألف ليلة وليلة ("عندما تضرب الشمس الغاربة أبراج المآذن، ... نتذكر مرة أخرى أننا في أرض هارون الرشيد")، ومن هناك إلى العاصمة القديمة لبلاد ما بين النهرين سامراء.(7)

وباعتباره من الامريكيين من محبي إنجلترا من الأساس، تكيف كيرميت بسرعة مع ثقافة الضباط البريطانيين، فاستأجر عربياً كجندي مرسال وخادم شخصي واستأجر سيخياً كسائس. كما أقام علاقات طيبة مع الضباط السياسيين/ضباط الاستخبارات في "المكتب العربي"، وهي وحدة من المتخصصين في الشرق الأوسط - الباحثين واللغويين والمستكشفين - الذين جابوا المنطقة وزودوا السلطات البريطانية بمعلومات استخباراتية استراتيجية بالغة الأهمية. بفضل معرفتهم الغامضة لكن العميقة وهالة المغامرة المثيرة التي تحيط بهم، بدا هؤلاء "المستعربون" البريطانيون وكأنهم شخصيات من روايات كيبلينج تنبض بالحياة، ولم يهدر كيرميت، الذي أصبح سريعًا يجيد اللغة العربية، أي فرصة لأجل محاورتهم، وخصيصاً جيرترود بيل الرائعة، الضابطة الأنثى الوحيدة في المكتب. وكما يليق بابن ثيودور روزفلت، فقد شهد أيضًا نصيبه من القتال الفعلي، وحصل على "الصليب العسكري" البريطاني في أغسطس 1918 لأسره فصيلة عثمانية على أطراف بغداد.

ولقد أسعد كبلينج رواية ساخرة رواها كيرميت عن تعثره في "حريم ميداني" لأحد الجنرالات الأتراك، فأعلن كبلينج أن هذا العمل يستحق "إما محاكمة عسكرية أو وسام صليب فيكتوريا"، قبل أن يسأله، على نحو فاضح إلى حد ما، "كيف شرحت الأمر للزوجة؟".(8)

ومن وجهة نظر ابنه كيم، فإن اللقاء الأكثر إثارة الذي واجهه كيرميت في الحرب ربما جاء بعد انهيار التام لجيوش العثمانيين وعودته غرباً للانضمام إلى الجيش الأميركي في فرنسا. فبعد أن مر كيرميت عبر القاهرة، حيث كان مقر المكتب العربي، التقى بعقيد عسكري بريطاني "بالكاد يتجاوز الثلاثين من عمره، ووجهه حليق وشاب"، والذي روى له تجاربه الأخيرة في تنظيم القبائل العربية في مجموعات كانت تداهم المواقع التركية وتفجر السكك الحديدية.

لم يكن ت. إ. لورنس قد أصبح بعد "لورنس العرب"، تلك الشخصية المشهورة دولياً التي خلقها الصحفي الأميركي لوييل توماس خلال عشرينيات القرن العشرين،

ولذلك فمن المؤثر للغاية أن نقرأ الصورة التي رسمها كيرميت روزفلت عام 1919 لهذا الضابط البريطاني "القصير والنحيل": عادته في ارتداء "الزي العربي"، وكراهيته "لقتل الجرحى"، وإعجابه بالعرب، و"رجولتهم ـ وضراوتهم ـ وذكائهم وحساسيتهم". (وهناك أيضاً مفارقة غير متوقعة في ملاحظة لورنس التي وردت في التقارير بأنه "لم يكن بوسعه أن يستمر لفترة أطول، فقد ساءت الأمور تماماً بالنسبة له،

ولم يعد بوسعها أن تستمر على ذات الحال"). ولا شك أن وصف كيرميت للورانس، بما يحمله من دلالات تشبه دلالات كيبلينج في التجسس والتظاهر بأنه مواطن أصلي، كان سبباً في إشعال خيال الفتى كيم.(9)

واستمر كيرميت ولورنس في المراسلة بعد الحرب، حيث شن الأخير حملة في الصحافة البريطانية من أجل تسوية سياسية في الشرق الأوسط لصالح العرب. ولكن رؤية لورنس لم تتحقق. وبدلاً من ذلك، قامت القوى الأوروبية المنتصرة بتقسيم الممتلكات العربية العثمانية فيما بينها، حيث أضاف الفرنسيون سوريا ولبنان إلى ممتلكاتهم الاستعمارية في شمال إفريقيا، واستحوذ البريطانيون على فلسطين وشرق الأردن والعراق. وتراجع لورنس إلى الظل، والتحق بسلاح الجو الملكي تحت اسم مستعار. ومع ذلك، فإن نوع "ضابط الاستخبارات البدوي" الذي ساعد في تشكيل نموذج له أثناء الحرب العالمية الأولى أصبح حاسماً لإدارة بريطانيا لولايتها الجديدة في الشرق الأوسط ("الانتداب البريطاني" تحت شرعية عصبة الأمم). فخلال فترة ما بين الحربين، والتي يشار إليها غالباً باسم "لحظة بريطانيا في الشرق الأوسط"، أنشأت لندن ما وصفه أحد المؤرخين بأنه "إمبراطورية تجسسية" في المنطقة، معززة على الأرض بشبكة فضفاضة من الجواسيس العرب المتجولين ومن السماء بمراقبة سلاح الجو الملكي البريطاني والقصف العرضي.

وفي الوقت نفسه، لم يفقد لورنس نفسه شهيته للعمل الاستخباراتي، فهاجر إلى المسرح الأصلي للعبة الكبرى لكبلنج، على الحدود الشمالية الغربية للهند، في أواخر عشرينيات القرن العشرين، حيث كتب إلى كيرميت روزفلت، بلهفة واضحة، "إن وعاء الغلّاية يغلي على نار هادئة، في الطريق الى كابول".(10)

ولا شك أن الصبي كيم روزفلت واجه صوراً أخرى للشرق إلى جانب قصص كبلينج ولورنس العرب. وكان المجتمع الاستهلاكي الأميركي في عشرينيات القرن العشرين مليئاً بالشرقيات، بدءاً من الملك توت إلى فيلم "الشيخ" للممثل فالنتينو. ولكن كيم لم يكن أميركياً عادياً.

في حين نشأ معظم الأولاد من جيله "مع خيالات حول لاعب البيسبول بيبي روث"، كما لاحظ أحد أبنائه في وقت لاحق، "كانت خيالاته الطفولية تتعلق بإطلاق النار على النمور، ... أو استكشاف نهر الفرات".

ولم يكن كيم قد سمع بتوت عنخ آمون فحسب، بل إن عمته، ماري إليزابيث ويلارد، تزوجت من ابن شقيق جورج هربرت، إيرل كارنارفون الخامس، الأرستقراطي الإنجليزي الذي مول أعمال التنقيب عن مقبرة الملك الصبي المصري، وتوفي بعد فترة وجيزة، ويُقال إنه توفي بسبب "لعنة توت عنخ آمون".

وقد أوضح كيم نفسه في قصيدة نُشرت في عدد مايو 1931 من مجلة "رفيق الصبي والشباب الأميركي": "لقد قرأت عن الشرق لسنوات لا حصر لها، وتعلمت عنه من القصائد

والأبيات، ... وتحدثت عنه مع رجال كانوا هناك بالفعل". وقبل وقت طويل من ذهابه إلى الشرق الأوسط شخصيًا كضابط استخبارات أميركي، كان لدى كيم روزفلت فكرة واضحة عن شكل المكان استنادًا إلى قصص المغامرات الإمبراطورية البريطانية.(11)

وحتى ان لم يكن الصبي كيم روزفلت قد تعرض بالفعل بدرجة كافية لثقافة الإمبراطورية البريطانية من خلال خلفيته العائلية، فإن مدرسة جروتون للبنين قد أنجزت المهمة بالتأكيد. تأسست مدرسة جروتون عام 1884، وكانت من ابتكار رجل الدين الأسقفي إنديكوت بيبودي، الذي كان لا يزال مديرًا عندما التحق كيم بالصف الأول عام 1928، في سن الثانية عشرة. كان بيبودي، وهو سليل عائلة مرموقة من نيو إنجلاند، قد تلقى تعليمه في بريطانيا في مدرسة عامة للنخبة، كلية شلتنهام، وفي كلية ترينيتي، كامبريدج، حيث استوعب والتزم تمامًا بالقيم الفيكتورية في ذلك الزمان: الانضباط الذاتي، والروح الرياضية، و"الرجولة" المسيحية. بعد عودته إلى الولايات المتحدة ودخوله مدرسة دينية في مدينة كامبريدج، ماساتشوستس، سافر بيبودي غربًا إلى إقليم أريزونا، حيث أمضى الأشهر الستة الأولى من عام 1882 كقسيس لكنيسة تومبستون الأسقفية.

وفي وقت كان فيه العديد من أفراد أرستقراطية الساحل الشرقي قلقين بشأن "الإضعاف" المحتمل لطبقتهم بسبب رفاهية الحياة الحديثة، كانت المحنة الغربية مثل هذه لبيبودي بمثابة "طقوس العبور" للشباب الأرستقراطي.
عمل ثيودور روزفلت نفسه لمدة عامين في ثمانينيات القرن التاسع عشر كراعي بقر في الأراضي الجرداء في داكوتا.
ويبدو أن بيبودي، بجسده الطويل العضلي وشعوره الحاد بالاستقامة الأخلاقية، جعله برع بشكل جيد للغاية بين الخشنين في بلدة تومبستون الحدودية مع المكسيك. سبقته سمعته كفيكتوري صارم عندما عاد إلى الشرق، ولم يمض وقت طويل قبل أن ترسل العديد من "أفضل" العائلات في نيو إنجلاند ونيويورك أبنائها ليتم تقويتهم في المدرسة الداخلية التي أنشأها في ريف مقاطعة ماساتشوستس، ومن بينهم أبناء ثيودور روزفلت الأربعة.
ولقد كان لمدرسة جروتون، التي بُنيت على غرار المدارس العامة الإنجليزية، هدف آخر، تجسد في شعارها اللاتيني، "السيد هو الخادم". وفي حين كان بعض الأميركيين في العصر الفيكتوري قلقين بشأن نعومة أبنائهم، بدأ آخرون يتصورون دوراً جديداً لبلادهم في العالم، وهو دور خليفة أكثر قوة ونشاطاً للإمبراطورية البريطانية. وبالنسبة لإمبرياليين مثل السيناتور الأميركي هنري كابوت لودج، وبالطبع الرئيس ثيودور روزفلت نفسه، كانت المدارس الداخلية مثل جروتون بمثابة أرض تدريب للشباب الأميركيين المقدر لهم أن يحكموا

في الداخل، وعلى نحو متزايد في الخارج. والواقع أن السيناتور لودج شجع بيبودي صراحة، بعد انتصار الولايات المتحدة في حرب عام 1898 مع إسبانيا، على إنشاء "فئة من الرجال تشبه تماماً أولئك الذين وظفتهم إنجلترا في الهند" لإدارة الممتلكات الأميركية الجديدة في الجزر في منطقة البحر الكاريبي والمحيط الهادئ، وغيرها من المناطق الأبعد التي كان من المحتم أن تحذو حذوها وتسقط تحت واشنطن.

ثيودور روزفلت حرص شخصياً على أن تؤدي مدرسة جروتون هذه الوظيفة، فكان يذهب إلى عظة الأحد ليحث الأولاد على "استخدام المواهب التي أعطيت لهم بشكل صحيح" و"تقديم الخدمة للدولة"، حتى ولو كان ذلك يعني التضحية بطموحات أخرى. ولقد رسخت هذه الرسالة في أذهانهم بوضوح، حيث انتهى المطاف بعدد مذهل من خريجي مدرسة جروتون إلى العمل في مناصب عامة رفيعة المستوى.

أول ألف من الخريجيين كان منهم تسعة سفراء، وثلاثة أعضاء في مجلس الشيوخ، وحاكمين لولايات، ووزيرين اثنين للخارجية، ورئيس قادم (ابن العم لعائلة روزفلت في هايد بارك، فرانكلين د. روزفلت). وأنتج جيل كيم روزفلت عدداً مذهلاً من كبار الضباط في وكالة الاستخبارات المركزية السي-آى-ايه.(12)

والقبول في هذه النخبة كان له ثمن مكلف: النظام الصارم للحياة اليومية في المدرسة. كان الأولاد ينامون في حجرات نوم عارية من رفاهيات الأثاث لا تتجاوز مساحتها ستة أقدام

في تسعة أقدام، وكانوا يستيقظون كل يوم على رنين الجرس قبل الساعة السابعة بخمس دقائق. بعد ذلك يجيء الاستحمام بالماء البارد، ثم تناول وجبة الإفطار، ثم الذهاب إلى كنيسة المدرسة (مرتين يوم الأحد).

كانت الحصة الدراسية، التي كانت تبدأ من التاسعة وتنتهي عند الواحدة ظهراً، تتألف في الأساس من الدراسات المقدسة (التي يدرسها الناظر بيبودي)، والعلوم الكلاسيكية، واللغات الأوروبية والتاريخ، مع التركيز على صعود "الحضارة الأنجلوساكسونية". وكان الأداء الأكاديمي للأولاد يخضع للمراقبة المستمرة، وكان مدير المدرسة نفسه يرسل إلى أولياء الأمور تقارير شهرية لا هوادة فيها.

ولكن ما كان يهم حقاً هو ما حدث خلال فترة ما بعد الظهر، في ملاعب المدرسة. كان بيبودي متشككاً في قيمة التعلم من أجل التعلم: "لست متأكداً من أنني أحب الأولاد الذين يفكرون كثيراً"، كما أعلن ذات مرة. وكان يعتقد أن الرياضة، وخاصة كرة القدم، التي كان يدربها شخصياً، تشكل اختباراً أكثر صدقاً لشخصية التلميذ. في الواقع، في جروتون، كما هو الحال في المدارس العامة الإنجليزية، كانت الألعاب بمثابة استعارة للحياة بشكل عام، حتى أن بيبودي، المعروف باسم "القسيس"، أبدى استياءه عندما أظهر لاعب الوسط النجم (وضابط وكالة المخابرات المركزية في المستقبل) تريسي بارنز نزعة تمرد، فكتب إلى والده، "يجب أن نعمل معًا لإقناع تريسي بضرورة "ممارسة اللعبة" بشكل عادل".

الرياضة كانت أيضًا مرتبطة بقوة بأعمال بناء الإمبراطوريات. "إن الوقت المخصص للمسابقات الرياضية ... والإصابات التي تحدث في الملعب هي جزء من الثمن الذي دفعه العالم الناطق باللغة الإنجليزية لكونه فاتحًا للعالم"، كما ذكر السيناتور هنري كابوت لودج، جامعاً بين البريطانيين والأميركيين كأمة واحدة. ولم يكن من قبيل المصادفة أن يُعرف التنافس الإمبراطوري الأنجلو-روسي في آسيا الوسطى باسم "اللعبة الكبرى".(13)

وصل كيم روزفلت إلى جروتون بعد بضع سنوات فقط من وصول تريسي بارنز، وربما بشكل غير مفاجيء، بدا في البداية غير قادر على التكيف بشكل جيد. كتب إلى والدته بيلي في أكتوبر 1928: "الجو هنا ممل للغاية. أتمنى لو كنت في خليج أويستر أصطاد السمك مع ويلارد" (في إشارة إلى شقيقه الأصغر، الذي تبعه إلى جروتون بعد عامين). وكان التقييم السلبي متبادلاً من الطرفين. في ديسمبر، بعد أن احتل كيم المرتبة 27 من 28 في دراسته، أرسل إنديكوت بيبودي إلى والديه تقريرًا شديد الإدانة. وأشار القس إلى أن "كيم يتمتع بالقدرة. ومع ذلك، نجد أنه مهمل ويصعب تصحيحه". لم تتحسن الأمور مع حلول الفصل الدراسي الشتوي. كتب ويليام إي موت، سكرتير لجنة الانضباط بالمدرسة، إلى أمه بيلي: "لم يكن كيم يُظهر الطاعة". كان الشاب كيرميت قد حصل على خمس عشرة نقطة تأديبية أو "نقط سوداء"، أي

أقل بخمس نقاط فقط من العشرين التي ستتطلب إعادته إلى المنزل. وكانت رسائل كيم إلى المنزل قد اكتسبت بحلول ذلك الوقت نبرة حزينة. سأل والدته: "متى ستأتي إلى هنا؟" "لقد كنت في المستوصف مصابًا بنزلة برد خفيفة لمدة يوم... يبلغ عمق الثلج هنا قدمًا كاملاً".(14)

ولكن بحلول شهر مايو، بدأت الأمور تتحسن بالنسبة لكيم. فكتب إلى بيلي: "أعتقد أن الفصل الدراسي الربيعي هو الأجمل على الإطلاق، وقد أمضينا وقتاً رائعاً". كما تحسنت درجاته، وإن كان متأخراً في اللاتينية (وأكد لوالديه أن اللوم يقع على أستاذ اللاتينية، وليس عليه). كما كانت -على نحو مماثل- ازدهرت الشخصية الخيالية كيم للبريطاني كيبلينج في بيئتها الجديدة، رغم أنه أُرسِل إلى مدرسة إنجليزية في مدينة لكناو الهندية ضد إرادته، لذا استقر كيم روزفلت، الذي كان مشاكساً في البداية، في جروتون، وتعلم اللعب وفقاً لقواعد اللعبة. وساعد في الأمر أنه كان مهتماً بالرياضة بطبيعته، حيث كانت رسائله إلى المنزل مليئة بالإشارات الحماسية إلى العديد من المسابقات مع المدارس المنافسة، بما في ذلك مباراة كرة القدم السنوية ضد مدرسة سانت ماركس المروعة. وكانت مآثره الرياضية مقتصرة بشكل أساسي على رياضتي العدو والتنس (وهي لعبة مارسها طوال حياته، بروح تنافسية شرسة) بدلاً من الألعاب الجماعية. كما بدأ يظهر بعض القدرات الأكاديمية الحقيقية، وخاصة في اللغة الإنجليزية والتاريخ، حيث ساهم بانتظام بقصائد في مجلة

المدرسة "جروتونيان". تبدو هذه القصائد الآن جهودًا تقليدية ومُروَّضة عادية، ولكنها مثيرة للاهتمام على الرغم من ذلك، ولو فقط بسبب ما نعرفه عن حياته المهنية اللاحقة. تقول إحدى القصائد، التي لم يتم تسميتها:

"تمكن مني شغف الترحال / يجب أن أحذو خطى يوليسيس / الذي كان أعظم الشريدين على الإطلاق". (15)

تخرج كيم من مدرسة جروتون في عام 1934، وحصل على درجات ممتازة في امتحانات القبول في جامعة هارفارد.

كتب كيرميت روزفلت بفخر لابنه: "أرادت والدتي الاتصال بمدير جرتون على الفور وإخباره بما تشعر به فيما تعلق بتنبؤاته القاتمة لك".

لاحقاً، سيقوم كيم بالنأي بنفسه عن "عصابة جروتون" في وكالة المخابرات المركزية: "لم أكن جزءًا من تلك العصابة"، كما يتذكر. من المؤكد أن كيم البالغ لم يكن من أنصار الارتباط التقليدي لخريجي ذات المدرسة ـ بل كان في واقع الأمر منعزلاً بعض الشيء ـ ولكن من الصعب أن نصدق أن إنديكوت بيبودي لم يترك بصمته على الصبي. وظل الرجلان على اتصال لفترة طويلة بعد تخرج كيم، فكانا يتبادلان الرسائل بانتظام، في إطار من الحميمية والألفة الأسرية تقريباً، حتى موت بيبودي في عام 1944.

ومن الأمور الموضحة للحقيقة هو أن كيم ذاته اختار جروتون ذاتها عندما حان الوقت لاختيار مدرسة يرسل إليها أبنائه.(16)

بالنسبة لخريجي المدارس الكنسية مثل جروتون، كانت الحياة الطلابية في إحدى جامعات "رابطة اللبلاب" خلال ثلاثينيات القرن العشرين تقدم درجة غير مسبوقة من الحرية الشخصية، والطالب الجديد في جامعة هارفارد كيم روزفلت كان عازمًا على عدم تفويت المرح. أعارته جدته، أرملة ثيودور روزفلت، إديث، سيارة، واستخدمها لقيادة مجموعات من الأصدقاء، مثل زميله في جروتون بنيامين ويلز (ابن نائب وزير الخارجية في عهد روزفلت، سومنر ويلز)، إلى ريف نيو إنجلاند. كانت هناك كلية رادكليف وفتياتها المناسبات، والتي كان كيم، الذي ورث بعضًا من مظهر والده الجذاب، يتمتع بشعبية واضحة بينهن، وكتب إلى والدته أنه يأمل "في يوم من الأيام أن تصبح الحياة أقل تعقيدًا ... . الارتباط بفتاتين معا لا يساعد على الإطلاق". ولقد كان هناك وعد بمزيد من المرح: حفلات الغناء والرقص التي كانت تقام في "نادي بودينج" (جمعية مسرحيات بودينج السريعة) والسُكر الشديد في نادي بورسيليان أو نادي "بورك"، أكثر الأندية "النهائية" المرغوبة بالنسبة لرجال هارفارد. (كان فيودور روزفلت وابنه كيرميت، بطبيعة الحال، ينتميان إلى نادي بودينج ونادي بورك، وتشير مراسلات كيم مع والديه إلى بعض القلق بشأن ما إذا كان سيُقبل في النادي الأخير، وهو مؤشر على حصرية النادي). واختتم كيم عامه الأول في الجامعة برحلة صيد في يوليو 1935 في الغابات المطيرة في

مقاطعة ماتو جروسو بالبرازيل، حيث نجح، على الرغم من هبوطه الاضطراري الذي دمر إحدى مراوح طائرته، وهي الحادثة التي أبلغ عنها لوالديه بشجاعة مدروسة، في اصطياد قدر كبير من الطرائد، بما في ذلك ذئب أحمر. كانت هذه الرحلة ناجحة للغاية لدرجة أن كيم ووالده ناقشا إمكانية القيام برحلة أخرى من "الأب روزفلت والابن على نهر الشك" في الصيف التالي.(17)

ولكن خلال السنة الثانية لكيم في الجامعة، عندما كان في التاسعة عشرة من عمره، ازدادت الأمور خطورة. ففي ديسمبر 1935، أخبر والدته أنه "مخطوب فعلياً" لطالبة من كلية رادكليف، تدعى ماري لو "بولي" جاديس، تبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً، من ميلتون، ماساتشوستس. وبعد أن قرر التخرج في أسرع وقت ممكن، ركز كيم على دراسته، فتخلى عن خططه لرحلة نهر الشك من أجل أخذ دورات صيفية، واختار الانضمام إلى "جمعية سيجنت"، وهو نادٍ مخصص، جزئياً على الأقل، للمساعي الفكرية والأدبية (كان تي. إس. إليوت، الشاعر المفضل لكيم فيما بعد، عضواً فيه). وقد لاحظ أساتذته ذلك، وبحلول يناير 1937، كانوا يشجعونه على التفكير في مهنة أكاديمية. وتخرج كيم في ذلك الصيف، بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، وهو أمر له اعتباره نظراً لأنه تخرج في ثلاث سنوات بدلاً من أربع سنوات. وبعد فترة وجيزة تزوج بولي وبدأ التدريس في قسم التاريخ في جامعة هارفارد، وحقق بعض النجاح على ما يبدو. "لقد حقق كيم

بالتأكيد أشياء عظيمة في فترة قصيرة جدًا"، كما أشار إنديكوت بيبودي في فبراير 1938. "آمل حقًا أن يواصل العمل في المجال الذي أظهر فيه كفاءة كبيرة".(18)

كيم نفسه لم يكن على يقين كامل من الحياة الأكاديمية. فقد كانت هناك مجموعة من الاعتبارات الأخرى التي تعرقل مواهبه وميوله العلمية الطبيعية. وكان مستقبله في هارفارد غير مؤكد، وسرعان ما أصبح لديه أسرة شابة ليعولها: فقد وُلِد كيرميت "الثالث" في عام 1938، وتبعه بعد عامين جوناثان. ولم يساعده أن والده، كيرميت الأب، شهد سلسلة من الإخفاقات التجارية خلال ثلاثينيات القرن العشرين، مما أجبره على البدء في بيع أصول عائلة الزوجة بيلي. والواقع أن فرع أويستر باي، الفرع الجمهوري من عائلة روزفلت لم تكن أحواله على مايرام بشكل عام، حيث عانى هذا الفرع من شعور بالانحدار الجماعي الذي تفاقم أكثر بسبب الصعود المدهش للديمقراطي فرانكلين روزفلت (رئيس أمريكا منذ 1933) وعموم الفرع الآخر لعائلة روزفلت في هايد بارك.

وبدأ كيرميت الأب، الذي كان دائمًا الأكثر حساسية بين ذرية ثيودور روزفلت، في الانحراف عن المسار القويم، فشرب كثيرًا وبدأ علاقة غرامية مع مدلكة ألمانية أدت إلى فترات طويلة من عدم التواصل مع عائلته. في غيابه، حاولت زوجته بيلي جاهدة إخفاء الشقوق في زواجهما، فكانت تتواصل اجتماعيًا بشكل محموم في واشنطن وتحاول التقرب من البيت الأبيض في عهد روزفلت. كان كيم وشقيقه ويلارد، الذي تبعه

من جروتون إلى هارفارد، قد نضجا بما يكفي بحيث لم تتسبب هذه الأحداث في إحداث أي ضرر عاطفي واضح لهما؛ ومع ذلك، فإن شقيقاهما الأصغر، كلوشيت وديرك، لم ينجحا أبدا في الانطلاق إلى الحياة البالغة (انتحر ديرك المضطرب في النهاية في عام 1953)، ووجد كيم نفسه متورطًا بشكل متزايد في رعايتهما ودعمهما.

وبالإضافة إلى كل هذه المخاوف المالية والعائلية، كان كيم يحب المغامرة، وهي شهية من غير المرجح أن تشبع في الأروقة الأكاديمية، والتوقعات العائلية بأن يضحي رجال روزفلت بكل شيء من أجل خدمة بلادهم. ألم يصب كلا عماه تيد وأرتشي بجروح في الحرب العالمية الأولى؟ وأسقط الطيار كوينتين طائرته فوق فرنسا وقتل؟ ومع تراكم سحب الحرب فوق أوروبا، كان هذا الدافع الأخير -حب المغامرة- ينمو أقوى من أي وقت مضى.

وفي النهاية، وجد كيم حلاً مبدعاً إلى حد ما للمعضلة. فقد تناول بحثه لنيل الدكتوراه في جامعة هارفارد دور الدعاية/البروباجاندا في الحرب الأهلية الإنجليزية، وهو اختيار ربما اتخذه مع التركيز على أهميته المحتملة للحصول على منصب حكومي في زمن الحرب. واستمر في المشروع بعد انتقاله إلى مدينة باسادينا في عام 1939 من أجل تدريس التاريخ في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا. على الرغم من أنه وعائلته الصغيرة كانوا يتمتعون بمزايا الحياة في جنوب كاليفورنيا، مثل ركوب الخيل في جبال سان غابرييل، إلا أنه

كان هناك شعورًا ب"انتظار التوقيت الملائم" في هذه الفترة من حياة كيم.

في العام السابق، كان والده، ساعيا في تبريء شرفه ورد اعتباره في نظر عائلته، قد غادر في مهمة تجسس لصالح الرئيس، حيث قام بتفتيش المنشآت اليابانية في المحيط الهادئ أثناء الإبحار على متن يخت فينسنت أستور (كان كيرميت وأستور يجمعان المعلومات الاستخباراتية بشكل هاوي منذ عشرينيات القرن العشرين كأعضاء في "الغرفة"، وهو ناد غير رسمي ل"جواسيس المجتمع"). ثم، عندما أعلنت الحرب في عام 1939، انطلق كيرميت للانضمام إلى الجيش البريطاني مرة أخرى، هذه المرة يقود قوة استكشافية إلى النرويج. وفي الوقت نفسه، كتب كيم رسائل إلى والدته في الساحل الشرقي، يطلب منها إذا "قابلت أي شخص مرتبط بالاستخبارات"، أن "تكتشف ما إذا كانوا يريدون شبابًا مطلعين جيدًا، وناقدين محترفين لمعظم الكتابات الحديثة حول البروباجاندا". ومع خروج كيرميت من الصورة بشكل متزايد، يبدو أن بيلي التي تتمتع بعلاقات جيدة قد تولت دور المستشارة المهنية والمعززة لابنها الأكبر المحبوب في واشنطن.(19)

كان كيم مهتمًا بشكل خاص بإمكانية القيام بعمل لصالح العقيد ويليام "ويلد بيل" دونوفان، بطل الحرب العالمية الأولى، ومحامي وول ستريت، ورجل الحزب الجمهوري. كان آل أويستر باي روزفلت قريبين من دونوفان لعدة سنوات؛ في

عام 1932، قدم كيرميت دعمًا بارزًا لمحاولته الفاشلة للحصول على منصب حاكم ولاية نيويورك. الآن، بعد أن شعر بالقلق من أن جهاز الاستخبارات الأمريكي الحالي كان ضعيفًا ومجزأً للغاية بحيث لا يستجيب بشكل فعال لتحدي الحرب في أوروبا، كان دونوفان يدافع عن إنشاء جهاز استخبارات موحد وإستراتيجي. كيم -شاكاً في احتمالات نجاحه في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا- يأمل في الحصول على منصب في "وكالة حكومية، على الرغم من أنها لم توجد بعد، إلا أنها ربما تتشكل قريبًا"، ينتظر الوقت المناسب في باسادينا، حيث كان يلقي محاضرات على الجماهير المحلية حول أخطاء الانعزالية، ويخطط لكيفية تحويل أطروحته إلى "كتاب شعبي إلى حد ما عن البروباجاندا"، ويضع مسودة مقال أكاديمي حول "نوع المنظمة الخدمية السرية التي ينبغي للولايات المتحدة أن تنشئها للحرب العالمية الثانية".

في أوائل صيف عام 1941، بناءً على نصيحة المراسل جوزيف ألسوب، ابن عمه وزميله في جروتون، أظهر كيم المقال الذي كتبه للعقيد دونوفان، الذي كان قد تم تعيينه للتو منسقًا للمعلومات (COI) من قبل روزفلت. استجاب دونوفان على الفور بدعوة كيم للانضمام إليه في فيرفاكس بولاية فرجينيا، حيث كان ينشئ مكتب COI - في الواقع، أول وكالة استخبارات مركزية للولايات المتحدة - على عقار لعائلة بيلي روزفلت، عائلة أم كيم. ولقد فعل كيم ذلك في أغسطس، فتولى منصب المساعد الخاص لمدير البحث والتحليل. وكان ذلك قبل

أربعة أشهر من الهجوم الياباني على بيرل هاربور. ومثله كمثل أجيال من رجال روزفلت قبله، كان كيم قد انخرط في القتال في وقت مبكر.(20)

كيم روزفلت نجح في توجيه دفته مع المهمة الصعبة المتمثلة في أن يصبح رجلاً من عائلة روزفلت بمهارة شديدة. فقد اكتشف مهنة توفق بين انجذابه إلى الحياة التأملية والحياة النشطة، مع إرضاء أخلاقيات جروتون التي تنص على أنه يقدم خدماته لبلاده. فضلاً عن ذلك، وعدت وظيفة الجاسوس المحترف بإشباع شهيته للمغامرة، ولعب اللعبة الكبرى، التي طورها من خلال الاستماع إلى قصص والده من تجربته في الحرب العالمية الأولى ومن قراءة كبلينج. وبحلول منتصف العشرينيات من عمره، أظهر كيم روزفلت بالفعل الصفات التي ستحدد شخصيته البالغة ـ الهدوء، والثقة بالنفس، ونوع من الغموض ـ وتجعله واحدًا من أكثر ضباط وكالة المخابرات المركزية شهرة في عصره.

ومن المؤسف أن والده، على الرغم من كل مواهبه الكبيرة، لم يطور قط نفس الاتزان العاطفي الذي اكتسبه ابنه. وبعد تسريحه من الجيش البريطاني لأسباب طبية في عام 1941، عاد إلى الولايات المتحدة، حيث استمرت حياته في التدهور إلى الاكتئاب وإدمان الكحول. وبعد دورة علاج غير ناجحة في مصحة بولاية كونيتيكت، تم إرساله إلى قاعدة عسكرية نائية في ألاسكا. وهناك، في يونيو 1943، أطلق كيرميت روزفلت

الأب النار على نفسه بمسدسه العسكري الخاص. وكتب إنديكوت بيبودي إلى أرملة كيرميت، بيلي، في إحدى رسائله الأخيرة -قبل موته- إلى عائلة أويستر باي روزفلت: "لقد ضحى بحياته من أجل قضية عظيمة بكل الشجاعة التي تميز عائلته".(21)

الفصل الثاني:

بدء المهمة

إن لقاء كيم روزفلت بالشرق الأوسط في طفولته -كان لقاءًا غير مباشر في الأساس، بواسطة الإطلاع على ثقافة الإمبراطورية البريطانية- كان له تأثير قوي على عقلية وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية عندما اقتربت من المنطقة لأول مرة في أواخر أربعينيات القرن العشرين. ولكن تجربة كيم لم تكن النوع الوحيد من التعامل الأميركي مع العالمين العربي والإسلامي من زمن ما قبل الحرب الباردة. فقد كان التقليد الأميركي المتميز للاتصال الشخصي المباشر بسكان المنطقة، والذي يعود تاريخه أيضاً إلى القرن التاسع عشر، على نفس القدر من الأهمية، إن لم يكن أكثر، في تشكيل مواقف وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية المبكرة تجاه الشرق الأوسط.

وساعد عدد من الأفراد، الذين ولد ونشأ العديد منهم في الشرق الأوسط نفسه، في نقل هذا التقليد إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية البازغة. ولعب أحدهم على وجه الخصوص، ويليام ألفريد إيدي، دوراً حاسماً في ربط عوالم المجتمع الرسمي للاستخبارات الأميركية بالأميركيين المستعربين المولودين في الشرق الأوسط. ولكن ربما لم يكن أكثر المدافعين حماسة عن وجهة النظر العربية

في وقت مبكر من حياته من خلفية شرق أوسطية. بل كان قد نشأ وترعرع في بيئة وتعليم متطابقين تقريباً مع بيئة وتعليم كيم روزفلت: ابن عم كيم آرتشي.

وُلِد أرشيبالد بولوك روزفلت بعد كيم بعامين، في عام 1918، وسُمي على اسم أبيه، أرشيبالد الأب، ثالث أبناء ثيودور روزفلت. وبعد طفولته التي قضاها بشكل أساسي في مدينة نيويورك في كولد سبرينج هاربور، بالقرب من خليج أويستر، التحق أرشيبالد الإبن بمدرسة جروتون في عام 1930، في نفس الفصل الذي التحق به شقيق كيم الأصغر ويلارد. ثم التحق بجامعة هارفارد، حيث ميّز أرشيبالد حاله أكاديميًا مثل كيم على الرغم من أنه اجتاز الاختبار في غضون ثلاث سنوات فقط، وتخرج في عام 1939 بامتياز مع مرتبة الشرف، وفاز ب"منحة رودس" الى جامعة أكسفورد البريطانية. ووجد لنفسه زوجة من نيو إنجلاند، كاثرين وينثروب تويد، أو "KW" اختصارا، "أنا لا أؤمن بالارتباط ما لم يكن المرء ينوي الزواج من الفتاة"، قال لعروسه المستقبلية، وبالتالي جعل من نفسه غير لائقاً لتولي منصبه في أكسفورد، حيث كانت منحة رودس تتطلب أن يكون الباحثين غير متزوجين. وبدلاً من ذلك، وتحت ضغط كسب لقمة العيش لإعالة أسرة جديدة، بدأ العمل كـ"عامل نسخ" للصحف ثم مراسل مبتدئ، وانتهى به الأمر للإنتقال الى منطقة خليج سان فرانسيسكو.(1)
لاتنتهي التشابهات مع كيم عند هذا الحد. فمثله كمثل كل الذكور الشباب من عائلة روزفلت، أُرسل آرتشي غربًا لكي يتم "تصليبه" من خلال فترة من الحياة على الحدود، حيث أمضى العام السابق لذهابه إلى مدرسة جروتون في "المدرسة الصحراوية لأريزونا"

بالقرب من مدينة توسون. والواقع أن آرتشي، تحت تأثير آرتشيبالد الأب، الذي كان صارماً بالمقارنة بكيرميت الأب الحالم، كان أكثر تعرضًا للحياة الشاقة من الصبي كيم. خلال رحلة صيد شاقة بالقرب من فيربانكس، ألاسكا، ضل آرتشي طريقه تمامًا واضطر إلى التخييم بمفرده طوال الليل، محاطًا بآثار الدببة والذئاب. ومع تقدمه في السن وإدراكه أن اهتماماته ومواهبه تكمن في الأساس في المساعي الفكرية، ابتعد آرتشي أكثر عن أبيه، وأصبح أكثر تماهيًا مع جده المؤرخ وعالم الطبيعة ثيودور، والذي أحس بوجوده حوله طوال حياته، يحميه كما يحكم عليه في الوقت نفسه. لاحقاً بالرغم من ذلك، سيشعر آرتشي بأنه قد تم تقويته بالمحن الذكورية التي واجهها في مراهقته. فقد تذكر تجربته في ألاسكا في مذكراته قائلاً: "لقد أصبحت رجلاً ووجدت قوة لم تهجرني أبدًا في أوقات الاختبار". وكان آرتشي يحتفظ بذكريات جميلة بشكل خاص عن إقامته في أريزونا، وهي التجربة التي غرست فيه "حب الصحراء والحنين إليها" والذي قوبل مجدداً بعد سنوات عندما "بلغ الصحاري على الجانب الآخر من العالم".(2)

هذا التقارب مع "السمو الصحراوي" هو أيضًا من سمات المستعربين الإنجليز الذين صادقهم كيرميت روزفلت الأب أثناء الحرب العالمية الأولى، وليس من المستغرب أن نعلم أن طفولة آرتشي، مثل طفولة كيم، كانت مشبعة بثقافة الإمبراطورية البريطانية، وخاصة النصوص حول "الشرق". كان آرتشي الأب يقرأ كثيراً على ابنه "قصيدة الشرق والغرب"، وهي قصيدة كبلينج التي تحتوي على العبارة الاستشراقية الرائدة "الشرق هو الشرق، والغرب هو الغرب، ولن يلتقيا أبدًا". ومتسللاً إلى مكتبة جده ثيودور في ساجامور، سيتشبع آرتشي بقراءة ألف ليلة وليلة. وفي

وقت لاحق، في جروتون، سينهب مكتبة المدرسة بحثًا عن أعمال عن العرب، "مع لورنس العرب كنقطة انطلاق".
كانت إحدى ذكريات الطفولة الأكثر فخرًا لدى آرتشي هي فوزه بجائزة جروتون للخطابة العامة عن إلقائه لمسرحية "حسن: مسرحية من خمسة فصول" للشاعر الإنجليزي جيمس إلروي فليكر. أصبحت هذه الأبيات، بموضوعها المركزي المتمثل في الحج الروحي ("الطريق المُذهَّب") إلى سمرقند، المدينة القديمة الأسطورية على طريق الحرير، لازمة ثابتة في حياة آرتشي البالغ، حيث شرع في رحلته الخاصة بحثًا عن شرق حقيقي ولكنه مراوغ.(3)
ولم تكن كل التجارب الشرق أوسطية التي عاشها آرتشي في طفولته منقولة من مصادر بريطانية وبعيدة فقط. فقد كان من بين أصدقاء والده الأمير محي الدين بن علي حيدر باشا، نجل الأمير العثماني السابق على مكة والمدينة (نجله من امرأة أيرلندية) الذي فشل أمام ثورة الشريف الحسين المدعومة بريطانياً وفرّ الى بيروت، وهو ذاته -على حيدر- ابن عم لهؤلاء الهاشميين الذين ساعد لورنس العرب وجيرترود بيل في تنصيبهم كملوك على مملكتي شرق الأردن والعراق (وكان حاول -بعد الاحتلال الفرنسي لسوريا- أن يقنع الفرنسيين باعطائه عرش سوريا). لاحقاً، سيتذكر آرتشي الإثارة التي كانت تحدثها زيارات "الأمير موي" إلى منزل العائلة في كولد سبرينج هاربور. بل لقد أمضى آرتشي لحظة وجيزة في العالم العربي نفسه عندما سار مع عائلته، أثناء جولة حول البحر الأبيض المتوسط، عبر "قصبة الجزائر" الفرنسية. وكان الصبي ذو الستة عشر عامًا من العمر "مُفتَنًا بالمشهد الموريسي"

الذي أحاط به: "كنت في أرض رواية بو جيست، وتمنيتُ لو أستطيع البقاء هناك أكثر".(4)
وكانت هناك اختلافات صغيرة أخرى ولكنها ليست تافهة بين أبناء العم الصغار. ففي حين استقر كيم، بعد الصدمة الأولية للحياة في جروتون، وبدا حتى أنه يستمتع بالحياة في المدرسة، لم يتكيف آرتشي أبدًا. كان آرتشي فتى صغير الحجم، ساذج، وذي بصر ضعيف للغاية، وكان أداؤه سيئًا في الملعب الرياضي وكان "عادةً آخر من يتم اختياره للإنضمام لفريق". كان افتقار آرتشي إلى اللياقة البدنية متوازنًا بأدائه في الفصل الدراسي، حيث سجل درجات ممتازة باستمرار، خاصة في التاريخ والكلاسيكيات. ولكن على نحو مغاير، كان يميل إلى التماهي ليس مع الإمبراطوريات السابقة وفتوحاتها، بل مع "الخاسرين في التاريخ": "قرطاج ضد روما، موريبي إسبانيا ضد قشتالة، والبيزنطيون ضد الجميع".
وعلى النقيض من القصائد البطولية التقليدية التي كتبها كيم لمجلة جروتونيان، ابتكر آرتشي ملاحم قاتمة عن العصور المظلمة، محملة بالإشارات التاريخية واللغوية.(5)
لاعجب إذن أن آرتشي لم يكن التلميذ المفضل لدى إنديكوت بيبودي؛ بل إنه شك لاحقاً في أن القس (بيبودي) كان قد طرح فكرة نقله إلى مدرسة أخرى. ولم يساعد في الأمر أيضا أن آرتشي كان له دائماً تقديره الشديد للغرائب، وهو الأمر الذي احتفظ به في حياته البالغة.
كان القس يضمن خطبه الصارمة ليوم الأحد بإشارات غامضة ولكنها مثيرة للاهتمام إلى رجل سيئ ما -بالتحديد: "الرجل الأكثر خبثا الذي عرفه على الإطلاق"- أساء إليه بطريقة أو بأخرى أثناء زمن وجوده في تومبستون على الحدود، وكان آرتشي يقضي

ساعات عديدة في التكهن بشكل مرح مع زملائه في الفصل حول الطبيعة المحتملة لتجاوزات هذه الشخصية ضد القس.(6)
ومع ذلك، وعلى الرغم من كل ما كان يتمتع به من شغف بالكتب ووقاحة، فقد شعر آرتشي روزفلت بشدة ب"الدعوة الجرتونية" لخدمة الأمة. "إن القيم التي ورّثتها أنت وأبي لي عندما كنت صبياً، والتقاليد العائلية في الخدمة العامة، لم تدفعني إلى إعطاء جمع المال أهمية كبرى"، هكذا كتب لاحقاً إلى والدته، جريس، بعد أن وبخته لفشله في استعادة ثروة العائلة. ومع اقتراب دخول أميركا إلى الحرب العالمية الثانية، حاول آرتشي، ربما مستلهماً من ابن عمه كيم، الالتحاق بوظيفة ضابط استخبارات. كان لديه بعض المؤهلات الاستثنائية لهذا الدور، ليس فقط قدراته الفكرية الفطرية ولكن أيضاً مهاراته اللغوية: بالإضافة إلى اللغات الحديثة والكلاسيكية التي اكتسبها في جروتون، تعلم أيضا شيئاً من اللغة الروسية من بستاني مهاجر كان يعمل لدى والديه، ثم في هارفارد، كجزء من مجاله الأدبي الواسع، حصل على إعفاء خاص لدراسة اللغة العربية، واستكمل دراسته المدرسية بدروس خصوصية من صديق فلسطيني. مشاكله كانت قصر نظره الشديد، وفي سن الرابعة والعشرين، في شبابه. فشلت جميع الطلبات التي قدمها إلى وحدة الاستخبارات التابعة للجيش (G-2)، ومكتب الاستخبارات البحرية، وفريق بيل دونوفان الجديد، على الرغم من بعض الضغوط التي مارسها كيم لصالحه.(7)
وفي النهاية، وبعد تدخل والده (الذي هو نفسه قاتل في جبهة المحيط الهادئ على الرغم من مشكلته المعاكسة المتمثلة في كونه كبيرًا في السن بحيث لا يستطيع القيام بالخدمة القتالية)، التحق آرتشي ب"فيلق المتخصصين" بالجيش، وهي منظمة مدنية كانت

تؤدي مهام خاصة للجيش. وبعد بعض التدريب الاستخباراتي في معسكر ريتشي في ماريلاند ثم معسكر تدريب في فرجينيا، وجد آرتشي نفسه في أكتوبر 1942 على متن قافلة من السفن العسكرية متجهة على ما يبدو إلى ميناء داكار السنغالي. وعلى متن السفينة، علم أن فيلقه المتخصص سوف يُلغى وأن أفراده سيتم استيعابهم في الجيش النظامي. ثم أبلغه إعلان عبر مكبر الصوت على متن السفينة للجنرال جورج س. باتون أنهم في طريقهم إلى الاستيلاء على موطيء قدم على الشاطيء بالقرب من الدار البيضاء في المغرب، كجزء من عملية عسكرية أطلق عليها اسم "الشعلة" TORCH. ومثل جده المنطلق نحو "تل كيتل" في كوبا في الحرب الامريكية-الاسبانية، كان الشاب آرتشي على وشك مواجهة "ساعة مجده".

كان العالم العربي الذي كان آرتشي روزفلت على وشك دخوله في أكتوبر 1942 لا يزال محمية سياسية وعسكرية أوروبية بشكل حصري. كانت هناك لغة عرَضية من الاهتمام الأميركي الرسمي بالمنطقة -على سبيل المثال، فكر ثيودور روزفلت في أخذ الدور البريطاني في مصر، معتقداً أن الامريكان قريبا سوف "يجعلون الأمور تتحرك على ما يرام"- ولكن الإدارات الأميركية المتعاقبة كانت راضية إلى حد كبير بالتنازل للبريطانيين والفرنسيين بشأن ما يسمى ب"المسألة الشرقية". وقد لخص ويليام جيه جاردين، الوزير الأميركي في القاهرة خلال ثلاثينيات القرن العشرين (أحد ممثلي الحكومة الأميركية القلائل في الشرق الأوسط قبل الحرب العالمية الثانية)، هذا الموقف بقوله: "يبدو لي أن الأمر مجرد عرْض جانبي".(8)

ولكن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك وجود أميركي على الإطلاق في الشرق الأوسط قبل أربعينيات القرن العشرين. في أوائل القرن التاسع عشر، بدأ المبشرون البروتستانت في السفر من نيو إنجلاند إلى "الأراضي المقدسة" لأجل تنصير "المحمديين" المقيمين هناك. وربما بشكل متوقع فشل هؤلاء المبشرون الأميركيون الايفانجاليكان تقريبًا بشكل تام في كسب أرواح المسلمين للمسيح؛ وعانى الكثيرون منهم من مصاعب مروعة في محاولتهم، ومات العديد منهم. ومع ذلك، فقد نجحوا في ترك طبعة دائمة على المنطقة في شكل المؤسسات التعليمية التي أسسوها، مثل "الكلية السورية البروتستانتية" (التي عُرفت لاحقًا باسم الجامعة الأميركية في بيروت، أو AUB)، التي أنشأها في عام 1866 المبشر النموذجي لنيو إنجلاند دانيال بليس. ولقد اكتسبوا قدراً كبيراً من حسن النية بين أهل الشرق الأوسط الذين التقوا بهم، ولو فقط لأن اهتمامهم غير الأناني نسبياً بالمنطقة كان يقارن بشكل إيجابي باستعمار القوى الأوروبية.(9)

هذه السمعة الطيبة ل"افعال الخير غير الأنانية"، كما وصفها أحد علماء اللاهوت البروتستانت، تعززت عن طريق الاحترام الذي شعر به بعض هؤلاء المبشرين، إن لم يكن جميعهم، تجاه الثقافة العربية، كما يتبين على سبيل المثال في قرار بليس بتبني اللغة العربية كلغة للتدريس في جامعته. ولقد كانت النتيجة غير المقصودة لهذا الموقف أنه في الوقت نفسه الذي كانت فيه مؤسسات مثل الجامعة الأميركية في بيروت ونظيرتها المصرية (الجامعة الأميركية في القاهرة) تنشر الأفكار والقيم الأميركية الحديثة في الشرق الأوسط، بدأت أيضاً في العمل ك"حاضنات للقومية العربية". وقد ازداد هذا التماهي بين النفوذ الأميركي وبين دعوات الاستقلال العربي -وهو

أمر منطقي بما فيه الكفاية، نظراً لأصول الولايات المتحدة ذاتها في حرب التحرير الوطنية من ملك بريطانيا- قوة خلال الحرب العالمية الأولى، عندما لاحظ العديد من العرب بموافقة دعم وودرو ويلسون ل"حق تقرير المصير" الوطني كما ورد في مبادئه الأربع عشرة الشهيرة.(10)
وبعد الحرب، تسبب فشل ويلسون في منع إعادة إحياء الإمبريالية الأوروبية في الشرق الأوسط في تراجع ملحوظ في الحماس العربي للأشياء الأميركية. وفي الوقت نفسه، بدأ المواطنون الأميركيون يظهرون في المنطقة بنوايا أقل حميدية من أسلافهم المبشرين: علماء الآثار الذين يريدون التنقيب عن التحف القديمة، ورجال النفط الذين تغريهم احتياطيات النفط الرائعة هناك. (ومن عجيب المفارقات أن دخول رجال النفط الأمريكيين إلى الشرق الأوسط تم تسهيله من قبل رجل إنجليزي، وهو المستعرب الشهير هاري سانت جون "جاك" فيلبي، الذي توسط في صفقة منح امتياز لشركة "ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا" في نفط المملكة العربية السعودية، والذي مهّد بداية نهاية الهيمنة البريطانية على صناعة النفط في المنطقة.) ومع ذلك، حتى في أوائل الأربعينيات من القرن العشرين، كان لا يزال هناك إحتياطي كبير من الإعجاب بالولايات المتحدة بين العرب، وعلى الجانب الأمريكي، كان هناك إرث من المشاركة الإيجابية والشخصية مع العالمين العربي والإسلامي، والذي كان يتعارض مع الصور السلبية للإستشراق الأوروبي التقليدي.(11)

وإذا كان هناك فرد واحد يجسد الخيوط العديدة لهذا التقليد -العمل التبشيري، التعليم، الاستخبارات، والنفط- فهو ويليام ألفريد إيدي.

ولد بيل إيدي عام 1896 لأبوين من المبشرين المشيخيين في لبنان، ونشأ وهو يتحدث العامية العربية في شوارع مدينة صيدا. كانت أول رحلة له إلى الولايات المتحدة عندما أُرسل لتلقي تعليمه في كلية ووستر في أوهايو ثم إلى معهد برينستون اللاهوتي - وكلاهما مؤسستان أسسهما المشيخية ولهما علاقات بمجتمع التبشير. خلال الحرب العالمية الأولى خدم بتميز في "سلاح مشاة البحرية" الأمريكية، وعانى من اصابة في فرنسا تركته يحمل جسده الضخم على ساق يمنى عرجاء. بعد أن أصبح عاجزًا عن الخدمة الفعلية، عاد إلى الأوساط الأكاديمية وفي عام 1923 تولى رئاسة قسم اللغة الإنجليزية في الجامعة الأمريكية التي تأسست حديثًا في القاهرة. ولم تشبع مناصبه الجامعية اللاحقة في الولايات المتحدة أبدًا شغفه بالخدمة العسكرية والمغامرة الخارجية، لذا ليس مستغرباً أن يعود إلى الخدمة في مشاة البحرية عشية الحرب العالمية الثانية ويعود إلى القاهرة في منصب الملحق البحري الأميركي. وبعد فترة وجيزة من عملية بيرل هاربور، تم نقل إيدي إلى طنجة في المغرب، بناءً على طلب خاص من رئيس كيم روزفلت، منسق المعلومات، بيل دونوفان. وكان من المقرر أن يظل "مُعاراً" إلى دونوفان، لكن تحت غطاء شكلي انه الملحق البحري، لمعظم ما تبقى من الحرب.(12)

إن عشاق فيلم كازبلانكا سيدركون بعض الأجواء المظلمة الكئيبة التي سادت المغرب في زمن الحرب. فقد كانت أغلب البلاد لا تزال جزءاً من الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية الشاسعة في شمال أفريقيا، ولكن ألمانيا النازية كانت هى من تحرك خيوط الحكومة الفرنسية المتعاونة في فيشي، وكانت هناك مخاوف من غزو ألماني

إما من ليبيا الى الشرق أو من إسبانيا الى الشمال. وكان جزء من مهمة إيدي في طنجة محاولة استنباط النوايا الألمانية بينما ينشأ شبكات "البقاء-في-الخلف" التي من شأنها أن تعمل على تخريب قوة احتلال تابعة لدول المحور. وفي الوقت نفسه، كان عليه أن يستعد لاحتمالية إنزال قوات الحلفاء لقوات استكشافية خاصة بهم، وهو الاحتمال الذي تطلب منه أن يتنبأ برد فعل فرنسيي فيشي -هل يرحبون بقوات الحلفاء كمحررين أم يقاومونها؟- وإنشاء مواقع الإنزال البحري على الشواطيء أو سواه من طرق الإنزال. وفي هذه المرحلة، في أوائل عام 1942، كان من غير الواضح بعد أي من هذه السيناريوهات كان الأكثر ترجيحاً.

لحسن الحظ، كان إيدي يمتلك بالفعل بعض الموارد الاستخباراتية تحت تصرفه. فعلى النقيض من البريطانيين الذين قطعوا علاقاتهم مع فيشي، كانت الولايات المتحدة لا تزال تمتلك تمثيلاً حكومياً رسمياً في شمال أفريقيا، وكان إيدي قادراً على استخدام المسؤولين الأميركيين الذين يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية كشبكة تجسس جاهزة من قبل. من بين الأميركيين الذين كانوا على الأرض بالفعل وُجد العديد ممن يتمتعون بصلات ممتازة مع السكان المحليين من غالبية السكان، بما في ذلك عالم الأنثروبولوجيا في جامعة هارفارد كارلتون إس. كون، الذي قام بعدة رحلات ميدانية بين سكان "الريف" في شمال المغرب، وهي قبيلة بربرية لها تاريخ في مقاومة الهيمنة الأوروبية. وكان إيدي قادراً أيضاً على الاستفادة من لغته العربية ومعرفته بالإسلام، بما في ذلك قدرته على تلاوة سور القرآن الكريم عن ظهر قلب، لتكوين صداقات مع الزعماء المحليين.

ومن خلال العمل من جناح في "فندق المنزه" الموبوء بالجواسيس -المقابل الطنجوي ل"مقهى ريك" في فيلم كازابلانكا- أدار إيدي وشركاؤه مجموعة مذهلة من العمليات. قدّمت شبكة إقليمية من محطات الإذاعة السرية معلومات استخباراتية تتراوح بين عمليات شراء التذاكر في مطار الدار البيضاء الى ارتفاع الأمواج على طول الساحل المغربي. كما قام عملاء محليون بتوزيع مواد دعائية سراً بهدف ثني فرنسيي فيشي عن القتال إذا ما هبط الحلفاء. ولقد استخدم المسؤولون الأميركيون الحقيبة الدبلوماسية لتهريب الأسلحة إلى "جماعات المقاومة" الوهمية.
ومن المؤكد أن بعض هذه الأنشطة كانت تتضمن عناصر من لعب لعبة على غرار كتابات البريطاني كيبلينج. على سبيل المثال، بدا أن الهائج (كون) كان يفكر على طريقة لورنس العرب عندما حاول، دون جدوى، توظيف جنرال ريفي يحمل الاسم الرمزي تاسيلز لإثارة انتفاضة قَبَلية. وعلى نحو مماثل، كانت المخططات المختلفة التي تنطوي على رمز كودي "سترينجز"، وهو (على حد تعبير كون) زعيم "أقوى جماعة دينية في شمال المغرب"، والتي كان أتباعها "يطيعون أوامره حتى الموت"، تذّكر بشكل واضح بمغامرة الحرب العالمية الأولى للروائي الاسكتلندي جون بوكان "جرينمانتل". وبعد انتهاء الحرب، كان كون يستمتع برواية قصص المخربين خلف خطوط العدو الذين يزرعون الألغام على الطرق السريعة المغربية باستخدام متفجرات متخفية في هيئة فضلات البغال.(13)

وبضميره التبشيري المشيخي، لم يكن بيل إيدي يشارك زميله كون شغفه بالحيل القذرة. وكتب في وقت لاحق في مذكراته الكئيبة جدا بشكل مفاجيء والتي لم تُنشر أبدا عن تجاربه في زمن الحرب:-

"لا يزال سؤالاً مفتوحاً ما إذا كان بإمكان عميل في مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS أو في وكالة الاستخبارات المركزية أن يصبح رجلاً شريفًا تمامًا مرة أخرى. نحن نستحق الذهاب إلى الجحيم عندما نموت".

ومع ذلك، فمن الواضح أنه تجاوز مهمته، فلم يكن يميل إلى جمع المعلومات الاستخباراتية والإبلاغ عنها فحسب، بل كان أيضًا يحاول بنشاط تشكيل السياسة. ومن الواضح أنه كان مقتنعًا بأن الحلفاء لا ينبغي أن يضيعوا الوقت في التحرك نحو شمال إفريقيا، وكان إيدي يبالغ باستمرار في كل من خطر الغزو الألماني المحتمل ومن احتمالية ترحيب الفرنسيين بضربة وقائية استباقية من الحلفاء.
"إذا أرسلنا قوة استكشافية إلى شمال إفريقيا، فلن يكون هناك سوى مقاومة رمزية"، هكذا أكد لجمهور متشكك من كبار القادة الأميركيين في لندن في يوليو 1942.(14)
مرتدياً زي البحرية، كان لإيدي مظهر مثير للإعجاب، ويقال إن الجنرال باتون، عندما لاحظ شرائط الحرب العالمية الأولى العديدة التي يحملها على صدره، قال: "لقد تعرض ابن العاهرة لإطلاق النار عليه بما فيه الكفاية، أليس كذلك؟"، وساعدت نصائحه وتوجيهاته في تحقيق النصر.
وبعد اجتماعات سرية في البيت الأبيض، أذن فرانكلين روزفلت بعملية الشعلة TORCH، وهي خطة غزو تضم أكثر من مائة ألف جندي من قوات الحلفاء، الغالبية العظمى منهم أميركيون (تم تقليص المشاركة البريطانية إلى الحد الأدنى بسبب التأثير السلبي المحتمل على الرأي العام الفرنسي)، تحت القيادة العليا للجنرال دوايت د. أيزنهاور.(15)

ومع تحديد يوم الإنزال D-Day في الثامن من نوفمبر 1942، كثف إيدي عملياته، فقام بتهريب الطيارين البحريين من المغرب للانضمام إلى قافلة الحلفاء، ودعم التدابير الأنجلو-أميركية المصممة لخداع الألمان بشأن مواقع الإنزال، والمساعدة في عقد اجتماعات سرية بين القادة الحلفاء وبين قادة فرنسيين بهدف منع المقاومة للغزو. بل إنه حرص على وجود عملاء على الشواطئ مزودين بقنابل مضيئة لتوجيه زوارق الإنزال، وخرائط لتوزيعها على القوات النازلة. وبصرف النظر عن بعض الأخطاء العملياتية وأخطاء الحكم التي ارتكبها فريق إيدي، فقد كان أداءً استخباراتيًا مثيرًا للإعجاب، ودليلاً على ما يمكن أن يحققه أميركي يتمتع بالخلفية والنهج الصحيحين في العالمين العربي والإسلامي. لقد مهد بيل إيدي -النموذج الأولي للأميركي المستعرب/العروبي الذي نشأ في الشرق الأوسط- الطريق حرفيًا لوصول الشاب آرتشي روزفلت إلى شمال إفريقيا.(16)

في الساعات الأولى من يوم 8 نوفمبر 1942، بينما كان بيل إيدي وكارلتون كون يقرفصون فوق جهاز راديو يستمعان إلى كلمة عن وصول عملية الشعلة الى المغرب، جلس آرتشي في حشد في مركبة إنزال، مسرعة عبر الظلام نحو الوامضات الحمراء على شاطئ بالقرب من الدار البيضاء. وبينما كان قاع قاربه يخدش الصخور، أصبح من الواضح أن فريق إيدي قد قلل من شأن المقاومة الفرنسية. أطلق حصن فرنسي مدفعه، وردت البحرية الأمريكية بمدافعها الكبيرة، وأضاءت السماء مثل عرض للألعاب النارية. اندفع آرتشي للاحتماء في الشجيرات التي تصطف على طول الشاطئ، ثم، مع بزوغ الفجر، بدأ في الاستطلاع في الداخل. وعلى

مدار الأيام الثلاثة التالية، لقي حوالي 1400 أمريكي و700 فرنسي حتفهم في قتال متقطع في جميع أنحاء شمال إفريقيا.
ولحسن حظ آرتشي، تم تهدئة الأوضاع في المنطقة المحيطة بالدار البيضاء بسرعة نسبية، وأصبح التحدي بدلاً من ذلك هو التعامل مع آلاف الجنود والضباط الفرنسيين والمغاربة الذين أرادوا الاستسلام.
وبفضل مهاراته اللغوية المتميزة، كان آرتشي على اتصال دائم بالقادة الأميركيين، بما في ذلك الجنرال باتون نفسه، كمترجم. وتم الاتفاق على وقف إطلاق النار خلال ليلة 11 نوفمبر، وفي صباح اليوم التالي، دخل حفيد ثيودور روزفلت البالغ من العمر أربعة وعشرين عامًا، مرتديًا ملابس عسكرية ملطخة بالطين، الدار البيضاء، راكبًا في جيب عسكري خلال الحشود المهللة إلى جانب باتون الذي كان يرتدي ملابس رائعة، وكان المشهد بأكمله يذكّر بدخول تي. إي. لورنس إلى دمشق في نهاية الحرب العالمية الأولى.
بضعة أيام تالية، وتم نقل المقر الأميركي المركزي إلى مسافة قصيرة على طول ساحل المحيط الأطلسي إلى العاصمة المغربية، الرباط، وهنا بدأت قصة حب آرتشي روزفلت مع العالم العربي على محمل الجد. وعلى الرغم من أن "المدينة العتيقة" المسورة كانت محظورة على القوات الأميركية، فقد تمكن من استكشاف المئذنة الوردية اللون "صومعة حسان"؛ و"قصبة الوداية" بحدائقها الجميلة "المعطرة بالياسمين وزهر البرتقال" (كما كتب لاحقًا)؛ و"الشالة" أرض دفن السلاطين الهالكين. وكان برفقة آرتشي في هذه الاستكشافات جندي آخر يُدعى محمد سبليني، وهو شاب أميركي من أصل لبناني من عائلة بيروتية بارزة كان تدير شركة لاستيراد الفراء في نيويورك. كان التقى الشابان في مدرسة

الاستخبارات في كامب ريتشي، حيث "أقاما علاقة فورية"، وأبحرا معًا عبر المحيط الأطلسي. وفي الرباط، أصبح سبليني من المشاهير لدى المجتمع المسلم المحلي، وبفضل دعمه، حصل آرتشي روزفلت على إذن خاص لدخول المدينة العتيقة. وهناك أقام صداقات مع عدد من الشباب العرب، الذين استضافوه في منازلهم وناقشوا معه مجموعة واسعة من القضايا. وكان من بينهم على وجه الخصوص مهدي بن بركة، العضو البارز في حزب الاستقلال الوطني، الذي حظرته السلطات الفرنسية آنذاك. ويتذكر أرتشي: "لقد أمضى وقتًا طويلاً معي في أماكن مختلفة"، "وأخبرني عن الاستعمار الفرنسي في المغرب". وخلال ستينيات القرن العشرين، سيكتسب بن بركة سمعة باعتباره ثوريًا رئيسيًا في "ثوار العالم الثالث" قبل أن يختفي، في ظروف غامضة، في باريس عام 1965.(17)

وكان أحد الأسباب التي جعلت دروس التاريخ التي كان يقدمها بن بركة تلقى مثل هذا القدر من القبول لدى أرتشي هو وجود تاريخ سابق من التوتر، إن لم يكن صراعًا صريحًا، بين الأميركيين والفرنسيين المقيمين في العالم العربي. في بلاد الشام في القرن التاسع عشر، كان المبشرون البروتستانت من نيو إنجلاند من النوع الذي أسس الجامعة الأميركية في بيروت يميلون إلى أن يكونوا على طرفي نقيض مع الموارنة الكاثوليك، وهي مجموعة مسيحية محلية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا وعميقاً بالفرنسيين. وتعمق هذا الانقسام بعد الحرب العالمية الأولى، عندما شهد الانتداب الفرنسي تقسيم سوريا الكبرى وارتقاء الموارنة إلى مناصب السلطة، في حين تم سحق القوميين العرب. وفي شمال أفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية، ازدادت سمعة فرنسا بين الأميركيين المستعربين سوءًا، وذلك

بفضل مسؤولي دولة فيشي المتعاونين مع ألمانيا، والذين سُمح لهم بالبقاء في مناصبهم حتى بعد غزو الحلفاء.
وبسبب تاريخه في الاهتمام بالعالم العربي، وتعرضه مؤخراً لتأثير القوميين المغاربة، أصبح آرتشي الشاب مشغولاً بشكل متزايد إزاء الوجود الفرنسي المستمر. وبينما كان لا يزال في الرباط، ولكن تم نقله من مهام الترجمة الى مهمة مراقبة البرامج العربية على "راديو المغرب"، قدم سلسلة من التقارير تعكس، كما قال لاحقاً، "الآراء التي عبر عنها القوميون لي، وتطلعاتهم إلى التخلص من الحكم الفرنسي، وشكاواهم من أن الفرنسيين يستغلون الوجود الأميركي لتعزيز موقفهم". وسرعان ما بدأت الشرطة الفرنسية في مراقبة تحركات آرتشي ومضايقة المثقفين العرب الشباب الذين كان يلتقي بهم.(18)
وبالفعل، فإن تعاطف آرتشي مع القومية العربية لم يزداد إلا قوة مع كل من مناصبه اللاحقة في شمال أفريقيا. وفي فبراير 1943، عاد إلى الدار البيضاء وذهب للعمل في مكتب معلومات الحرب (OWI)، وكالة الدعاية الأميركية في زمن الحرب.
كان حزينًا لانفصاله عن محمد سبليني، الذي انتقل إلى مقر قيادة قوات الحلفاء في الجزائر، حيث كان يعمل في تلاوة القرآن الكريم على "إذاعة الجزائر". ومع ذلك، سرعان ما كون آرتشي أصدقاء جدد شاركوه وجهات نظره المناهضة للاستعمار، بما في ذلك كارلتون كون وأميركي آخر يرتبط بالريف المغربي المتمرد، المراسل الصحفي والروائي فينسنت "جيمي" شيان. كما استمر في تكوين صداقات مع المغاربة، مستمتعًا بالضيافة الباذخة للزعيم القبلي العربي "قايد ميلود بن الهاشمي العيادي" في مراكش، وهي المدينة التي وصف جمالها بشاعرية في مذكراته، ومكتشفاً انجذابًا

قويًا إلى "الأنوثة الجذابة للعديد من نساء الشرق الأدنى" - على الرغم من أنه قاوم أي رغبة في خيانة عهود زواجه من KW. وفي الوقت نفسه، استمر في انتقاد الفرنسيين، مدعياً في التقارير التي قدمها إلى قيادة OWI أنهم كانوا يحاولون تحويل السكان المحليين ضد الولايات المتحدة من خلال تصوير الجنود الأميركيين على أنهم "معتادون على ممارسة الجنس مع الحمير".(19)

طرح آرتشي أيضا ثيمة/موضوعاً جديداً: بأتباعه الهائلين عبر مختلف أنحاء العالم، كان الإسلام يشكل "عاملاً ذا أهمية متزايدة" في مستقبل ما بعد الحرب، وتمتلك الولايات المتحدة فرصة غير مسبوقة لترسيخ نفسها في شمال افريقيا "كصديق غير أناني عظيم للمسلمين". ومن أجل هذه الغاية، بدأ آرتشي في الدعوة إلى مشروعين يهدفان إلى إظهار الإحسان الأميركي تجاه المنطقة: بناء جامعة أميركية هناك مثل الجامعة الأميركية في بيروت، وتوفير طائرات نقل أميركية لنقل زعماء المسلمين الراغبين في أداء فريضة الحج إلى مكة، وهو الأمر الذي لم يتمكنوا من القيام به منذ بدء الحرب. وقد انتقدت هاتان المقترحتان الفرنسيين ضمناً لافتقارهم إلى الاهتمام بالرفاهية الروحية ل"السكان الأصليين" الذين من المفترض أنهم تحت حمايتهم.(20)
في يونيو 1943، ومع تنامي شهرته كمراقب للعالم الإسلامي والعربي بشكل واضح، تم إعارة آرتشي إلى فرع الحرب النفسية (PWB)، وهو فريق أنجلو-أمريكي من المتخصصين في البروباجاندا الذين أتوا تاليا لقوة الغزو الشعلة إلى شمال إفريقيا. كان فرع الحرب النفسية ملجأً للمنشقين عن السردية الرسمية التي تقول بالتعاون الأمريكي الرسمي مع فرنسيي فيشي، وكان ضباطه

ميالين إلى اتخاذ إجراءات انتقامية ضد من يُزعم عنهم أنهم "فاشيين محليين" ولحماية مقاتلي المقاومة الديغولية بشكل غير قانوني؛ يُقال إن الرئيس أيزنهاور اشتكى من أن فرع الحرب النفسية تسبب له في "متاعب أكثر من جميع الألمان في إفريقيا". مُكلَّفاً بكشف الدعاية التي تشنها دول المحور ضد العرب في شمال أفريقيا، سافر آرتشي شرقاً إلى الجزائر، حيث التقى بزعماء قوميين جزائريين، ثم إلى تونس، حيث بلغت تقاريره المؤيدة للعرب والمعادية للاستعمار ذروتها.(21)

ويبدو أن عدة تجارب في تونس تركت انطباعاً قوياً بشكل خاص على آرتشي الشاب. وكان أحدها التعرف على المحنة المزرية التي عاشها محمد المنصف باي، الحاكم الاسمي لتونس، الذي حاول إحداث بعض الإصلاحات القومية المعتدلة في البلاد، ولكن أخضعه الفرنسيون "لضغوط أخلاقية وجسدية كبيرة" للتنازل عن العرش (كما أفاد آرتشي لقيادة فرع الحرب النفسية). وكان آخرها التعرف على الزعماء الشباب "الدستوريون الجدد"، الجناح الراديكالي للحركة القومية التونسية، والذين أُطلق سراح العديد منهم للتو بعد سنوات من الحبس الانفرادي في فرنسا. وقد تعرف آرتشي على حزب الدستور الجديد من خلال سليم دريجا، رجل أعمال في مجال الفنون المسرحية، رافقه هو وأميركي مستعرب آخر، القنصل العام هوكر دوليتل، في جولة بالسيارة الى الداخل التونسي الجميل. وعند عودته إلى مدينة تونس، زار آرتشي رئيس حزب الدستور الجديد، الحبيب بورقيبة، في شقته الضيقة في شارع جانبي. وبـ"يديه المعبرتين وعينيه الزرقاوين الثاقبتين"، لفت بورقيبة انتباه آرتشي "كرجل صاحب رؤية، نبي حديث، ... مقدر له العظمة" (ثبتت صحة التنبؤ: ففي عام 1957 أصبح بورقيبة أول رئيس للجمهورية

التونسية المستقلة). ودعا آرتشي كلاً من أصدقائه الوطنيين الجدد إلى إرسال تقرير إليه عن تاريخهم الحديث، والذي خطط لتلخيصه في عرض تقديمي إلى السلطات الأمريكية. ثم في الرابع من يوليو 1943، بينما كان يعمل على إعداد هذا التقرير النهائي، وقعت حادثة أكملت خيبة أمل آرتشي في السياسة الأميركية الرسمية المتمثلة في التعاون مع الفرنسيين. فقد تصاعدت مشادة بين جنود سنغاليين وجزائريين في تونس إلى أعمال شغب قُتل فيها عشرون مدنياً عربياً بينما وقف الضباط الفرنسيون مكتوفي الأيدي أو، وفقاً لبعض التقارير، شاركوا في القتل.

مُروّعاً، سلم آرتشي إلى رؤسائه إدانة لاذعة للحكم الاستعماري الفرنسي وتواطؤ الولايات المتحدة فيه.(22)

كان هذا آخر عمل رسمي يقوم به آرتشي روزفلت في تونس. وبعد بضعة أسابيع، علم أنه، إلى جانب هوكر دوليتل، قد تم استدعاؤه إلى الولايات المتحدة، وربما بناءً على طلب الفرنسيين. وفي "تقرير عن أنشطتي" كتبه على عجل، دافع آرتشي عن نفسه ضد العديد من المنتقدين الذين لم يذكر أسماءهم، ولكن هذه المحاولة "لتصحيح الأمور" لم تفلح، وتم استدعاءه.

وفي الليلة التي سبقت موعد مغادرته، دعا سليم دريجا آرتشي إلى حفل وداع في فيلا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. وتذكر لاحقًا: "كان جميع زعماء الدستور الجديد هناك، وبعد مأدبة فخمة، رقصت فتاة بدوية لنا، بثقة كبيرة ... ولكن بوحشية في وميض عينيها السوداوين". بالنسبة للشاب الأميركي المستعرب الناشئ، كانت هذه "الأمسية السحرية بجانب البحر، مضاءة بضوء القمر"، بمثابة الذروة المثالية لغرامه بعرب شمال أفريقيا.(23)

ونظراً لتربية آرتشي وتعليمه، كان من المحتم أن تكون هناك آثار للاستشراق التقليدي في نهجه في زمن الحرب تجاه شمال أفريقيا. على سبيل المثال، كانت هناك فترة العصرية التي قضاها هو و هوكر دوليتل يحتسيان الشاي على ساحل تونس. كتب آرتشي في وقت لاحق، مستحضراً المفاهيم الاستشراقية للشرق كمكان للبساطة ما قبل الحداثة، وملجأ رومانسي من ويلات التقدم الغربي:- "شعرنا نحن اليانكيز من كونينيكت أنه تم تحويلنا الى قرن سابق أكثر سكينة" (وممكن اضافة الحالة النفسية لشباب عائلة أويستر باي روزفلت، حيث الفقدان النسبي للمكانة العائلية التي حدثت منذ الذروة حين كان جدهم ثيودور روزفلت رئيساً). كان هناك أيضًا افتتان آرتشي بالأنوثة "الغريبة جداً" للنساء في الشرق الأدنى، ثيمة استشراقية كلاسيكية أخرى. (24)

ومع ذلك، فإن تعليق آرتشي روزفلت على تجاربه في شمال إفريقيا يشير إلى منظور لا يعتمد كثيرًا على الاستشراق الأوروبي، مع النظرة "الآخَرَية"/"الغَيْريّة" اللاهوادة فيها من قِبل الأوروبيين إلى البشر الذين استعمروهم، أكثر مما يعتمد على تقليد أمريكي مميز من التشارك الإنساني والتفاعلي مع العرب والمسلمين. وقد انعكس هذا في الوصول الاستثنائي إلى القادة العرب رفيعي المستوى الذي تمتع به آرتشي أثناء فترة خدمته، وهو أمر لا يمكن تصوره بالنسبة للأجيال اللاحقة من ضباط الاستخبارات الأمريكية العاملين في الشرق الأوسط. وأيضا، عززت هذه الاتصالات جاذبيته المتزايدة نحو القومية العربية حيث طور صداقات دائمة مع جيل كامل من قادة استقلال شمال إفريقيا. وإلى جانب مواهبه الفكرية غير العادية وانفتاحه على التجارب الجديدة، دفعت هذه التأثيرات آرتشي

روزفلت إلى تصور مستقبل أميركي في العالمين العربي والإسلامي يختلف تمام الاختلاف عن الماضي الأوروبي.(25)

ومع تراجع القوة الاستعمارية الأوروبية في الشرق الأوسط مع اقتراب الحرب العالمية الثانية من نهايتها، كان السؤال المطروح هو: هل تتحول هذه الرؤية إلى واقع؟ ومن دون علم آرتشي، كان أول اختبار جدي للعروبة الأميركية يجري بالفعل، على طول ساحل شمال أفريقيا، في القاهرة، حيث كان من المقرر أن يلعب ابن عمه كيم دوراً رائداً في الجهود الأولى التي بذلتها الولايات المتحدة لإنشاء شبكة تجسس إقليمية.

الفصل الثالث:
مكتب الخدمات الإستراتيجية OSS / القاهرة

عندما تمت إعادة آرتشي روزفلت إلى الولايات المتحدة في أواخر صيف عام 1943، ذهب للعمل في مقر مكتب معلومات الحرب في العاصمة واشنطن، حيث التقى مرة أخرى بصديقه الأمريكي المسلم محمد سبليني لتطوير أفكار للدعاية الأمريكية في العالم العربي. أثناء وجوده في واشنطن، كان غالبًا ما يقيم مع كيم وبولي روزفلت في منزلهما في ملكية عائلة ويلارد بعد بضعة أميال إلى الغرب في فيرفاكس بولاية فرجينيا.

عائلة "أويستر باي روزفلت" عائلة متقاربة معاً، وكان أبناء العم قد رأوا بعضهم البعض كثيرًا عندما كانوا ينضجون. كان آرتشيبالد الأب، وهو رجل عاطفي على الرغم من ميوله المزعجة، يراقب أطفال شقيقه كيرميت، ويتأكد من حصولهم على الأقل على استحمامات منتظمة في ساجامور بينما كان والدهم في الخارج في استكشافاته وكانت والدتهم مشغولة في واشنطن. من جانبه، أما كيم فقد تلقى تعليمات خاصة من والدة آرتشي، جريس، لمراقبة ابنها في مدرسة جروتون. "لقد بدت قلقة بشكل خاص بشأن الطريقة التي يوجه بها السباب إلى الجميع"، هكذا كتب كيم إلى والده. "لقد أخبرتها أنني سأفعل كل ما بوسعي".

ومع ذلك، فإن العامين اللذين فصلا بين أبناء العم كانا مهمين للغاية في

مؤسسات هرمية السلطة مثل جروتون وهارفارد، ولذلك قضى آرتشي وقتًا أقل مع كيم مما قضاه مع شقيق كيم الأصغر ويلارد، مماثله في السن. لم يبدأ الأمر الا حين اندلعت الحرب، حيث كان كلا أبناء العم منخرطين في الاستخبارات وإعالة أسرة جديدة (أنجبت KW زوجة أرتشي ولدًا، تويد، في عام 1942)، حيث بدآ حقًا في تقدير مدى القواسم المشتركة بينهما: "الاهتمامات، الأذواق وحتى حس الدعابة"، كما قال آرتشي لاحقًا. بعد أيام طويلة من العمل الشاق لأجل الحرب، استرخى الشابان، اللذان لم يبلغا الثلاثين بعد، وتحدثا حتى وقت متأخر من المساء مع المشروبات الكحولية، وكان كيم يستمع إلى آرتشي وهو يشرح ما أصبح موضوعه الشخصي:- "العالم العربي سيكون ذا أهمية كبرى بعد الحرب ويستحق المزيد من الاهتمام الآن".(1)

لكن كيم لم يحظى من قبل بأي علاقة رسمية مع الدول العربية. وكان أقرب ما وصل إليه في سبتمبر 1941، عندما طلب منه بيل دونوفان آراءه بشأن إيران، فذهب بنفسه إلى مكتبة الكونجرس لتلقي إحاطة حول الموضوع من قِبَل محلل الشؤون الاستعمارية (وأول فائز من الأمريكيين الأفارقة بجائزة نوبل للسلام في المستقبل) رالف بانش.
وفي نفس الوقت تقريباً، اقترح أحد أصدقاء العائلة أن يذهب كيم إلى الصين للانضمام إلى الجنرال كلير شينولت وقوته من الطيارين الأمريكيين المتطوعين في الصين لأجل حرب اليابان، وهي الفكرة التي لو تم تنفيذها لربما أدت إلى تحوله إلى "خبير بالصين" بدلاً من كونه مستعرباً، وهما منطقتي تخصص لا يشتركان في الكثير باستثناء أنهما يشتركان في الماضي التبشيري، وأنهما كلاهما سيتعرضان للازدراء لاحقاً من قِبَل العديد من الأميركيين.(2)
بدلاً من ذلك، استمر كيم في أعماله المتعددة في واشنطن.

في أغسطس 1942، ترك كيم جهاز بيل دونوفان، الذي أعيدت تسميته للتو إلى مكتب الخدمات الاستراتيجية (OSS)، ليشغل منصب مساعد رئيس قسم في مكتب معلومات الحرب OWI، عاملاً على البروباجاندا المتعلقة ب"برنامج الإعارة والتأجير"، وهو برنامج إرسال الأسلحة إلى حلفاء الولايات المتحدة. ثم بدّل وظيفته مرة أخرى في يناير 1943، وهذه المرة انضم إلى وزارة الخارجية، حيث ساعد دين أتشيسون، مساعد وزير الخارجية للشؤون الاقتصادية آنذاك، في التنفيذ الفعلي لبرنامج الإعارة والتأجير، وحضر عددًا من الاجتماعات مع كبار ممثلي حكومات الحلفاء. كان الأمر رفيع المستوى لشاب ككيم، ومع ذلك فإن أتشيسون، الأرستقراطي النموذجي من الساحل الشرقي (وزميل جروتون)، أعجب بنضج كيم، وأعلن أنه يمتلك "عقلًا قادرًا للغاية، وخلفية تعليمية وثقافية ممتازة واهتمامًا شديدًا بالمشاكل الحكومية". أثناء تناولها عشاءاً في البيت الأبيض، سمعت بيلي روزفلت مديحًا مماثلاً لـ "الصفات العقلية" و"فضائل" ابنها من خريج آخر من جروتون، وهو نائب وزير الخارجية وصديق العائلة بالفعل سومنر ويلز. كان كيم نجمًا صاعدًا في واشنطن في زمن الحرب.(3)

ولذلك كان الأمر غريباً أن يتم تعيينه في القاهرة في يناير 1944. في وقت لاحق، قدم كيم في مذكراته تحت عنوان "إنقلاب مضاد" تفسيره لهذه الخطوة. ففي سياق المهام التي كان يؤديها لصالح دين أتشيسون، أوصى بتعيين جيمس م. لانديس في منصب المدير الأميركي للعمليات الاقتصادية في الشرق الأوسط، المسؤول عن الإشراف على عملية الإقراض والتأجير الضخمة التي تقوم بها الولايات المتحدة في المنطقة. ولقد تم إرسال لانديس إلى القاهرة، حيث أثار خلافاً دبلوماسياً بانتقاده للبريطانيين، الذين ما زالوا يشكلون القوة الغربية المهيمنة في مصر.

غاضباً، أمر أتشيسون مساعده بالذهاب إلى الشرق الأوسط لتنظيف الفوضى التي أحدثها هو وإن كان بشكل غير مباشر.(4)
ولكن من الواضح أن مهمة كيم روزفلت في القاهرة كانت تتضمن أكثر من قضية لانديس وحدها. وكما كشف هو نفسه في "إنقلاب مضاد"، كان كيم لا يزال يقدم تقاريره إلى بيل دونوفان وكذلك إلى دين أتشيسون عندما غادر واشنطن. وفي موضع آخر، كتب كيم عن "القيام بأعمال استخباراتية خاصة" في القاهرة، "في البداية مع وزارة الخارجية ثم مع الجيش". وتشير السجلات الرسمية التي رفعت عنها السرية إلى أنه، على الأقل بعد أبريل 1944، عندما نُقِل رسميًا من وزارة الخارجية إلى مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS ودخل الجيش الأميركي برتبة جندي، كان كيم لاعباً رئيسياً في مشروع صوفيا SOPHIA، وهو برنامج سري لنشر ضباط مكتب الخدمات الاستراتيجية في مختلف أنحاء المنطقة تحت غطاء عمليات المساعدة الاقتصادية التي يقدمها لانديس.(5)
كان آرتشي روزفلت، على سبيل المثال، متشككًا في التفسير الرسمي لوجود ابن عمه في العاصمة المصرية. وقال في وقت لاحق: "لا أعتقد أن مهمته جاءت بقرار تعسفي من رؤسائه. بل ربما كانت نتيجة لما قلته أنا في واشنطن عن الأهمية المستقبلية للشرق الأوسط". وسواء كان آرتشي هو من زرع بذرة مهمة كيم الأولى في الشرق الأوسط أم لا، فهذه لن تكون هي المرة الأخيرة التي تتقاطع فيها الحيوات المهنية لأبناء العمومة بطرق أثبتت أهميتها القصوى، سواء على المستوى الشخصي أو التاريخي.(6)
وكما لاحظ كيم روزفلت في وقت لاحق، فإن النفوذ المستمر للإمبريالية البريطانية كان في كل مكان في القاهرة في زمن الحرب، من "الفخامة المترهلة" لفندق شيبرد والبار الشهير للفندق إلى "اللهجة البريطانية المزيفة" للعديد من المثقفين العرب الشباب. وكان كيم ليذكر أيضًا

الوجود الكبير للجواسيس البريطانيين. كانت القاهرة مقر "المكتب العربي" البريطاني في الحرب العالمية الأولى، وكانت تؤدي وظيفة مماثلة في الحرب العالمية الثانية، حيث كانت موطنًا لمركز الاستخبارات السياسية البريطاني في القاهرة، وهو محطة تجسس ضخمة كانت تنسق شبكة تجسس على مستوى المنطقة ليس فقط في الشرق الأوسط ولكن أيضًا في البلقان المحتلة من قبل النازيين (كان لا يزال البريطانيون يجمعون بلدان شرق البحر الأبيض المتوسط في منطقة سيطرة إمبريالية واحدة: "الشرق الأدنى"). كانت حركة المقاومة في البلقان مليئة بالانقسامات الداخلية، وقد تكررت هذه الانقسامات في القاهرة نفسها، حيث ساد "جو من الغيرة والشك والمكائد"، وفقًا للمسؤول البريطاني الكبير بيكهام سويت-إسكوت. ومع ذلك، كان هناك هدف مشترك واحد وحّد كل البريطانيين: إبعاد الغربيين الآخرين عن منطقة هيمنتهم. ليس من المستغرب إذن أن ينظر الأميركيون، وخاصة أولئك الذين لديهم نفور من الإمبريالية الأوروبية، إلى العاصمة المصرية بقدر كبير من الشكوك. وقد لخص الوزير البريطاني المقيم في زمن الحرب، هارولد ماكميلان، مواقف الولايات المتحدة في مذكراته: "القاهرة مشبوهة - فهي مرتبطة بطريقة ما في أذهانهم بالإمبريالية وكيبلينج وكل ذلك".(7)

ولكن الأميركيين لم يكونوا مستعدين للتنازل عن الشرق الأوسط بالكامل لحلفائهم الأوروبيين، وخاصة بعد العرض الجيد الذي قدمه بيل إيدي في شمال أفريقيا الفرنسية. ففي وقت مبكر من صيف عام 1942، اقترح بيل دونوفان خطة لإنشاء محطة تابعة لمكتب الخدمات الاستراتيجية في القاهرة لتكون بمثابة قاعدة للعمليات الأميركية المستقلة في البلقان ولإرسال بعثة إلى لبنان لإنشاء وجود استخباراتي أميركي في الشرق الأوسط نفسه. حاظياً بالموافقة الحماسية من الرئيس، سلم دونوفان المهمة إلى العقيد هارولد ب. هوسكينز، مسؤول

تنفيذي يتمتع بخبرة واسعة في الشرق الأوسط. وكان هوسكينز ابن عم بيل إيدي ذاته، وكان الرجلان من نفس الطبقة، وكلاهما من مواليد لبنان من أبناء المبشرين والمعلمين البروتستانت، وخريجي جامعة برينستون، ورجال البحرية السابقين.

لقد استندت خطة هوسكينز للبعثة رقم 90 إلى افتراض مفاده أن الولايات المتحدة، بفضل سمعتها السابقة في مجال الإحسان غير الأناني في العالم العربي، كانت في وضع أفضل كثيراً من حلفائها الأوروبيين في التنافس مع قوى المحور على قلوب وعقول الشرق الأوسط. وكما أوضحت برقية من وزارة الخارجية إلى السفير الأميركي في لندن، فقد تصور هوسكينز أن مقر البعثة في بيروت، وبدعم من محطات فرعية في مختلف أنحاء الشرق الأوسط، سينظم حملة ضخمة "من الحرب السياسية والبروباجاندا" تستهدف على وجه التحديد التاريخ الفريد "للجهود التبشيرية والتعليمية والخيرية الأميركية" في المنطقة. وسوف تتعاون البعثة بالضرورة مع قوى الحلفاء الأخرى، ولكن كان عليها أن تعمل "كمنظمة أميركية مستقلة وليس ... كـ"واجهة" للفرنسيين والبريطانيين". (8)

ولم يكن من المستغرب أن لندن لم تتقبل خطة هوسكينز. فقد علق سويت-إسكوت قائلاً: "ربما كانت هذه وثيقة غريبة تعرض على رجل إنجليزي. وكان العبء الرئيسي فيها أن البريطانيين لم يفعلوا شيئاً للشرق الأوسط، وبالتالي فقدوا مصداقيتهم تماماً في مختلف أنحاء العالم العربي". وزادت المخاوف البريطانية عندما وردت أنباء تفيد بأن وزارة الخارجية الأميركية كانت تشجع هوسكينز على السفر في مختلف أنحاء المنطقة وتقديم تقارير إلى واشنطن بشأن المسائل السياسية والاستخباراتية. ومن المثير للاهتمام أن المعجب بكيم روزفلت، سومنر ويلز، كان من المعتقد أنه كان وراء هذه التحركات؛ وكان فريق هوسكينز في البعثة رقم 90 يضم ابن ويلز ذاته بنيامين،

وهو أيضا زميل كيم في هارفارد. وفي نهاية المطاف، أدى مزيج من المماطلة البريطانية والخلافات بين وكالات الحكومة الأميركية إلى التخلي بهدوء عن فكرة محطة لبنان. ومع ذلك، فقد استمر هوسكينز غير الممكن كبح جماحه في رحلته في نوفمبر 1942، مما أثار العديد من الشكاوى التي دفعت بيل دونوفان في النهاية إلى كبح جماحه.(9)

لكن البريطانيون كانوا أقل نجاحاً في وقف الخطط الأميركية لإقامة محطة لمكتب الخدمات الاستراتيجية في القاهرة. وبلغت هذه الخطط ذروتها في مايو 1943 مع وصول ستيفن ب. ل. بينروز الابن إلى مصر. ورغم أنه لم يكن من أصل تبشيري في الشرق الأوسط، إلا أن بينروز كان ثاني أفضل الخيارات: فهو ابن رئيس كلية ويتمان، وهي كلية صغيرة أسسها في ولاية واشنطن مبشرون من نيو إنجلاند. وبعد فترات من التدريس في الجامعة الأميركية في بيروت (حيث سيعود إليها لاحقاً كرئيس لها) والمساعدة في ادارة شراكة كليات الشرق الأدنى في نيويورك، انضم بينروز إلى "المكتب منسق المعلومات" COI في أبريل 1942. وانطلق إلى مصر في العام التالي حاملاً "تعليمات لإنشاء خدمات لجمع المعلومات الاستخبارية في الشرق الأوسط".(10)
المهمة التي طلبت من بينروز -العامل الدؤوب الذي يتمتع بحس فكاهي ساخر- كانت مهمة شاقة. كانت قوات المحور في شمال إفريقيا قد استسلمت أخيرًا، وأصبح البريطانيون الآن قادرين على التركيز على حماية نظامهم الاستعماري من التهديدات الأخرى. وعلى الرغم من أن العلاقات الأنجلو أمريكية كانت جيدة غالبًا على المستوى الشخصي، إلا أن المركز البريطاني في القاهرة كان بشكل أناني حريصًا على حماية شبكات عملائه وأصول الاستخبارات المحلية الأخرى. "لقد كانوا متطورين للغاية لدرجة أنهم عملوا كثيرًا من خلال المقاهي وجميع

أنواع الأشياء من هذا القبيل والتي كانت بعيدة جدًا عن متناول طاقمنا الصغير الحجم"، كما تتذكر جين سمايلي هارت، خريجة دارتموث التي جندها مكتب الخدمات الاستراتيجية في القاهرة في يونيو 1944 كموظفة مكتب (ولاحقًا زوجة للمستعرب البارز في وزارة الخارجية باركر ت. هارت). وكان الأمان مصدر قلق آخر بالنسبة للمحطة الجديدة، التي كانت تعمل من قبو فيلا فخمة في شارع رستم باشا؛ وعندما يُعطَى سائقو سيارات الأجرة العنوان، يُقال إنهم يردون: "أوه، تريد مقر الاستخبارات السري!" ومن المؤسف أنه في حين ان هارت "أدركتُ أننا ... عديمو الخبرة وكان لزاماً علينا أن نكون حذرين للغاية"، كان المجندون الأميركيون الآخرون يفشلون في إدراك الحاجة إلى السرية المطلقة. "أحياناً أستطيع أن أفهم لماذا يعتقد البريطانيون أننا مجموعة من الهواة المتحمسين"، لاحظ ستيفن بينروز بمرارة، بعد معرفة أن "غِرّ" قادم من الولايات المتحدة "لم يحاول قط إخفاء حقيقة أنه كان عميل مكتب الخدمات الاستراتيجية".(11)

كانت هناك أيضًا البيئة الصعبة للقاهرة نفسها في زمن الحرب، بدءًا من الإزعاجات المعتادة التي يواجهها الغربيون: "الحرارة، التراب والأوساخ، والافتقار إلى السباكة الحديثة ... وحقيقة أن أنه ليست فقط اللغة هى الغريبة ولكن الأبجدية والأرقام غريبة هى أيضا"، كما لخصها كيم روزفلت. أضف الى ذلك الضغوط المغايرة المتعلقة بالعمل الاستخباراتي أثناء الحرب، ما أسمته جين هارت "التعقيدات، والحركة المستمرة، وخوفنا الشامل". بالنسبة لهارت، كان جو العاصمة المصرية يتمتع بسريالية ما، تشبه إلى حد كبير تلك التي صورتها الروائية البريطانية أوليفيا مانينغ في روايتها شبه السيرة الذاتية "غنائم الحرب": "مزيج غريب من السحر وساعات طويلة من العمل الشاق وقليل جدًا من النوم. وسحابة كبيرة معلقة فوق رؤوسنا طوال الوقت، حيث لم نكن نعرف حقًا ما الذي سيحدث".(12)

وعلى الرغم من كل المشاكل التي واجهته، كان لدى بينروز بعض الموارد التي يمكنه الاعتماد عليها. في البداية، كان له علاقاته الخاصة بمستعربي عالم التبشير والتعليم. وبعد وقت قصير من وصوله إلى مصر، أرسل بينروز في طلب العديد من الزملاء القدامى في الجامعة الأميركية في بيروت للانضمام إليه في هيكل القيادة لمحطة مكتب الخدمات الاستراتيجية الجديدة. وشمل هؤلاء أرشي كروفورد، الذي أصبح مساعده الرئيسي، وديفيد دودج، ابن حفيد مؤسس الجامعة الأميركية في بيروت دانيال بليس. وفي الوقت نفسه، كان المبشرون يشكلون احتياطياً محتملاً للعملاء الميدانيين.

بينما كان لا يزال يقيم في واشنطن، استغل بينروز علاقاته بالعديد من المجالس التبشيرية الأميركية لأغراض استخباراتية، وحصل على خرائط شوارع مدينة الكويت، على سبيل المثال، وتواصل مع مبشر ايفانجليكان شاب على وشك المغادرة إلى إيران لجمع "أي معلومات" يستطيع جمعها. وبالتالي، كان لديه بالفعل شبكة تجسس بدائية في الميدان عندما وصل لتولي المسؤولية في القاهرة. وأخيراً، كانت هناك مجموعة أخرى من المواطنين الأميركيين على الأرض يتمتعون بمعرفة محلية متخصصة وحرية غير عادية في الحركة في جميع أنحاء المنطقة. ومن عجائب المفارقات أن البريطانيين كانوا هم أول من ابتكروا دور عالم الآثار-الجاسوس: إذ استخدم لورانس العرب التنقيب في موقع كركميش الأثري السوري كغطاء لمسح خط السكة الحديدية بين برلين وبغداد المنشيء جديداً قبيل الحرب العالمية الأولى. والآن جاء دور علماء الآثار الأميركيين -الذين أقاموا خلال فترة ما بين الحربين العالميتين وجوداً في الشرق الأوسط ينافس الوجود البريطاني- لمحاكاة مثال لورنس. ويبدو أن شخصية إنديانا جونز لم تكن خيالاً لاغير.(13)

هذه هي الظروف التي استقبل بها كيم روزفلت عندما وصل إلى القاهرة في بداية عام 1944. فبفضل رحلاته السابقة، "لم تكن الأوساخ والجراثيم شيئاً جديداً" بالنسبة له، كما يتذكر لاحقاً، و"لم يكن الشرق الأوسط مفاجأة". بل على العكس تماماً: فمثله كمثل والده من قبله أثناء الحرب العالمية الأولى، استمتع كيم بمعايشة "ما كان في السابق تقديراً مجرداً"، مبنى على "أدب الرحلات"، يكتسب تدريجياً "معنى حقيقياً". كما حرص على الانخراط في "اتصال متكرر بالسكان المحليين"، وهو النهج الذي يتناقض مع "وجهات النظر الانعزالية للجندي الأميركي العادي". وهذا الموقف ألقى كيم باللوم فيه بشكل كبير على أطباء الجيش، الذين بدت له محاضراتهم للجنود حول المخاطر الطبية المترتبة على العلاقات الحميمية مع المحليين مبالغاً فيها، ناهيك عن كونها مسيئة للسكان المحليين. وقد انزعج بشكل خاص عندما أزعج طبيب فظ كان يرافقه في رحلة ودية للجيش الأميركي إلى جدة (كان كيم "لديه عمل آخر" في تلك المدينة السعودية وكان "مرافقه في الرحلة") المضيفين العرب في مأدبة أقيمت على شرف الأميركيين عندما نصح رفاقه بصوت عالٍ بعدم لمس أي من الأطباق الموجودة أمامهم. لكن كيم تناول طعامه بحماسة شديدة. وقد كتب في تقريره الرسمي عن الرحلة: "إن هيبتنا قوية بما يكفي لتحمل مثل هذا النزول العرضي، هذا واضح، ولكنني لا أرى أي سبب معقول يجعلنا نخضع لمثل هذا الضغط". ولكن على الرغم من الحساسية الثقافية التي أظهرها كيم روزفلت في تعاملاته مع العرب أثناء مهمته في مصر عام 1944، إلا أنه لم يكن يتمتع بنفس الشعور بالإثارة الرومانسية التي صاحبت مهمة آرتشي روزفلت الأولى في العالم العربي. فقد وجد كيم "الأرض والشعب مثيرين، ومليئين بالاختلافات المرهقة، والتشابهات المشجعة والمثبطة"، ولكنه لم يقع في الحب، على الأقل ليس بعد.(14)

كانت مهمة كيم في مصر مع مشروع صوفيا SOPHIA -مشروع مكتب الخدمات الاستراتيجية لوضع ضباط الاستخبارات تحت غطاء المهمة الاقتصادية لجيمس لانديس- بمثابة نسخة سرية من البعثة رقم 90 لهارولد هوسكينز، وعلى هذا النحو فقد تضمنت سفرًا كبيرًا في جميع أنحاء الشرق الأوسط. ومن وجهة نظر حياته المهنية المستقبلية مع وكالة المخابرات المركزية، فإن أهم طلعة جوية لكيم من القاهرة حدثت في مارس 1944، بعد وقت قصير من رحلته إلى جدة، عندما طار إلى إيران المحتلة من قبل قوات الحلفاء (البريطانيين والسوفييت)، ظاهريًا كعضو في فريق اقتصادي بقيادة لانديس. عند الهبوط في طهران، وهي قناة إستراتيجية بالغة الأهمية لمساعدات برنامج الإعارة والتأجير للاتحاد السوفييتي المحاصر، كان أول ما لاحظه كيم هو قوات الجيش الأحمر التي تحرس المطار. وبعد بضعة أيام من الدبلوماسية الاقتصادية ومشاهدة المعالم السياحية في بازارات المدينة، التقى كيم روزفلت "المجهول بشكل غامض" (كما قال هو نفسه عن نفسه) سراً بعميل ميداني محلي من مكتب الخدمات الاستراتيجية، جوزيف م. أبتون، لإطلاعه على جهود الاستخبارات الأميركية في البلاد ككل.(15)
كان أبتون خبيراً في الآثار الفارسية خريجاً من هارفارد، وكان على ما يبدو في طهران يشرف على الحفريات الأثرية التي يقوم بها متحف نيويورك المتروبوليتان للفنون. وعلى هذا النحو، كان غطاء مكتب الخدمات الاستراتيجية الخاص به نموذجياً للبلاد. أما تي. كويلر يونج، وهو عميل آخر مقيم في طهران، فقد تخصص في اللغة والتاريخ الفارسيين في جامعة برينستون، ثم تولى رئاسة قسم الدراسات الشرقية في تلك المؤسسة في نهاية المطاف. وكان هناك عميل ثالث من مكتب الخدمات الاستراتيجية، دونالد ويلبر، تخصص في الفن والآثار في جامعة برينستون قبل الشروع في مسار أكاديمي اكتسب فيها شهرة باعتباره مرجعاً أكاديمياً في العمارة الفارسية.

كان ويلبر يراقب الأنشطة الألمانية، وعلى نحو متزايد، الأنشطة السوفييتية في إيران أثناء بحثه عن كتب عن الآثار الإسلامية في العصر المغولي والحدائق الفارسية. وخلال إحدى البعثات الاستكشافية للتجسس على تحركات قوات الجيش الأحمر في أذربيجان، زار قرية يُقال إنها تحتوي على قبر أحد الحكام المغوليين وعثر على غرفة ذات قبة سلجوقية رائعة بشكل خاص. وكان حماسه لهذا الاكتشاف مصحوبًا بمخاوف من أن تكون القرية أيضًا موطنًا لعش من العملاء الألمان.(16)

وبعد لقاءات أخرى مع عميل آخر من مكتب الخدمات الاستراتيجية ("روجر بلاك"، وهو على الأرجح اسم مستعار لسالف الذِكر ت. كويلر يونج)، ورحلة جانبية إلى العاصمة الإيرانية القديمة الجميلة أصفهان، طار كيم روزفلت عائداً إلى القاهرة، حيث انضم إليه قريباً وجه مألوف، وهو ابن عمه آرتشي روزفلت.

ولم تكن عودة آرتشي إلى الميدان بعد طرده من شمال إفريقيا الفرنسية سهلة. فقد كان لا يزال تحت المراقبة من استخبارات الجيش G2، ورغم أن الجيش رفض طلباً من قسم البحث والتحليل في مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS لتزويدهم بآرتشي، إلا أن الجيش الأمريكي بدا غير متأكد تماما مما يجب فعله مع هذا الفتى، فأعادوه إلى معسكر تدريب عسكري، حيث درس التاريخ العربي وعلّم العبرية لنفسه خلال المناورات العسكرية غير الكفوءة بشكل مضحك. وخلال مقابلة حول احتمالات تعيينه في الشرق الأوسط، سأل ضابط في مكتب استخبارات الجيش آرتشي ما إذا كان "محايداً في التعامل مع القضايا العربية". وإجاباته لم تساعد قضيته على الأرجح: "أعتقد أنني محايد قدر الإمكان"، كما قال، "ولكن بصفتي مستشرقًا طموحًا، فمن الطبيعي أن أشعر ببعض التعاطف مع العرب". وفي النهاية، رضخت استخبارات G2، وبعد مزيد من التدريب من قبل متخصصين في المنطقة من ذوي

الخبرة في الشرق الأوسط، تم تعيين آرتشي في الاستخبارات العسكرية في القاهرة، بعيدًا تماماً عن الفرنسيين. غادر ميامي في أبريل 1944، بعد وقت قصير من علمه من طبيب مدني في نيويورك أنه يعاني من "الخفقان الأُذَيْني"، وهي حالة قلبية كانت ستؤدي إلى تسريحه إن كانت اكتشفت في فحص طبي للجيش. لم يخبر قادته بالأمر.(17)
وفي القاهرة وجد آرتشي نفسه تحت قيادة من أميركي آخر نشأ في الشرق الأوسط، وهو الرائد إدوين م. رايت، "المبشر السابق ثم عالم الآثار في جنوب شرق تركيا والعراق وإيران"، كما وصفه آرتشي. كما سنحت له الفرصة لإعادة التعرف على رفيقه القديم في السفر من شمال إفريقيا هوكر دوليتل وعلى القومي التونسي سليم دريجا، الهارب الآن من العدالة الفرنسية، والذي قدمه إلى منفي آخر في القاهرة، وهو الزعيم الشهير للريف المغربي وقائد المتمردين محمد بن عبد الكريم الخطابي. ولكن أهم لقاءاته في القاهرة كان لقاء آرتشي بابن عمه كيم. كتب آرتشي إلى زوجته KW في يونيو: "لقد ازداد شغفي به حقًا. وعلى الرغم من نقطة ضعف صغيرة معينة ذكرتها،" تابع، بغموض مغرٍ: "كيم هو عزاء كبير وأحد الأشخاص القلائل الذين أثق بهم بنسبة 100٪ ... "إنه -حسب ظني- لا يتطرف، ولا يرتكب أخطاء غبية،... إلخ، كما يفعل كثيرون في هذه الأجواء الصعبة، وهو واحد من عدد ضئيل للغاية من الأشخاص الذين أصطحبهم معي في بعض المقابلات الأكثر حساسية، دون تحفظات". ورغم أن هذا التصريح يشكل إشادة متوهجة (باستثناء الصفة الغامضة المذكورة)، فإنه يشير مع ذلك إلى أنه في هذه المرحلة من علاقتهما المهنية، كان آرتشي يرى نفسه الشريك الأكبر.(18)
كان مجال مسؤولية آرتشي لموظفيه في الاستخبارات العسكرية هو دول الشام وفلسطين، ولذلك لم يكن في القاهرة نفسها إلا نادراً، حيث قضى معظم وقته في السفر حول شرق البحر الأبيض المتوسط.

وكما هي عادته، ركب كيم مع القافلة. وفي وقت مبكر من صباح أحد أيام شهر مايو، غادر آل روزفلت القاهرة، وسافروا عبر صحراء سيناء، ووصلوا إلى القدس بينما كان الضوء يتلاشى، غير متأكدين مما إذا كانوا يشعرون بأنهم حجاج مسيحيون مسالمون أم جنود صليبيون وهم يقتربون من المدينة المقدسة. وكان من الواضح أن ابن العم الأصغر آرتشي هو الرئيس. وباستخدام "معارفه الممتازين"، كما كتب في مذكراته، "دخل آرتشي إلى جو العمل على الفور"، وسرعان ما "غمرت المقابلات والدعوات ابني العم". وكان على رأس قائمة الأشخاص الذين أرادوا مقابلتهم ضباط الاستخبارات التابعون للسلطة اليهودية قبل قيام إسرائيل، الوكالة اليهودية، التي كانت تدير حربها السرية الخاصة ضد قوى المحور. وكان من بين هؤلاء "ساكن الكيبوتس" الأشعث الشعر، والعمدة الستقبلي للقدس، تيدي كوليك، الذي أرشدهم في المرحلة التالية من رحلتهم عبر شاطئ بحر الجليل، إلى مرتفعات الجولان، وإلى سوريا. وفي الطريق، قضوا الليل في "كيبوتس كوليك" وحضروا مأدبة عشاء تناول فيها اليهود العشاء مع العرب. وبعد "الواحة الخضراء" لدمشق، توجهوا إلى بيروت، حيث أسعد آرتشي الضيوف في حفل مكتب معلومات الحرب OWI بمخاطبتهم باللغة العربية.

وعلى الرغم من أن لبنان لعب فيما بعد دوراً بالغ الأهمية بالنسبة لآرتشي في حياته المهنية والخاصة، إلا أن هذه الزيارة كانت زيارة سريعة. وسرعان ما عاد آل روزفلت إلى القاهرة، ولا شك أن كيم كان ممتناً لتلك النظرة القصيرة ولكن المفيدة للحياة في بلاد الشام التي قدمها له ابن عمه. هناك صور فوتوغرافية نادرة للرجلين معاً في مراحل مختلفة من جولتهما. ويبدو آرتشي أنيقاً بشكل غير معتاد في زيه العسكري، في حين يبدو كيم أشعث الشعر قليلاً في بدلة داكنة وربطة عنق. وإلا فإن ابني العم متشابهون إلى حد كبير: فكلاهما

متوسط الطول وذو بنية نحيفة، ولهما ملامح روزفلتية متشابهة، على الرغم من أن وجه كيم أصبح أكثر احمراراً وكثافة، وبدأ خط شعر رأسه في التراجع.(19)

ورغم أن آرتشي وكيم تمكنا من القيام برحلة أخرى إلى فلسطين، حيث تم إرشادهما إلى مملكة شرق الأردن بواسطة عالم آثار آخر من مكتب الخدمات الاستراتيجية، الحاخام نيلسون جلوك، فإن الوقت الذي قضياه معًا كان يقترب من نهايته. ففي يونيو 1944 تلقى آرتشي أوامر بالتوجه إلى العراق، حيث تولى منصب الملحق العسكري المساعد الشاغر في بغداد، وهو المنصب الذي شغله لبقية أيام الحرب. وفي الوقت نفسه، كانت عملية ستيفن بينروز في القاهرة تحول مسارها من الشرق الأوسط الى البلقان، حيث كان بيل دونوفان يجدد جهوده لإنشاء وجود استخباراتي أمريكي مستقل عن البريطانيين. وتم جلب شاب وسيم من الجنوب يدعى فرانك جي ويزنر لإدارة محطة إسطنبول التابعة لمكتب الخدمات الاستراتيجية/القاهرة، والبدء في تنظيم مهام قوات مظلات إلى دول البلقان واليونان. ومع ذلك، ظلت شكوك مكتب الخدمات الاستراتيجية في المؤامرات الإمبراطورية البريطانية قائمة، حتى مع تراجع التهديد الألماني وظهر للعلن المشاكل المحتملة مع السوفييت. في هذه الفترة تحديدا، كان مايزال العديد من الأميركيين أكثر ميلاً إلى دعم المتمردين اليساريين المحليين أكثر من الرجعيين المؤيدين لبريطانيا.

وتم إعادة نشر ظابط الOSS كيم روزفلت في إيطاليا، حيث كانت قوات الحلفاء تتحرك شمالاً في حملة تحرير، بصفته الرسمية ك"محقق اقتصادي" في شؤون أوروبا الوسطى. وبعد يوم النصر في أوروبا مباشرة، تعرض كيم لحادث سيارة جيب أدى إلى إصابته بكسر خطير في الكاحل (وهي الإصابة التي جعلته يعاني من تصلب في ساقه طيلة بقية حياته). وبعد أن أُرسل إلى منزله في الولايات المتحدة للنقاهة، بدأ

العمل في تجميع التاريخ الرسمي لمكتب الخدمات الاستراتيجية في زمن الحرب، وهي المهمة التي لم تكتمل حتى صيف عام 1947. ولم يعد إلى الشرق الأوسط إلا حين ذلك التوقيت. وفي غضون ذلك، فإن ابن عمه آرتشي لم يكد يغادر المنطقة.(20)

وأتى التقييم العام لأداء مكتب الخدمات الاستراتيجية في الشرق الأوسط الوارد في التاريخ الرسمي لكيم روزفلت بنتيجة مدهشة: إذ جاء في الكتاب: "يجب اعتبار الجهد المبذول في المسرح بشكل عام مضيعة للوقت والمال". ويبدو هذا حكماً قاسياً للغاية على سجل ستيفن بينروز. وكما يشير التاريخ الرسمي نفسه، بحلول نهاية الحرب، "تم وضع تسعة وعشرين عميلاً سرياً في الشرق الأوسط، وفي جميع البلدان باستثناء بلدين (أفغانستان وشبه الجزيرة العربية) كانت التغطية الاستخباراتية جيدة". وباستخدام مجموعة متنوعة من التغطيات لتحركاتهم، قام هؤلاء العملاء بدورهم ببناء سلاسل من "أكثر من 500 عميل فرعي" الذين "ساعدوا، بحلول يونيو 1945، في تسليم أكثر من 5000 تقرير". لا شك أن بينروز واجه عقبات كبيرة، من بينها العرقلة البريطانية، وعدم التعاون من جانب بعض ضباط الخدمة الخارجية الأميركية الذين استاءوا من الظهور المفاجئ بين هؤلاء الجواسيس المبتدئين، والاتصالات الضعيفة أو غير الموجودة، التي استلزمت -على سبيل المثال- سفر العملاء في شبه الجزيرة العربية بأنفسهم إلى القاهرة من أجل تقديم تقاريرهم. ومع ذلك، ومثل إيدي في وقت سابق من الحرب، استغل بينروز بمهارة تجربته المحلية. "كانت معرفته بالمنطقة ذات قيمة لا تقدر بثمن بالنسبة لمكتب الخدمات الاستراتيجية في تجنيد ممثلين مستقبليين للعمل في بلدان توجد فيها اختلافات دينية وسياسية وعرقية قوية"، كما أشار قائد مسرح العمليات في مكتب الخدمات الاستراتيجية، جون تولمين، في نوفمبر 1944.

وبالوضع في الاعتبار إلى أنه كان يبدأ من الصفر تمامًا، فإن جهود بينروز "لإرساء أساس متين للعمل الاستخباراتي في الشرق الأوسط" لا تبدو "اهداراً للموارد" بشكل تام، على الرغم من الحكم الحاد من قِبَل كيم روزفلت.(21)

أما بالنسبة لكيم نفسه، فقد تأثر نهجه الشخصي تجاه الشرق الأوسط تأثراً عميقاً بخدمته تحت قيادة بينروز في القاهرة. وعلى الرغم من أنه لم يذهب إلى حد بعيد في تعاطفه مع العرب في زمن الحرب مثل ابن عمه آرتشي، إلا أنه اكتسب الآن بعض الخبرة الحقيقية في التعامل مع المنطقة وسكانها، على النقيض من المفاهيم الأدبية الاستشراقية التي نشأ عليها. وكانت الانطباعات والعلاقات التي كوّنها كيم خلال خدمته في مصر خلال الحرب العالمية الثانية حاسمة عندما حان دوره هو لتولي قيادة عمليات الاستخبارات الأميركية في الشرق الأوسط في الحرب الباردة.

الفصل الرابع:
إعادة إنتاج اللعبة الكبرى

كان ذلك في صيف عام 1945، وكانت الحرب على وشك الانتهاء، وبينما كان كيم روزفلت في بيته في الولايات المتحدة يتعافى من الحادث الذي تعرض له في إيطاليا، كان ابن عمه آرتشي لا يزال في العراق، يتساءل عن مستقبله في زمن السلم. سجله الدراسي المتميز وميوله العلمية الطبيعية أهّلته لحياة الأكاديمية، وكان قد بدأ بالفعل في استطلاع العديد من كليات الساحل الشرقي للولايات المتحدة حول مناصب محتملة. محاولاً قدر استطاعته، ولكنه لم يتمكن من حشد قدر كبير من الحماس لهذا المسعى. تجاربه في العالم العربي، بما في ذلك منصبه الحالي كمساعد الملحق العسكري في العراق، أيقظت شهيته لحياة ليست هادئة مستقرة بخمول ولكن لحياة أكثر نشاطاً.
وعلاوة على ذلك، كانت هناك علامات تشير إلى أنه حتى مع انتهاء حرب عالمية، فإن حرباً أخرى كانت تبدأ، حيث سيكون الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي هما البطلان الرئيسيان فيها، وإيران المجاورة هى نقطة اشتعال هذا الصراع الجديد.
كان الأمر حين كانت تستعد طائرته للإقلاع في رحلة جوية إلى العاصمة الإيرانية طهران، كانت طائرته ترتفع من الأرض الصحراوية الصفراء والمنبسطة إلى قمم جبال زاغروس المغطاة بالثلوج حين ضربه تجلي الرؤية. سأل نفسه: "كيف يمكنني العودة من هذا إلى الجامعة لدراسة

لغات ميتة وحضارات هالكة؟". "أنا جزء من شيء جديد، شيء مثير". وعلى الرغم من أنه لم يدرك ذلك في حينها، إلا أنها كانت لحظة محورية في حياة آرتشي. لقد دفعه قراره بالبقاء في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية إلى "عملية التحول إلى ضابط استخبارات ملتزم"، وأكد هويته الجديدة كمستعرب، وجعله شاهدًا مباشرًا ومشاركًا في العديد من الأحداث الرئيسية للحرب الباردة، بدءًا من أزمة إيران عام 1946.(1)

ولكن ما الذي دفع آرتشي إلى اتخاذ هذا القرار الخطير؟ من الواضح أن أحد العوامل كان هو الانبهار الذي اكتسبه آرتشي بالعالم العربي في شمال إفريقيا الفرنسية والذي ازداد قوة خلال فترة خدمته في العراق. وكان معلمه خلال فترة خدمته السابقة في القاهرة، المبشر السابق وعالم الآثار إدوين رايت، قد حذره من توقع الكثير من بغداد، التي كان مظهرها الحديث يشكل مصدرا لخيبة أمل هائلة للمسافرين الذين نشأوا على قراءة قصص ألف ليلة وليلة. ولكن آرتشي كان مسروراً لوجوده "في موقع روعة الإسلام القديم"، معتبراً مهمته في العراق بمثابة خطوته الحقيقية الأولى على "الطريق إلى سمرقند"، وسعيه إلى فهم العالمين العربي والإسلامي. ولعل اسم عائلة روزفلت ساعده في الوصول بسهولة إلى أعلى هرم المجتمع البغدادي: فقد جدد معرفته القديمة منذ الطفولة بالأمير الهاشمي محي الدين بن علي حيدر باشا، وصادق ابن عم الأمير، الوصي على العرش العراقي عبد الإله بن علي بن الحسين، الذي كان يحكم العراق آنذاك نيابة عن الملك الصبي (والصبي هو ابن اخته) فيصل الثاني الذي لم يتوج رسمياً بعد. وفي مايو 1945، رافق الوصي على العرش إلى الولايات المتحدة في زيارة رسمية شملت رحلة جانبية إلى مقر عائلة روزفلت في أويستر باي. ولكن آرتشي لم يقصر نفسه على أرستقراطية بغداد؛ بل كرس أيضاً

قدراً كبيراً من وقته للرحلات الاستكشافية المغامرة بين القبائل العربية في المحافظات الجنوبية للعراق والأكراد المتمردين في الشمال الشرقي الجبلي، وهي المنطقة التي وجد على الفور أنها ساحرة. ولقد أكسبته تقاريره الرسمية عن هذه الرحلات، والتي كانت مليئة بالتفاصيل الإثنوغرافية الدقيقة عن الحياة القبلية العراقية، شهرة باعتباره خبيراً أميركياً في هذا الموضوع، وهو الأمر الذي استمد منه على ما يبدو قدراً كبيراً من الرضا الشخصي. وبعد سنوات حين راجع مهمته التي استمرت ثمانية عشر شهراً في بغداد، اعتبرها أرتشي أنها واحدة من أسعد أوقات حياته.(2)

وهناك عامل آخر ساهم في استمتاع أرتشي روزفلت بالعراق -ورغبته في أن يصبح ضابط استخبارات- كان أقل قابلية للتنبؤ، نظراً لكراهيته للاستعمار الفرنسي في شمال أفريقيا: ألا وهو الوجود الإمبراطوري البريطاني ذاته في البلاد.

وإلى حد ما، لم يكن بوسع أرتشي أن يتجنب التعامل مع البريطانيين. فرغم أن العراق كان اسمياً دولة مستقلة، فقد انتهى الانتداب البريطاني عليه في عام 1932، إلا أن موقعه على جانبي الطرق البرية المؤدية إلى الهند واحتياطياته النفطية الهائلة يعني أن لندن استمرت في ممارسة يد خفية بالكاد في شؤونه. ولقد اندلعت المشاعر القومية المتنامية في انقلاب عسكري مؤيد لدول المحور (ألمانيا) في عام 1941، والذي شهد نفي الوصي على العرش عبد الإله لفترة وجيزة إلى مملكة شرق الأردن، ولكن البريطانيين نجحوا في قمع التمرد وبعد ذلك شددوا قبضتهم أكثر. وبحلول الوقت الذي وصل فيه آرتشي إلى بغداد، كان كلا من القصر والحكومة تحت سيطرة السفارة البريطانية، على الرغم من أن رئيس الوزراء المخضرم، نوري السعيد (صديق آخر من العراقيين لآرتشي)، تمكن من التعاون مع البريطانيين بشروط من صنعه إلى حد ما. وفي المناطق القبلية، مارس المستشارون

السياسيون البريطانيون سلطة "الملوك الصغار"، على حد تعبير آرتشي. وبالتالي، لإجراء أي نوع من الأعمال الاستخباراتية في العراق، لم يكن أمام آرتشي روزفلت خيار سوى التعاون مع نظرائه البريطانيين.(3)

ولكن العلاقات بين الشاب الأميركي والمسؤولين البريطانيين في العراق لم تكن مقتصرة على الضرورة البيروقراطية. فمثل عمه كيرميت أثناء الحرب العالمية الأولى، يبدو أن آرتشي روزفلت شعر بانجذاب قوي نحو الضباط والمستشارين المستعربين الذين كانوا يديرون النظام الإمبراطوري البريطاني - "إمبراطوريتها السرية" - في الشرق الأوسط. ففي اليوم السابق لانطلاقه في رحلته من الولايات المتحدة إلى القاهرة في إبريل 1944، تناول العشاء في واشنطن مع فريا ستارك، المستكشفة المستعربة الشهيرة (وصديقة الشاعر جيمس إلروي فليكر، صاحب رواية "الطريق الذهبي إلى سمرقند") والتي أصبحت منخرطة ساعتها في جهود البروباجاندا البريطانية في زمن الحرب في العالم العربي، و"توافق الاثنان بشكل تام". وفور وصوله إلى بغداد، زار آرتشي المقر المبني من الطوب اللبن لمركز مكافحة الاستخبارات البريطانية في العراق، حيث استقبله طاقمه من الضباط الشباب من سلاح الجو الملكي البريطاني بحرارة. "لقد ذاب حاجز جنسياتنا المختلفة"، كما يتذكر لاحقًا، "وشكلنا صداقات سهلة في زمن الحرب".(4)

هذه المشاعر الودية، التي تختلف كثيرًا عن لقاءات آرتشي الباردة مع المسؤولين الاستعماريين الفرنسيين في وقت سابق من الحرب، قد نشأت من مصادر عدة. جزئيًا، كان آرتشي ينقل المواقف التقليدية للزوار الأميركيين إلى الشرق الأوسط، وخاصة منهم المستوطنين في بلاد الشام من المبشرين والمعلمين، الذين كانوا يميلون إلى التعايش بشكل أفضل مع المسؤولين البريطانيين هناك مقارنة بالفرنسيين. وكان

هناك عامل إضافي وهو تربية آرتشي وتعليمه. وقد اعترف في مذكراته قائلاً: "لقد هيأتني خلفيتي في نيو إنجلاند لأن أكون محبًا للإنجليز". "فلسفياً، وجدت البريطانيين ودودين؛ كنا نفس النوع من الناس".
وأخيرًا، بصفته مستعربًا ناشئًا، انجذب آرتشي إلى سمعة بريطانيا في الانغماس الثقافي في العالم العربي. وعلى النقيض من الفرنسيين الذين "اعتبروا (عربهم) في أغلب الأحيان أدنى منهم"، فإن "الإنجليزي... يتمتع بعقلية أوسع، ويسعى إلى اكتشاف ما هو صحيح وحقيقي"، كتب آرتشي في أحد تقاريره الملحقة. ولعل هذا الحكم من آرتشي كان مشبعاً بجو الرومانسية الشبيهة برومانسية كيبلينج التي أحاطت بالعديد من المستعربين البريطانيين في العراق. على سبيل المثال، كان فرانسيس جريملي، الضابط السياسي "ذو الوجه البشوش والشعر الأشقر"، الذي كان يرشد آرتشي على طول نهر دجلة السفلي، يرتدي ملابس عربية بشكل معتاد، وهو الاختيار الذي "أكسبه استياء بعض المستعمرين القدامى" ولكن الشاب الأمريكي قلده بسعادة أثناء بعثتيهما معًا. وإلى جانب الوجود المحلق لأسطورة لورانس العرب حولهم، لم تكن الهند ذاتها التي تحدث عنها كيبلينج بعيدة عن العراق في زمن الحرب: فقد ضمت القوات البريطانية المتمركزة هناك عدداً كبيراً من الأفواج الهندية، في حين كان نظام الضبط السياسي فيها يعيد إنتاج نظام الحكم البريطاني-الهندي "الراج".(5)
باختصار، على الرغم من كراهيته للاستعمار الأوروبي ورغبته في أن يخترع الأميركيون نوعاً جديداً من العلاقات الغربية مع الشرق الأوسط، فإن طموح آرتشي روزفلت في أن يصبح ضابط استخبارات، بل وحتى تصوره لهذا الدور، كان متأثراً إلى حد كبير بالتجربة الإمبراطورية البريطانية. كتب في وقت لاحق: "عندما أتحدث عن ضابط استخبارات، فإنني أتحدث بالمعنى القديم، وربما يكون أفضل مثال على ذلك هو الضباط السياسيون البريطانيون في الهند الذين تحدث عنهم كيبلينج".

حتى حقيقة أن الكشف التبصري عن مايرغبه لمستقبله جاء إليه أثناء تحليقه فوق إيران كانت ذات دلالة: كانت الإستخبارات الجوية لسلاح الجو الملكي البريطاني تقنية حاسمة لفرض الانتداب البريطاني، لذا كان هذا إلى حد كبير منظوراً إمبريالياً لأجل مسح الشرق الأوسط.(6)

ومع ذلك، فإن قرار آرتشي بالبقاء في المنطقة بعد نهاية الحرب كان مدفوعاً في المقام الأول باعتبار لم يذكر فيما سبق: كراهيته للشيوعية. كثيراً ما يوصف معاداة الشيوعية في أميركا في فترة الحرب الباردة بأنها نتاج للإتباعية العمياء غير العقلانية، والخوف غير المفهوم من عصر المكارثية. ولكن ما يغفله هذا التصوير هو القناعة الإيديولوجية العاقلة التي عارض بها العديد من الأميركيين أفكار وتكتيكات الحركة الشيوعية قبل فترة طويلة من ظهور السيناتور مكارثي على الساحة في عام 1950. ويشكل آرتشي روزفلت مثالاً جيداً على ذلك. فمن الممكن أن ترجع جذور معاداته للشيوعية إلى أيام دراسته في المدرسة، عندما عثر على صحيفة "ديلي ووركر" في مكتبة مدرسة جروتون "ووجد أن رسالتها عن الكراهية الطبقية تشكل افتراءً على المثل العليا لأميركا". وبعد بضع سنوات، وبعد تخرجه من جامعة هارفارد مباشرة، اكتشف آرتشي أن الشيوعيين كانوا متورطين سراً في إدارة "مؤتمر الشباب الأميركي" AYC، وهي جماعة شبابية تنشط عبر الولايات دعمتها ابنة عمه السيدة الأولى للولايات المتحدة إليانور روزفلت. ورغم أنه لم يكن ناشطاً سياسياً بطبيعته، فقد سافر آرتشي في يناير 1940 مع صديقين إلى واشنطن لحضور اجتماع لمؤتمر الشباب الأميركيين وللاحتجاج على ما اعتبره أجندة شيوعية خفية للمنظمة. وفي مقال نُشر بعد فترة وجيزة في صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون، هاجم آرتشي أولئك الذين "يتظاهرون بأنهم مدافعون عن الديمقراطية في الداخل" بينما يعملون "كأتباع للطغيان في الخارج".

كما انتقد إليانور روزفلت لإقراضها "هيبتها وبلاغتها" لقضية مؤتمر الشباب الأميركيين، ترديداً للشكوى الشائعة من مناهضي الشيوعية من أن "الليبراليين الحمقى كانوا المغفلين المفيدين للاتحاد السوفييتي" (بينما في الوقت نفسه يستحضر التنافس العائلي المستمر بين عائلتي أويستر باي روزفلت -الجمهوريين- و هايد بارك روزفلت الديموقراطيين).(7)

وعلى الرغم من تحالف الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفييتي في زمن الحرب، فإن معاداة الشيوعية عند آرتشي قد تعززت خلال الحرب العالمية الثانية، وخاصة في مراحلها الأخيرة، عندما بدأ يستشعر علامات تشير إلى أن جوزيف ستالين يعتزم توسيع الإمبراطورية السوفييتية بعد انتهاء الحرب. وقد أرعبته هذه الإحتمالية: ففي نظره، لم تكن لدى النازيين فرصة حقيقية لهزيمة الولايات المتحدة لأن جاذبية القومية الألمانية كانت محدودة بطبيعتها، ولكن الشيوعية كانت فلسفة تتجاوز الحدود القومية. ولم يكن الخطر الذي تشكله الشيوعية أعظم في مكان منه في الشرق الأوسط، حيث كانت القوى الاستعمارية مُمطّطة بشكل واضح بما يتجاوز طاقتها، على الرغم من المحاولات البريطانية لدعم إمبراطوريتها، وتجسس السوفييت على فرصة لإعادة إطلاق الدفع القيصري الروسي القديم نحو، كما قال آرتشي، "السيطرة على مضائق البوسفور والدردنيل، وإيجاد ميناء لا يتجمد في الشتاء على الخليج الفارسي". ولكن للأسف، فإن هايد-بارك روزفلت في البيت الأبيض "يبدو أنه لم يكن على إطلاع على عملية البناء السابقة للإمبراطورية الروسية".(8)

ورغم انزعاجه من نهج فرانكلين روزفلت المتهاون، فقد شعر آرتشي بالارتياح عندما أدرك أن بعض المسؤولين في الحكومة يشاركونه وجهة نظره الأكثر واقعية بشأن النوايا السوفييتية. وكان من بين هؤلاء إدوين رايت، مشرفه في مصر وعدو للسوفييت من قبل الحرب؛

وأحدهم كان السفير الأميركي في بغداد، لوي دبليو هندرسون، ضابط الخدمة الخارجية المحترف الذي خدم في السابق بتميز في موسكو، بل إنه لم يكن في العراق من الأساس إلا لأن معاداته الشديدة للشيوعية جعلته شخصًا غير مرغوب فيه في واشنطن. وبالتعاون مع مسؤولين آخرين مثل جورج كينان، القائم بالأعمال في السفارة الأميركية في موسكو وأب استراتيجية "الاحتواء" الأميركية في الحرب الباردة، شكل هؤلاء الرجال شبكة مناهضة للشيوعية متميزة داخل وزارة الخارجية ـ ومارسوا تأثيرًا فكريًا تكوينيًا على الشاب آرتشي روزفلت. ومن المثير للاهتمام أن آرتشي قضى الكثير من وقته في بغداد في التواصل الاجتماعي مع الممثل السوفييتي هناك، نيكولاي كليموف، الضابط السري في جهاز المخابرات السوفييتية NKVD (المنظمة السلف لما سيصبح الKGB). وكانت محادثاته مع الجاسوس الروسي، التي أجراها أثناء احتساء العديد من أكواب الفودكا، ودية، بل وحتى أخوية: فقد أخبر كليموف آرتشي ذات مرة أنه يذكره بأخيه الأصغر، الذي مات وهو يقاتل النازيين. ومع ذلك، فإن عداء الأميركيين للشيوعية لم يخفف بأي حال من الأحوال من خلال هذه اللقاءات؛ فقد بدا كليموف -الذي كان من الواضح أنه رجل حساس تحت مظهره الشاحب- في نظر آرتشي ضحية مثيرة للشفقة لنظام غير إنساني. وكانت مثل هذه التصورات عملة شائعة بين المناهضين للشيوعية في الخدمة الخارجية الأميركية في ذلك الوقت. على سبيل المثال، كان جورج كينان يكره الدولة السوفييتية ولكنه أحب الشعب الروسي. كما شارك آرتشي كينان في إعجابه العميق بالثقافة الروسية الراقية، فكان يقرأ دوستويفسكي وبوشكين من أجل المتعة (يقرأهم بالطبع في أصلهم الروسي وليس عن طريق الترجمة). وحتى قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، كان آرتشي روزفلت ينظر إلى العالم من خلال عدسة الحرب الباردة. (9)

عاد آرتشي إلى الوطن بعد بضعة أشهر من استسلام اليابان، في ديسمبر **1945**، لينضم إلى زوجته، **KW**، وابنهما، تويد، الذي أصبح الآن طفلاً صاخباً يبلغ من العمر أربع سنوات، لقضاء عيد الميلاد مع العائلة في نيو هامبشاير. ولم تكن مناسبة احتفالية. فبعد شمس الصحراء، وجد آرتشي محيطه الثلجي في نيو إنجلاند كئيباً، وسرعان ما بدأ هو وزوجته يتجادلان حول مستقبلهما معاً. وبعد أن كانت توقعت أن آرتشي سيتابع مسيرته الأكاديمية في الولايات المتحدة، شعرت **KW** بالانزعاج عندما علمت أنه رفض عدداً من العروض الأكاديمية (بما في ذلك دعوة شخصية من الباحث الأميركي البارز ذي الأصل العربي فيليب حتي للانضمام إليه في جامعة برينستون) وكان يفكر في العودة إلى الشرق الأوسط. وكانت تفضل كثيراً الحياة التأملية على الحياة الفاعلة، وحثت آرتشي على السير على خطى بطلها الشخصي، الشاعر تي إس إليوت، وليس على خطى بعض الساسة الأفظاظ مثل لوي هندرسون. "لا أعتقد أن مقارنتك عادلة"، رد أرتشي.

"إليوت... لا يستطيع أن يفعل شيئًا بشأن روسيا و... الأزمة القادمة باستثناء الصفير في الظلام". في انتظار الوقت المناسب (ورفض عرض عمل آخر، هذه المرة للعمل في مكتب في وزارة الخارجية تحت إشراف هندرسون مباشرة)، انتظر أرتشي مهمة من شأنها أن تجعله أقرب ما يمكن إلى المعركة القادمة مع الشيوعية.

في يناير **1946** حصل عليها، وذلك جزئياً بفضل توسط إد رايت: وظيفة أخرى كملحق عسكري للسفارة الأمريكية، هذه المرة في إيران، مسرح كشفه التأملي لمستقبله في العام السابق. ووصل إلى طهران في شهر مارس، بعد أن اتفق بشكل غامض مع زوجته **KW** على أن تنضم إليه هي والابن تويد هناك بعد ذلك بفترة ما. كان زواج آرتشي قد بدأ في الإنهيار. كانت مهمته إلى إيران بمثابة عمل من أعمال الخدمة لبلاده والهروب من حياته المنزلية كليهما معاً.(10)

طوال قرن ونصف القرن قبل وصول آرتشي إلى هناك، كانت إيران ساحة لعب في اللعبة الكبرى. وكان موقعها، مجاورتها لأفغانستان (الساحة الكلاسيكية للتنافس الأنجلو-روسي)، للهند البريطانية، ولروسيا نفسها، سبباً في هذا. وكذلك كانت احتياطياتها النفطية الهائلة، "جائزة من أرض الخيال تتجاوز أحلامنا الجامحة"، كما وصفها ونستون تشرشل في عشرينيات القرن العشرين. وبعد الثورة البلشفية، أصبح البريطانيون هم من يمسكون باليد العليا في بلاد فارس، حيث جنت شركة النفط الأنجلو-إيرانية أرباحاً طائلة من حصتها المسيطرة في صناعة النفط في البلاد. خلال الحرب العالمية الثانية، زحفت بريطانيا والاتحاد السوفييتي، اللذان أصبحا حليفين، بجيوشهما إلى إيران وأطاحا بالشاه رضا بهلوي، ظاهريًا لأنه كان يتودد إلى ألمانيا النازية ولكن في الحقيقة من أجل حماية سيطرتهما على حقول النفط في البلاد وفتح ممر لنقل إمدادات برنامج الإعارة والتأجير إلى الاتحاد السوفييتي (وهي العملية التي شهدها كيم روزفلت عندما زار طهران في عام 1944). بينما شعر الإيرانيون العاديون، ورثة حضارة عمرها آلاف السنين والتي أنتجت بعضًا من أعظم القادة والمفكرين والشعراء في تاريخ البشرية، بإحساس عميق بالإذلال الوطني وحلموا بمستقبل خالٍ من النهب الأجنبي من على أرضهم.(11)

وكما هو الحال في العالم العربي، كان يُنظر إلى الأميركيين في البداية باعتبارهم حلفاء محتملين في نضال إيران ضد الإمبريالية الغربية. أصول الولايات المتحدة تكمن في حرب التحرير الوطني من الحكم البريطاني، وقد دافع أفراد أميركيون، مثل المبشر المشيخي هوارد باسكرفيل، عن الثورة الدستورية الإيرانية في الفترة 1906-1911 ضد قوات السلالة القاجارية المدعومين من روسيا القيصرية (والخائفين من البريطانيين). كما شهد أوائل القرن العشرين زيارة العديد من البعثات الاقتصادية الأميركية للبلاد، وهي الممارسة التي

تكررت خلال الحرب العالمية الثانية. (كانت إحدى هذه البعثات هي التي وفرت لكيم روزفلت الغطاء خلال زيارته عام 1944). حتى أن أعضاءاً في إدارة فرانكلين روزفلت تحدثوا عن احتلال الحلفاء باعتباره نموذجًا للمبادئ المنصوص عليها في "الميثاق الأطلسي"، بما في ذلك حق تقرير المصير والسلامة الإقليمية للدول الصغيرة. فلا عجب إذن أن يكون هناك احتكاك بين الممثلين البريطانيين والأميركيين في طهران في زمن الحرب، تمامًا مثل الاحتكاك الذي شهدناه في القاهرة بعد وصول مكتب الخدمات الاستراتيجية.(12)

ولكن بحلول عام 1945، تخلى انزعاج الأمريكيين من البريطانيين عن مكانه لصالح القلق بشأن السوفييت. فمثلها كمثل جارتها العراق، كانت إيران تعاني من حركات انفصالية في مقاطعاتها النائية، وبدا أن السوفييت يحاولون تسخير هذه القوى المركزية الطاردة لتحقيق أغراضهم التوسعية. في الخريف، أسس القوميون الأذر الترك في مقاطعة أذربيجان الشمالية، التي كانت لا تزال تحت الاحتلال السوفييتي، حكومة شيوعية جديدة بدعم من موسكو. وفي الوقت نفسه، بدأ الأكراد في الجبال الواقعة بين أذربيجان والعراق في اتخاذ خطوات مماثلة نحو إنشاء دولتهم القومية المستقلة. فهل كانت هذه التطورات نذيراً بضم سوفييتي لإيران؟

اليوم وبالنظرة الرجعية للأمور، يبدو من الواضح أن طموحات ستالين في فترة ما بعد الحرب في إيران كانت في واقع الأمر تقتصر على حماية الحدود الجنوبية الضعيفة للاتحاد السوفييتي، وربما الحصول على امتياز نفطي في شمال البلاد مثل ذلك الذي يتمتع به البريطانيون في حقل النفط في عبادان إلى الجنوب. في الواقع، كانت موسكو مستعدة تمامًا لكبح جماح القوميين الأذربيجانيين والأكراد إذا هددوا بالانجراف وراء حماستهم الثورية. ولكن في أواخر عام 1945، كان المراقبون في واشنطن -المدينة التي أصبحت أقل ودية تجاه الاتحاد

السوفييتي منذ وفاة فرانكلين روزفلت في وقت سابق من ذلك العام- أقل ميلاً إلى منح الروس أي فضيلة للشك. "يبدو أن الاتحاد السوفييتي عازم على هدم البنية التي حافظت عليها بريطانيا العظمى حتى تتمكن القوة والنفوذ الروسي من الاجتياح ... خلال إيران حتى الوصول إلى الخليج الفارسي وإلى المحيط الهندي"، لاحظ لوي هندرسون، العامل الآن في إدارة قسم الشرق الأدنى وأفريقيا في وزارة الخارجية، في ديسمبر 1945. وبدا أن هذا التحليل تأكد في الأسبوع الأول من مارس 1946، عندما مر التاريخ المتفق عليه لانسحاب قوات الحلفاء من إيران من دون مغادرة الجيش الأحمر. قبل أسبوعين من ذلك، كانت تلقت وزارة الخارجية "البرقية الطويلة" من جورج كينان، مع تقييمها ذي جوهر من عقلية الحرب الباردة لحقيقة مصادر السلوك السوفييتي. وفي الخامس من مارس، أشار ونستون تشرشل، في سياق خطابه "الستار الحديدي" الشهير في فولتون بولاية ميسوري، إلى المخططات الروسية بشأن بلاد فارس. بمقارنة الواقع على هذه الخلفية التحليلية المسبقة، بدا أن عدم إجلاء القوات السوفييتية كان بمثابة تحقيق أسوأ التوقعات للأشخاص والمجموعات معادية الشيوعية في وزارة الخارجية. وبعد أن كانت مسرحاً للعبة الكبرى، تحولت إيران بسرعة إلى ساحة معركة لأول مواجهة بين الولايات المتحدة والسوفييت في الحرب الباردة.(13)

لاحقاً، تذكّر آرتشي روزفلت الأمر: "لقد كان ذلك بعد هذا الأسبوع الخطير مباشرة، حين هبط بي طياري البريطاني الجريء عبر سحابة كثيفة في مرجل الجيب المحاصر طهران". كان آرتشي قادرًا على مراقبة تحركات الانفصاليين في شمال غرب إيران خلال الأيام الأخيرة من منصبه السابق في العراق، وكان تقييمه للوضع هناك قاتمًا تمامًا مثل توقعات خبراء وزارة الخارجية في الشرق الأوسط. كتب لاحقًا: "بدا أن الروس على وشك تحقيق حلم عمره قرون، وهو غزو إيران.

اعتقدت أنني أستطيع بطريقة ما أن أكون جزءًا من الجهد لمنعهم".
انغمس آرتشي في المعركة، وركب على الفور رحلة إلى الشمال لمراقبة تحركات القوات السوفييتية بنفسه، على متن نفس الطائرة العسكرية الأمريكية التي حملته إلى طهران في رحلته الملهمة عن مستقبله في العام السابق. يقودها الملحق الجوي كارل جارفر، وهو طيار مقاتل متمرس يتمتع بشخصية ومظهر قويين، هبطت الطائرة إلى ارتفاع ثلاثمائة قدم، ورأى آرتشي "وجوه الجنود السوفييت الشاحبة تنظر إلينا بجانب نحو عشرين دبابة".(14)
وفي النهاية، انتهت أزمة إجلاء القوات السوفيتية بنفس السرعة التي نشأت بها، حيث وافقت القيادة السوفييتية على الانسحاب بعد بضعة أسابيع. ومع ذلك، لم تكن إيران قد خرجت من دائرة الخطر بعد. فقد ظلت أذربيجان الإيرانية تحت حكم الحكومة التي يسيطر عليها الانفصاليين الشيوعيون في مدينة تبريز، كما أسس القوميون الأكراد كيانًا مماثلاً لذلك في مدينة مهاباد. وفي الوقت نفسه، كان الحزب الشيوعي الإيراني، أو "توده"، يعمل في طهران نفسها على تقويض حكومة خليفة رضا شاه، ابنه محمد رضا بهلوي، "الشاب الضعيف البنية والشاحب" (حسب وصف آرتشي) الذي بدا غير مجهز لتحمل الضغوط الرهيبة على بلاده. ومما زاد الأمر سوءاً أن يكون رئيس الوزراء الجديد للشاه هو أحمد قوام السلطنة "الماكر" (مرة أخرى، وفقاً لتوصيف آرتشي)، وهو قومي قديم كان مستعداً لاسترضاء السوفييت إذا كان ذلك يناسب مصالحه الشخصية، ولا ساعد في الأمر أن قوام كان بدوره يتلقى المشورة من قِبَل صاحب النفوذ المهم والشخص الأكثر مراوغة، "الشرير" (مجدداً، وفقا لآرتشي) مظفر فيروز، الذي بدا أن هدفه الوحيد في الحياة هو تسليم إيران إلى الكرملين.(15)

وعلى أية حال، كان هذا هو التقييم الشخصي لأرتشي روزفلت -هو وعصبته الأمريكية مناوئة السوفييت- للموقف. بينما يميل المؤرخون الذين يكتبون اليوم، والذين لم تتوفر لديهم إمكانية الوصول إلى السجلات التاريخية إلا عقب نهاية الحرب الباردة، إلى تفضيل تفسير مغاير، تفسير كان فيه يسعى الشيوعيون الإيرانيون إلى تحقيق أجندة مختلفة إلى حد ما عن أجندة موسكو، وكان يحاول رئيس الوزراء قوام توجيه مسار وسط بين اليسار وبين اليمين، بين حزب توده وبين الشاه، لأجل الحفاظ على استقلال إيران وسلامة اقليمها. ومع ذلك، لم يكن أي من هذا التعقيد واضحًا في ذلك الوقت لأرتشي روزفلت، الذي رأى فقط تهديدًا وجوديًا لوجود إيران، وبالتالي لوجود الغرب نفسه. وتغيرت أفكاره حول السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط وفقًا لتلك الرؤية.

قبل بضع سنوات، كان قد تصور نهجًا أميركيًا مختلفًا تمامًا عن الماضي الأوروبي الإمبريالي. والآن أصبح التهديد الذي فرضته التوسعية الشيوعية من النوع الذي لم يجعل أمام الأميركيين من خيار سوى الانضمام إن لم يكن إلى فرنسا، فعلى الأقل إلى بريطانيا، سواء كان ذلك يعني دعم الموقف البريطاني في المنطقة أو (كما قال آرتشي) "القيام إلى حد ما باستبدال القوة المتلاشية للإمبراطورية البريطانية". وكل من السيناريوهين يعني أن آرتشي يتنازل عن رؤيته السابقة لنوع جديد من السياسة الغربية القائمة على التاريخ الفريد للأميركيين في التعامل غير الاستعماري مع العالمين العربي والإسلامي.(16)

ولقد تغير سلوك آرتشي أيضاً. فبينما كان قد أمضى في أفريقيا أكبر قدر ممكن من الوقت مع السكان المحليين، من بينهم العديد من الزعماء القوميين العرب في المستقبل، بدا أثناء جولته في إيران وكأنه يفضل بدلاً من ذلك رفقة زملائه الأميركيين، الذين يظهرون من صفحات سيرته الذاتية كمجموعة صغيرة من إخوة أيديولوجيين في السلاح.

وفي حين كانت لا تزال نبرة "إستنكار الذات" الساحرة حاضرة في جميع أنحاء مذكراته واضحة حتى في هذه المقاطع، فقد ظهرت نغمة جديدة من "الاستعراض الذكوري". ففي أحد المقاطع، على سبيل المثال، يصف آرتشي رحلة إلى تبريز برفقة القنصل الأميركي روبرت روسو، "أحد الرجال القلائل الذين نجحت جهودهم في وقف التوسع السوفييتي" حسب توصيف آرتشي. وبقيادة الطيار كارل جارفر، انقضت الطائرة وحلقت بالقرب فوق بعض القوات الأذربيجانية الواقفين بجانب خنادقهم. وبعد احتجازهم لفترة وجيزة في المطار من قبل مجموعة معادية من المسؤولين، حصل الأميركيون على إطلاق سراحهم عندما أشار روسو إلى أن آرتشي كان ابنًا لفرانكلين روزفلت. ثم توجهت مجموعتهم هذه إلى مطعم في تبريز برفقة بعض الرفاق البريطانيين وشربوا الشمبانيا بينما كانت فرقة أوركسترا تسليهم بالأغاني التي تعود إلى زمن الحرب، الأغاني الغربية منها. وبعد هذه المغامرة، انتُخب آرتشي عضوًا في نادي روسو الأذربيجاني. وكما أوضح في مذكراته، كان القبول يعتمد على نظام النقاط. "كانت هناك نقاط مقابل الأيام التي قضاها في أذربيجان، الساعات التي قضاها قيد الاعتقال، والتعرض لإطلاق النار عليك. وكان مطلوبًا الحصول على عشرين نقطة للعضوية، والتي يمكن الحصول عليها بضربة واحدة إذا قُتلت أثناء محاولتك الحصول عليها".(17)

كان الأمر وكأن آرتشي ينضم الآن إلى اللعبة الكبرى، فلسفيًا وعاطفيًا. إن بعض الأسباب التي أدت إلى ذلك واضحة -تربيته كمحب لإنجلترا، معاداته للشيوعية، ورغبته الروزفلتية في أن يكون أول من يخوض هذه الحرب العالمية الجديدة- ولكن هناك عامل آخر كان له دور أيضاً. ذلك أن آرتشي لم يطور قط نفس الحب للإيرانيين الذي طوره للعرب. والواقع أنهم -الايرانيين- يعانون بشدة -في مذكراته- من المقارنات

السخيفة مع العرب. ففي حين كان العرب يتمتعون ب"تقاليد ديمقراطية"، تتمثل في "المجلس، الهيئة القبلية للتداول"، كان الإيرانيون دائمًا "محكومين بواسطة خان قوي" أو "شاه مستبد"، وبالتالي لم يعرفوا "أي شيء يشبه الديمقراطية". بل وأسوأ من ذلك، أن إيران كانت -كما اعتقد آرتشي- مصدر كل الأشياء "العبودية" و"الشرقية" في الشرق الأوسط: الخِصيان، حجاب النساء، والذل أمام الحاكم - "كل الروعة الاستبدادية للشرق". وكان الدرس المستفاد في الوقت الحاضر غير سار ولكن لا مفر منه. ففي حين كان العالم العربي يتمتع بإمكانات محتملة لأجل "عمليات الدمقرطة"، إلا أن "المثاليين فقط هم الذين يأملون في حكومة ديمقراطية حقيقية في إيران".(18)

إن هذه الجمل، التي تجاهلت أدلة على الطموح الديمقراطي في تاريخ إيران مثل الثورة الدستورية في الفترة 1906-1911، قد كُتبت في ثمانينيات القرن العشرين، (مات آرتشي في سنة 1990)، أى بعد فترة وجيزة من الثورة الإيرانية في عام 1979 التي أطاحت بالشاه لصالح آية الله روح الله الخميني واحتجاز اثنين وخمسين من موظفي السفارة الأميركية في أزمة رهائن استمرت أكثر من عام. إن الصدمة الشخصية التي شعر بها آرتشي روزفلت وغضبه إزاء أحداث عام 1979 واضحة في مذكراته ـ "كيف نسمح لأنفسنا بأن نصبح ضحايا لهؤلاء المتعصبين، وأن نتحمل الإذلال المتمثل في الاستيلاء على سفارتنا ومحنة الرهائن؟" سأل آرتشي العجوز قبل هلاكه ـ ويبدو من المرجح أن روايته للتاريخ الإيراني كانت ملونة بهذه المشاعر.

وبينما كانت ردة فعله تجاه إيران بعد زيارته الأولى لها في يناير 1945 أكثر من إيجابية، وتذكر ببعض ملاحظاته عن شمال إفريقيا. كانت طهران "مكاناً رائعاً، ... مدينة حديثة ذات شوارع واسعة"

محاطة "بسلسلة جبال جميلة". ولكن بعد مرور عام، ومع بدء الحرب الباردة، كانت انطباعات آرتشي عن عودته إلى البلاد لتولي منصب الملحق العسكري، كما سجلها في مذكراته الشخصية، أقل إيجابية بكثير، وأكثر انسجاماً مع مزاجه في سيرته الذاتية. وعند الفحص الدقيق منه، تبين أن حداثة المدينة سطحية. فقد اكتسبت الشوارع مظهراً روسياً؛ وكان الطعام سيئاً والفنادق رديئة؛ وحتى قصر الشاه كان مخيباً للآمال، حيث كانت العديد من الجواهر على عرش الطاووس الأسطوري إما مصنوعة من المعجون أو مفقودة تماماً. وكانت مثل هذه العلامات على الخراب، والتي كانت مصدر سحر لآرتشي حين كان في بغداد، تنفره الآن.

والأكثر أهمية أنه رأى أن الإيرانيين يفتقرون إلى الصفات الشخصية الجذابة التي كان قد لمحها في عرب شمال أفريقيا. بل إن بعضهم كانوا يتمتعون بصفات ينسبها إليهم عادة المستشرقون الأوروبيون. مثلاً: وصف آرتشي شخصية المستشار "الخبيث" مظفر فيروز -مستشار رئيس الوزراء الإيراني قوام- بصفات تجرده من إنسانيته بشكل حرفي: فقد كان له "وجه ثعلب وحركات ثعبان".

خليطاً بين أزمة الحرب الباردة وبين الاستشراق الكلاسيكي كان سبباً في جعل آرتشي روزفلت يرى الإيرانيين ليس كفاعلين تاريخيين في شؤونهم الخاصة -ومستحقين للدعم الأميركي في نضالاتهم ضد الطغيان المحلي والتدخل الأجنبي- بل باعتبارهم مجرد بيادق في نسخة المحاكاة الجديدة من اللعبة الكبرى، السوفييتية-الأميركية الآن.(19)

(من المترجم :- لكن بيادق مغايرين في طبيعتهم لطبيعة البيادق العربية الأطوع تحت الغربي والأكثر ليناً وضعفاً.)

انتهت مهمة آرتشي في إيران في فبراير 1947. وبحلول ذلك الوقت، كانت قد انهارت الحكومات الانفصالية في تبريز ومهاباد، حيث استعاد

جيش الشاه شمال البلاد (في أذربيجان الإيرانية، كان يتقدم على مسير القوات الإيرانية مراسلان أمريكيان متحمسان لرؤية مذبحة متوقعة، جوزيف جودوين وكليفتون دانييل، يقودان سيارة الأركان الخاصة بآرتشي ذاتها). وراقبت موسكو بلا مبالاة كيف تم سحق الحركات القومية الانفصالية الأذربيجانية والكردية بوحشية. وفي الوقت نفسه، دفعت الضغوط الأمريكية على رئيس الوزراء قوام إلى التخلص من مستشاره فيروز وتطهير حكومته من الأعضاء الشيوعيين. وفي ديسمبر 1947، قام الشاه بطرد قوام نفسه، وأنبأ مصير قوام بالمصير القادم لمحمد مصدق بعد بضع سنوات. وبالتالي، بحلول عام 1947، كانت الولايات المتحدة تتحرك بالفعل نحو دعم الحكم القمعي للشاه والابتعاد عن المبادئ المثالية التي ادعت سعيها لدعمها في إيران في وقت سابق.

ورغم أن آرتشي عاد إلى الولايات المتحدة وهو يشعر بأنه فعل واجبه، فإنه لم يخلو من بعض الندم. فقبل وقت قصير من مغادرته إيران، في يناير 1947، علم أن قاضي محمد، قاضي مسلم متعلم جيدا والذي ساعد في تأسيس حكومة الجمهورية الكردية الانفصالية في مهاباد، كان على وشك أن يُعدم، مع شقيق له. وهرع آرتشي إلى السفارة، وتوسل إلى السفير الأميركي الجديد، جورج في. ألين، للتوسط لدى الشاه نيابة عن القاضيين، موضحاً أنهما (كما استذكر هذا السفير لاحقاً) قوميان أكراد تعاونا مع السوفييت "فقط لأن موسكو وحدها أبدت اهتمامها بدعم الأكراد". وبعد أن مازح آرتشي بأنه مهتم بمصير القاضيين خاصة لأنه يخشى انقراض اللغة الكردية -إحدى اللغات العديدة التي يتقنها آرتشي- وافق آلين على إثارة الأمر مع الشاه. ولكن عندما بدأ في القيام بذلك خلال لقاء في القصر في وقت لاحق من ذلك اليوم، أوقفه الشاه. "هل أنت خائف من أنني سآمر بإعدامهم رمياً بالرصاص؟" سأل الشاه ألين. "إذا كان الأمر كذلك، يمكنك أن تطمئن،

فأنا لن أفعل هذا". أعرب ألين عن ارتياحه وغادر، فقط ليقرأ في صحف اليوم التالي أن القاضيين قد أعدما للتو، بناءً على أوامر الشاه. واستنتج آرتشي بمرارة، الذي يختتم القسم من مذكراته عن وقته في إيران بتلك الحادثة، أن الأمر بالإعدام لابد وأنه صدر "بمجرد أن أغلق سفيرنا الباب خلفه".

وتحتوي المسودة الأصلية المكتوبة بخط اليد لهذا المقطع، والتي تم تضمينها بين أوراق آرتشي في مكتبة الكونجرس، على تعليق ختامي حول الشاه محمد رضا لم يجد طريقه إلى النسخة المنشورة بالفعل من المذكرات. يقول فيها: "لم أكن أبدًا من معجبيه. ومع ذلك، لم يستحق هو ولا إيران مصيرهما البائس".(20)

الفصل الخامس:

صهيون

بعد أن رأى بنفسه أول مواجهة سوفييتية-أميركية بعد الحرب العالمية الثانية في إيران، عاد آرتشي روزفلت إلى واشنطن في الوقت المناسب ليشهد إعلان الحكومة الأميركية رسمياً قيام الحرب الباردة.
في مارس 1947، وبدافع من الأخبار التي تفيد بأن بريطانيا الفقيرة لم تعد قادرة على دعم الحكومات غير الشيوعية المترنحة في اليونان وتركيا، أخبر الرئيس هاري ترومان الكونجرس أن الولايات المتحدة ستقدم من الآن فصاعداً المساعدات لأي دولة مهددة بالاستيلاء الشيوعي عليها. وبعد بضعة أشهر من الإعلان عن "مبدأ ترومان"، استخدم وزير الخارجية الجديد جورج سي مارشال حفل التخرج في يونيو في جامعة هارفارد كمناسبة لوضع الخطوط العريضة لما أصبح يُعرف قريباً ب"خطة مارشال"، وهي حزمة مساعدات بمليارات الدولارات مصممة لدعم الاقتصادات الأوروبية المدمرة بسبب الحرب ضد الشيوعية. الإجماع المناهض للشيوعية الذي كان في السابق محصوراً في دائرة داخلية من كبار المسؤولين في السياسة الخارجية انتشر الآن إلى الحكومة بأكملها.
ولكن هذا لا يعني أن الجو في واشنطن كان إجماعاً تاماً بنسبة 100%. فقد كان هناك خلافان اثنان على وجه الخصوص خضّوا المؤسسة السياسية في البلاد. وكان أحد هذه الخلافات يتعلق بمستقبل

الاستخبارات الأجنبية في أميركا. في الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، بدأ رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية بيل دونوفان في الضغط على البيت الأبيض لإنشاء وكالة استخبارات مدنية دائمة لمساعدة الولايات المتحدة على التعامل مع دورها المتوسع بشكل كبير في الشؤون العالمية. كان الرئيس فرانكلين روزفلت ذو التفكير الأممي متعاطف مع الفكرة، لكنه كان يدرك أيضًا أن العديد من الأميركيين لن يبالوا بالاقتراح، رافضينه كما فعلوا عن الحكومة الكبيرة والمكائد السياسية في العالم القديم، لذلك تجنب إعطاء دونوفان ردًا واضحًا. غير متراجع، سيواصل وايلد بيل (بيل الوحشي) متابعة الاقتراح مع هاري ترومان، فقط ليجد الرئيس الجديد يعارضه بشدة على أساس أنه لا يريد أن يكون له يد في "بناء جستابو". تم إنهاء مكتب الخدمات الاستراتيجية في الأول من أكتوبر 1945، وتم نقل فرع البحث والتحليل التابع له إلى وزارة الخارجية، وذهبت معظم أقسامه الأخرى إلى الجيش. بدا أن أمريكا في زمن السلم لن تكون مكانًا للجواسيس.(1)

ولكن الأمر لم يتوقف هنا. ففي مواجهة البيئة المهددة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، قرر الرئيس ترومان أنه يحتاج إلى نوع ما من أجهزة الاستخبارات، وفي يناير 1946 أنشأ مجموعة الاستخبارات المركزية CIG المؤقتة تحت الاختبار. وفي غضون ذلك، واصل دونوفان حملته بدعم من ضباط آخرين سابقين في مكتب الخدمات الاستراتيجية، مثل آلن دالاس، نائبه في المسرح الأوروبي في زمن الحرب، والذي يعمل الآن كمحامي في وول ستريت. وكان دالاس، خريج برينستون، ابن قسيس مشيخي وحفيد وزير خارجية، عضواً بارزاً في مؤسسة السياسة الخارجية الجمهورية. ومن بين أصدقاء عائلته عائلة أويستر باي روزفلت؛ والواقع أن أبناء دالاس كانوا قد ذهبوا إلى مدرسة صغيرة يديرها والدا أرتشي روزفلت، لذا فقد كان

يعرف ابني العم أرتشي وكيم منذ طفولتهما. وعلى الرغم من أن دالاس وحلفائه صاغوا حججهم لإنشاء جهاز استخبارات سري في زمن السلم بلغة الضرورة السياسية والبيروقراطية، فإن الأمر الأكثر إثارة للدهشة في عروضهم هو استحضارهم لروح التضحية بالنفس في الخدمة العامة ـ والامتياز الذكوري الأرستقراطي ـ التي تبنتها مؤسسات على الساحل الشرقي حصرية الدخول اليها مثل مدرسة جروتون. وقد أوضح دالاس في كلمات كان من الممكن أن ينطق بها إنديكوت بيبودي قائلاً: "من أجل إنشاء وكالة استخبارات مركزية فعّالة، يتعين علينا أن نوظف في المناصب الرئيسية منها رجالاً مستعدين لجعل هذا العمل عملهم مدى الحياة. ويتعين على الوكالة أن تديرها مجموعة صغيرة نسبياً ولكنها نخبوية من الرجال الذين لابد وأن يجدوا مكافأتهم ـ في المقام الأول ـ في العمل نفسه، وفي الخدمة التي يقدمونها لحكومتهم، وليس في الإشادة العامة بهم".(2)

واجهت حملة دونوفان ودالاس، والتي تلقت مساعدة قيمة من مستعرب مكتب الخدمات الاستراتيجية بيل ايدي في منصبه بعد الحرب كرئيس للاستخبارات في وزارة الخارجية، قدراً كبيراً من المقاومة، سواء من جانب أولئك الذين اعترضوا على الوكالة المقترحة من حيث المبدأ باعتبارها "غير أميركية"، أو من جانب المنافسين المؤسسيين مثل مكتب التحقيقات الفيدرالي الذي كان يرأسه ج. إدغار هوفر منذ تأسيسه قبل أكثر من 20 سنة. ومع ذلك، بحلول يوليو 1947، كانت أجواء الأزمة الدولية على هذا النحو الذي جعل الكونجرس مستعداً لتجاهل مخاوفه بشأن الاستبداد التنفيذي والموافقة على قانون الأمن القومي، مُحوّلاً مجموعة CIG إلى جهاز استخبارات سري مركزي ومستقل التكوين، وكالة الاستخبارات المركزية الCIA، وأيضا خلق الكثير من بقية وكالات دولة الأمن القومي الأميركية الحديثة. وفشل "الإستخباراتيون الإصلاحيون" في إبعاد الوكالة الجديدة بشكل كامل

عن سيطرة العسكر عليها، حيث سيشغل منصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية عدد من الأدميرالات والجنرالات حتى عام 1953(بدء إدارة الجمهوري أيزنهاور)، عندما تولى منصب مدير الوكالة آلان دالاس في نهاية المطاف، والذي كان المرشح المفضل دائماً لهؤلاء الإصلاحيين لهذا المنصب. ولكن في كل الجوانب الأخرى تقريبًا، كان الإصلاحيون قد انتصروا.

أما الجدل الآخر الذي كان يزعج واشنطن في وقت عودة آرتشي إليها في عام 1947 فقد ثبت أنه أقل قابلية للحل السريع. وكان أكثر إثارة للعواطف حتى من المناقشة حول وجوبية جهاز الاستخبارات الأمريكي، وكان له أيضًا تاريخ أقدم وأكثر تعقيدًا.

تقليديا، حاول المسؤولون الأميركيون تجاهل الصراع المتنامي بين السكان العرب في فلسطين وبين المهاجرين اليهود الذين اجتذبهم الحلم الصهيوني بوطن قومي. كان البريطانيون مسؤولين هناك، وفقًا لشروط تفويض عصبة الأمم لعام 1922، لذا كانت هذه هى مشكلتهم هم التي يتعين عليهم هم حلها. ولكن بحلول وقت الحرب العالمية الثانية، لم يعد هذا النهج المتباعد قابلاً للتطبيق. كانت بدأت ثورة عربية ثانية، هذه المرة موجهة ضد الحكم البريطاني وليس العثماني، في عام 1936، مما أدى إلى سلسلة من الاشتباكات العنيفة بين الفلسطينيين وبين المستوطنين اليهود. وفي الوقت نفسه، كان الدعم للمشروع الصهيوني ينمو داخل الولايات المتحدة بين اليهود الأميركيين الذين رأوا دولة جديدة في فلسطين كملاذ محتمل لليهود الأوروبيين الذين يحاولون الفرار من الاضطهاد النازي وينمو أيضا الدعم بين المسيحيين الذين اعتقدوا أن عودة اليهود إلى الأرض المقدسة كانت تحقيقًا لنبوءة إنجيلية. ولقد سارعت الحركة الصهيونية، التي ازدادت قيادتها تطرفاً نتيجة للتطورات التي شهدتها فلسطين وأوروبا، إلى التحرك على هذا

النحو من التعاطف العام، فقامت بنشر الإعلانات في الصحف وممارسة حملات الضغط على الكونجرس، الذي أصبح العديد من أعضائه من المؤيدين النشطين للصهيونية. وكما هي عادته، فقد استمع روزفلت إلى الزعماء الصهاينة بصدر رحب في حين تجنب تقديم أي التزامات محددة، ولكن حتى هو نفسه بدأ يجد صعوبة في عدم اتخاذ موقف بشأن هذه القضية.

أحد الأسباب التي أدت إلى إحجام فرانكلين روزفلت عن إلزام نفسه بدعم الحركة الصهيونية هو النصيحة التي تلقاها البيت الأبيض من المتخصصين في منطقة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية، والذين نصحوا، كلهم تقريبًا، بعدم دعم الولايات المتحدة لدولة يهودية. وكانت ظاهرة معاداة الصهيونية في خدمة وزارة الخارجية الأميركية، ولا تزال، مثيرة للجدل إلى حد كبير. على سبيل المثال، تعرض لوي هندرسون، المناهض الشرس للشيوعية الذي تولى إدارة قسم الشرق الأدنى بوزارة الخارجية بعد الحرب، لإدانة شديدة في ذلك الوقت بسبب معارضته الواسعة النطاق للصهيونية ـ حتى أن أحد أعضاء الكونجرس من منطقة ذات كثافة سكانية يهودية في مدينة نيويورك، إيمانويل سيلر، وصفه بأنه "مخرب يرتدي سروالاً مخططاً تحت ملابسه" (اى يلمّح الى انه نازي متخفي) ـ وكثيراً ما اتهم هندرسون منذ ذلك الحين بأنه كان مدفوعاً بمعاداة السامية.(3)

في حالة هندرسون، ربما تكون هذه التهمة الأخيرة غير عادلة، على الأقل بمعنى أن العاطفة السائدة لديه عند إدارة مكتب الشرق الأدنى كانت هي نفسها التي كانت عليه أثناء مناصبه السابقة كـ"متخصص في الشؤون السوفييتية" في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي، وهي: كراهيته للشيوعية. وكان يخشى أن يؤدي الدعم الأميركي لإنشاء دولة صهيونية في فلسطين إلى فتح الشرق الأوسط أمام النفوذ السوفييتي من خلال تحويل أغلبية سكانه العرب ضد الولايات المتحدة.

ولقد أثار استياءه أيضا حقيقة أن العديد من الزعماء الصهاينة كانوا يأتون من خلفيات اشتراكية، الأمر الذي زرع الشكوك فيه في أن الأمة اليهودية القادمة سوف تنجذب بطبيعة الحال نحو موسكو أكثر من انجذابها نحو واشنطن. وبالتالي فإنه بالنسبة لرأي لوي هندرسون، فإن المناقشة حول الدعم الأميركي لإنشاء دولة يهودية كانت في الأساس تدور حول مسألة استراتيجية الحرب الباردة ضد السوفييت.(4)

ولكن مع ذلك، فمن المؤكد أن العوامل الثقافية والاجتماعية لعبت دوراً في افتقار موظفي وزارة الخارجية الأميركية إلى التعاطف مع الصهيونية. فمثلها كمثل أغلب المؤسسات الأميركية النخبوية قبل الحرب العالمية الثانية، كانت وزارة الخارجية ومكتبها في الشرق الأدنى يسودهما جو كونها نادي من أندية الواسب الWASP، الانجلو-ساكسونيين البيض البروتستانت، ولم يكن هذا الجو ودوداً تجاه اليهود بالتحديد، وخلال الحرب ذاتها، فشل موظفي خدمة وزارة الخارجية إلى حد كبير في تقدير التأثير التحويلي الذي خلفته المحرقة النازية على مواقف اليهود تجاه مسألة الوطن القومي. حتى وإن لم يكونوا معادين للسامية في واقع الأمر، فإنهم كانوا على الأقل مذنبين بفشل خطير في الخيال. وكان هناك أيضاً تلميح واضح إلى الغطرسة الأرستقراطية في استجابة هؤلاء البيروقراطيين الى الضغوط الديمقراطية -ضغوط اللوبيات- على الحكومة التي كانت الحركة الصهيونية تحشدها. وكانوا يعتقدون أن السياسة الخارجية الأميركية ينبغي أن تُترك لموظفي الخدمة المدنيين المدربين مثلهم، وليس لأهواء الرأي العام.

أيا كانت أصولها، فإن معاداة الصهيونية التي كانت تبنتها مؤسسة السياسة الخارجية "العلنية"/"الرسمية" إبان السنوات الأولى من الحرب الباردة معروفة للجميع، ولكن الذي لم يحظى بقدر أكبر من

التقدير كانت المعارضة لإنشاء دولة يهودية من جانب الأفراد المسؤولين عن إنشاء الجهاز الإستخباراتي "السري" للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، أولاً مكتب الخدمات الاستراتيجية الذي أسسه بيل دونوفان، ثم وكالة الاستخبارات المركزية ـ رجال مثل رئيس كيم روزفلت في خدمته في القاهرة، ستيفن بينروز، رئيس محطة مكتب الخدمات الاستراتيجية في القاهرة. وتكشف الوثائق الموجودة بين أوراق بينروز الشخصية عن انخراطه في مجموعة متنوعة من الأنشطة المعادية للصهيونية في نفس الوقت الذي بدأ فيه مهامه الرسمية مع مكتب الخدمات الاستراتيجية. ففي عام 1942، نظم الصهيوني المتشدد بيتر بيرجسون حملة لحشد الدعم الأميركي لإنشاء "جيش يهودي" للقتال في أوروبا إلى جانب قوات الحلفاء. وكان بينروز يشتبه في أن اقتراح بيرجسون كان خدعة لتمهيد الطريق لإنشاء دولة يهودية بعد الحرب، عندما كان من المرجح أيضاً أن يستخدم الجيش المزعوم لسحق المقاومة العربية للصهيونية. وبعد أن كان اشترى بيرجسون إعلاناً من صفحتين لحملته في صحيفة نيويورك تايمز يتضمن عريضة موقعة من قائمة كبيرة من المواطنين الأميركيين البارزين، كتب بينروز إلى ثمانية من الموقعين الذين ينتمون إلى ولاية واشنطن مسقط رأسه، يحثهم على سحب دعمهم. وقد استجاب الجميع باستثناء واحد.

وفي وقت مبكر من العام التالي، عندما علم أن الحاخام جيمس جي. هيلر، الرئيس الصهيوني للمؤتمر المركزي للحاخامات الأميركيين، كان يدافع أيضًا عن فكرة الجيش اليهودي، صعّد بينروز من هجومه المضاد، وحصل على رسائل من الموقعين على عريضة بيرجسون تفيد بتكون معارضة جديدة عندهم لهذا الاقتراح، ومارس الضغط على أعضاء الكونجرس الذين اعتقد أنهم قد يتقبلون رسالته المناهضة للصهيونية، بل واتصل بوزارة الخارجية لمناقشة خطط الحاخام هيلر

للسفر إلى فلسطين، ربما بهدف وضع بعض العقبات البيروقراطية في طريقه. وعلى الرغم من أنه بذل قصارى جهده لتوضيح أنه كان يتصرف بصفته الخاصة وليس الرسمية، فقد أشار بينروز أيضًا إلى أن زملائه في مكتب الخدمات الاستراتيجية يتشاركون معه في آرائه. وقال لصديق مناهض للصهيونية: "هناك بعض الأشياء القوية جدًا التي تختمر في حركة معارضة الصهيونية". "على الرغم من أنني أحد الطهاة الرئيسيين، فلن أظهر في غرفة الطعام."(5)

كانت هناك لمسة عاطفية في تصريحات بينروز حول الصهيونية تثير التساؤل حول ما إذا كان هناك تحيز عميق ربما كان له دور. ومع ذلك، لا تحتوي أي من أوراقه على أي دليل قاطع على معاداة السامية، في حين تشير سجلات أخرى إلى أنه تعاون على نطاق واسع مع السلطة اليهودية قبل إعلان دولة إسرائيل، الوكالة اليهودية، عندما كان في القاهرة. (وشاركت الوكالة هى الأخرى بعض اعتراضات بينروز على أنشطة بيتر بيرجسون في الولايات المتحدة.)

ومثله كمثل الخبير في الشؤون السوفييتية هندرسون، ربما كانت معاداة بينروز للصهيونية مدفوعة في المقام الأول بالتزام فكري وعاطفي مسبق. وبصفته مدرسًا في الجامعة الأمريكية في بيروت من أصل تبشيري وتربوي سابق، كان بينروز قلقًا للغاية بشأن أمن العرب الفلسطينيين وبشأن تقاليد الصداقة الأمريكية-العربية التي نشأت منذ القرن التاسع عشر، وهما السببان اللذان خشي أن يتضررا من دعم الولايات المتحدة لدولة يهودية في فلسطين. (ومثله مثل غيره من المستعربين، فقد كان بينروز يخشى أيضاً -وبصدق على ما يبدو- على مستقبل المستوطنين اليهود أنفسهم، معتقداً أنهم سوف يُبادون في نهاية المطاف على يد جيرانهم العرب المتفوقين عددياً). ولا شك أن معاداة بينروز للصهيونية تعززت بحقيقة مفادها أنه، مثل نظرائه في المنطقة في وزارة الخارجية، كان يتحرك في الغالب في دوائر وظيفية

لا يوجد فيها سوى عدد قليل من اليهود، إن وجدوا من الأصل. ومع ذلك، لا يوجد سبب لعدم تصديق الادعاء الذي أدلى به صراحةً لزملائه المناهضين للصهيونية بأن معارضته للدولة اليهودية في فلسطين كانت مدفوعة بمخاوف بشأن عواقبها المحتملة على الفلسطينيين العرب وعلى العلاقات الأميركية-العربية وليس بسبب كراهيته للصهيونية في حد ذاتها.(6)
وبالإضافة إلى الإشارة إلى التكاليف الاستراتيجية والإنسانية المحتملة المترتبة على قيام الدولة اليهودية، فقد قام المناهضون للصهيونية في وزارة الخارجية ومكتب الخدمات الاستراتيجية بالمناشدة بشكل مباشر الى الأرباح المادية. فقد اكتسبت صناعة النفط في المملكة العربية السعودية، التي اقتحمتها الشركات الأميركية لأول مرة في عام 1933 بمساعدة المستعرب البريطاني المارق جاك فيلبي، بحلول وقت الحرب العالمية الثانية أهمية هائلة في أذهان ليس فقط رجال تجارة النفط الأميركيين بل وأيضاً أذهان مخططي الأمن القومي في واشنطن. وكانت الولايات المتحدة لا تزال تمتلك احتياطيات هائلة من النفط، ولكنها كانت تستنفد بسرعة بسبب المجهود الحربي، وكان الخبراء قد توقعوا بالفعل أن احتياجات البلاد من الطاقة بعد الحرب سوف تتجاوز قدرتها على توفيرها. ومع تخطيط قوى المحور الواضح لاستراتيجية عسكرية تضمن لها محاولة الوصول إلى حقول النفط الأجنبية، وتشديد البريطانيين والروس قبضتهم على إيران، ركزت إدارة روزفلت انتباهها على إبقاء النفط السعودي - "أعظم جائزة في التاريخ"، كما وصفها أحد المحللين في وزارة الخارجية في عام 1943 - في قبضة الولايات المتحدة. ولتحقيق هذا الهدف الحيوي، كان من الضروري الحفاظ على حسن ظن الملك السعودي عبد العزيز آل سعود، المحارب المسن لكن الذي ما يزال مخيفاً حتى في شيخوخته، والذي أنشأ مملكته الصحراوية بقتل كل المنافسين المحتملين لحكمه أو طردهم من شبه الجزيرة

العربية. وباعتباره -كما يزعم عن نفسه- زعيماً للعالم العربي -وكان يحتقر الادعاءات المماثلة التي أطلقها حكام مملكتي العراق وشرق الأردن من الهاشميين المدعومين بريطانياً. كان ابن سعود يعارض الصهيونية بشدة ويتشكك في النوايا الأميركية لفلسطين.(7)

وللتعامل مع هذه الشخصية الهائلة، لجأت واشنطن إلى المستعربين، بما في ذلك اثنان من الشخصيات الرئيسية المشاركة في جهود مكتب الخدمات الاستراتيجية لبناء وجود تجسسي أميركي في العالم العربي: هارولد هوسكينز الذي كان قد اختير لقيادة البعثة رقم 90 في عام 1942، وابن عمه بيل إيدي. كان قد عاد هوسكينز من مهمته المثيرة للجدل إلى الشرق الأوسط في ربيع عام 1943 ليبلغ عن أن "الحقيقة الأكثر أهمية والأكثر خطورة" التي اكتشفها أثناء أسفاره كانت خطر "تجدد اندلاع القتال بين العرب واليهود في فلسطين قبل أن تنتهي الحرب". ورغم أن فرانكلين روزفلت لم يتصرف بناء على توصية هوسكينز التي توصي بوجوب أن تعلن الولايات المتحدة وقفاً لنشاط العمليات في قضية فلسطين إلى ما بعد انتهاء الحرب - وهي الحيلة التي كانت تهدف إلى إبطاء الزخم الذي كانت الحركة الصهيونية تكتسبه في أميركا - فقد استعان الرئيس بخدمات هوسكينز مرة أخرى في صيف عام 1943، وهذه المرة في مهمة لاستطلاع رأي الملك عبد العزيز بن سعود بشأن إمكانية دخوله في محادثات سلام سرية مع الزعيم الصهيوني المعتدل حاييم وايزمان. ولكن الخطة ذكّرت الحاكم السعودي بمخطط مماثل تورط فيه وايزمان عن طريق عرض قدمه له مستشاره المتطفل جاك فيلبي قبل بضع سنوات بعشرين مليون جنيه إسترليني في صورة أموال للتنمية، وهو الاقتراح الذي رفضه بغضب باعتباره محاولة للرشوة. وعلى الرغم من أن هوسكينز لم يحقق أي تقدم بنّاء فيما يتصل بفلسطين ذاتها، إلا أنه كان على وفاق تام مع ابن سعود،

وعاد المستعرب إلى واشنطن مقتنعاً بـ "صدق الملك الجوهري وإخلاصه الديني العميق"، كما قال لفرانكلين روزفلت خلال اجتماع دام ساعة ونصف الساعة في البيت الأبيض. كما استخدم هوسكينز فرصة لقائه بالرئيس لإعادة التأكيد على وجهة النظر المناهضة للصهيونية "بأن إنشاء دولة يهودية في فلسطين لا يمكن فرضه ... و الحفاظ عليه الا عن طريق القوة" - بعبارة أخرى، إذا نجح الصهاينة فعلا في تأسيس دولة ما لهم، فهذا سيدفع واشنطن إلى إرسال قوات عسكرية أميركية إلى الشرق الأوسط.(8)

وبينما ساعد هارولد هوسكينز في بدء التحالف الأميركي مع ابن سعود - عن طريق احراز نقاط ضد الصهاينة خلال قيامه بذلك - كان ويليام إيدي هو الذي نجح في تثبيت التحالف. وقد عُيِّن إيدي في المملكة العربية السعودية بعد عودته من جولته المنتصرة في شمال أفريقيا الفرنسي في عام 1943، أولاً كمبعوث إقليمي متجول لفرانكلين روزفلت، ثم في الدور المثير للإعجاب مجرد نطقه ك"مبعوث فوق العادة ووزير مفوض"، ومكلفاً على وجه التحديد بكسب ثقة ابن سعود. وقد أثبت إيدي فاعليته في هذه المهمة، حيث رافق الملك وهو يتقدم في المناطق النائية من شبه الجزيرة العربية، بل وحتى أنه نام في الخيمة الملكية ذاتها. وساعد في الأمر أن وجهات نظر الرجلين بشأن قضايا مثل الصراع الفلسطيني كانت متطابقة تماماً. والواقع أنه كان من الصعب أن نحدد ما إذا كان إيدي في رسائله إلى واشنطن ينقل آراء ابن سعود فحسب أم هو يدافع عنها.

وفي الوقت نفسه، ومع بدء تدفق ملايين الدولارات من برنامج الإقراض والتأجير إلى المملكة العربية السعودية بعد أن أعلن فرانكلين روزفلت أن البلاد ذات أهمية استراتيجية حيوية للولايات المتحدة في عام 1943، نما الوجود الأميركي هناك بشكل مطرد. وفي مدينة

الظهران النفطية، قام اتحاد الشركات الأميركية الذي تشكل مؤخراً، شركة النفط العربية الأميركية (أرامكو ARAMCO)، ببناء مجمع للشركة، معسكر أميركي، والذي اشتبه على زواره كونه ضاحية من ضواحي كاليفورنيا. وسرعان ما تبع ذلك بناء مطار أميركي مجاور، تفاوض عليه إيدي، مما وفر للولايات المتحدة قاعدة عسكرية استراتيجية حيوية على الخليج الفارسي.

وبلغت ذروة الخطوبة الأمريكية-السعودية في فبراير 1945، عندما استضاف روزفلت المريض الموشك على الهلاك حفل استقبال على شرف ابن سعود (في طريق عودة روزفلت من مؤتمر يالطا، وعلى متن الطرّاد الأميركي كوينسي USS Quincy -السفينة الحربية ذات ال13 ألف طن، والتي دخلت الخدمة في ديسمبر 1943 فقط-، وأثناء وجود الطرّاد في البحيرة المُرّة الكبرى في قناة السويس) حيث تولى إيدي الدور الرمزي المناسب له كمترجم.

لقد كان اللقاء، الذي أقيم بفرش خيام بدوية وسجاد فارسي على سطح السفينة الحربية الأميركية، لقاءاً ذي خصائص بعيدة الاحتمال، بل وحتى سريالية، وقد فوجئ الرئيس الأميركي عندما وجد أن سحره الشهير قد فشل في إقناع الملك بالتخلي عن كراهيته للصهيونية. ولكن في كل النواحي الأخرى، كان المؤتمر ناجحاً بجنون، حيث عزز اللقاء "العلاقة الخاصة" الجديدة بين الولايات المتحدة وبين السعودية، تماماً كما نجح اللقاء البارد نسبياً بين ونستون تشرشل وابن سعود بعد ذلك بفترة وجيزة في إظهار النفوذ البريطاني المتلاشي شيئاً فشيئاً على الساحة العربية.

وبالنسبة لإيدي، كانت تلك لحظة سعيدة للغاية، وتقارباً بين الحضارتين اللتين حاول أن يربط بينهما طيلة حياته، وبداية تحالف روحي جديد بين المسيحية والإسلام يعود بجذوره إلى التحالف الذي شكل قبل قرون أثناء الحروب الصليبية بواسطة ريتشارد قلب الأسد وصلاح الدين.(9)

ولكن الحملة العروبية ومعادية الصهيونية كانت على وشك أن تعاني من انتكاسة كارثية. فقد جلب موت فرانكلين روزفلت إلى البيت الأبيض رجلاً كان لديه تعاطف طبيعي أقوى مع الصهيونية من سلفه ـ وهو إرث يرجع جزئياً إلى نشأته المعمدانية ـ وأيضا مهارة أقل في التوفيق بين المواقف السياسية المتضاربة. ومع بدء استيعاب الجمهور الأميركي للرعب الكامل الذي خلفته المحرقة النازية، ازدادت صهيونية المجتمع اليهودي-الأميركي، وخاصة بين قواعدها الشعبية ذات الأصول الأوروبية الشرقية، شاملا معهم عدداً من المتعاطفين من غير اليهود. ونظراً للقلة النسبية لعدد الأميركيين من الأصل العربي بالمقارنة بالسابقين، فإن الحساب العددي وحده يشير إلى أنه من المنطقي سياسياً أن يدعم الممثلون المنتخبون الدعوات الصهيونية إلى رفع القيود البريطانية على الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإنشاء دولة يهودية. وأشار ترومان إلى ذلك بقوله: "يتعين علي أن أستجيب لمئات الآلاف من الناس الذين يتوقون إلى نجاح الصهيونية". "ليس لدي مئات الآلاف من العرب بين قواعدي الإنتخابية."(10)

وفي مواجهة ما اعتبروه صورة محلية مقلقة على نحو متزايد، كافح المستعربون في خدمة وزارة الخارجية، برز من بينهم إيدي، لإقناع ترومان بعدم الاستسلام للمطالب الصهيونية. فبالإضافة إلى تكرار حجة هندرسون القائلة بأن دعم الولايات المتحدة لدولة يهودية قد يدفع العرب إلى أحضان الاتحاد السوفييتي، ركز إيدي والآخرون على معاداة ابن سعود للصهيونية، محذرين من أن المملكة العربية السعودية قد تلغي امتياز النفط لشركة أرامكو إذا اتخذت الولايات المتحدة موقفاً صهيونيا بشأن فلسطين. ورغم استعداده للخضوع لنصيحة مستشاري السياسة الخارجية الذين ورثهم من روزفلت بشأن مسائل أخرى، إلا أن ترومان لم يكن معجباً بهذه التقديرات. فقد كان فريقه في البيت الأبيض من المؤيدين للصهيونية يخبرونه بأن بيت آل سعود يحتاج إلى الدعم

الأميركي بقدر ما يحتاج الأميركيون إلى النفط السعودي، وكان النهج المتكلف والوعظي الذي يتبناه "فتيان السراويل المخططة" من "حي فوغي بوتوم" (مقر مبنى وزارة الخارجية) يثير حفيظة الرئيس الصريح غير المراوغ. ومع اقتراب موعد الانتخابات التشريعية في خريف عام 1946، اختار ترومان عشية عيد "يوم الغفران" اليهودي، الرابع من أكتوبر، ليعلن دعمه العلني لفكرة الدولة اليهودية في فلسطين، ليكون بذلك أول رئيس أميركي يفعل ذلك على الإطلاق.(11)

وفي الوقت نفسه، كان الوضع في فلسطين نفسها يتدهور بسرعة. وقد أدت الهجمات الإرهابية التي شنتها الجماعات اليهودية على أهداف بريطانية إلى تسريع قرار لندن بتسليم سلطتها في فلسطين للأمم المتحدة، مع تحديد مايو 1948 موعداً للانسحاب البريطاني النهائي. وبالتالي فلم يعد من الممكن تجاهل مسألة ما الذي سيلي الانتداب البريطاني. ودعا الصهاينة إلى ما اعتبروه حلاً وسط: تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، مع وضع القدس تحت السيطرة الدولية. وعلى الرغم من أن لجنة خاصة تابعة للأمم المتحدة قدمت تقريرها في سبتمبر 1947 قدمت توصية مماثلة، فقد رفض الزعماء العرب التقسيم على أساس أنه ينتهك حقوق الأغلبية العربية من سكان فلسطين. وفي الوقت نفسه، عملت السلطات البريطانية في فلسطين على تأجيج الأجواء العاطفية في الولايات المتحدة من خلال رفضهم قبول دخول قوارب محملة بالنازحين، وكثير منهم من الناجين من الهولوكوست، الذين كانوا يسعون إلى الدخول إلى فلسطين. وكانت الأمم المتحدة، التي كانت تستعد للتصويت على توصية اللجنة الخاصة بتقسيم فلسطين في نوفمبر، مسرحاً لحملات ضغط مسعورة من قِبَل كل الأطراف.(12)

في هذه المرحلة، تدخلت الوكالة المنشأة حديثاً، وكالة الCIA، تدخلاً غير عادياً في هذا الموضوع، عن طريق طرح واحدة من أقدم تقييماتها الاستخباراتية ـ وهي ورقة من سبع عشرة صفحة بعنوان "عواقب تقسيم فلسطين" بتاريخ 28 نوفمبر 1947. ولا أحد يعرف على وجه اليقين من هو مؤلف هذه الورقة، ولكن توماس دبليو ليبمان، كاتب سيرة وليام إيدي، يشك بقوة في أن يكون لمستعرب مكتب الخدمات الاستراتيجية إيدي يد فيها. وكما يشير ليبمان، فإن النبرة ـ التي استخدمت في هذه الورقة ـ ذاتية إلى حد مربك، حيث تم تصوير التقسيم المقترح باعتباره كارثة تامة لكل الأطراف المعنية. وقد ثبت أن التوقعات المحددة في الوثيقة، مثل احتمال أن يتم محق الدولة اليهودية الجديدة محقاً تاماً من قِبَل القوات العربية في غضون عامين، غير دقيقة بشكل تام. ولكن من نواح أخرى، كان التقرير نبوئياً بشكل مخيف، مثل توقعه أن التقسيم من شأنه أن يؤدي إلى "أعمال عدائية مسلحة مطولة بين اليهود والعرب"، واضطرابات خطيرة في "استقرار العالم العربي"، وإلحاق الضرر بمكانة الولايات المتحدة الممتازة سابقاً في الشرق الأوسط. ورغم دقة هذه التنبوءات، إلا أن ورقة "عواقب تقسيم فلسطين" فشلت في تغيير أي آراء في البيت الأبيض لعهد ترومان، أو في التأثير على سلوك التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة، التي وافقت في 29 نوفمبر على قرار التقسيم.(13)

وفي نفس اللحظة تقريباً التي أعيد فيها إحياء مكتب الخدمات الاستراتيجية في هيئة جديدة هى وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية لزمن الحرب الباردة، فقد هُزم الجواسيس الأمريكيين العروبيين لزمن الحرب العالمية الثانية في قضية فلسطين. وكانت صدمتهم وغضبهم واضحين. استقال إيدي من الخدمة الحكومية في أكتوبر 1947، مبرراً ذلك باستيائه إزاء عدم كفاية المخصصات التي

أقرها الكونجرس لجهاز الاستخبارات الجديد الذي ساعد في توجيهه إلى الوجود. ولكن أفراد أسرته يشهدون بأن اليأس الذي انتابه إزاء عدم تقبل إدارة ترومان لوجهة نظر المستعربين كان السبب وراء استقالته. فذهب للعمل في شركة أرامكو الأمريكية في المملكة العربية السعودية، بصفته "مستشاراً للعلاقات السياسية في الشرق الأدنى"، فشق طريقه إلى شركات النفط الذي سيتبعه فيه العديد من ضباط الاستخبارات السابقين الآخرين (رغم أن إيدي لم يقطع علاقاته بوكالة الاستخبارات المركزية تماماً، كما أظهرت الأحداث اللاحقة). أما ستيفن بينروز، الذي ظل بعد حل مكتب الخدمات الاستراتيجية رئيساً للعمليات في وكالة CIG المؤقتة، ثم انتقل في خريف عام 1947 للعمل كمساعد خاص لوزير الدفاع الأمريكي المتشدد والمشهور بعدائه لكل من الشيوعية والصهيونية جيمس فورستال، ثم عاد في نهاية المطاف إلى القطاع الخاص، فتولى رئاسة الجامعة الأميركية في بيروت في صيف عام 1948، وهو المنصب الذي شغله حتى وفاته المفاجئة في عام 1954. وآخرهم، هارولد هوسكينز، الثري الذي يمتلك ثروته وبيزنسه الخاص، الذي كان آخر منصب رسمي له هو منصب بديل لجيمس لانديس الذي كان يدير مركز إمدادات الشرق الأوسط في القاهرة أثناء الحرب، فقد واصل التعليق شاجباً على سياسة الحكومة تجاه فلسطين، بينما كان في الوقت نفسه يعمل كمستشار مع شركة أرامكو ويخدم في مجلس أمناء الجامعة الأميركية في بيروت. أما لوي هندرسون، الحليف الأبرز لمستعربيي مكتب الخدمات الاستراتيجية في وزارة الخارجية الأمريكية، فقد عوقب مرة أخرى لتجاوزه البيت الأبيض، حيث تم نقله إلى الجانب الدبلوماسي، وهذه المرة إلى منصب السفير في الهند، على الرغم من أنه عاد إلى الظهور في الشرق الأوسط في منعطف حاسم بعد عدة سنوات تالية.(14)

لقد تلقى المستعربون الأمريكيون درساً قاسياً في السياسة الأميركية بعد الحرب. ولم يكن من المهم أنهم كانوا من خريجي الجامعات العريقة، أو أنهم كانوا يعرفون مجال عملهم أفضل من أي شخص آخر، أو حتى أنهم كانوا يشغلون مناصب حكومية عليا. لقد كانت القوة العاطفية للصهيونية في أميركا عصر الهولوكوست ومهارة قيادة الحركة الصهيونية في حشد دعم الأميركيين العاديين أكثر من كافية لمعادلة هذه المزايا. بل إن الموقف النخبوي للمستعربين بدا وكأنه يعمل ضدهم، لأنه مكن الصهاينة من تصويرهم على أنهم أرستقراطيون، ومؤامراتيون، وغير-أميركيين. وبالفعل فإن معنى كلمة "مستعرب" ذاتها تحول في هذه السنوات، تحول من كونه مصطلح محايد يشير ببساطة إلى فرد يتمتع بخبرة في منطقة خبرة ما إلى كونه لقب مهين لوصف شخص يتماهى بشكل مفرط مع الثقافة العربية، وبحكم التعريف، كان معادياً للصهيونية، إن لم يكن معادياً للسامية. إلى كونه "عروبياً". وفي الوقت ذاته، وبينما بدأت فيه الصور الإيجابية للصهاينة في فلسطين تنتشر في وسائل الإعلام الوطنية الامريكية - حيث تم تصوير المستوطنين على أنهم يكررون "تجربة الحدود الأميركية"، يزرعون الصحراء، ويخلقون "واحة من الديمقراطية" في منطقة كانت في الأصل مظلمة - تم تصوير العرب على نحو متزايد بمصطلحات استشراقية، باعتبارهم متخلفين، ومتعصبين، ومجرمين. هذا بينما كان أحد أهداف المبشرين البروتستانت في القرن التاسع عشر هو محاولة تثقيف زملائهم الأميركيين حول الإنجازات الرائعة العديدة التي حققتها الحضارة العربية. فإن ورثتهم في القرن العشرين فشلوا في سرد قصة العرب بمصطلحات مماثلة لما فعله سلفهم.(15)

وكان آرتشي روزفلت يراقب التطورات في فلسطين في صيف وخريف عام 1947، لكنها لم تكن الشيء الرئيسي في ذهنه. كان مستقبله

الشخصي هو الشغل الشاغل الأكثر إلحاحًا. في وقت سابق من العام، فور عودته من خدمته في إيران، بدا الأمر لفترة وجيزة وكأن آرتشي قد يترك لعبة التجسس. لقد أكسبته سمعته المزدهرة كخبير في شؤون الشرق الأوسط العديد من عروض العمل المختلفة، بما في ذلك دعوة متجددة من لوي هندرسون للعمل معه في وزارة الخارجية، وكانت زوجته KW تأمل أن يقرر زوجها البقاء والعمل في واشنطن. ولكن بينما كان على وشك اجتياز امتحان الخدمة الخارجية الشفوي (كان قد أكمل الامتحانات التحريرية وهو لا يزال في طهران، محققاً أعلى درجة مسجلة على الإطلاق وهي 94%)، تلقى آرتشي رسالة عبر كيم روزفلت من مايكل جي ميتشل، رئيس قسم الشرق الأوسط في مجموعة CIG (السلف المباشر لوكالة الCIA)، يطلب منه الحضور لإجراء مقابلة شخصية. وبعد بضعة أيام جاءه عرض آخر للتوظيف: ليحل محل دانيال دينيت الابن، وهو مدرس سابق في الجامعة الأميركية في بيروت وضابط في مكتب الخدمات الاستراتيجية توفي للتو في حادث تحطم طائرة، كرئيس لمحطة مجموعة CIG في بيروت. كانت العاصمة اللبنانية هي الموقع الافتراضي للمقر الإقليمي لمكتب الخدمات الاستراتيجية بموجب خطة هارولد هوسكينز "إكسبيديشن 90"، ووجد آرتشي أن احتمالات تولي مثل هذا المنصب المهم في وكالة الاستخبارات المركزية الجديدة لا يمكن مقاومتها. وبعد صيف من التدريب "البدائي إلى حد ما" على حرفة التجسس في مقر CIG، غادر إلى الشرق الأوسط مجدداً في 10 سبتمبر 1947، "مليئًا بالتشاؤم" بشأن حالة زواجه، بينما كانت KW وابنه تويد يلوحان بحزن للطائرة المغادرة.(16)

وكان يجلس بجوار آرتشي ضابط استخبارات شاب آخر كان من المقرر أن يشغل منصب رئيس محطة في العاصمة السورية دمشق، وهو

"رجل منفتح، لامع، وموهوب من ألاباما" (كما وصفه آرتشي) كان قد صادقه آرتشي أثناء التدريب.

عاملين معاً، كان هذان الرجلان الشابان من رؤساء المحطات ليقودا درب وكالة الاستخبارات المركزية في بلاد الشام، ويشكلان -مع كيم روزفلت- ثلاثية من المستعربين هيمنت على أولى العمليات السرية لوكالة الإستخبارات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط ككل.(17)

الفصل السادس:
الضيف الذي لا يدعوه أحد للزيارة مرة أخرى

كان ويليام إيدي، وهارولد هوسكينز، وستيفن بينروز -وهم ثلاثة من المستعربين من أصل تبشيري- من رواد الجهود الاستخباراتية الأميركية في الشرق الأوسط، وعملوا في الوقت نفسه على تعزيز قناعاتهم الراسخة في العروبية ومعاداة الصهيونية. وفي مجمل النظرة الأوسع للأمور، ورغماً عن القبضة الاستعمارية القوية التي كان لا يزال البريطانيون والفرنسيون يمارسونها على المنطقة، فقد نجح مستعربين مكتب الخدمات الاستراتيجية بشكل غير متوقع في مهمتهم الاستخباراتية لصالح واشنطن، وهو ما يعكس خبرتهم ومعرفتهم الحميمة بالعالم العربي. ولكنهم فشلوا ـ مرة أخرى، إلى حد ما بسبب انفصالهم الجزئي عن تطورات المجتمع والثقافة الأميركية ـ في تبشير مواطنيهم الأميركيين أنفسهم إلى دين حبهم للحضارة العربية ومعارضتهم للدولة الصهيونية في فلسطين.
أي:- نجحوا في خداع العرب فقط الى قضيتهم.

والآن، ومع هلاك مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS وقيام وكالة الاستخبارات المركزية CIA، ظهر على الساحة جيل جديد من ضباط الاستخبارات الشباب الذين، على الرغم من أنهم لم يولدوا في الشرق

الأوسط، فقد شاركوا في القيم العروبية التي تبناها أسلافهم بفضل تجاربهم في زمن الحرب أثناء خدمتهم في العالم العربي. وكان أبرز الأمثلة على هذا النوع من الضباط هم ابني العم روزفلت كيم وأرتشي. ولكن لم يكن كل العاملين في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في الشرق الأوسط من هذه السلالة الأرستقراطية، ولم تكن بالضرورة لديهم كلهم أي خبرة في الخدمة في المنطقة قبل تعيينهم هناك من قِبَل الوكالة. والواقع أن العديد منهم جاءوا من خلفيات عائلية وتعليمية متواضعة للغاية وانجذبوا إلى الشرق الأوسط، على الأقل في البداية، لأسباب تتعلق بالمغامرة في المقام الأول، رجال مثل الشاب من ألاباما الذي جلس بجوار آرتشي على متن الرحلة إلى لبنان في سبتمبر 1947.

إن شخصية مايلز كوبلاند تصنع مشكلة للمؤرخ. فبعد مغادرته وكالة الاستخبارات المركزية، كتب سلسلة من الكتب، بلغت ذروتها في سيرته الذاتية "لاعب اللعبة" الذي نشره عام 1989، والتي تشكل في مجموعها واحدة من أكثر مجموعات الكتابات كشفاً على الإطلاق التي كتبها ضابط استخبارات أميركي سابق ونشرت للعلن بالفعل. وبالإضافة إلى الاعترافات الصريحة التي لا تقاوم حول شخصية مؤلفها ـ يبدأ كتاب "لاعب اللعبة" بسرد عن كيف أن كوبلاند، عندما خضع للاختبارات من قِبَل علماء النفس في وكالة الاستخبارات المركزية، لم يستطع أن يذكر اسم شخص واحد قد كرهه كوبلاند حقاً في حياته، ثم يعود ليعترف بسعادة باستعداده "لقتل شخص ما" ـ تحتوي هذه الأعمال أيضاً على روايات مفصلة للغاية عن عمليات سرية لوكالة الاستخبارات المركزية في، من بين بلدان أخرى، سوريا ومصر وإيران، مما يجعلها مصدراً لا غنى عنه عن التاريخ السري لتورط أميركا في الشرق الأوسط. وعلى هذا النحو، فإن كتابات كوبلاند هذه

هى في تناقض صارخ مع السيرة الذاتية التي كتبها آرتشي روزفلت، والتي تتسم بحذر شديد فيما يتصل بعمليات وكالة المخابرات المركزية، إلى الحد الذي يجعل عنوانها الرئيسي، "من أجل شهوة المعرفة"، على حد تعبير المؤلف البريطاني جون كاي، تستدعي الإضافة إليه "ولكن ليس إلى الكشف عن الحقائق".(1)

إن المشكلة تكمن في صعوبة معرفة إلى أي مدى يمكن للمرء أن يثق في كتابات كوبلاند حقاً. فقد شهد زملاء سابقون، معارف شخصيون، وحتى كوبلاند نفسه -ضمناً- بعدم موثوقيته. وحين تم مواجهته بادعاء جنوني له، "ضحك، وظن أنه شيء مضحك للغاية"، كما يتذكر أحد أصدقائه. والواقع أن الإجماع التام على هذا الرأي -جنون كوبلاند وعدم موثوقيته- متفق عليه إلى الحد الذي يجعل الباحث المتشكك في الأمور يتساءل عما إذا كان هذا الادعاء هو مجرد خدعة من قِبَل عناصر من داخل وكالة الاستخبارات المركزية لصرف الانتباه عن الصدق الجوهري لكوبلاند. ثم هناك احتمالات أخرى ينبغي لنا أن نأخذها في الاعتبار. ولعل كوبلاند خلط بين الحقيقة والخيال عمداً متعمداً من أجل التهرب من الرقابة الرسمية، وهو المصير الذي لاقاه العديد من ضباط السي-آى-إيه الآخرين الذين حاولوا كتابة مذكراتهم. ولكن هل كان هناك دافع أكثر غموضاً وظلاماً، كما ألمح الابن للمستعرب جاك فيلبي، العميل البريطاني-السوفيتي المزدوج كيم فيلبي، (الذي هرب للإتحاد السوفيتي بعد افتضاح أمره، والذي كان يكره ضباط السي-آى-إيه عموماً، ويكره كوبلاند خصيصاً) الذي وصف كتاباً آخر من كتب كوبلاند المثيرة للجدل، وهو كتاب "لعبة الأمم"، بكونه أنه "في حد ذاته خطوة في اللعبة الوحشية التي تشنها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية"؟ أم أن الأمر ببساطة أن مايلز كوبلاند كان يستمتع حقاً بسرد القصص صعبة التصديق، وممارسة الألعاب مع قرائه؟

مهما كان التفسير، فإن هذه السمة في كوبلاند تلزم المرء بالحذر الشديد، والتحقق من إدعاءاته عندما تكون هناك سجلات أخرى متاحة لذات الواقعة، والاعتراف بالأمر عندما تكون كلمته هو فقط هى المتاحة. كان "مايلز كوبلاند"، لاعب اللعبة الوقح، المرح، وغير الأخلاقي تماماً في كتابات كوبلاند نفسه، إبداعاً أدبياً رائعاً ــ ولكن هل كان حقيقياً؟(2)

لنبدأ بما نعرفه على وجه اليقين: وُلد مايلز أكس كوبلاند الابن في 16 يوليو 1916 في برمنغهام، ألاباما. وكان والده، مايلز الأب، طبيبًا محليًا بارزًا، وكانت والدته، لينورا، طاهية محترفة طورت وصفات للراديو. ووفقًا لسيرته "لاعب اللعبة"، كان مايلز الصغير قريبًا من لينورا ذات القلب الدافئ، وراوية الحكايات الموهوبة، ولكنه لم يكن على وفاق مع والده، الذي كان منعزلاً وصارمًا في التعامل مع الأطفال (وهو أسلوب تربية رفضه عمدًا عند تربية أبنائه). ورغم أنه نما في نهاية المطاف ليصبح رجلاً قوي البنية، "ذو شعر رملي كثيف و... عينين ترقصان من الإثارة"، كما وصفه أحد معارفه، إلا أن مايلز الابن كان صبيًا مريضًا مصابًا بالسل، وأُجبر على الاعتماد على دهائه للتغلب على أخيه الأصغر منه سناً لكن الرياضي، هانتر. ظل في المنزل لمدة عامين حتى تحسنت صحته، وفي النهاية التحق بمدرسة إرسكين رامزي الثانوية التقنية في برمنغهام، حيث جلس، وفقًا للكتاب السنوي لعام 1933، في مجلس المدرسة وترأس غرفة جلساته، ووفقًا لسيرته الذاتية، أزعج معلميه بمقالب شيطانية بينما كان في نفس الوقت يدّعي تقديم المشورة لهم حول كيفية القبض على الجاني. ومن مدرسة رامزي الثانوية، كان الأمر كذلك إلى جامعة ألاباما، توسكالوسا، التي التحق بها حتى ربيع عام 1937، وتخصص في الدعاية والإعلان والمبيعات، ولعب في فرقة ROTC وأوركسترا كابستون، ومارس

الملاكمة لفريق الجامعة. ومع ذلك، لم يتخرج، بسبب عوامل تشتيت من خارج المنهج الدراسي، وكان أهمها مسيرته المزدهرة كعازف بوق لموسيقى الجاز.(3)
عند هذه النقطة أصبح السجل أكثر ضبابية. في مذكراته، أدلى كوبلاند بعدة تصريحات مؤثرة عن أيامه كعازف جاز، مدعيًا على سبيل المثال أنه في أوائل عام 1932 عزف مع فرقة سوداء بالكامل التي أصبحت فيما بعد فرقة إيرسكين هوكينز الكبيرة من توسكيجي، ألاباما، التي قدمت أغنية "توكسيدو جانكشن" الناجحة في نادي كوتون في هارلم، نيويورك؛ كما زعم أنه في سبتمبر 1940 أمضى أسبوعًا في العزف على البوق الرابع في أوركسترا جلين ميلر على سطح فندق روزفلت في نيو أورلينز. ولكن في واقع الأمر، كانت فرقة إرسكين هوكينز التي ذكرها تأتي من مدينة مونتغمري، وليس توسكيجي، ولم تقدم عروضاً قط في نادي كوتون في هارلم، بينما كان أقرب مكان جغرافي إلى مدينة نيو أورليانز ذهبت إليه فرقة أوركسترا جلين ميلر في النصف الأخير من عام 1940 هي واشنطن العاصمة. ولا تذكر سجلات موظفي وكالة الاستخبارات المركزية الخاصة بكوبلاند شيئاً عن كونه موسيقياً محترفاً، بل تشير إلى أنه شغل خلال أواخر ثلاثينيات القرن العشرين عدداً من وظائف المبيعات التي تبدو تافهة في برمنغهام أثناء دراسته لمواد ما قبل بدء درس القانون في كلية برمنغهام الجنوبية.(4)

ولكن مع ذلك فلا شيء من هذا يدحض الادعاء الرئيسي لكوبلاند بأنه كان عازف بوق جيد. فقد شهد العديد من الأقارب والأصدقاء على قدرته الموسيقية، ومن بينهم ابنان، مايلز الثالث وإيان، اللذان أصبحا منتجين ومديرين رئيسيين في صناعة موسيقى الروك، وله ابن ثالث، ستيوارت، الذي عزف على الطبول خلف المغني الرئيسي ستينج في فرقة الروك الإنجليزية ذا بوليس.

وهناك أيضاً تلميح إلى تهور متعمد منه في بعض تفاخراته ـ حيث أن تنقلات وعضوية أوركسترا جلين ميلر هي من بين أكثر الظواهر توثيقاً في تاريخ موسيقى الجاز ـ وكأنه بشكل متعمد كان يطلب التصحيح من أحد علماء الموسيقى الجادين. ومهما كانت الحقيقة الدقيقة، فمن الواضح أن أيامه الأولى كعازف جاز أصبحت جزءاً مهماً من شخصية كوبلاند، مما أكسبه سمعة بوهيمية، و"رجل وحشي" في وكالة المخابرات المركزية في بداياتها، وهو ما ساعد في تعويضه عن افتقاره النسبي إلى التعليم والنسب الاجتماعي. هنا يوجد رجولة أكثر خشونة ولكن من الواضح أنها أكثر أصالة من الرجولة الأرستقراطية المصنعة بواسطة إنديكوت بيبودي في جروتون. ولعل تجربة رجل الجاز في العبور بين العوالم المعزولة بين البيض والسود في الجنوب الأمريكي قبل عصر الحقوق المدنية قد أعطت كوبلاند مهارات التكيف الثقافي التي افتقر إليها أقرانه من طلاب جامعات رابطة اللبلاب المرموقة.

على أية حال، وصلت حياة البائع المتحول إلى موسيقي إلى نهايتها الطبيعية، وفي نوفمبر 1940 انضم كوبلاند إلى الجيش الأميركي، وعمل في مكتب التمويل الفرعي التابع لترسانة الحرس الوطني، وهي ربما ليست أفضل وظيفة مناسبة له نظراً لأن اهتمامه الكبير الآخر في الحياة إلى جانب الجاز كان المقامرة. ولقد تلا ذلك العديد من المغامرات المشابهة لمغامرات الرقيب بيلكو في السلسلة التلفازية من خمسينات القرن ال20 (انظر سيرته "لاعب اللعبة" لمزيد من التفاصيل)، ثم أثناء إجراء اختبار روتيني للجيش في معسكر ليفينجستون في لويزيانا، تم اكتشاف أن بطلنا يتمتع بمستوى ذكاء خارق، "تقريبًا نفس معدل الذكاء المقدر لكل من ألبرت أينشتاين، يوهان فولفجانج فون جوته، ويسوع المسيح"، كما أوضح هو لاحقًا. وبإعلانه نفسه "صاحب عقل خارق"، كتب كوبلاند إلى أحد أعضاء الكونجرس يطلب

نقله إلى منصب أكثر ملاءمة لقدراته، وسرعان ما وجد نفسه في واشنطن العاصمة، جالسًا أمام منسق المعلومات وايلد بيل دونوفان، بيل الوحشي، يمتعه بقصص عن المناورات في مستنقعات لويزيانا.
وبعد فترة وجيزة من عودته إلى معسكر ليفينجستون، وصلت رسالة سرية إلى خيمة الجندي كوبلاند تأمره بالعودة إلى واشنطن، حيث تم تعيينه "عميلاً خاصاً" في وحدة مكافحة التجسس والتخريب العسكرية، وهي فيلق مكافحة الاستخبارات CIC، وهي ليست بالتحديد وكالة الخدمات الاستراتيجية OSS "الأكثر علواً اجتماعياً" ولكنها درجة أعلى في السلم الإجتماعي على الرغم من ذلك. وبعد تدريبه على يد صحافي شاب، فرانك كيرنز، تم إطلاق عازف الجاز السابق ليجوب في شوارع العاصمة واشنطن للبحث عن جواسيس دول المحور. وعندما لم يكشف أي من الجواسيس عن هويته، لجأ العميلان الخاصان كوبلاند وكيرنز إلى "وضع خطط/ألعاب للاستنتاج" عما ستكونه أعمال التخريب المحتملة التي قد يقوم بها عملاء ألمان، مما تسبب في حالة من الذعر بين أفراد الشرطة العاديين لمقاطعة كولومبيا.
مرة أخرى، من الواضح أن القصص مبالغ فيها، لكن العناصر الرئيسية تبدو حقيقية. لقد انجرف مكتب واشنطن الميداني التابع لفيلق مكافحة الاستخبارات المضادة CIC في تحقيقاته المحلية في زمن الحرب بالفعل ـ على سبيل المثال، وضعوا أجهزة تنصت في فندق حيث كان يشتبه في أن السيدة الأولى إليانور روزفلت كانت تقيم علاقة غرامية مع رقيب في الجيش الشيوعي ـ وتم حل هذا المكتب في نهاية المطاف في نوفمبر 1943. وعلى الرغم من هذا التفاهة، فقد أصبح هناك شيء آخر واضح: كان كوبلاند ذكياً حقاً، وكانت الظروف الطارئة ـ في أوائل الأربعينيات ـ تخلق له فرصاً لإثبات ذلك.(5)
وفي صيف عام 1942، بدأ فيلق الاستخبارات المضادة في الانتشار في الخارج، بدءاً بمفرزة انضمت إلى قوة غزو الشعلة TORCH في

شمال أفريقيا. وكانت وجهة مايلز كوبلاند لندن، حيث أقام في شقة بالقرب من قاعة ألبرت مع كيرنز وضابط آخر في مركز الاستخبارات المضادة، الكاتب والمحرر جيمس م. إيشيلبرجر. ولم يمض وقت طويل قبل أن يعود إلى حيله القديمة، اختبر تدابير الأمن في القيادة العليا للجيش الأميركي بسرقة خزانة من مقرها في ساحة جروسفينور، وخطط بلا مبالاة لاغتيال منافس على حب عازفة البيانو الإنجليزية الشهيرة مورا ليمباني. وقد طمأن قراء كتابه تالياً قائلاً: "لم أكن لأنفذ مؤامرة القتل في الواقع. لقد قتلت، ربما نصف دستة من الأشخاص منذ ذلك الحين، ولكنني لم أقتل أبداً أي شخص اختلطت به اجتماعيًا".(6)

ولكن حدث شيء من التحول البولصي (نسبة للرسول بولص الطرسوسي) عندما أُرسل كوبلاند إلى دورة كوماندوز تدريبية صعبة خليطة من دول الحلفاء في المرتفعات الاسكتلندية، ثم عند عودته إلى لندن، التقى بامرأة بريطانية شابة في حفل استقبال أقامه اتحاد الناطقين باللغة الإنجليزية للقوات الأمريكية. كانت إليزابيث لورين آدي، ابنة جراح أعصاب بارز في هارلي ستريت، وهي ذاتها كانت منخرطة في العمل الاستخباراتي، حيث كانت تبحث في مسارات القطارات الفرنسية لوحدة الحرب السياسية البريطانية في زمن الحرب، والتي كانت تعرف باسم "هيئة العمليات الخاصة"، كما شرحت الأمر لاحقاً : "حتى تتمكن المقاومة من تفجيرها". وبعد قصة حب إنجليزية-أمريكية عاصفة، تزوج مايلز ولورين في سبتمبر 1942 (كان فرانك كيرنز هو إشبينه) واستقرا معًا في منزل والدتها في شمال لندن، حيث وُلِد لهما مايلز الثالث في مايو 1944. الآن، كرس مايلز الثاني نفسه لعمله بتصميم أكبر، فقام بتنظيم وإدارة مدرسة CIC لتوجيه عملاء مكافحة التجسس الأميركيين المكلفين بالمسرح الأوروبي، وهي المبادرة التي أكسبته وسام الاستحقاق.(7)

كما بدأ كوبلاند في استخدام اهتمامه بلعب الألعاب لأغراض أخرى غير المقامرة، فشارك في مناورات حربية في ميدان جروسفينور كانت تهدف إلى قياس ردود الفعل الألمانية المحتملة لعملية أوفرلورد OVERLORD، الغزو المخطط له من قبل الحلفاء لشمال غرب فرنسا المحتلة. وقد أدت المناقشات حول إمكانية أن العلماء النازيين قد طوروا بالفعل لأسلحة ذرية إلى دخوله لفترة وجيزة في مدار بوريس تي باش، ضابط الأمن -المولود في روسيا- لبرنامج أبحاث القنبلة النووية الأمريكي، مشروع مانهاتن، والذي قاد الهجوم الأمريكي نحو نهاية الحرب لإستباق وصول الجيش الأحمر المتقدم عبر ألمانيا والوصول الى المؤسسات البحثية الألمانية قبله. وأوصلت الحرب كوبلاند إلى باريس، التي دخلها هو وعدد قليل من زملائه في فيلق مكافحة التجسس CIC قبل وقت طويل من قوة الغزو الرئيسية لعملية أوفرلورد، على الرغم من أنه اعترف لاحقًا بأنهم لم يكونوا، كما كان يتفاخر لفترة من الوقت، أول أمريكيين في المدينة المحررة. لقد كانوا مجرد "أول أمريكيين يدخلون باريس دون سبب وجيه معين". لقد استغرق شرب الشمبانيا وتناول الكافيار والسهر مع إرنست همنغواي عدة أيام، وبعدها ذهب الشاب الأمريكي للعمل في استجواب كبار المتعاونين الفرنسيين وعملاء التجسس الألمان، ثم قام بتجميع "دليل استجواب فيلق مكافحة التجسس CIC" لصالح عملاء آخرين.
منبهرين بنشاطاته الأدبية، وفي فبراير 1945، عيّن رؤساؤه الكابتن كوبلاند، كما كان رتبته آنذاك، لكتابة تاريخ أنشطة مكافحة التجسس الأمريكية في أوروبا. وكان ذلك، كما كتب لاحقًا، مشروعًا يتطلب منه إجراء مقابلات مع العديد من العلماء والجواسيس النازيين الذين "بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية ونسيانها، سيكونون قيمين بالنسبة لنا في مواجهة أي أعداء جدد قد يأتون من بعدها".(8)

عاد كوبلاند إلى واشنطن في سبتمبر 1945 وبدأ العمل في وحدة الخدمات الاستراتيجية، وهي وكالة مؤقتة تضم خدمات الاستخبارات ومكافحة التجسس اليتيمة التابعة لمكتب الخدمات الاستراتيجية OSS المنحل. وانضمت إليه لورين بعد عام واحد بعد حصولها على أوراق التجنس، وانتقلت الأسرة، التي تضخمت بوصول ابنةليني، إلى شقة في المجمع السكني بارك فيرفاكس في مدينة الإسكندرية بولاية فرجينيا. وعلى مدى العامين التاليين، تنقل كوبلاند بين المباني المؤقتة في واشنطن مول التي ضمت مجتمع الاستخبارات الناشئ في البلاد، فعمل في المكتب الألماني التابع لفرع مكافحة التجسس، إكس-2 (X-2)؛ وابتكر أساليب لتجنيد العملاء للتجسس على السوفييت؛ ووضع المخططات التنظيمية لتسليم العمليات الخاصة إلى وكالة الاستخبارات المركزية الجديدة. وما إذا كانت هذه المساهمات تبرر تصويره الذاتي اللاحق لنفسه باعتباره أحد الآباء المؤسسين لوكالة الاستخبارات المركزية هو مسألة خاضعة للأخذ والرد. مثلا: كيم روزفلت، الذي كان رئيسه في قسم الشرق الأدنى في الوكالة، كان "رافضاً إلى حد ما" لهذا الادعاء. وكان يقول، بمزيج من المرح والانزعاج: "إنه مايلز".(9)

كان التطور الكبير التالي في حياة كوبلاند المهنية هو تعيينه في دمشق في سبتمبر 1947 رئيساً لمحطة وكالة الاستخبارات المركزية فيها. ويسجل "لاعب اللعبة" أن ستيفن بينروز، في دوره بعد الحرب كرئيس للعمليات الخاصة في مجموعة الاستخبارات المركزية CIG، هو أول من أثار احتمالية تكليف كوبلاند بمهمة في الشرق الأوسط. فقد كان الهاربون النازيون يعودون إلى الظهور مرة أخرى في عواصم المنطقة، وكان بينروز يعتقد أن خبرة ضابط فيلق مكافحة الاستخبارات السابق في استجواب أسرى الحرب الألمان الذين قد يكونون مفيدين، إلى جانب سمعته السيئة بانعدام الأخلاق ـ "النقص المعروف لوجود

الغدد" عنده، كما وصفه كوبلاند نفسه بنفسه ـ جعلته الرجل المثالي الذي ينبغي له أن يذهب للشرق الأوسط للتحقيق في هذا. ولقد أثار الأمر إهتمامه، حيث قرأ كوبلاند تقريراً تنبأ بأن الصراع الصهيوني-العربي في فلسطين من شأنه أن يخلق صراعاً مزمناً في الشرق الأوسط، وأن أفضل ما يمكن للولايات المتحدة أن تفعله في ظل هذه الظروف هو الحد من الأضرار التي قد تلحق بمصالحها في المنطقة، باستخدام وسائل استخباراتية سرية إذا لزم الأمر.(10)

مستثاراً ب"احتمالية الانخراط في بعض الحيل الحقيرة والسرية تحت مبرر أنها تخدم المصلحة الوطنية"، علم كوبلاند أن المرشح الأوفر حظاً لوظيفة قيادة محطة وكالة الاستخبارات المركزية الجديدة في سوريا، "كابتن مشاة بحرية متهور قليل الخبرة"، فشل في الحصول على التصريح الأمني المطلوب لأنه اعترف بلقاء جنسي تجريبي مع طيار ذكر من سلاح الجو الملكي البريطاني أثناء الحرب. وعندما عُرض عليه المنصب بدلاً منه، تردد كوبلاند لفترة وجيزة فقط قبل أن يعود ويقبل. وأوضح لاحقاً أن العامل الذي حسم قراره كان اجتماعه مع آرتشي روزفلت، الذي عُرض عليه للتو الوظيفة المكافئة لتلك في بيروت. ورغم أنهما كانا ثنائياً غريباً ـ "أنا عازف موسيقى الجاز في نيو أورليانز، ومقامر في قوارب النهر في تينيسي، وهو عضو بارز في ما يمكن تسميتهم بالنبلاء في أميركا"، كما قال كوبلاند في نعي صحيفة بريطانية لأرتشي بعد سنوات عديدة تالية ـ فقد كان الرجلان على وفاق تام كما هو معروف للكل، حيث كان كل منهما مسروراً بـ"حس الفكاهة الشرير" لدى الآخر، وكانا متحدين في اعتقادهما المشترك بأن التهديد الرئيسي للأمن القومي الأميركي يأتي الآن من الاتحاد السوفييتي.(11)

ومن هنا كان مايلز كوبلاند، الشاب الذكي القادم من مكان لايعرفه أحد - "الضيف الذي لا يدعوه أحد للزيارة مرة أخرى"، كما وصف نفسه فيما بعد - يجد نفسه جالساً إلى جانب حفيد ثيودور روزفلت في طريقه إلى الشرق الأوسط. وعند وصوله إلى بيروت في الثالث عشر من سبتمبر 1947، أمضى كوبلاند أمسية ودية مع آرتشي؛ وفي اليوم التالي سافر إلى دمشق في سيارة المفوضية. وفي غضون ذلك، انضم إلى آرتشي في بيروت بعد يومين كيم روزفلت، الذي كان يمر آنذاك عبر لبنان في إحدى جولاته الإقليمية الغامضة بعض الشيء. وسرعان ما سقط أبناء العم في روتينهم القديم المتمثل في السفر معاً، وفي يوم الخميس الثامن عشر من سبتمبر -وهو نفس اليوم الذي تأسست فيه وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في واشنطن بشكل رسمي- سافرا بسيارتهم عبر الجبال لمعرفة كيف كان أداء مايلز في مهامه الجديدة.

ولقد توافق الرجال الثلاثة مع بعضهم على الفور، فساروا على خطى ت. إ. لورنس (لورنس العرب) بالانطلاق "في جولة عبر قلاع الصليبيين والأماكن المنسية التي لا يرتادها الناس"، كما وصفها كوبلاند في وقت لاحق. وكانت المحطة الأولى في حلب، حيث صعدوا، وفقاً لمذكرات آرتشي، درجات القلعة المحصنة القديمة، معقل أجيال من الغزاة الأجانب، بما في ذلك اليونانيون والمغول والعثمانيون، ونظروا إلى "المدينة بأكملها الممتدة بشكل أخضر حولنا". قعد الشرق منتظراً موجة جديدة من الغزاة الأجانب.(12)

الجزء الثاني

الإحماء، 1947 - 1949

الفصل السابع:
خطة اللعبة

عندما وصلوا إلى الشرق الأوسط في خريف عام 1947، وجد مستعربي وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية أن المنطقة قد تم تحويلها بشكل كبير ولكن ليس بالكامل بسبب تلاشي القوة الاستعمارية الأوروبية. فقد انسحب الفرنسيون على مضض من لبنان وسوريا في العام السابق (بفضل الضغوط الأميركية جزئياً)، على الرغم من أن البلدين سيظلان يعانيان من الانقسامات القبلية والطائفية المتبقية من أيام "سياسة فرق تسد" في فترة الانتداب الفرنسي. وفي عام 1946 أيضاً، نالت إمارة شرق الأردن استقلالها عن بريطانيا وأصبحت مملكة هاشمية. ومع ذلك، فمثلها مثل جارتها الهاشمية المستقلة زعماً مملكة العراق، ظلت شرق الأردن تحت السيطرة البريطانية بحكم الأمر الواقع. ونفس الشيء حدث في مصر، حيث يحكم الملك الشاب فاروق بالاسم فقط، بعد استعراض قصير للاستقلال أثناء الحرب والذي انتهى عندما سحقه السفير البريطاني السير مايلز لامبسون بشكل مهين.
ومن بين ملوك العالم العربي، لم ينجح إلا الصديق الجديد للولايات المتحدة، ابن سعود ملك المملكة العربية السعودية، في الخروج من تحت سيطرة القوى الأوروبية. (وللمفارقة كان الاتحاد السوفيتي حديث النشأة هو أول من اعترف بسيادة ابن سعود -طعناً في البريطانيين-

فاضطر البريطانيين في وقت مبكر -في معاهدة جدة 1927- لتطبيع علاقاتهم مع ابن سعود باعتباره ملك مستقل بشكل تام، استجابة لما فعله السوفييت، ونفس الشيء حدث بشكل مشابه أيضا مع تطبيع السوفييت -أيام لينين- علاقاتهم مع الزعيم التركي البارز مصطفى كمال وإنهاء قرنين أو أكثر من الحروب الروسية-التركية، فاضطر البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين لذلك أيضا في معاهدة لوزان 1923 ، هذه ملاحظة -ملاحظة مهمة- من المترجم وليست من النص الأصلي)

كانت هذه هي الحال التي تنتظر الأميركيين الوافدين حديثاً للعالم العربي في خريف 1947.
فكيف سيستجيبون؟ هل سيعملون على إدامة الإمبريالية الغربية في الشرق الأوسط، فيخلقون "إمبراطورية سرية" أخرى مثل الإمبراطورية البريطانية، أم سيكرمون الإرث العروبي لأسلافهم من مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS ويساعدون العرب أخيراً على تحقيق الاستقلال الحقيقي؟ سيأخذ الأمر سنتين -في 1949- حين سيتم اختبار مبادئ المستعربين في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية داخل سياسات الشرق الأوسط نفسه، ففي عام 1949 حدث أول انقلاب عسكري عربي في عصر الحرب الباردة في سوريا.
ولكن حتى زمن الوصول لإنقلاب 1949 في سوريا، هناك إجابة من نوع ما سيتم تقديمها في الولايات المتحدة، حيث كان كيم روزفلت -الذي تعززت عنده جاذبية العالم العربي التي عرفها في زمن الحرب بفضل رحلة العودة إلى هناك التي قام بها في عام 1947- يعمل بجد على مشروعين رئيسيين: رواية قصة العرب إلى الجمهور الأميركي، وبناء حركة في داخل أمريكا قادرة على مواجهة النفوذ المتزايد للصهيونية على السياسة الخارجية الأميركية.

وبينما كان آرتشي روزفلت ومايلز كوبلاند، في دورهما الجديد كرئيسين لمحطتين لوكالة الاستخبارات المركزية، في الشرق الأوسط في مهمة رسمية في سبتمبر 1947، كان كيم روزفلت يسافر كمواطن عادي. ورغم أنه استمتع ببعض جوانب مهمته بعد الحرب كمؤرخ في مكتب الخدمات الاستراتيجية ـ التنقل من واشنطن إلى نيويورك لإجراء مقابلات مع بيل دونوفان وآلن دالاس، على سبيل المثال ـ إلا أن كيم استاء من "اللغة الرسمية الرهيبة" التي اضطر إلى الكتابة بها.
وبعد الانتهاء من المشروع أخيراً في مايو 1947، استقال على الفور من وظيفته الحكومية وشرع في محاولة العيش على دخله الخاص من ممتلكات عائلة ويلارد العقارية، مع استكمال ذلك بالكتابة العرضية وإلقاء المحاضرات. واستمر على هذا النحو على مدى العامين التاليين، فأعاد خلق نمط حياة والده كيرميت، وهو رجل هاوٍ نبيل كان يؤدي الخدمة السرية للدولة بدافع من الشعور بالواجب الوطني وليس الواجب المهني. وفي الوقت نفسه، وكما يليق بحفيد ثيودور روزفلت، انخرط كيم بشكل واضح في الحياة العامة، حيث تحدث في اجتماعات الحزب الجمهوري وكتب عن الشرق الأوسط في أماكن مثل مجلة هاربر (التي كانت ذات يوم منصة نشر لثيودور روزفلت نفسه).(1)
وكانت مهمة الكتابة هذه ـ عقد كتاب مع هاربر ـ هي التي أعادت كيم إلى الشرق الأوسط لأول مرة منذ الحرب في مايو 1947، بعد أسبوع واحد فقط من انتهاء عقده الحكومي. وبعد وصوله إلى القاهرة برفقة زوجته بولي، التي خططت لبيع صور الرحلة إلى صحيفة ساترداي إيفنينج بوست، توجه كيم إلى ملاذه القديم، فندق شيبرد، لإعادة التعرف ـ على رجال النفط الأميركيين المارة، علماء الآثار، والمراسلين الذين كانوا يرتادون البار الشهير للفندق. وبعد قضاء قرابة شهر في مصر، انتقلت إلى لبنان ـ وهو تطور سعيد بالنسبة لبولي، التي أرهقتها حرارة القاهرة وأوساخها، وانتهى بها المطاف ذات يوم في الحبس

عندما اعترض حشد غاضب على تصويرها لبعض أطفال الشوارع. ولاحظت بولي وهي تشعر بالارتياح أن بيروت، مثل "مدينة أوروبية متوسطية باستثناء بعض الأزياء العربية هنا وهناك"، وأصبحت المقر الرئيسي للزوجين لبقية جولتهما التي استمرت نصف عام في الشرق الأوسط، والتي شملت رحلات إلى فلسطين وسوريا والأردن والعراق وإيران والمملكة السعودية.(2)

وفي كل هذه الأماكن، التقى كيم بمجموعة مذهلة من الزعماء السياسيين والدينيين والقبليين المحليين، بما في ذلك ما لا يقل عن أربعة ملوك ووصي واحد على عرش. وقد عكست هذه الدرجة غير العادية من الوصول إلى نخب المنطقة العمل الشاق الذي بذله في تنمية الاتصالات في الشرق الأوسط أثناء فترة عمله في القاهرة أثناء الحرب ـ العديد منها، بطبيعة الحال، نتيجة لتعريفات آرتشي ـ والسمعة الطيبة التي يتمتع بها اسم عائلة روزفلت. ويبدو أيضاً أن كيم كان يتصرف باعتباره "ممثلاً شبه رسمي للولايات المتحدة"، كما كتب إلى والدته بيلي، بمباركة إن لم يكن بتشجيع العديد من الشخصيات القوية التي ما زال يعرفها في مؤسسة السياسة الخارجية الأميركية. وأوضح بعد أن ألقى بياناً عن السياسة الأميركية أمام الوصي على العرش ورئيس وزراء العراق: "نحظى باستقبال ملكي في كل مكان. إنها ليست بالضبط وظيفة مراسل، ولكن يبدو أن لا أحد يهتم". وعلى غرار مهمته السرية السابقة في مكتب الخدمات الاستراتيجية، كان لرحلة كيم أكثر من غرض.(3)

وكان الكتاب الذي نتج عن جولة كيم الموسعة في عام 1947، "العرب والنفط والتاريخ"، وثيقة رائعة في حد ذاتها: جزء منه عبارة عن يوميات سفر، وجزء منه عبارة عن مسح تمهيدي لشؤون الشرق الأوسط، وجزء منه عبارة عن جدل عربي، وجزء منه عبارة عن بيان عقائدي شخصي للرجل الذي سيتولى قريبًا مسؤولية المنطقة لصالح

وكالة الاستخبارات المركزية ـ وهو نوع من المخطط الأولي للعمليات السرية الأميركية المبكرة في العالم العربي. وعلى هذا النحو، فمن الجدير أن نتوقف عن السرد لفترة وجيزة للنظر في النقاط الرئيسية للكتاب.

أولاً، كان كتاب "العرب والنفط والتاريخ" ناقداً بشدة للإمبريالية الأوروبية السابقة في الشرق الأوسط وإرث الاستبداد وتخلف التنمية الذي خلفته وراءها. على سبيل المثال، بينما أشاد جده ثيودور بالبريطانيين في مصر، أدان كيم "التكتيكات البريطانية الخاطئة التي اعتمدت على الاستقرار الذي فرضته زمرة صغيرة ذات مصالح أنانية". تحت حكم الملك التابع فاروق ـ وهو زير نساء سمين، كما صوره كيم ـ كان المجتمع المصري يتميز بانقسام اقتصادي عميق ومذهل بين الطبقة الحاكمة وبقية السكان، وهو الانقسام الذي لخصه كيم في "الكعك للسِمان والبصل للفقراء". وكانت حالة مماثلة تسود في الدول العربية التي يحكمها الهاشميون، "أكثر الأسر العربية خضوعاً للهيمنة البريطانية"، على حد تعبير كيم. مملكة شرق الأردن، التي يحكمها الملك عبد الله المتغطرس والزائد الوزن، هي "دولة مصطنعة صغيرة وفقيرة". وفي العراق كانت الجماهير المظلومة تكره الهاشميين إلى الحد الذي سيجعل "الوصي على العرش عبد الإله وبقيتهم سيُقتلون في غضون ساعتين، لولا الحماية البريطانية التي سمحت لهم ببناء شرطة سرية وجيش خاص بهم". ملاحظة ثاقبة كما أثبتت الأحداث تاليا بعد 10 سنين. ومن بين الدول الشرق أوسطية الواقعة ضمن دائرة النفوذ البريطاني، لم تفلت سوى إيران غير العربية من الإدانة الكاملة في كتاب "العرب والنفط والتاريخ"، وحتى في هذا السياق لم يكن استعراض كيم متوهجاً بالتحديد. لم يذكر الشاه الشاب إلا بالكاد ـ كان لدى كيم الكثير ليقوله عن الزعيم الكاريزماتي لقبيلة القشقاي، خسرو

خان ـ ونفس الجيش الإيراني الذي "حرر" أذربيجان للتو تم رفض مدحه باعتباره فاسداً وغير منضبط.(4)

ولقد أثنى كيم على بعض البريطانيين الأفراد بسبب "مساهماتهم الشخصية بالكامل" في العلاقات الغربية مع العالمين العربي والإسلامي، ومن بينهم لورنس العرب، وجاك فيلبي، والمغامر المستشرق أوبري هربرت (الذي كان نموذجاً لسيد التنكر ساندي أربوثنوت في رواية "جرينمانتل" لجون بوكان)، والذي وصفه كيم، بلمحة من الحسد، بأنه "قادر على ارتداء الزي الوطني والاختفاء دون أن يترك أثراً في أماكن لا يستطيع أي أجنبي دخولها". وباختصار، لم يكن كتاب "العرب والنفط والتاريخ" خالياً تماماً من حماس مؤلفه السابق للثقافة الإمبراطورية البريطانية. ولكن في المجمل كان الحكم على سجل بريطانيا قاسياً إلى حد مدهش: فكانت النتيجة الرئيسية للوجود البريطاني في الشرق الأوسط هي الشعور العميق بـ"المرارة العربية تجاه الغرب، وهو الشعور الذي أصبح الآن "متاحاً للديماغوجيين (وللروس) لأي غرض قد يختارون استخدامه".(5)

ولحسن الحظ، كان هناك نموذج بديل للعلاقة بين الشرق الأوسط والغرب ونموذج للسياسة الأميركية المستقبلية، وهو نموذج لا يقوم على "الهيمنة السياسية والاستغلال الاقتصادي"، بل على "المصالح المشتركة". وهنا استشهد كيم صراحة بالتاريخ المميز للولايات المتحدة في التفاعل غير الحكومي مع العرب والمسلمين: بعثات الإنجيليين في القرن التاسع عشر، وبناء الجامعات الأميركية في بيروت والقاهرة، ومؤخراً جهود صناعة النفط الأميركية لتحسين التعليم والطب والاتصالات في المملكة العربية السعودية. ولقد تسببت هذه الأنشطة، التي تناقضت مع الندرة العامة للتدخل الرسمي الأميركي في المنطقة في وقت سابق (والتي تم تمثيلها لكيم بعدم كفاءة مهمة حسن النية التي رافقها إلى المملكة العربية السعودية في عام 1944)، في

دفع أهل الشرق الأوسط إلى تبني "موقف مختلف تجاه الأميركيين باعتبارهم مختلفين عن الغربيين الآخرين". وفي مجموعها، شكلت هذه الأنشطة الأمريكية غير الحكومية "أصلاً وطنياً ذا قيمة لا تُحصى" وربما تكون "حصوناً أكثر فعالية للأمن القومي من الإمبرياليتين الروسية والبريطانية".(6)

وعلاوة على ذلك، كانت مجموعة كبيرة من العرب ميالة بطبيعة الحال إلى الصداقة مع الولايات المتحدة. وكان "الأفندية الشباب"، كما أطلق عليهم كيم روزفلت، مستخدماً مصطلحاً صاغته صديقة آرتشي المستكشفة البريطانية فريا ستارك، قوميين عرباً أرادوا تطهير الشرق الأوسط من بقايا الاستعمار الأوروبي، بما في ذلك الملكيات العميلة له. وعلى الرغم من سياساتهم المناهضة للاستعمار، فإن هؤلاء القوميين لم يكونوا شيوعيين، حيث بدت لهم روسيا السوفييتية في نفس الهيئة التي للقوى الأوروبية الغربية الإمبريالية. كما قاوموا الرغبة التي كانت تترسخ بين بعض مجموعات الشباب العربي ـ جماعة الإخوان المسلمين التي أنشئت مؤخراً، على سبيل المثال ـ في رفض كل النفوذ الأجنبي لصالح شكل من أشكال الإسلامية معادية الأجانب. وبدلاً من ذلك -وبما يعكس حقيقة مفادها أن العديد منهم تلقوا تعليمهم في مؤسسات أميركية في المنطقة، وقليل منهم في الولايات المتحدة ذاتها- رحب "الأفندية الشباب" بشكل إيجابي بالاهتمام الأميركي ببلدانهم. ووجهوا اهتمامهم الى قضايا مماثلة لتلك التي يروج لها الزوار الأميركيون للمنطقة بشكل تقليدي، مثل التعليم، والرعاية الصحية، وحقوق المرأة. ورغم ارتباط هذه القضايا ارتباطاً وثيقاً ببلدان بعينها - مصر على سبيل المثال، حيث "حقق الإصلاحيون القوميون بعض الخطوات الحقيقية في الاتجاه الصحيح"، وسوريا، موطن "مجموعة واعدة للغاية من الأفندية الشباب" - فإن هذه الظاهرة كانت ظاهرة إقليمية عامة، حيث "يمكن العثور على المناضلين الرصينين في

مجالات التعليم والحكومة والطب... من إسطنبول إلى عدن، ومن القاهرة إلى طهران".(7)

وبعد أن حدد كيم روزفلت أوراق اللعب الرئيسية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط ـ وجودها غير الحكومي هناك والحلفاء المحليين المحتملين الذين يمكن العثور عليهم بين صفوف القوميين العرب الشباب ـ شرع في رسم برنامج ملموس للسياسة الأميركية المستقبلية تجاه المنطقة: "خطة مارشال صغيرة" تتضمن تحالفاً بين الحكومة الأميركية وقطاع الأعمال من شأنه أن يعزز "التقدم الاجتماعي والاقتصادي لشعوب الشرق الأوسط" وبالتالي إحباط "التسلل الشيوعي والتكتيكات الثورية". والقوى الغربية الأخرى، وخاصة البريطانية، تستطيع أن تساعد في هذا الجهد من خلال تزويد الأميركيين بخبراتها في هذا المجال. كما يمكن تسخير بعض العناصر التقليدية في المجتمع العربي لخدمة هذه القضية، كما أظهر مثال ابن سعود وشراكته مع شركة أرامكو. (كان كيم قد امتص تمامًا حماسة مستعربيي مكتب الخدمات الاستراتيجية لـ "سيد الصحراء"، ووصفه كيم بأنه "فخور ومنتصب القامة" ـ رجل حقيقي بعبارة أخرى، على عكس الهاشميين الضعفاء البدينين). ومع ذلك، إذا نظرنا إلى المنطقة بأكملها، فسوف نجد أن مستقبلها يكمن بوضوح في برنامج التحديث الذي يتبناه الأفندية الشباب وجهودهم لتحويل أنفسهم إلى طبقة متوسطة عربية فعالة. ولا ينبغي أن يكون مصدر الإلهام لهذه الحركة قوة استعمارية أوروبية باهتة، بل الديمقراطية الشابة والتقدمية للولايات المتحدة الأمريكية.(8)

كان لدى كيم روزفلت نقطة أخيرة ليطرحها في كتابه "العرب والنفط والتاريخ"، وكانت تتعلق بما اعتبره التهديد الرئيسي لرؤيته للعلاقات الأميركية الشرق أوسطية المستقبلية: دعم الولايات المتحدة للصهيونية.

وفي هذه القضية، لم يكن كيم أقل صراحة من المستعربين في مكتب الخدمات الاستراتيجية. ففي تلبية المطالب الصهيونية بإنشاء دولة يهودية في فلسطين، زعم كيم أن الولايات المتحدة تخاطر بإهدار حسن النية عن أمريكا لدى العرب الذي بناه أجيال من المواطنين الأميركيين من غير ذي المناصب الرسمية. بل ومن الممكن أن ينتهي الأمر بالعرب إلى رفض الديمقراطية نفسها، نظام الحكم الذي أنتج هذه السياسة الخاطئة بشكل واضح. وتابع قائلاً إن القضية الصهيونية لا تفيد بالضرورة اليهود الذين تبنوها، لأنها دعت إلى رد فعل معادٍ للسامية في الغرب وعرضت المستوطنين اليهود في فلسطين لعداء جيرانهم العرب.

وأضاف كيم إلى هذه الحجج المعادية للصهيونية التي أُصقلت جيدًا الآن، حججًا أخرى تتعلق على وجه التحديد بحلمه الخاص بتحالف أميركي-عربي من أجل التقدم. ولقد أدى دعم أميركا للصهيونية ليس فقط لاشعال المشاعر معادية الغرب عن طريق تعزيز قوة العناصر الشيوعية هناك، بل وأيضاً تعزيز قوة المتعصبين المعادين للأجانب مثل جماعة الإخوان المسلمين، الأمر الذي أدى إلى عزل وتهميش التقدميين العلمانيين المعتدلين مثل جماعة الأفندية الشباب. وخلص كيم في بيان لافت للنظر من حيث جودته النبوئية، ومن حيث مفارقته التاريخية باعتبار ماسيفعله هو ذاته تاليا في ايران وفي غيرها، إلى القول: "إن الخطر البعيد المدى يكمن في تشجيعنا على إنشاء قوة انعزالية، ورجعية متعصبة، وكارهة للأجانب، والتي سوف تهيمن على قطاع مهم من العالم وتشكل جرحاً متقيحاً دائماً في جانب السلام".(9)

تماثل إلى حد كبير الحجج التي عرضها كتاب "العرب والنفط والتاريخ" عناصر استراتيجية الحرب الباردة الأميركية في أوروبا الغربية ـ ليس فقط التركيز الذي أبدته خطة مارشال على الشراكة بين الحكومة وبين

البيزنس الخاص، بل وأيضاً تحديد التقدميين المحليين باعتبارهم حلفاء محتملين لأميركا. (كانت عمليات وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية المبكرة في أوروبا تركز غالباً على تعزيز موقف الليبراليين والديمقراطيين الاجتماعيين، أو ما يسمى ب"اليسار غير الشيوعي"، الذين كانوا يُنظَر إليهم في واشنطن باعتبارهم القوة الاستراتيجية المضادة الأكثر أهمية لمواجهة التوسع الستاليني). وإلى حد ما، كان كيم ببساطة يعيد صياغة حكمة السياسة الخارجية في أواخر الأربعينيات، والتي أكدت على دور التنمية الاقتصادية التي تقودها الولايات المتحدة كسلاح لهزيمة الشيوعية ـ وهي الفكرة التي سيتم تطبيقها بشكل متزايد على مسارح العالم الثالث في الحرب الباردة تحت ستار التحديث.

ولكن كتاب "العرب والنفط والتاريخ" لم يكن مجرد صدى لمناقشات واشنطن حول التخطيط للحرب الباردة عامة. بل كان يحمل أيضاً آثاراً واضحة وخاصة لأسلوب "عروبية" مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS، نتيجة لتجارب مؤلفه في زمن الحرب أثناء عمله تحت قيادة ستيفن بينروز في القاهرة. على سبيل المثال، صور كيم القضية الفلسطينية باعتبارها أزمة أخلاقية وإنسانية داخل العالم العربي وليس باعتبارها تحدياً سياسياً للولايات المتحدة. كاتباً كتابه في وقت بدأ فيه اللاجئون الفلسطينيون يتدفقون إلى الدول المجاورة، وصف الوضع بأنه "مأساة إنسانية، وتهديد للصحة العامة، ومشكلة سياسية حقيقية للغاية بالنسبة للحكومات العربية المهتزة". وكان مستعداً أيضاً لبيان القضية الأخلاقية لعرب فلسطين. فقد كتب في إحدى المرات: "إن الأمر في جوهره بسيط للغاية. فهو يقوم على افتراض بديهي أن أولئك الذين يعيشون بالفعل على أرض ما، يكون لديهم أقوى حق ممكن في تلك الأرض".(10)

ولكن هناك جانب واحد اختلف فيه كتاب "العرب والنفط والتاريخ" عن تصريحات عروبيي مكتب الخدمات الاستراتيجية ووزارة الخارجية الأميركية من الجيل السابق: فقد كان الكتاب أكثر حساسية لمشاعر اليهود الأميركيين. على سبيل المثال، سارع كيم إلى الاعتراف بصدق الرغبة الصهيونية في الحصول على ملاذ من الاضطهاد والدور الذي لعبته أفعال غير اليهود في الماضي في إثارة هذا الشعور. واعترف قائلاً: "من المؤسف أن معاداة السامية كانت بدرجة أو بأخرى سمة مميزة للثقافات الغربية من روسيا إلى أميركا. ولا يمكنك أن تلوم اليهود على قرارهم بضرورة التعلم من هذا الدرس المرير". كما حصلت معاداة السامية في العالم العربي استنكاراً في كتاب "العرب والنفط والتاريخ": كانت الصورة التي رسمها كيم بقلمه للزعيم الفلسطيني والمتعاون مع النازيين المفتي الأكبر محمد أمين الحسيني صورة غير مبهجة، ومتسقة مع انتقادات كيم في أماكن أخرى للإسلامية كارهة الأجانب. ولعل هذه الخاصية الأخيرة التي يتسم بها الكتاب تعكس حقيقة مفادها أنه على النقيض من بعض المستعربين السابقين، كان كيم يعرف شخصياً العديد من اليهود، سواء في الشرق الأوسط نفسه - فقد أصبح صديقه في زمن الحرب، تيدي كوليك، صديقاً له مدى الحياة - أو داخل الولايات المتحدة. (ابن عمه آرتشي روزفلت تشارك هو أيضا في عديد من هذه الصداقات).(11)

وباختصار، بدا كتاب "العرب والنفط والتاريخ" مزيجاً مثالياً من الحجج المعقولة، والتأمل الشخصي الجذاب، والوصفات السياسية الحكيمة، وكل هذا يقدمه الابن المفضل لإحدى أشهر العائلات الأميركية. وربما لم يكن الأميركيون ليصغوا إلى المستعربين في وزارة الخارجية ومكتب الخدمات الاستراتيجية، ولكنهم بالتأكيد سوف يستمعون الآن؟

بعد عودته إلى الولايات المتحدة من جولته في الشرق الأوسط في خريف عام 1947، انغمس كيم في جولة محاضرات عبر ولايات أمريكا حول انطباعاته عن المنطقة، متخذاً عنوان مقالته في مجلة هاربر عام 1946، "العرب يعيشون هناك أيضاً" كموضوع له. ومثل جده ثيودور، لم يكن كيم يتمتع بصوت قوي في التحدث أمام الجمهور، ولكنه عوض عن ذلك بأسلوبه غير الرسمي والمريح في الإلقاء الذي كان يجذب الجماهير. كما كان يتمتع بمهارة لفظية كبيرة؛ ولاحظ أحد المستمعين حقيقة مفادها أنه خلال حديث دام أربعين دقيقة، وتحدث فيه بإسهاب عن الوضع الفلسطيني، لم يستخدم كلمتي "يهودي" أو "صهيوني" مرة واحدة. وفي الوقت نفسه، حافظ كيم على تدفق ثابت من المنشورات، في أماكن تتراوح من المجلات البحثية مثل حوليات الأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية إلى صحيفة ساترداي إيفنينج بوست واسعة الانتشار، فضلاً عن الكتابة بانتظام إلى صحيفة نيويورك تايمز. في العام السابق، أشارت مذكرة صادرة عن وزارة الخارجية إلى أنه في حين كان هناك "عنصر كبير وعدواني في الرأي العام" يدعم الخط الصهيوني، فإن الأميركية معادية-الصهيونية "لم يكن لها صوت واضح". كان الأمر وكأن كيم أصبح الآن يوفر ذلك الصوت المفقود.(12)

ولم تكن هذه المهمة سهلة، كما اعترف هو نفسه.

ففي مقال نشره في مجلة الشرق الأوسط في يناير 1948 تحت عنوان "تقسيم فلسطين: درس في سياسة الضغط"، أعاد كيم بناء مسار الأحداث التي أدت إلى تصويت الأمم المتحدة في نوفمبر 1947 لصالح الدولة اليهودية - ووصفها بأنها "قصة مفيدة ومزعجة". وزعم أن كل الأميركيين تقريباً "الذين لديهم خبرة دبلوماسية أو تعليمية أو تبشيرية أو تجارية في الشرق الأوسط" كانوا يعارضون الصهيونية بشدة. ومع ذلك، نجحت الحركة الصهيونية إلى حد كبير في كسب الصحف

والكونجرس إلى قضيتها، في حين اتهمت معارضيها بدوافع خسيسة، بما في ذلك معاداة السامية، إلى الحد الذي دفع الحكومة الأميركية في نهاية المطاف إلى تبني سياسة تتعارض مع المصالح الأميركية في المنطقة. والدرس الذي استخلصه كيم كان واضحاً: "إن تقسيم فلسطين يثبت الحاجة الحيوية إلى سياسة خارجية تقوم على المصالح الوطنية وليست المصالح الحزبية". ولكن كيف من الممكن تحقيق هذا الطلب في مواجهة القوة المتنامية للصهيونية فكان هذا للأسف شيئاً أقل وضوحاً.(13)

جزء من المشكلة التي واجهت كيم هو الافتقار إلى التمثيل العربي في السياسة الأميركية. كان بعض الأفراد والجماعات داخل المجتمع العربي الأميركي الصغير مستعدين للتحدث بصراحة عن فلسطين.

على سبيل المثال، خليل طوطح من معهد الشؤون العربية الأميركية، وهي منظمة مقرها نيويورك انضم كيم إلى مجلسها الاستشاري في عام 1946. (أعيد طبع مقال كيم "تقسيم فلسطين" كمنشور للمعهد في فبراير 1948). كما وضع المعهد كيم على اتصال بالمكتب العربي في واشنطن، الذراع الدعائية الخارجية للمنظمة الإقليمية التي تشكلت حديثًا للدول العربية، جامعة الدول العربية. كان موظفو المكتب العربي في الغالب هم من القوميين المعتدلين المتعلمين في الغرب من النوع الذي أشار إليه كيم بإعجاب باسم "الأفندية الشباب"، وبذل قصارى جهده لمساعدة قضيتهم، ففتح "العديد من الأبواب لنا في مجتمع واشنطن ونيويورك"، كما يتذكر مدير المكتب سيسيل حوراني (شقيق المؤرخ العربي البارز ألبرت حوراني) في وقت لاحق. ولكن لم يكن بوسعه أن يحميهم عندما اتهمهم الكونجرس بتلقي أوامر من المفتي العام للقدس أمين الحسيني وبالتواصل مع عناصر مؤيدة للنازية في الولايات المتحدة، ووجهت إليهم تهمة انتهاك قانون تسجيل العملاء الأجانب. وفي ديسمبر 1947، وبعد أسبوع من التصويت على تقسيم

فلسطين في الأمم المتحدة، أعلن المكتب العربي أنه سيغلق مكتبه في الولايات المتحدة في مواجهة "تجاهل تام ومتغطرس لحقوق العرب، مصالح العرب، ومشاعر العرب". أما معهد الشؤون العربية الأميركية، الذي اكتسب مديره خليل طوطح سمعة مؤسفة (وربما غير عادلة) بسبب عدم الاستقرار العاطفي، فقد عانى من مصير مماثل، فأغلق أبوابه في عام 1950.(14)

وفي غياب أي جماعة ضغط عربية قابلة للاستمرار، لجأ كيم إلى أماكن أخرى بحثاً عن حلفاء في النضال ضد الصهيونية، بدءاً بالمبشرين البروتستانت والمعلمين وعمال الإغاثة الذين أشاد بمساهمتهم في تنمية الشرق الأوسط في كتابه "العرب والنفط والتاريخ". وكان الوجود البروتستانتي في العالم العربي مدعوماً بجهاز دعم محلي يتألف من مجالس البعثات والهيئات التعليمية مثل رابطة كليات الشرق الأدنى، وكان له بعض المتحدثين الفعالين، وأبرزهم رئيس الجامعة الأميركية في بيروت الموقر بايارد دودج. فضلاً عن ذلك، تحدى هيئة صغيرة ولكنها مؤثرة من علماء اللاهوت البروتستانت ربط الأصوليين البروتستانت بين الاستعادة اليهودية وبين الألفية الجديدة، وهي الحجة التي تشرحها بانتظام أسبوعية "القرن المسيحي" التي تتخذ من شيكاغو مقراً لها. وكل هذا يضاف إلى تقليد أمريكي أقدم من معاداة الصهيونية في أميركا البروتستانتية متاحاً للتعبئة من قبل أي منظم حركات مناهض للصهيونية كان.(15)

وكانت صناعة النفط الأميركية على استعداد أيضاً لتقديم يد العون. فقد اعتمدت مجموعة شركات أرامكو التي تمتلك الامتياز في الوصول إلى حقول النفط السعودية على رضا ابن سعود، المناهض للصهيونية الذي لا يقبل المساومة، وكانت الشركة تعمل على وضع خطط لإنشاء خط أنابيب عبر الجزيرة العربية (خط تابلاين) إلى البحر الأبيض المتوسط، والذي من المقرر أن يمر عبر الدول العربية المجاورة لفلسطين.

وخوفاً من أن تضر سياسة الحكومة الأميركية بهذه المشاريع، أطلقت الشركة حملة علاقات عامة تهدف إلى إقناع الرأي العام الأميركي بوجهة النظر العربية. وكما كان متوقعاً، كان ويليام إيدي، الآن موظفاً في شركة أرامكو، من بين الشخصيات البارزة في الحملة، حيث أطلع المسؤولين في واشنطن على مخاطر السياسة الخارجية الصهيونية قبل أن ينطلق في جولات دورية إلى العواصم العربية. (التقى آرتشي روزفلت بإيدي لأول مرة بعد وقت قصير من وصوله إلى بيروت في عام 1947 وأعلنه بسرعة "رجلًا عظيمًا حقًا"). ورغم كونه ليس مثيراً للإعجاب مثل إيدي، فإن نائب رئيس أرامكو جيمس تيري دوس لم يكن أقل نفوذاً خلف الكواليس، "رجلًا حكيمًا وغير متكلف"، وفقًا لمؤرخ الشركة ويليام موليجان، "وجه وشكل دمية كيوبي". أنشأ دوس مكتبًا في واشنطن، منظمة العلاقات الحكومية، التي تعمل كنوع من وزارة الخارجية في أرامكو، مع قسم للشؤون العربية على غرار مكتب الخدمات الاستراتيجية / القاهرة. كما عمل مع إيدي للتأكد من أن القضايا المستحقة في الولايات المتحدة، مثل برنامج برينستون للشرق الأوسط، تتلقى مساعدة غير معلنة من أرامكو. وفي الوقت نفسه، عمل كيم روزفلت على تعزيز صورة الشركة لدى الجمهور الأميركي في كتابه "العرب والنفط والتاريخ"، حيث وصف جهود الشركة الرامية إلى تحسين التعليم والرعاية الصحية والنقل في العالم العربي بأنها نموذج لبرنامج شبيه بخطة مارشال، وكان يأمل أن تقوم الحكومة الأميركية بتنفيذه في مختلف أنحاء المنطقة. (وممكن الجدال أن هذا كان تصويراً أكثر إيجابية لعمليات شركة أرامكو في السعودية مما هى تستحقه حقاً).(16)

وإن لم يكن هناك ما يدعو إلى الدهشة الشديدة في معاداة الصهيونية لدى المستعربين من البروتستانت وتجار النفط، فإن مجموعة ثالثة

أثبتت أنها حليف مهم لكيم روزفلت تتطلب المزيد من التوضيح عنها.
في أربعينيات القرن العشرين، شعرت مجموعة فرعية من اليهود الأميركيين بعدم الارتياح إزاء النجاحات الأخيرة التي حققتها الحركة الصهيونية. وكان هؤلاء اليهود الإصلاحيون، الذين يتمتعون عموماً بمكانة اجتماعية عالية وأصول ألمانية قديمة، يشككون في إصرار الصهيونية على هوية وطنية يهودية مميزة، معتبرين ذلك إنكاراً لهويتهم الأميركية ودعوة إلى اضطهادهم من قِبَل معادين السامية. وفي عام 1942، وبدافع من دعم المؤتمر المركزي للحاخامات الأميركيين للخطة الصهيونية لتشكيل جيش يهودي، شكلت هذه المجموعة منظمة منشقة لهم، وهي "المجلس الأميركي لليهودية" ACJ. مع وجود رجلي الأعمال الشريكين سيرز و رويبوك في مجلس الإدارة، وقيام رجل الأعمال ليسينج جيه. روزنوالد بشغل منصب الرئيس الرسمي للمنظمة، انتقلت إدارة الأعمال اليومية لجمعية المجلس الأمريكي لليهودية إلى المدير التنفيذي إلمر بيرجر، وهو حاخام يهودي من مدينة فلينت بولاية ميشيغان. وعلى الرغم من مظهره الكئيب إلى حد ما، كان بيرجر شابًا نشيطًا ومتملقاً، وسرعان ما نال دعم عدد من اليهود العلمانيين البارزين، ومن بينهم جورج إل. ليفيسون، سليل عائلة عريقة ثرية من سان فرانسيسكو. وبالتعاون مع حاخام آخر مناهض للصهيونية يتمتع بصلات جيدة، وهو موريس إس. لازارون، شرع بيرجر وآخرون في العمل في محاولة لإقناع المجتمع اليهودي الأمريكي بأن الصهيونية تعارض بشكل أساسي ليس فقط المثل الأمريكية ولكن أيضًا الطابع الديني العالمي لليهودية.(17)
لقد كان صراعاً محتوماً بالفشل. فمهما بذلوا من جهد لصياغة حجج لاهوتية وعملية مقنعة، لم يكن بوسع زعماء المجلس الأميركي لليهودية ببساطة أن ينافسوا الجاذبية العاطفية الخام للصهيونية ولا المهارات التنظيمية والجدلية التي تتمتع بها الزعامة الصهيونية. ومع

تزايد عزلتهم داخل المجتمع اليهودي، بحثوا عن الدعم في أماكن أخرى - ووجدوه بين المستعربين في وزارة الخارجية. وكان موريس لازارون هو الذي بدأ هذا التحالف، فأبلغ صديقه نائب وزير الخارجية سومنر ويلز عن الاضطرابات في المؤتمر المركزي للحاخامات الأميركيين. أما الرئيس ليسينج روزنوالد -الذي خدم في أوائل الأربعينيات في وزارة الإنتاج الحربي- فقد قبل رئاسة المجلس الأميركي لليهودية فقط بعد أن اقتنع بأن وزارة الخارجية لن تعترض، وساعد في جلب دين أتشيسون ولوي هندرسون إلى فلك المنظمة. ولكن الممثل الرئيسي للجمعية في الدوائر الحكومية كان الثري الكاليفورني جورج ليفيسون ذي الصفات الاجتماعية، والذي تمتع -بفضل خدمته في زمن الحرب في وزارة الخارجية- بـ"علاقات حميمة"، كما وصفها بيرجر، مع أتشيسون وهندرسون وكيم روزفلت. وكان ليفيسون وكيم قد سكنوا معًا في القاهرة، حيث كان ليفيسون يعمل كمساعد خاص في بعثة لانديس. وبعد الحرب، وعندما أُزيح كيم عن المشهد في الشرق الأوسط بسبب واجباته في مشروع التأريخ لتاريخ مكتب الخدمات الاستراتيجية، عمل ليفيسون مع هندرسون لمواجهة الحملة الصهيونية من أجل تقسيم فلسطين، وبدلاً من ذلك قام بحملات ضغط من أجل تخفيف القيود الفيدرالية المفروضة على الهجرة لأجل السماح لمزيد من النازحين اليهود بدخول الولايات المتحدة ذاتها، بدلاً من فلسطين. وإنضم الحاخام إلمر بيرجر الى هذا الجهد، بعد أن قدمه ليفيسون في واشنطن. ونظراً لهذا التشابك في الروابط ـ العديد منها يمكن تتبعها، مثل الكثير من البرنامج الأولي لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في الشرق الأوسط، إلى محطة مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS في القاهرة ـ فلم يكن من المستغرب أن يتواصل كيم روزفلت مع اليهود في محيط المجلس الأمريكي لليهودية ACJ عندما شرع في حملته الدعائية المناهضة للصهيونية.(18)

ومن السهل أن ننظر إلى التعاون الذي نشأ عن هذه الاتصالات باعتباره تعاوناً استخدم فيه زعيم للجواسيس منظمة تبدو مستقلة كواجهة لأغراض حكومية سرية. وهناك شيء من الحقيقة في هذا التفسير، ولكنه يحجب أيضاً حقيقة أكثر تعقيداً وإثارة للاهتمام. فبادئ ذي بدء، تُظهر المراسلات بين جورج ليفيسون وإلمر بيرجر أن المجلس الأميركي لليهودية كان هو من بدأ التودد الى كيم روزفلت، وليس العكس؛ فمن الواضح أن اليهود المناهضين للصهيونية اعتبروا أن الشاب الأميركي ذي الأصل النبيل (ذي الدم الأزرق blue blood)، بمزيج من علاقاته الاجتماعية ووصوله إلى وسائل الإعلام الجماهيرية مثل صحيفة "ساترداي إيفنينج بوست"، حليفاً لا يقدر بثمن في الترويج لقضيتهم. وفي يونيو 1947 كتب ليفيسون إلى الحاخام بيرجر بأسلوبه المرح المعتاد: "يرجى إبقاء جواسيسك في حالة تأهب لعودة كيرميت روزفلت الابن من الشرق الأوسط". "أعتقد أنه يتعين علينا القبض على الشاب المذكور أعلاه بسرعة".(19)
وكانت المؤامرة ناجحة. فبعد فترة وجيزة من عودته من جولته، وافق كيم على إلقاء محاضرة في نوفمبر 1947 في فرع محلي للمجلس الأميركي لليهودية في هيوستن، تكساس. وقد كشف التحضير لهذا الحدث عن خدمة يمكن للمجلس الأميركي لليهودية أن يؤديها لكيم في مقابل خدماته. وقد سبقته سمعته كمعادٍ صريح للصهيونية إلى تكساس، واتهمه الصهاينة هناك بأنه معادٍ للسامية أيضًا، مما تسبب في تردد فرع هيوستن بشأن استضافته عندهم. وعندما وصل هذا الأمر إلى سمع ليفيسون، غضب، وكتب إلى رئيس الفرع أنه يعرف كيم "عن كثب لأكثر من أربع سنوات" ويمكنه "التصريح دون لبس أنه لم يكن هناك ذرة من الحقيقة في اتهام الصهاينة". وقد مرت المحاضرة دون وقوع حوادث، وربما كان ذلك لأن كيم، ببراجماتيته الهادئة المعتادة، تجنب التعليق على فلسطين. ومع ذلك، فقد أظهرت هذه الحادثة مدى

قابلية معادين الصهيونية من غير اليهود أن يتهموا بسهولة بكونهم معادين للسامية. ومن ثم، عرض ليفيسون وبرجر عمداً منصة المجلس الأمريكي لليهودية على البارزين من غير اليهود من الراغبين في تسجيل موقفهم علناً ضد الصهيونية كوسيلة لمواجهة مثل هذه الاتهامات. وكتب برجر إلى أحد المتحدثين المحتملين: "قد يُستشهد بنا كمثال لمجموعة من اليهود الذين يتبنون وجهة النظر هذه. وقد وجد بعض الأشخاص الآخرين أن هذه الحقيقة تشكل سنداً لهم يمكنهم الاستشهاد به في حالة محاولة شخص ما وصفهم بمعاداة السامية، بهذا الترتيب المسبق من جانبنا".(20)

وهناك جانب آخر جدير بالملاحظة في التعاون بين كيم روزفلت واليهود المناهضين للصهيونية في المجلس الأمريكي لليهودية وهو عنصر الصداقة القوي الذي كان متضمنًا. يتذكر جوناثان نجل كيم بعد سنوات: "كان لوالدي عدد قليل جدًا من الأصدقاء المقربين، عدد قليل جدًا، لكن أحدهم كان بالتأكيد هو جورج ليفيسون". "في شبابي، كان جورج ... جزءًا كبيرًا من حياتي، كان يأتي إلى المنزل، وأتذكر زيارتي له في كاليفورنيا مرة واحدة ... كان رجلًا رائعًا ولطيفًا وأبويًا". وكان لدى كيرميت الثالث ذكريات طفولة مماثلة: "نشأت وأنا أعرف الحاخام إلمر بيرجر، الذي أحببته، وفوجئت لاحقًا في حياتي بإكتشاف مدى كون هذا الرجل مثيراً للجدل حوله". كان كيم وبولي يتواصلان اجتماعيًا مع إلمر بيرجر وزوجته روث، كلما سنحت لهما الفرصة. قدم بيرجر هدايا لأطفال روزفلت، وفي عام 1953 طلب كيم من ليفيسون أن يكون عرابًا لطفلته الأحدث، ابنته آن. ولم يكن هذا مجرد تحالف سياسي نفعي؛ بل كان أيضاً علاقة شخصية حميمية.(21)

وبالطبع، فكان توقيت انضمام كيم إلى حملة المجلس الأمريكي لليهودية أنه بعيد كل البعد عن حسن الحظ، حيث جاء تصويت الأمم المتحدة لصالح قرار التقسيم في نهاية نوفمبر 1947، وهو التطور الذي أدى

إلى إحباط معنويات العديد من أعضاء المنظمة وتسبب في تفكير البعض حتى في حل أنفسهم. ومع ذلك، كان بيرجر مصمماً على إبقاء علم المجلس الأمريكي لليهودية مرفوعاً وبحلول نهاية العام، كانت تتكشف علامات على إحياء حظوظ مناهضي الصهيونية. كان التقسيم يواجه مشاكل، نتيجة للمعارضة العربية والصراع الطائفي المتزايد بين العرب واليهود في فلسطين، مما دفع وزارة الخارجية إلى اقتراح إنشاء وصاية تابعة للأمم المتحدة ـ وهو ما يعني في الواقع، عكس قرار نوفمبر بالتقسيم. وفي الوقت نفسه، كان كيم روزفلت مشغولاً بالتواصل مع الدوائر العروبية معادية الصهيونية في واشنطن، محاولاً خلق نوع من الزخم الحركي الذي دفع الصهيونية في الفترة التي سبقت التقسيم. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تتفاعل فيها هذه الجماعات المتباينة: على سبيل المثال، كان البروتستانت المناهضون للصهيونية المرتبطون بجمعية القرن المسيحي واليهود في جمعية المجلس الأمريكي لليهودية منخرطين في حوار مستمر. ومع ذلك، لم يحاول أحد قط إعطاء هذه الاتصالات المتفرقة شكلاً منظمًا - حتى إطلاق لجنة العدالة والسلام في الأرض المقدسة (CJP) في فبراير 1948.

كانت لجنة العدالة والسلام عبارة عن تحالف واسع النطاق من الأفراد من خلفيات متنوعة، يذكر بشكل غريب بالجبهة الشعبية، التحالف ضد الفاشية متنوع المنتمين له الذي حاول تجميعه الشيوعيون الأمريكيين في ثلاثينيات القرن العشرين. كان كيم روزفلت هو الشرارة التي أشعلت فتيل هذا التحالف، حيث عرّف عن نفسه بأنه "سكرتير التنظيم" في برقية أرسلت في 21 فبراير إلى "100 أمريكي بارز"، داعياً إياهم إلى تشكيل لجنة "لدعم القانون الدولي والمبادئ الديمقراطية" في المناقشة الوطنية حول فلسطين. وضمت قائمة الأعضاء الذين تم إدراجهم لاحقًا كأعضاء في المجلس الوطني مجموعة مثيرة من الشخصيات الدينية

والمعلمين ورجال الأعمال. وكان من اللافت للنظر بشكل خاص أسماء نواب الرئيس - موريس لازارون من المجلس الأمريكي لليهودية وهنري سلون كوفين، الرئيس السابق المتميز لكلية الاتحاد اللاهوتية (وعم ضابط وكالة المخابرات المركزية المستقبلي الذي تحول إلى ناشط مناهض للحرب ويليام سلون كوفين) - والرئيسة، فرجينيا سي جيلدرسليف.

كانت جيلدرسليف، التي شغلت منصب عميدة كلية بارنارد في نيويورك لفترة طويلة، رائدة في مجال التعليم العالي للنساء الأميركيات، والعضو الأنثى الوحيدة في الوفد الأميركي إلى مؤتمر تأسيس الأمم المتحدة عام 1945. كما كانت مناهضة بارزة للصهيونية، حيث انخرطت في القضية العربية من خلال ارتباطها بالمستعرب المُحسِن تشارلز كرين ومؤرخ القومية العربية جورج أنطونيوس. ومن المفترض أن هذه الصفة الأخيرة هي التي أوصت بها الى كيم روزفلت، الذي كان يعرفها بالفعل من خلال شقيقته كلوشيت، وهي طالبة في كلية بارنارد (كانت هناك مراسلات بين عائلة روزفلت وبين جيلدرسليف شبيهة بالمراسلات مع إنديكوت بيبودي). وحقيقة كون جيلدرسليف امرأة ربما كانت عاملاً في اختيارها كواجهة للجنة العدالة والسلام: فغالباً ما كانت النساء مفضلات لمثل هذه الأدوار في هذه الفترة أفضل من الرجال لأنهن اعتبرن تجسيداً للدافع الجمعوي الأميركي وتجاوزاً لعالم السياسة الذكورية القائم على القوة الفظة. وكانت إليانور روزفلت، التي ترأست عدداً لا يحصى من اللجان في سنوات ما بعد الحرب، أشهر تجسيد لهذه السمة الأنثوية المزعومة.(22)

أعلنت جيلدرسليف عن تشكيل لجنة العدالة والسلام في الأرض المقدسة (CJP) في الثاني من مارس 1948، موضحة أن اللجنة تخطط للضغط على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة للدعوة إلى وقف إطلاق النار في فلسطين ثم تقديم التماس إلى الجمعية العامة لإعادة

النظر في قرار التقسيم. وأعلن نفس البيان عن كيم روزفلت كمدير تنفيذي لللجنة وجارلاند إيفانز هوبكنز، وهو قس من فرجينيا سافر إلى الشرق الأوسط نيابة عن مجلس البعثات الميثودية، كأمين عام لها. ولم يتضمن إعلان جيلدرسليف أي معلومات عن تمويلات المنظمة الجديدة. وفي وقت لاحق، أفاد مصدر صهيوني أن مسؤولاً مجهول الهوية في شركة أرامكو سلم هوبكنز مبلغ 2000 دولار في ممر مظلم بفندق ويلارد. وعلى الرغم من عدم وجود دليل آخر على هذه المعاملة، فإن سجل شركة أرامكو في التبرع للقضايا العروبية، وظهور اسم جيمس تيري ديوس في قائمة المجلس الوطني للجنة العدل والسلام، يضفي بعض المصداقية على الادعاء. ومع ذلك، كانت النفقات العامة للجنة ضئيلة، حيث تلقت دعمًا إداريًا مجانيًا من إلمر بيرجر من ACJ، الذي كان أكثر خبرة في مثل هذه الأمور من صديقه الأرستقراطي كيم روزفلت. "إنه حقًا رجل رائع ولكنه ساذج من حيث العمل التنظيمي"، هكذا أخبر بيرجر ليفيسون قبل أن يروي كيف قام، بعد اجتماع متعرج للجنة التنفيذية لـ CJP الذي عقد في منزل بيلي روزفلت في نيويورك، بتدريب كيم على كيفية إعداد البيانات الصحفية والإعلانات. (ثم توجه الرجلان إلى شقة بيرجر و"شرعا في تناول الخمر بدرجة كافية لنسيان اليوم الصعب"). لم تكن هذه هي الخدمة الوحيدة التي قدمتها ACJ لـ CJP: يعتقد بيرجر أن المشاركة العلنية لموريس لازارون في اللجنة ساعدت في "إزالة أي أساس للقول إنها منظمة معادية لليهود أو معادية للسامية".(23)

في البداية، أثارت لجنة العدالة والسلام وترًا متجاوبًا في واشنطن. في أوائل شهر مارس، رتب كيم روزفلت موعدًا لجيلدرسليف، دانييل بليس (حفيد مؤسس الجامعة الأميركية في بيروت)، وعالم الإثنوغرافيا في مكتب الخدمات الاستراتيجية كارلتون كون للقاء جورج مارشال.

واستمع وزير الخارجية "باهتمام" بينما شرح المستعربون الغرض من

اللجنة؛ واستنتجت جيلدرسليف لاحقًا أن مارشال "كان متعاطفًا إلى حد ما مع وجهات نظرنا". وبعد ذلك بوقت قصير، دعت رئيسة لجنة العدالة والسلام CJP وارن ر. أوستن، رئيس الوفد الأميركي لدى الأمم المتحدة، لإبلاغه بعمل اللجنة وعرض "خدماتها في المساعدة على تحقيق السلام والعدالة في الأرض المقدسة". وفي سياق هذا الاجتماع، "سعدت عندما وجدت أن سياسة جديدة قيد التطوير"، وهي سياسة تشبه إلى حد كبير تلك التي حثت رئيسه الوزير مارشال على اتباعها. ولقد قام المجلس الأميركي لليهودية بدوره أيضاً: فقد قام روزنوالد وليفيسون وبرجر جميعاً بالتعاون مع روزفلت وهندرسون في محاولة أن تخضع الحركة الصهيونية، التي كانت تناضل جاهدة للحفاظ على التقسيم. وبدا أن الحظوظ بدأت في التحول. ففي الثامن من مارس، سمح ترومان لمارشال بالتقدم بخطة لوضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة؛ وفي ال19 من مارس، طلب وارن أوستن من مجلس الأمن الموافقة على الاقتراح. نشطاء المجلس الأميركي لليهودية ولجنة العدالة والسلام كانوا في غاية البهجة. وبفضل كيم روزفلت، تمكنت معاداة الصهيونية الأميركية أخيراً من إحراز بعض التقدم.(24)

ولكن البهجة لم تدم طويلاً. فقد تبين أن الرئيس ندم على الفور على موقفه الجديد بشأن التقسيم، فكتب سراً أن وزارة الخارجية "سحبت البساط من تحت قدميه" وحولته إلى "كاذب ومخادع". ثم أن فكرة الوصاية أثبتت صعوبة تطبيقها عملياً، ومع الاقتراب السريع للموعد النهائي لانسحاب القوات البريطانية في شهر مايو، حققت القوات اليهودية في فلسطين ميزة عسكرية واضحة على خصومها العرب. وفي الوقت نفسه، كثف الصهاينة الأميركيون الضغوط على البيت الأبيض الذي أصبح منشغلاً بشكل متزايد بالانتخابات الرئاسية المقبلة في نوفمبر، والتي توقع بعض المراقبين أن تتحدد نتيجتها من خلال

سلوك التصويت لدى يهود الساحل الشرقي. واستجابت كل من CJP و ACJ بمضاعفة جهودهما الدعائية. وعمل كيم روزفلت بشكل محموم على وجه الخصوص لمواجهة "الجهود المتجددة لإحداث تقسيم فلسطين"، فسافر إلى سان فرانسيسكو لإلقاء كلمة في عدد من الاجتماعات التي نظمها جورج ليفيسون، وصياغة البيانات الصحفية، والتشاور بشأن الاستراتيجية مع لوي هندرسون. ومع ذلك، فقد وجد المزاج السائد بين حلفائه في واشنطن "كئيباً"، كما أبلغ رئيس ACJ ليسينج روزنوالد، وكان الوصول إلى البيت الأبيض ـ "المفتاح إلى الأمر برمته" ـ مستحيلاً. وبحلول أوائل شهر مايو، أدرك كيم أن اللعبة انتهت، حتى في الوقت الذي كان هو وحلفاؤه يتنقلون فيه بين الاجتماعات والتجمعات. وفي العاشر من مايو، كتب إلى إلمر بيرجر، في حالة من اليأس غير المعهود: "الحقيقة هي أنني أخشى أن الظروف الحالية غير مواتية على الإطلاق. وفي هذه اللحظة بالذات أشعر بالإحباط إلى حد ما". وفي ال14 من مايو، وبعد سلسلة من الاجتماعات المتوترة والمتوترة بشكل غير عادي بين مسؤولين من وزارة الخارجية والبيت الأبيض، وبعد إحدى عشرة دقيقة فقط من إعلان الزعماء الصهاينة في تل أبيب استقلالهم، أعلن المتحدث باسم الرئيس ترومان الاعتراف الأميركي الرسمي بدولة إسرائيل الجديدة.(25)

وللمرة الثانية، فشل المناهضون للصهيونية من الأمريكيين في حمل أميركا على ما هم عليه. وكانت هذه الهزيمة أكثر مرارة بسبب الحرب العربية-الإسرائيلية الدموية التي أعقبت ذلك، وما صاحبها من فرار وطرد للاجئين العرب من فلسطين. وتتالت النكسات في وقت قصير. وبدأت مزاعم معاداة السامية الموجهة إلى أعضاء لجنة العدالة والسلام تلتصق بهم، وخاصة الرئيسة فيرجينيا جيلدرسليف، التي لم تساعدها سمعتها في تعزيز أجواء قريبة من الWASP في كلية بارنارد، والتي

وجدها العديد من الطلاب اليهود عدائية لهم. وكان تعيين صديقهم القديم دين أتشيسون خليفة لجورج مارشال في يناير 1949 (بعد نجاح انتخاب ترومان في نوفمبر 1948) بمثابة بعض التشجيع للمناهضين للصهيونية، ولكن سرعان ما أصبح من الواضح أن وزير الخارجية الجديد كان ينوي إبقاء CJP وِ ACJ على مسافة منه. ولم يكن لنشر كتاب "العرب والنفط والتاريخ" في إبريل 1949 التأثير الذي كان كيم يأمله، وربما يرجع ذلك، كما أبلغ بيرجر، إلى أن الضغوط الصهيونية دفعت كبار النقاد، مثل صحيفة نيويورك تايمز الصادرة يوم الأحد، إلى دفن الكتاب. وواسى كل من حفيد ثيودور روزفلت والحاخام المناهض للصهيونية بعضهما البعض أثناء عودتهما في سيارة عائلة روزفلت إلى واشنطن بعد محاضرة للمجلس الأمريكي لليهودية في بالتيمور، وقد لخص بيرجر شعور المناهض للصهيونية في أواخر الأربعينيات بشكل جيد:- كان "أنينهما البليغ مسموعًا بالكاد فوق خشخشة سيارة فورد التي يبلغ عمرها عشر سنوات". وكان الأمر -كما أخبر كيم في مارس 1949- أشبه بالسير عبر صفوف استعراض "في الاتجاه المعاكس".(26)

لقد فشل كيم روزفلت وحلفاؤه في منع اعتراف حكومة الولايات المتحدة بإسرائيل في ربيع عام 1948، تمامًا كما عجز المستعربون في مكتب الخدمات الاستراتيجية عن تجنب قرار تقسيم فلسطين في العام السابق. وهذا برغم أن أداء كيم كان أفضل كثيرًا من أداء الجيل السابق من المستعربين في الترويج للقضية العربية لدى الجمهور الأمريكي وتنظيم القوى المختلفة المناهضة للصهيونية في المجتمع الأمريكي، بما في ذلك اليهود المناهضون للصهيونية أنفسهم. ولكن بفضل جهوده، أصبحت هناك الآن شبكة ديناميكية ومنسقة جيدًا

وملتزمة بشدة بمناهضة الصهيونية وقادرة على إعادة تنشيطها في أوقات أكثر ملاءمة.

ولا كانت آفاق العروبية على الأرض في الشرق الأوسط نفسه قاتمة تمامًا. في الواقع، كان رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية الجديد في سوريا كوبلاند يقضي أحلى أوقاته.

الفصل الثامن:
هل هذا قائد مناسب؟ سوريا، 1949

كان مايلز كوبلاند في أقصى بهجته. فعندما انطلق إلى دمشق في سبتمبر 1947، أُخبِر بأنه سيواجه "منصباً شاقاً"، وعندما وصل وجد مدينة تقع في موقع مناسب بين جبال لبنان والصحراء السورية، وهي مزيج متناغم من الطرق الفرنسية المهيبة والشوارع المرصوفة بالحصى الخلابة. وانضمت إليه زوجته لورين وطفلاهما في أوائل عام 1948، وانتقلت الأسرة الشابة إلى فيلا مكونة من سبع غرف نوم مع طاقم من الخدم الذين تم جلبهم من القرى المسيحية القريبة. وبينما ذهب مايلز للعمل تحت غطاءه كموظف عادي في خدمة وزارة الخارجية في المفوضية (لم تكن البعثة الأميركية في دمشق قد تحولت بعد إلى سفارة كاملة)، كانت لورين تتسوق في أسواق المدينة الصاخبة وتستقل الطائرات مع الملحق الجوي الأميركي إلى أجزاء أخرى من المنطقة. كانت البعثة تحت إدارة دقيقة من جانب السفير جيمس هيو كيلي الابن، وهو مستعرب يتمتع بخبرة طويلة في المنطقة، وكان قد وصل إلى دمشق بعد فترة وجيزة من وصول كوبلاند، وكانت الروح المعنوية بين المسؤولين الأميركيين مرتفعة.

وكان آل كوبلاند يتواصلون اجتماعياً مع زملاء مايلز وأفراد الجالية الأوروبية المغتربة في بلاد الشام. وباعتبارها من محبي لورنس العرب في طفولتها، فقد كانت لورين سعيدة بشكل خاص بلقاء رفيقه في

الحرب العالمية الأولى، العقيد دبليو إف ستيرلينج. ولكنهم لم يقتصروا على الدوائر الغربية، بل وجدوا ترحيباً حاراً بين أهل دمشق النخبة الذين ما زالوا على استعداد للتعامل مع الولايات المتحدة بعد قرن من "الخيرية الأميركية غير الأنانية" في المنطقة، والمساعدة الأخيرة التي قدمتها المفوضية في طرد الفرنسيين من دمشق. وفي عطلات نهاية الأسبوع، كان آل كوبلاند يذهبون للتنزه في الريف المحيط، وكثيراً ما كانوا يتلقون عروضاً عفوية للضيافة من القرويين الذين كانوا يخرجون لاستقبالهم. وفي بعض الأحيان كان آرتشي روزفلت ينضم إليهم في هذه النزهات، أو كانوا يسافرون عبر الجبال لرؤيته في بيروت، حيث كان يستقر في حياة ممتعة بنفس القدر في منزل صغير في حي المنارة، يطل مباشرة على الواجهة البحرية. في أحد فصول الصيف، استأجر آرتشي وعائلة كوبلاند كوخًا حجريًا معًا في الجبال المطلة على بيروت، حيث كانا يتجولان لمسافات طويلة بين بساتين الزيتون أثناء النهار، ويشاهدان أضواء المدينة وهي تبدأ في الوميض تحتهما مع حلول الظلام.

كانت "فترة رائعة في حياتنا"، كما تذكرت لورين لاحقًا.(1)

وعلى الصعيد المهني، واجه مايلز وأرتشي مهمة هائلة: بناء شبكة تجسس من الصفر تقريبًا. وفي حالة أرتشي، كان التحدي أعظم، لأنه سرعان ما أدرك أن العميل اللبناني الرئيسي الذي ورثه من رئيس محطة بيروت السابق، دان دينيت، كان يختلق تقاريره (وقد ضبطه أرتشي متلبسًا باختلاق قصة عن مسؤول غير موجود في السفارة السوفييتية، وقد أكد العميل على صحتها). ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن يتلقى المستعرب الشاب، الذي استغل مهاراته اللغوية وقدرته على الانغماس الثقافي التي أظهرها بالفعل في شمال إفريقيا، تدفقًا ثابتًا من التقارير الاستخباراتية باللغات الفرنسية، العربية، والروسية من

مصادر محلية موثوقة. والواقع أن لبنان المستقل حديثًا، بمجتمعاته العرقية والدينية المتعددة، تحول إلى بيئة تجسس مثالية لأرتشي روزفلت، الفضولي الأبدي ومتعدد اللغات. كان الأمر وكأن البعثة رقم 90 التي قادها هارولد هوسكينز في زمن الحرب والتي فشلت قد وصلت أخيراً إلى وجهتها المقصودة، ولكن على هيئة رجل واحد فقط.(2)

وفي دمشق، كان مايلز كوبلاند يثبت أنه ليس متقاعساً في مجال التجسس، حيث اكتسب اللغة العربية بسرعة (على الرغم من أنه كان يتحدثها دائماً بلهجة ألاباما)، وجند عملاء محليين (مثل أحد مُرابي في دمشق، والذي ساعده بدوره في تنمية مصادر في وزارة الدفاع)، وبنى اتصالات في جهاز الاستخبارات السوري، المكتب الثاني (على اسم أصله الفرنسي). ولكن ما إذا كانت تقاريره إلى المقر الرئيسي تضاهي جودة تقارير آرتشي، فهذا أمر مشكوك فيه. ووفقاً لذكريات مايلز اللاحقة، كان آرتشي يوبخه "لتلفيقه تقاريره". وكان مايلز يرد: "ما الفرق بين تلفيقي للتقارير والسماح لعملائك بذلك؟". "على الأقل تقاريري منطقية".(3)

وكما يشير هذا التعليق الأخير، فقد كان هناك أكثر من مجرد تلميح إلى التلاعب في حياة مايلز وأرتشي المهنية المبكرة في وكالة الاستخبارات المركزية في الشرق الأوسط. فبعد وصولهما إلى بلاد الشام مباشرة تقريبًا، أثار الشابان غضب رئيسهما في القِسم، مايك ميتشل، عندما شككا في تقييمه السلبي لرئيس محطة أخرى في الشرق الأوسط كانا التقيا به في الطريق. ميتشل -وهو وفقًا لأرتشي، عربي أميركي عديم الفكاهة ومتعصب من أصل تبشيري- رد ببرقية "للرؤية فقط" إلى أرتشي، قائلًا: "لن يتم التسامح مع مثل هذا التصرف غير المسؤول في المستقبل". وكان يتم توجيه التوبيخات المستقبلية من هذا النوع إلى أرتشي في لبنان أكثر من مايلز في سوريا، وهو ما يعكس على الأرجح

المكانة الأعلى لمحطة بيروت. ومع ذلك، لم يكن هناك نقص في السلوك المشكوك فيه من على جانب مايلز.
وشمل ذلك مناسبة من الواضح أنها إلى حد كبير مُطرّزة في أسطورة عائلة كوبلاند، عندما ظهر تاجر بدوي في مفوضية دمشق ومعه لفافة من الرق حملها مايلز إلى سطح المبنى لتصويرها بكاميرته التي أصدرتها له وكالة المخابرات المركزية، وفي هذه العملية فقد عدة قطع من الرق بسبب الرياح، فقط ليدرك لاحقًا أنها كانت جزءًا من "مخطوطات البحر الميت". قال ميتشل لصديق لآرتشي: "معظم رؤساء محطاتي يختبرون سمك الجليد، ثم يتحركون بحذر عبر المِسبح. ومع ذلك، فإن مايلز -المهندس المعماري بطبيعته- كان يبني غواصة، بينما آرتشي يندفع عبر الجليد الرقيق إلى الجانب الآخر، بغض النظر عن العواقب". قد يبدو التقييم غير عادل لآرتشي، باستثناء أنه غالبًا ما كان هناك تمرداً يُشم في الهواء كلما اجتمع هو ومايلز. كما ورد في مذكرات آرتشي ليوم 14 أكتوبر 1947. "يظهر لي مايلز، تأتيني برقية غبية من واشنطن. كثير من المرح كما كان دائمًا." وبعد عشرة أيام أخرى: "يظهر مايلز. الارتباك المعتاد."(4)
وفي وقت لاحق، ستكتسب ظاهرة عملاء الاستخبارات الأميركية الذين يتصرفون بحرية في الشرق الأوسط دلالات أكثر شرًا. ولكن في هذه المرحلة المبكرة، كانت مثل هذه التصرفات تتسم بنوعية بريئة، بل وحتى حميدة. في كتابه "لعبة الأمم"، وصف مايلز كوبلاند أولى العمليات السرية الأميركية في سوريا ما بعد الانتداب بأنها ركزت على القضاء على الفساد والترهيب في الانتخابات الوطنية التي عقدت في يوليو 1947. وكما واصل شرحه، نشأت هذه الجهود من الدوافع المثالية للجيل الأول من ضباط الحكومة الأميركية في بلاد الشام، "معظمهم من المبشرين والرومانسيين السابقين"، الذين أرادوا تحرير العالم العربي من آخر أغلال "الخضوع التركي أو الفرنسي"، وكانوا

يعتقدون أن "تغيير القيادة في دول الشرق الأوسط ... كان مسألة إزالة بعض الدعائم الاصطناعية التي كانت تبقي على قادة في السلطة، والذين، بحكم الحق، لا ينبغي لهم أن يكونوا هناك في المقام الأول". حتى أن مايلز اقترح أن المسؤولين الأميركيين كانوا ينظرون بوعي إلى سوريا باعتبارها "مشروعًا تجريبيًا" لاختبار القدرة الأميركية على ممارسة النفوذ الديمقراطي على الدول العربية. ورغم أن الأدلة الوثائقية الأخرى التي تشير إلى وجود مثل هذا البرنامج قليلة، فإننا لا نملك من الأسباب ما يجعلنا نشكك في مايلز في هذا الصدد، لأن ما قاله عن الرغبة الأميركية في مساعدة (صعود "النوع المناسب من القادة") يتوافق مع ما نعرفه عن مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS ووكالة الاستخبارات المركزية الأميركية الCIA في أربعينيات القرن العشرين، بما في ذلك البرنامج الذي حدده كيم روزفلت في كتابه "العرب والنفط والتاريخ" لتعزيز مكانة الإصلاحيين القوميين الشباب في المجتمع العربي. ويبدو أن "النوع المناسب من القادة" الذي تحدث عنه مايلز يشبه إلى حد كبير "الأفندية الشباب" الذين تحدث عنهم كيم في كتابه.(5)

إن كانت هذه هى الخطة الأميركية الأصلية، فقد أفسدها تصويت الأمم المتحدة على فلسطين في نوفمبر 1947. ففي سوريا، كانت عواقب التقسيم متعددة، بدءاً بالانحدار السريع في شعبية الولايات المتحدة. وتتذكر لورين كوبلاند: "لقد أصيب الجميع بالذهول". وحاصر حشد غاضب من الناس المفوضية في دمشق، ومزقوا العلم الأميركي وأحرقوا السيارات. ورد مسؤولو المفوضية بالعمل بشكل محموم لإنقاذ صورة أميركا، والاحتجاج لدى واشنطن على سياستها تجاه فلسطين والسعي إلى إصلاح الجسور مع السياسيين السوريين. وهدأت الاضطرابات الأولية نتيجة لذلك، لكنها اشتعلت مرة أخرى مع إعلان

دولة إسرائيل في العام التالي ومع الذكرى الأولى للتصويت على التقسيم، الذي استقبل بجولة جديدة من أعمال الشغب في دمشق.(6)

كما أثرت أزمة فلسطين، وخاصة هزيمة القوات العربية في حرب 1948 مع إسرائيل، على السياسة الداخلية السورية. لقد واجه السوريون بالفعل من قبل عدداً من التحديات السياسية، بما في ذلك التوترات الطائفية والقبلية التي غذتها فرنسا، فضلاً عن التدخل المستمر من جانب جيرانهم الهاشميين، مملكتي العراق وشرق الأردن. كان لدى كل منهما طموحات للاستيلاء على بلد كان يُنظر إليه منذ فترة طويلة باعتباره المركز التجاري والفكري وحتى الروحي للعالم العربي، وخططا وفقًا لذلك مع فصائل سورية متنافسة. وقد انعكست هذه الانقسامات في نتائج الانتخابات التي جرت في عام 1947 (نفس الانتخابات التي حاول المسؤولون الأميركيون توجيهها سراً) وأنتجت حكومة أقلية ضعيفة برئاسة الأرستقراطي الدمشقي شكري القوتلي.

وفي الوقت نفسه، بدأت أحزاب جديدة في البزوغ، تحددها الإيديولوجية وليس الهوية الطائفية، وأكثر تماساً مع "الشارع"، في الظهور، ومن بينها حزب البعث، وهي حركة من المثقفين القوميين الاشتراكيين؛ الحزب الشيوعي؛ وجماعة الإخوان المسلمين. وعمل الصراع العربي-الإسرائيلي على تصدع هذه الفوالق أكثر وعلى تشويه سمعة حكومة القوتلي، التي تعاملت مع حرب 1948 بعجز، وعلى تزويد المتطرفين بشعارات أثبتت أنها أقوى حتى من النضال ضد الاستعمار الأوروبي.
وقد رثى كيم روزفلت هذه التطورات في كتابه "العرب والنفط والتاريخ"، مشيراً إلى كيف جعلت فلسطين موقف الأفندية الشباب المعتدلين والمتعلمين في أميركا في سوريا غير قابل للدفاع عنه تقريباً.

ولكن إذا نظرنا إلى الأمر بنظرة إلى الوراء، فإن العواقب الأكثر أهمية للحرب العربية-الإسرائيلية عام 1948 كانت دورها في تسييس الجيش السوري، الذي شعر ضباطه بأن شرف الأمة قد لطخ بهزيمته في ساحة المعركة. وكثيراً ما كان هؤلاء الجنود يأتون من خلفيات متواضعة تنتمي إلى أقليات مجتمعية تتناقض مع العائلات السُنية من ملاك الأراضي والتجار الذين هيمنوا حتى الآن على السياسة في البلاد، وبدأوا يشعرون بإحساس حارق بالظلم ضد السياسيين المدنيين في سوريا.(7)

وكما كتب مايلز كوبلاند في وقت لاحق، "كانت بيئة اللعبة تخضع لتحول سريع". ومن منظور واشنطن، كانت الأحداث في سوريا مقلقة للغاية. فقد أدى عدم الاستقرار في البلاد إلى متاعب لعدد من المصالح الأميركية الأوسع نطاقاً في المنطقة:

*خط أنابيب أرامكو إلى البحر الأبيض المتوسط، خط التابلاين والذي كان إكماله الناجح يعتمد على تعاون الحكومة السورية؛

*أمن تركيا، الحليف الحاسم للولايات المتحدة على الحافة الجنوبية للإمبراطورية السوفييتية؛

*الصراع العربي-الإسرائيلي،الذي تتطلب تسويته سلمياً استعداداً سورياً للجلوس إلى طاولة المفاوضات؛

*احتواء الشيوعية، الأيديولوجية التي ازدهرت في ظل ظروف من الاضطرابات السياسية.

وبصورة أكثر عمومية، وباعتبارها أول دولة عربية فلتت حقاً من قبضة الاستعمار الأوروبي، فقد كان من الممكن النظر إلى سوريا باعتبارها حالة اختبار لما قد يحدث في أماكن أخرى من الشرق الأوسط في حقبة ما بعد الاستعمار.

ولقد لخص بيان سري للسياسة في يناير 1949 ما كان على المحك: "نظراً لموقع سوريا الاستراتيجي، وإمكانياتها الاقتصادية، وأهميتها

كمركز للنشاط السياسي والثقافي العربي، فمن الضروري لسياستنا العامة في الحفاظ على الاستقرار الإقليمي ورفاهية الشرق الأدنى وتعزيزهما أن تكون سوريا ... عضواً ديمقراطياً ومتعاوناً ومستقراً داخلياً في المجتمع الدولي".(8)

ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك عملياً؟ وكما حدث مع الكثير من الأمور الأخرى التي كانت لتتبناها السياسة الأميركية في الشرق الأوسط على مدى السنوات القليلة التالية، فقد قدم لنا كتاب كيم روزفلت "العرب والنفط والتاريخ" دليلاً على ذلك. وإذا حكمنا من خلال محتويات الفصل الأخير، الذي يراجع بعض الحجج التي وردت في وقت سابق من الكتاب، فلابد أن يكون كيم قد أضاف "ملاحظة إلى الأميركيين" في اللحظة الأخيرة قبل نشرالكتاب، وربما في نفس الوقت الذي كتب فيه الإهداء، في فبراير 1949. وفي هذه الملاحظة، أضاف كيم شرطاً مهماً إلى أطروحته القائلة بأن الهدف الرئيسي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط ينبغي أن يكون تعزيز القوميين المعتدلين والمتعلمين في الغرب باستخدام الأساليب الديمقراطية. وكانت الديمقراطية الأميركية -كما يشير الآن- نتاجاً لمجموعة محددة من الظروف التاريخية التي لم تكن موجودة بالضرورة في العالم العربي الحديث، في حين تعرضت مكانة الأفندية الشباب للخطر الشديد بسبب الأحداث الأخيرة. وفي ظل هذه الظروف بعد حرب 1948، فإن شكل من أشكال الحكم بخلاف ("ديمقراطية" على النمط الأمريكي) قد تكون أقدر على الدفاع عن القيم الإنسانية العالمية مثل "الكرامة واللياقة والحرية الفردية"، حتى لو كان ذلك يعني أن تدعم الولايات المتحدة الأنظمة الاستبدادية. وخلص كيم إلى أن "دعم الديمقراطية ومعارضة الإمبريالية لا يمكن أن يلغي تمامًا الحقيقة المؤلمة المتمثلة في أن الإمبراطوريات كانت موجودة، ورغم انكماشها، لا تزال موجودة".(9)

(من المترجم :- ليست واشنطن أحد هذه الامبراطوريات بالطبع)

ليس من الواضح ما إذا كان كيم يضع في اعتباره الوضع في سوريا على وجه التحديد عندما كتب هذه الكلمات، لكنها كانت نبوءة غريبة لما كان على وشك الحدوث في ذلك البلد.

لم يمض وقت طويل على وصول مايلز كوبلاند إلى سوريا حتى ظهر في دمشق أميركي آخر ـ أميركي قوي البنية، عضلي، "شخصية من نوع جيمس بوند" (كما يتذكره أحد أبناء مايلز) ـ كان الرائد ستيفن جيه. ميد قد خدم في كتيبة النخبة الأولى للجيش الأميركي، المعروفة باسم "حراس داربي" الأسطوريين، أثناء الحرب العالمية الثانية، وشارك في غزوات الحلفاء لشمال أفريقيا، صقلية وإيطاليا. ووفقاً لما ذكره مايلز، فقد عمل أيضاً لصالح مكتب الخدمات الاستراتيجية، حيث تولى عمليات التخفي والتهرب في إيران متنكراً في هيئة أحد رجال القبائل الأكراد، حيث رافق آرتشي روزفلت في مهمة لإنقاذ بعض المبشرين الأميركيين الذين اختطفتهم فصيلة هاربة من قوات الأمن الخاصة النازية الـSS.
وسواء كانت هذه الادعاءات الأخيرة (عن مطاردة فصيلة الـSS في ايران الذين خطفوا مبشرين مسيحيين) صحيحة أم لا، فمن الواضح أن ميد كان عميلاً سرياً مرغوباً للغاية، وكان الجيش يعيره لوكالة الاستخبارات المركزية كلما ظهرت الحاجة إلى توليفته الغريبة من القوة البدنية، والمهارات اللغوية، و"الجمال الأرضي" (على حد تعبير مايلز في كتابه "لاعب اللعبة"). وبعد إرسال ميد إلى بيروت كمساعد ملحق عسكري، أُمر مايلز بالابتعاد عنه ـ ومن الواضح أن مايك ميتشل كان يخشى أن يجتمع هؤلاء الذكور "الألفا" المسيطرون "فإن الأمر قد يتحول بطريقة ما إلى حالة من 1 +1 = أكثر من 2"، على حد تعبير مايلز. ولكن مساراتهم ظلت تتقاطع حتى وافقوا في حفل أقيم في بيروت على "وقف هذه المهزلة". وقال ميد لمايلز: "لدينا الكثير

لنتحدث عنه، فمن يهتم إذن بما يعتقده البيروقراطيون؟". وبعد فترة وجيزة، طلب الوزير الأميركي المفوض جيمس كيلي نقل ميد إلى دمشق.

وباعتباره ملحقاً عسكرياً، كان لميد قدرة فريدة على الوصول إلى المستويات العليا من الجيش السوري، بما في ذلك زمرة من الضباط الساخطين الذين تجمعوا حول رئيس الأركان، وهو عقيد كردي يبلغ من العمر خمسين عاماً يُدعى حسني الزعيم. وحتى إذا أخذنا في الاعتبار التحيز الاستشراقي في الأوصاف الغربية له، فإن الزعيم لم يكن يبدو شخصية جذابة. كان ممتلئ الجسم ومزخرفاً، وكان مغروراً، ومتكلفاً، وعديم الضمير تماماً. ومع ذلك، فإن رفضه باعتباره مهرجاً يفتقر إلى "كفاءة العريف الفرنسي"، كما فعل أحد المسؤولين الأميركيين، كان خطأً. ولقد كان ستيف ميد على وشك اكتشاف ذلك، إذ لم يكن الزعيم يمتلك خطة محكمة للحصول على السلطة السياسية في سوريا فحسب ـ وهو أمر غير مفاجئ بالنظر إلى أنه كان، وفقاً للملحق العسكري البريطاني، يلعب بفكرة الانقلاب منذ مارس 1947 ـ بل كان يمتلك أيضاً رؤية واضحة لكيفية استخدام تلك السلطة بمجرد حصوله عليها، بما في ذلك مقترحات لإصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية بعيدة المدى.(11)

وفي لقائه الأول مع الزعيم في الثلاثين من نوفمبر 1948، صُدِم ميد على الفور (كما أبلغ واشنطن) بمدى "خصائص الرجل القوي" للعقيد الكردي التي ستصنع لهم "دكتاتورية مدعومة بالجيش". وفي مقابلات لاحقة، تجنب الرجلان التصارح، ولكن بحلول أوائل مارس 1949، قرر السوري، الذي ربما اقتنع بتأكيدات صديقهما المشترك، رئيس جهاز المخابرات اللبنانية، أن يثق في الأميركي. وقد استدعي ميد إلى جانبه في الثالث من مارس ثم مرة أخرى في السابع من مارس، وسمع ميد الزعيم يتنبأ بأن "اضطرابات داخلية واسعة النطاق" سوف تحدث

خلال بقية الشهر، مما يتسبب في "سقوط الحكومة القائمة" و"ترك المؤسسة العسكرية في السيطرة على البلاد". وبعد استيلاء الجيش على السلطة، كما تابع الزعيم، سيتم تجميع الشيوعيين و"الساسة الضعفاء" في البلاد ووضعهم في "معسكرات اعتقال في الصحراء". وفي الوقت نفسه، ومع تولي الزعيم المسؤولية فعليًا كوزير للدفاع، ستشرع الحكومة الجديدة في فترة إصلاح تتراوح من ثلاث إلى خمس سنوات، بما في ذلك "تكسير السلطة الإقطاعية وإعادة توزيع الأراضي"، وتحديث المؤسسات السياسية والقضائية والرفاهة الاجتماعية في البلاد.

وبهذا الشكل من التعليم والانضباط، سيتمكن السوريون، كما طمأن الزعيم ميد، من "تخفيف تدريجي للقيود على ضبط السكان" على مدى العقد المقبل. ولكن في غضون ذلك، صاح الديكتاتور المحتمل، وهو يضرب مكتبه بسوطه، "لا توجد سوى طريقة واحدة لوضع الشعب السوري على طريق التقدم والديمقراطية"، وهي "بالكرباج".(12)

أعرب الوزير المفوض جيم كيلي عن أسفه للحديث عن الدكتاتورية العسكرية، فقد أزعجته فكرة تغيير النظام بشكل غير قانوني من الناحية الأخلاقية، وباعتباره عروبياً، فقد آمن بالتطلعات الديمقراطية الأساسية للشعب السوري. ولكنه كان يخشى أيضاً أن تكون سوريا على وشك الانهيار الكامل، ولذلك كان مستعداً للمضي قدماً في خطة الزعيم كوسيلة لحماية ما اعتقد أنه الآفاق الطويلة الأجل للديمقراطية في البلاد. وعلى أية حال، فإن هذا هو الادعاء الذي طرحه مايلز كوبلاند في كتابه "لعبة الأمم" الصادر عام 1969، والذي يروي كيف نجح "فريق عمل سياسي" برئاسة ميد، بناءً على أوامر صريحة من كيلي، في "تطوير صداقة منهجية مع الزعيم، ... واقترح عليه فكرة الانقلاب العسكري، ونصحه بكيفية القيام بذلك، ووجهه خلال الاستعدادات

المعقدة لوضع الأساس لذلك". وقد عزز مايلز في سيرته الذاتية التي صدرت لاحقاً بعنوان "لاعب اللعبة" هذا التصريح بأوصاف أكثر تفصيلاً لكيفية تنقل ميد في أنحاء دمشق بسيارة الليموزين الخاصة بالزعيم مشيراً إلى مباني المؤسسات التي ينبغي الاستيلاء عليها في حال افتراض وقوع انقلاب، وكيف استخدم مايلز نفسه عملاءه في وزارة الدفاع للحصول على "معلومات معينة" لم يكن الزعيم نفسه ليطلبها "دون إثارة الشكوك". كما زعم مايلز أيضا أنه التقى بشكل دوري بأحد المتآمرين الأساسيين مع الزعيم، أديب الشيشكلي، وهو قائد دبابة معروف بأنه موظف سياسي غير أخلاقي (كان الرجلان معاً ذات ليلة عندما مرضت لورين كوبلاند، الحامل بطفلها الثالث إيان، بتسمم الحمل، وساعد الشيشكلي في إنقاذ حياتها بنقلها إلى المستشفى على عجل).

التأثير الإجمالي لهذه المقاطع، كما يفترض أن مايلز يقصد، هو خلق الانطباع بأن خطة انقلاب الزعيم كانت عملية لوكالة المخابرات المركزية من بدايتها إلى نهايتها.(13)

بشكل متوقع، فإن هذه الرواية للأحداث كانت مثيرة للجدل إلى حد كبير، مع اقتراح العديد من النقاد أن مايلز ضخّم بشكل كبير من مساهمته في تخطيط انقلاب الزعيم. ولا شك أن رواية مايلز للأحداث في سوريا تتسم بنوعية أدبية أقوى من المعتاد، حيث يشعر القارئ بأن الانقلابات، مثلها كمثل الأحداث في حياة ضابط وكالة الاستخبارات المركزية، تصلح بشكل خاص لرواية القصص اللاحقة. وقد اعترف مايلز نفسه في وقت لاحق في كتابه "لاعب اللعبة" قائلاً: "بينما أستعرض ماضيي المتنوع بحثاً عن مواد مناسبة لقصص ما قبل النوم لأرويها لأحفادي، أجد نفسي أتأمل بشكل مفرط في الانقلابات العسكرية". ولابد من القول أيضاً إن مايلز لم يساعد قضيته بالضبط عندما تراجع فجأة، دون سبب واضح، في فقرة من كتاب "لاعب اللعبة"، مناقضاً بشكل قاطع روايته

السابقة في كتاب "لعبة الأمم" بقوله إن "الانقلاب كان في الواقع ومن البداية من تنظيم حسني".(14)
وعلى الرغم من ذلك، وبرغم كل الشكوك التي تحيط بمصداقية مايلز، فهناك بعض الأدلة التاريخية، إلى جانب شهادته، على وجود مؤامرة أميركية سرية في سوريا بالفعل.
على سبيل المثال، صرح ضابط سياسي شاب في البعثة الدبلوماسية الأميركية، دين ر. هينتون، في وقت لاحق، أن كوبلاند وميد تآمرا بالفعل مع الزعيم. (هينتون -الذي كان مثل العديد من ضباطي خدمة وزارة الخارجية لا يوافق على أنشطة وكالة الاستخبارات المركزية- مضى إلى القول إن مايلز اعتبر نفسه "شخصية بارزة أكبر من الوزير" وأن "المبالغة كانت اسمه الأوسط"). كما أشارت بعض المصادر السورية إلى التدخل الأميركي السري: فقد اشتبه وزير الخارجية في حكومة القوتلي، على سبيل المثال، في أن "الملحق العسكري الأميركي" يمارس أنشطة شريرة.(15)
ومن المدهش أن القصة الأكثر إثارة للدهشة والغرابة في كتاب "لاعب اللعبة" هي القصة التي تبين أنها المدعومة أكثر من غيرها من حيث الأدلة من مصادر أخرى. ففي محاولة للتوصل إلى طرق لإحراج حكومة القوتلي، توصل كوبلاند وميد إلى فكرة تنظيم حادثة في منزل الأول بهدف الإيحاء بأن المبعوثين الأجانب في سوريا لا يتمتعون بحماية من سلطات البلاد. كانت الخطة هى نشر شائعات مفادها أن مايلز يحتفظ بوثائق سرية في منزله، وإغراء ضباط الاستخبارات السورية بمداهمته عندما يبدو أنه خالٍ. ثم يخرج مايلز وميد وبعض الشركاء الأميركيين من مخابئهم ويقبضون على اللصوص مقتحمي المنزل. سارت الاستعدادات للهجوم بسلاسة، حيث تم إرسال لورين كوبلاند والأطفال إلى لبنان وتم تفخيخ الفيلا بمصابيح كليج شديدة الإضاءة و بعبوات الغاز المسيل للدموع. بدأت الأمور تتجه إلى الخطأ

بعد وصول فريق أكبر من المتوقع من مخبري الحكومة ورجالها مسلحين بالبنادق وفتحوا النار عندما طُلب منهم الاستسلام. رد الأميركيون بإطلاق النار، ودارت معركة بالأسلحة النارية استمرت عشرين دقيقة، ولم تنته إلا عندما فر المهاجمون بالسيارة، تاركين سكان المنزل سالمين. وفي حين كان حسني الزعيم مسروراً لأن الحادث كان أكثر إثارة مما كان مخططاً له في الأصل، فإن رئيس مايلز في واشنطن، مايك ميتشل، لم يكن منبهراً على نحو معتاد، وطالب بشدة بتقديم تقرير مفصل عن الحادث بأكمله.(16)
ورغم أن كل هذا يبدو وكأنه قصة أخرى من حكايات كوبلاند، فإنه يحظى ببعض الدعم من مصدر غير متوقع: قصة نشرتها صحيفة نيويورك تايمز، بتاريخ 10 مارس 1949، تصف "أربعة مسلحين ملثمين" يطلقون النار على منزل مايلز أ. كوبلاند الابن، "الملحق في مفوضية الولايات المتحدة" وكونه "يحسن ضرب النار"، رد الدبلوماسي الأمريكي بإطلاق النار بمسدسه الخاص. والواقع أن التفسير الذي قدمه كتاب "لاعب اللعبة" أكثر إقناعاً إلى حد ما من التفسير الذي قدمه مسؤولو المفوضية في ذلك الوقت، والذين أصروا بشدة، وفقاً لصحيفة نيويورك تايمز، على أن "الهجوم لم يكن له دوافع سياسية". وهناك، بالإضافة إلى ذلك، قدر كبير من تراث عائلة كوبلاند حول تبادل إطلاق النار، وليس كل هذا من تأليف مايلز نفسه. على سبيل المثال، يتذكر مايلز الثالث نفسه بوضوح عندما كان في الخامسة من عمره عندما نُقِل من دمشق إلى فندق في الجبال، حيث كان عليه أن يأكل البيض المسلوق، الذي كان يكرهه، وعاد ليجد منزله مليئاً بثقوب الرصاص. كما تقدم وثيقة معاصرة تم الافراج عنها، تقرير مفوضية بتاريخ 18 مارس 1949، تلميحاً إلى التأكيد، في إشارة إلى اهتمام حسني الزعيم بجعل عملاء الولايات المتحدة "يثيرون ويشجعون الاضطرابات الداخلية التي تشكل ضرورة أساسية للانقلاب". (17)

بطبيعة الحال، لا شيء من هذا يثبت بالضرورة ادعاء مايلز الأصلي في كتاب "لعبة الأمم" بأن الزعيم كان يعمل كعميل أمريكي. في الواقع، تشير معظم الأدلة المتاحة إلى أن الكردي نفسه هو الذي تولى زمام المبادرة في التخطيط لانقلابه.

في منتصف مارس، على سبيل المثال، قدم ما زعم أنه قائمة بأهداف اغتيال شيوعية تضم أسماء ثمانية مسؤولين سوريين، والوزير الأمريكي، والسفير البريطاني. ولقد شكك المسؤولون في البعثة الأميركية في أنه قام بتلفيق الوثيقة بهدف إثارة المخاوف الغربية بشأن الأمن الداخلي السوري، وبالتالي تمهيد الطريق لأن يقلب الحكومة.

ومن الواضح أيضاً أن ميد لم يكن الغربي الوحيد الذي وثق به الزعيم. فقد التقى العقيد جوردون فوكس، المستشار العسكري البريطاني الذي يعمل لدى الجيش السوري، والملحق العسكري البريطاني بالزعيم في مارس واستمعا إلى توقعاته بشأن استيلاء الجيش على السلطة، ولو أن الزعيم في هذه المحادثات لم يركز على التهديد الشيوعي وخططه للإصلاح الاجتماعي بقدر ما ركز على رغبته في إقامة علاقات أوثق مع حكومتي شرق الأردن والعراق - وهما نظامان مدعومان من بريطانيا. وبعبارة أخرى، كان السوري يغير رسالته حسب الظرف، ويخبر كل نوع بعينه من الغربيين بما يعتقد أنهم يريدون سماعه.(18)

(من المترجم :- عموما سيستمر التنافس البريطاني-الأمريكي وأيضا التنافس السعودي-المصري-الهاشمي على دمشق من ساعة خروج الفرنسيين من دمشق، حتى يفوز آخر المنقلبين حافظ الأسد في نوفمبر 1970، مدعوماً من كل من سعودية فيصل بن عبد العزيز واستخباراته بقيادة كمال أدهم ومدعوماً من بريطانيا أيضا، ويخسر الثلاثي:-
واشنطن، "الضباط الأحرار" المصريين، وبعثيي العراق هذه اللعبة، وبالطبع يخسر اليساريون السوريون ذاتهم، وطنييهم وشيوعييهم)

كان الانقلاب نفسه، عندما حدث في الساعات الأولى من صباح الأربعاء 30 مارس 1949، تحفة من تحف التخطيط العسكري، ولم يسفك دماء باستثناء مقتل ثلاثة من الحراس الشخصيين الملحقين بوزير في الحكومة. وكما يتذكر مايلز في "لاعب اللعبة"، فقد وزع الزعيم أوامر سرية على أربعة ضباط آخرين كبار في الجيش، مع تعليمات بفتحها بشكل منفصل عند منتصف الليل، مع أخذ احتياطاته اللازمة بقيامه بحبس السكرتيرين اللذين كتبا هذه الأوامر في أحد خزانات وزارة الدفاع. وفي الساعة الثانية والنصف صباحًا، اقتحمت وحدات المشاة والسيارات المدرعة المتمركزة خارج دمشق المدينة ونزعت أسلحة قوات الشرطة وقوات الأمن العادية. وما حدث بعد ذلك كان مشهدًا سيتكرر عدة مرات في السنوات القادمة، وقد وصفه في هذه المناسبة الصحفي البريطاني باتريك سيل: "اعتقلت إحدى فصائل القوات الرئيس في المستشفى حيث كان يتلقى العلاج من قرحة في المعدة وشكوى في القلب؛ واعتقلت أخرى رئيس الوزراء؛ وأمنت ثالث محطة الراديو؛ واستولت رابعة على مقر الشرطة؛ واستولت خامسة على مقر الدرك؛ وسادسة على مركز الهاتف المركزي" ومع اقتراب الفجر، "استيقظ سكان دمشق على أصوات النشيد الوطني السوري على الراديو، تبعه صوت حسني الزعيم المسجل يعلن أنه استولى على البلاد" كتب كوبلاند. وطبقاً لما ذكره مايلز، أصبحت هذه العملية الدقيقة بمثابة نقطة مرجعية قياسية في الجهود الأميركية الرامية إلى إحداث عمليات تغيير سري للنظام في بلدان أخرى من العالم الثالث، "وقد تم دراستها في فصول التدريب التي تقدمها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية على مدى العقدين التاليين".(19)

وأياً كان المدى الدقيق للتواطؤ الأميركي السري مع الزعيم قبل انقلابه، فإن التحفظات الأميركية بشأنه من النوع الذي عبر عنه جيم كيلي ظلت قائمة بعد توليه السلطة، مما تسبب في تأخير واشنطن في منح النظام

الجديد اعترافاً رسمياً. وفي غياب العلاقات الدبلوماسية المنتظمة، واصل ستيف ميد دوره قبل الانقلاب باعتباره النقطة الأساسية للاتصال الأميركي بقيادة العسكر. ومن ثم، عندما علمت البعثة الأميركية أن الزعيم كان يفكر في "الإعدام، الحوادث، والطعام المسموم" كوسائل محتملة للتخلص من الرئيس السابق القوتلي، أُرسل ميد ليتوسل إلى الدكتاتور لإنقاذ حياة سلفه. "ماذا يريدون مني أن أفعل به، أتركه حراً ليخطط ضدي؟" سأل الزعيم بغضب صديقه الأميركي. "يمكنني بسهولة أن أثبت أنه مات لأسباب طبيعية". ولكن في نهاية المطاف، تم إقناع الزعيم السوري الجديد بالاتصال بالمستشفى العسكري حيث كان القوتلي محتجزاً. وسمعه ميد يسأل: "كيف حاله؟ أعطه الكثير من الحليب و الجبن... وأخبرني كيف حاله؛ أنا مهتم". وبعد أن اطمأن ميد إلى هذا العرض الدرامي للاهتمام برفاهية القوتلي، غادر لإبلاغ كيلي بالتغيير الواضح في رأي الزعيم.(20)

وظلت التوترات قائمة في العلاقات الأميركية مع الزعيم (الذي وصفه كيلي بأنه "المجرم عديم الضمير" بعد الانقلاب مباشرة). فقد ظل المسؤولون الأميركيون حذرين شخصياً من الديكتاتور السوري، نتيجة لمزيج من الصور النمطية الاستشراقية، والحقيقة التي لا شك فيها بشأن غروره المعترف به عالمياً، والميل إلى النظر إليه في ضوء التجربة الأميركية السابقة مع المجالس العسكرية في أميركا اللاتينية (أشار إليه ستيف ميد ذات مرة بأنه "دكتاتور من نوع جمهورية الموز"). ومن جانبه، استاء الزعيم من التأخير في الاعتراف الأميركي الرسمي بسلطته، ورد بالإشارة إلى إمكانية تفضيله لفرنسا باعتبارها الحليف الغربي الرئيسي لسوريا في المستقبل. كما قدم توبيخاً خفيفاً إلى ميد عندما علم أن مسؤولاً أميركياً طائشاً يعمل في البلاط السعودي قد أفشى علاقتهما بابن سعود. ولعل هذه الحوادث وليس غرور الرجل -الذي وصفه مايلز كوبلاند بطريقة هزلية- هي التي تفسر لماذا أصبح

رجل سوريا القوي أكثر ابتعاداً في سلوكه تجاه مايلز وميد، حيث طالبهما بفظاظة بالوقوف عندما يدخل الغرفة، ومخاطبته بالشكل الرسمي لـ "أنت" بالفرنسية (vous) بدلاً من الصيغة التآلفية (tu). (21)

ولكن على العموم، أعجب المراقبون الأميركيون بأداء الزعيم كرئيس للدولة السورية بشكل إيجابي ـ وهو أمر غير مفاجئ، نظراً لأن سياساته ربما كانت مصممة خصيصاً لإرضائهم. ففور توليه السلطة، أعلن رغبته في التصديق على امتياز خط أنابيب التابلاين عبر سوريا الذي تأخر كثيراً (وهو ما أسعد جيمس تيري ديوس وبيل إيدي من أرامكو في واشنطن). وفي وقت لاحق من شهر إبريل، أعلن الزعيم أيضاً عن خططه لتحسين العلاقات السورية مع كل من تركيا وإسرائيل، فأبلغ جيم كيلي سراً أنه على استعداد لإعادة توطين ربع مليون لاجئ فلسطيني في سوريا، بل وحتى الاجتماع شخصياً مع رئيس الوزراء الإسرائيلي ديفيد بن جوريون. وكان هذا دليلاً، كما أفاد كيلي، على "رغبته الجادة في تصفية معضلة فلسطين من خلال انتهاج سياسة الأخذ والعطاء من الآن فصاعداً". وفي الوقت نفسه، وكما وعد ميد، شرع الزعيم في حملة أمنية داخلية، فقام باعتقال نحو أربعمائة شيوعي مزعوم، وأرسل فرقة من اثني عشر ملاكماً ومصارعاً لتنفيذ "اعتقالات سريعة وسرية" في لبنان والعراق. وعندما فقدت هذه الحملة المعادية للشيوعية زخمها، طلب رئيس استخبارات الجيش السوري من ميد مساعدته في التعرف على العملاء السوفييت، ووعد بالتعامل معهم "على الفور وبقسوة".(22)

وبالإضافة إلى هذه الجهود المرحب بها لتحسين الاستقرار الداخلي والإقليمي، شرع الزعيم في تنفيذ برنامج طموح للإصلاح والتحديث الداخلي. فعزز الجيش السوري المنهار وأعاد تسليحه، وقضى على الفساد والمحسوبية في الخدمة المدنية، وأطلق العديد من مشاريع

الأشغال العامة. وحصلت النساء السوريات المتعلمات على حق التصويت، وحُظِر استخدام ألقاب مثل بيه وباشا، وحلت القوانين المدنية والجنائية والتجارية محل قوانين الشريعة الإسلامية. ولاحظ باتريك سيل أن "الزعيم صدم المجتمع الدمشقي وأخرجه من تشدده المتزمت. فقد أعلن عن رفضه للملابس والقبعات العربية التقليدية، وازدهرت الشوارع بمجموعة غريبة من القبعات الأوروبية القديمة". وحتى مع مراعاة العناصر الكوميدية، فقد كان سجلاً مثيراً للإعجاب من الإنجازات التقدمية. كان العقيد الكردي الفظ يتصرف وكأنه أحد "الأفندية الشباب" لكيم روزفلت.(23)

وبحلول أواخر أبريل، كان السلوك الطيب للزعيم قد جلب أخيراً اعترافاً رسمياً من الولايات المتحدة بحكومته. (ما زال جيم كيلي يأسف بشدة -ياعين أمه!- على "إنكار العملية الديمقراطية"، ولكنه أنقذ نفسه من وخز الضمير بإخبار نفسه بأن الأميركيين قد "يحققون المزيد على المستوى الأخلاقي من خلال ممارسة نفوذنا من أجل الاعتدال... بعد الاعتراف الأولي"). وبعد ذلك، تحسنت العلاقات السورية الأميركية بشكل مطرد. وخلال محادثة جرت في الرابع من يونيو، قبل كيلي تأكيدات الزعيم بأن الانتخابات الرئاسية المقرر إجراؤها في الخامس والعشرين من ذات الشهر يونيو سوف تكون ديمقراطية بالكامل، مشيراً كيلي بعد ذلك إلى أن "إرادة العقيد الدافعة لخدمة المصالح الفضلى لبلاده" كانت "في تناقض واضح مع الكسل التقليدي الذي كان يتسم به أسلافه". وفي الشهر التالي، وبعد فوز متوقع في الانتخابات (حيث لم يكن هناك سوى مرشح واحد)، منح الرئيس الزعيم أوسمة سورية رفيعة لكل من كيلي وميد، الذي وصفه أحد مراقبي السفارة البريطانية بأنه "أحد المخبرين التابعين للزعيم". وفي تقريرها عن هذا الحدث، اغتنمت صحيفة نيويورك تايمز الفرصة لاستعراض الإنجازات الأخيرة التي حققتها حكومة الزعيم، ومن بينها اتفاقية خط أنابيب التابلاين،

تحسين العلاقات مع تركيا، وزيادة اليقظة ضد اختراق الشيوعيين في الشرق الأوسط. وإلى جانب الأوسمة التي مُنحت للمسؤولين الأميركيين، فإن كل هذه الإجراءات تشهد، كما ذكرت صحيفة التايمز، على "موقف سوريا الصريح من حسن النية تجاه الولايات المتحدة".(24)

ولكن لسوء حظ حسني الزعيم، فإن الموافقة الأميركية وحدها لم تكن كافية لإنقاذه من أعدائه بين مواطنيه. فقد كان لدى عناصر مختلفة في المجتمع السوري بالفعل أسباب لكراهية الدكتاتور حتى قبل انتخابه رئيساً: المتطرفون، المسلمون، والقوميون الذين اعترضوا على موقفه المتساهل تجاه إسرائيل. وكانت هناك أيضاً مؤشرات على أن جيران البلاد من الهاشميين، وخاصة في العراق، بدأوا في التخطيط ضده. لكن كانت نقطة التحول عندما فقد الزعيم دعم قاعدته الرئيسية للسلطة: الجيش. وبدأ زملاؤه الضباط يتذمرون فيما بينهم عندما استبدل الزعيم لقب الرئيس بلقب المشير، وزين نفسه بزي عسكري جديد متقن وهراوة ضخمة ملفوفة بالذهب والمخمل الأخضر. ولقد ازدادت حدة التذمر حين عين رئيساً للوزراء من أحد مساعدي القوتلي السابقين، محسن البرازي، الذي كان يُنظَر إليه في الدوائر العسكرية باعتباره شخصية شبيهة برسبوتين، و"عبقرياً شريراً" خلف العرش.

ولكن ما أدى إلى هلاك الزعيم حقاً كان الدور الذي لعبته حكومته في المساعدة على اعتقال وإعدام القومي السوري المؤثر أنطون سعادة في لبنان في يوليو 1949، نظر عديد من ضباط الجيش لذلك كعمل مشين من أعمال الخيانة ووصمة عار أخرى على شرف الأمة.(25)

وفي الرابع عشر من أغسطس 1949، وبعد أسابيع من الشائعات حول مؤامرات الاغتيال، وبعد ثلاثة أيام فقط من زيارة ستيف ميد الوداعية للزعيم قبل عودته إلى منصبه في بيروت، تحرك الجيش السوري مرة

أخرى نحو دمشق في الساعات الأولى من الصباح. سمعت لورين كوبلاند، وهي مستيقظة في فيلتها قبالة الطريق الرئيسي، ما أصبح ضوضاء مألوفة: "صوت محركات الدبابات، مما يشير إلى أن "شيئًا ما يحدث". ومع تقدم رتل السيارات المدرعة، بدأت المفارز في الانتشار في الشوارع الجانبية متجهة إلى مرافق حكومية مختلفة في مناورة مماثلة للعملية التي تمت قبل أربعة أشهر ونصف. وكان الاختلاف الرئيسي بين انقلابي مارس وأغسطس 1949 هو أنه في الانقلاب السابق، نجا كل من الرئيس القوتلي ورئيس الوزراء خالد العظم بحياتهما من سقوطهما من السلطة. ولم يتضح بعد ما إذا كانت المحاكمة العسكرية قد جرت على عجل، كما زعم المتآمرون، أو ما إذا كانت عملية إعدام سريعة، كما يبدو أكثر ترجيحاً، ولكن في وقت مبكر من صباح الرابع عشر من أغسطس، أُعدم المشير حسني الزعيم بالرصاص، إلى جانب رئيس وزرائه، البرازي. ولم يدم نظام الزعيم سوى 136 يوماً.(26)

إن الحقيقة حول دور وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في جلب حسني الزعيم إلى السلطة ربما تكمن في مكان ما وسط بين ادعاء مايلز كوبلاند الأصلي بأن انقلاب مارس 1949 في سوريا كان عملية وكالة الاستخبارات المركزية بالكامل وبين تصريحه اللاحق بأن كل ذلك كان من عمل الزعيم. فمن ناحية، هناك مصادر تشير إلى أن السوري هو الذي ابتكر الفكرة بنفسه، ودبّر بعض الحوادث دون التشاور مع المسؤولين الأميركيين وقام بمغازلة المؤيدين الغربيين المحتملين. ومن ناحية أخرى، تشير سجلات الحكومة الأميركية إلى أن ستيف ميد تمتع بدرجة استثنائية من الوصول إلى الزعيم في الأسابيع التي سبقت الانقلاب، وهناك أدلة أخرى متناثرة على تورط أميركي مباشر في الإعداد له.

بل إن الأكثر توثيقاً هو الاتصالات المكثفة الذي أجراها ميد مع الزعيم بعد الانقلاب، عندما اتفق المراقبون الأميركيون والبريطانيون الرسميون على تحديد عميل وكالة الاستخبارات المركزية المعار باعتباره الصديق الغربي الرئيسي للدكتاتور. وبينما كان الزعيم في السلطة، انتهجت الحكومة السورية مجموعة من السياسات التي تشبه بشكل لايمكن إنكاره الأهداف الأميركية في الحرب الباردة للدفاع عن الشرق الأوسط وتنميته. وإذا أخذنا كل هذا بعين الاعتبار، فإن الاستنتاج الأكثر منطقية الذي يمكن استخلاصه هو أن الانقلاب كان نتاجاً لعوامل داخلية وخارجية، أي تضافر المبادرة السورية والتشجيع الأميركي لها.

وبينما أسبابه ذاتها يصعب تحديدها بدقة، فإن عواقب استيلاء الزعيم على السلطة على المسار اللاحق للتاريخ السوري واضحة للغاية ومؤلمة: إرث من عدم الاستقرار والاستبداد ومعاداة أميركا. لقد نجا النظام الذي خلف الزعيم حتى ديسمبر 1949، عندما أطيح به بدوره في انقلاب ثالث قاده رجل عسكري قوي آخر، صديق مايلز أديب الشيشكلي (عسكري آخر عميل للسي آى ايه) ، مما أدى إلى فترة من الحكومات المدنية الدوارة والنفوذ العسكري المتنامي وراء الكواليس، حتى تولى الشيشكلي نفسه الرئاسة في عام 1951. وفي الوقت نفسه، ولأنه أصبحت شائعات تورط المفوضية الأميركية في مؤامرات وخطط ضد الحكومة على كل لسان، بدأت الولايات المتحدة تفقد بريقها في سوريا، والتي هي دولة/دويلة حساسة بشكل مفهوم لتهديد التدخل الأجنبي من كل حدودها. في السابق، كان الأميركيون معروفين في بلاد الشام كمبشرين وأطباء وأساتذة. والآن بدأ الناس ينظرون إليهم على أنهم جواسيس.

ومن الواضح أن مستعربي وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية قللوا من شأن العقبات التي تعترض طريق الديمقراطية والإصلاح في سوريا

ـ العواقب المدمرة للطائفية التي تعود إلى حقبة الاستعمار البريطاني ثم الفرنسي والقوى المتعددة التي تعمل في داخل البلاد وتوالي طرف ما في الخارج ـ وبالغوا في تقدير قدرتهم على إحداث تغيير سياسي إيجابي من خلال التلاعب الخارجي. ووفقاً لتأملات مايلز كوبلاند اللاحقة حول هذا الموضوع، لم يكن هذا هو الدرس المستفاد من حادثة الزعيم. ولكن مايلز استنتج أن مجتمعات الشرق الأوسط مثل سوريا، كانت بطبيعتها عرضة لـ"عدم الاستقرار السياسي المزمن" و"العاطفية المدمرة للذات"؛ وبالتالي، ففي المرة التالية التي تشرع فيها الولايات المتحدة في "عملية التدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة"، فإنها سوف تحتاج إلى العثور على زعيم أقوى من الزعيم، زعيم قادر على "بناء قاعدة قوة دائمة والبقاء على قيد الحياة". وبعبارة أخرى، أعلن مايلز أن "المشكلة لم تكن تكمن في إحداث تغيير في الحكومة، بل في جعل هذا التغيير يلزق بالبلد كالغراء".(27)

وستمر سنوات قليلة قبل أن يصادف المستعربون التابعون لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية ضابطاً شاباً في الجيش المصري يتمتع بالقدرة على "لصقة الغراء" التي كان حسني الزعيم يفتقر إليها. ولكن في الأثناء، كانت قد نشأت سابقة تاريخية.

ولم يتخل عروبيي السي آي ايه عن حلمهم بإنشاء شرق أوسط مستقل وحديث وديمقراطي متحالف مع الولايات المتحدة، ولكنهم أظهروا استعدادهم لقبول الحكم العسكري كوسيلة لتحقيق هذه الغاية، الأمر الذي أدى إلى التنازل عن المثالية الأخلاقية التي تبناها الجيل السابق من المستعربين.

الجزء الثالث

الربح ، 1949 - 1956

الفصل التاسع:
الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط

في وقت ما من عام 1949 ـ التاريخ الدقيق غير مسجل علناً ـ حضر رئيس قسم الشرق الأدنى في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، مايك ميتشل، اجتماعاً رفيع المستوى بين الوكالات المتعددة في واشنطن لأجل مناقشة تعيين موظفين في وحدة سرية جديدة في فترة الحرب الباردة، وهي مكتب تنسيق السياسات (OPC). ولم يكن مكتب تنسيق السياسات معنياً بالتجسس، أو الجمع السري للمعلومات الاستخباراتية الأجنبية، وهو ما ظل من اختصاص وكالة الاستخبارات المركزية. بل كانت مهمته ـ كما أوضحت ميثاقه، الصادر عن مجلس الأمن القومي NSC بتاريخ يونيو 1948 ، التوجيه 10/2 ـ تتلخص في "العمليات السرية"، أي "كل الأنشطة" التي يتم تنفيذها ضد "الدول أو الجماعات الأجنبية المعادية" بطريقة "تسمح للحكومة الأميركية، إذا ما تم الكشف عنها، بالتنصل بشكل معقول من أي مسؤولية عنها".
وكما حدث في الفترة التي سبقت إنشاء وكالة الاستخبارات المركزية في العام السابق، كان بعض المسؤولين يكرهون إعطاء شكل منظم للعمليات السرية، معتقدين أنها غير-أميركية وأنها دعوة للاستبداد المحلي. وقد انتصرت هذه النظرة إلى الحد الذي جعل مجلس الأمن

القومي بتوجيهه NSC 10/2 يقرر الفصل البيروقراطي للسلطات، مع وجود مكتب تنسيق السياسات داخل وكالة الاستخبارات المركزية ولكنه ملزم بالسعي إلى الحصول على التوجيه السياسي من وزيري الخارجية والدفاع. ولكن بخلاف ذلك، كانت الهيئة الجديدة غير خاضعة للمساءلة إلى حد كبير، وكانت تتمتع بدرجة غير عادية من الحرية التشغيلية، وهو ما يعكس مناخ أزمة الحرب الباردة التي ولدت فيها (كان عام 1948 هو عام استيلاء الشيوعيين التشيكوسلوفاك على السلطة في تشيكوسلوفاكيا وبدء حصار الدخول والخروج من جيب "برلين الغربية"). ولقد انتصر خبراء الشؤون السوفييتية في وزارة الخارجية ومحامو وول ستريت الذين كانوا سابقا في مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS والذين كانوا يدفعون باتجاه منح الحكومة سلطات سرية أكبر لشن الحرب الباردة؛

والآن أصبح للخداع وللحِيَل المفبركة نظام خاص بهم بشكل رسمي.(1)

"أعتقد أن كيرميت روزفلت، وليس آرتشي، هو الأنسب لهذا الدور". هكذا تحدث مايك ميتشل، عندما تحول النقاش إلى المرشحين لمنصب رئيس قسم الشرق الأدنى في وحدة العمليات السرية الجديدة. ووفقًا للتفسير الذي قدمه ميتشل لآرتشي في ذلك الوقت، كان سبب توصيته هو أنه خاف من فقدان الخدمات القيمة لابن عم روزفلت الأصغر سناً كرئيس لمحطة بيروت. ومع ذلك، يتساءل المرء عما إذا كانت سمعة آرتشي ساعتها في التحرر من القيود قد تكون أيضًا مشكلة. كتب ميتشل في تقرير أداء آرتشي لوكالة المخابرات المركزية لعام 1949: "لقد جعلته محاولاته لإنجاز أقصى ما يمكن وأفضل ما يمكن في أقصر وقت منتجًا للغاية، ولكن في بعض المناسبات، تركت شيئًا أكثر كان يجب القيام به". "إنه لا يتقبل النقد بسهولة".(2)

وعلى النقيض من آرتشي الذي كان سريع الانفعال في بعض الأحيان، كان كيم يتمتع بسمعة التعامل اللطيف مع ظروف العمل ومع الزملاء. ووصفته تقييمات موظفي وكالة الاستخبارات المركزية المتعاقبة بأنه "متزن" و"ذكي في تعامله مع الناس".

ووفقاً للعميل البريطاني-السوفيتي المزدوج كيم فيلبي، الذي كان يعمل في واشنطن بين عامي 1949 و1951، فإن سميّه الأميركي كان "رجلاً مهذباً من الساحل الشرقي، هادئ الحديث، يتمتع بعلاقات اجتماعية لا تشوبها شائبة، ومتعلماً تعليماً جيداً أكثر من كونه مثقف، ولطيفاً ومتواضعاً كمضيف وضيف... في الواقع، كان آخر شخص تتوقع أن يكون غارقاً حتى أذنيه في الحيل القذرة". حتى أن فيلبي زعم أنه أطلق على كيم روزفلت لقب "الأميركي الهادئ" قبل عدة سنوات من أن يكتب صديقه جراهام جرين رواية تحمل ذات العنوان. (استشهد كيم بهذه التعليقات "اللطيفة بشكل مدهش" في مذكراته "إنقلاب مضاد"، ومن الواضح أنه لم يدرك المفارقة في وصف فيلبي: "الأمريكي الهادئ" في رواية جرين هو شخص حسن النية ولكنه مثالي ساذج، وتثبت أفعاله أنها كارثية.) (3)

ولقد كان كيم يتمتع أيضاً بعلاقات اجتماعية لا تشوبها شائبة، كما أشار فيلبي. فلم يكن كيم مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بوزير الخارجية الجديد دين أتشيسون فحسب، بل كانت هناك أيضاً علاقات عائلية قديمة تربطه بشخصيات بارزة في مجتمع الاستخبارات، بما في ذلك آلن دالاس، الذي عرفه منذ كان صبياً، والذي كان مهتماً بشكل خاص بشئون الشرق الأوسط. وبفضل منصبه في القاهرة أثناء الحرب، كان كيم يعرف أيضاً الرجل الذي اختير لإدارة مكتب تنسيق السياسات OPC، فرانك ويزنر، الجنوبي المغامر الذي تولى إدارة عمليات مكتب الخدمات الاستراتيجية في البلقان من ستيفن بينروز. هذا ناهيك عن النفوذ القوي الذي كانت أمه بيلي روزفلت ماتزال تتمتع به في مجتمع

واشنطن. وكان آرتشي روزفلت يشترك في بعض هذه العلاقات، ولكن بسبب افتقاره إلى شهية كيم للعبة السلطة في واشنطن، وإبعاده عن المشهد في أمريكا لفترات طويلة بسبب منصبه في الخارج، لم يكن يتمتع بشبكة علاقات قوية مثل ابن عمه.(4)
أياً كان العامل الحاسم، فإن اختيار كيم بدلاً من آرتشي روزفلت لقيادة العمليات السرية الأميركية في الشرق الأوسط كان نقطة تحول أخرى في حياة ابني العم. فقد أصيب آرتشي بالصدمة بسبب ترشيح كيم، الذي اعتبره "عملاً غير عادل وغير مبدئي" من جانب ميتشل. وكتب في وقت لاحق: "بدا الأمر وكأنه ضربة قاتلة لآمالي في مستقبل باعتباري أكون فيه العقل المدبر للاستخبارات الأميركية في الشرق الأوسط، وهو الدور الذي شعرت حينها بأنني على يقين من أنني قادر على القيام به". وعلى النقيض من ذلك، كان كيم مسروراً بهدوء. فبالنسبة لمنصب حكومي، كان راتبه الجديد البالغ 10 آلاف دولار لائقاً للغاية، ومُرحباً به للغاية بعد عامين من العمل الحر (في رتبة GS-15، كان كيم أعلى بدرجتين وظيفيتين من آرتشي على سلم الرواتب الحكومية، على الرغم من الخدمة الأطول للأخير في وكالة المخابرات المركزية).
ولقد كانت الصلاحيات غير المحددة التي تتمتع بها لجنة التنسيق السياسي غير واضحة، وبالتالي تتيح إمكانية ترجمة "البيان العروبي" الذي تم تحديده في كتاب "العرب والنفط والتاريخ" إلى ممارسة عملية من دون الحاجة إلى الاستجابة لأنصار الصهيونية في الكونجرس. (وكان من المفيد هنا أن كيم كان يستطيع الاعتماد على دعم وزير الخارجية أتشيسون، الذي كان يشاركه اعتقاده في التنمية الاقتصادية والاجتماعية كأداة للسياسة الخارجية، كما وضح مع المرشح الذي اختاره أتشيسون لمنصب نائب الوزير لشؤون الشرق الأدنى، رجل النفط جورج سي ماكجي). وأخيراً وليس آخراً، فقد منح الدور كيم الفرصة لإشباع ميله إلى المغامرات التي تشبه مغامرات كيبلينج في

عالم الجاسوسية الكلاسيكي. كان تصريح مايلز كوبلاند اللاحق بأن كيم "انضم إلى وكالة المخابرات المركزية بصراحة لأسباب تتعلق بالمغامرة" مبالغًا فيه - لكنه كان يحتوي على بعض الحقيقة.(5) ومن هنا، في العاشر من نوفمبر 1949، أبلغ كيم روزفلت حضوره الى مقر OPC في واشنطن مول لتولي مهامه كنائب رئيس قسم الشرق الأدنى وأفريقيا. ولقد شكلت السنوات التي تلت ذلك فترة حاسمة في العلاقات الحديثة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط، حيث عمل كيم سراً أولاً لدعم الزعيم القومي العربي الأبرز في العالم العربي - جمال عبد الناصر - ثم قاد بنفسه عملية سرية للإطاحة بالزعيم القومي الأبرز الآخر في المنطقة، محمد مصدق في إيران. ولم يقتصر نفوذ كيم على الشرق الأوسط. ففي الداخل، في أميركا نفسها، انجذبت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية بشكل متزايد إلى المناقشة الداخلية حول السياسة الأميركية تجاه إسرائيل، حيث استخدم كيم منصبه الجديد لتقديم الدعم الحكومي الأميركي السري لمجموعة من الأميركيين العروبيين والمناهضين للصهيونية.(6)

كانت أولى محاولات كيم روزفلت في التنظيم المناهض للصهيونية، وهي لجنة العدالة والسلام في الأرض المقدسة، قد فشلت بسبب مزيج من "حالتها المالية المتعثرة ... وتردد الصحافة الغريب في الإبلاغ عن أنشطتنا"، كما أوضح كيم لأعضائها. وفي سبتمبر 1949، تم إطلاق منظمة أخرى تضم نفس الموظفين تقريبًا، وهي برنامج الاتصال الطارئ في الأرض المقدسة، بهدفين مزدوجين هما تنسيق جهود الإغاثة للاجئين الفلسطينيين والدعاية للقضية العربية بين الأميركيين، لكنها فشلت أيضًا في توليد الدعم العام. وبدا أن محاولات كيم لتنظيم القوى الامريكية من العروبية ومعاداة الصهيونية محكوم عليها بدورة لا نهاية لها من التفاؤل الأولي وخيبة الأمل في نهاية المطاف.(7)

ولكن بحلول عام 1950، تمتع المعسكر العروبي بميزتين لم يكن يتمتع بهما من قبل. إحداهما كانت دعم شخصية أميركية مشهورة حقيقية، الصحافية دوروثي تومسون. وصفتها مجلة تايم عام 1939 بأنها المرأة الأمريكية الأكثر نفوذاً بعد إليانور روزفلت، وكتبت تومسون عموداً ثلاث مرات في الأسبوع بعنوان "On the Record"، والذي تم توزيعه على مائتي صحيفة أمريكية، وخلال أواخر الثلاثينيات ظهرت كل ليلة كمعلقة إخبارية على إذاعة NBC.

بلكنتها الأرستقراطية ومظهرها المهيب، كانت تومسون تتمتع ببعض غرائز بوهيميي الأدب - فقد تزوجت ذات يوم من الروائي سنكلير لويس - وانجذبت إلى الجدل السياسي. يُقال إنها ألهمت شخصية المراسلة الأجنبية تيس هاردينج، الذي قدمته الممثلة كاثرين هيبورن في فيلم "امرأة العام" لعام 1942. كانت تومسون مشهورة على نحو خاص بسبب طردها من ألمانيا في عام 1934، وهي أول صحفية أميركية تتعرض لمثل هذه المعاملة من قِبَل النازيين، بعد أن انتقدت أدولف هتلر شخصياً. ثم أصبحت بعد ذلك ناشطة بارزة في الولايات المتحدة لصالح ضحايا الرايخ الثالث، وهو الموقف الذي جمعته مع دعمها الصريح للصهيونية.(8)

وبالتالي كانت مفاجأة كبيرة أن تبدأ تومسون في أواخر أربعينيات القرن العشرين في التعبير عن اعتراضاتها على جوانب مختلفة من السلوك الصهيوني، سواء في فلسطين أو في الولايات المتحدة: أعمال الإرهاب ضد البريطانيين، والمعاملة القاسية للعرب الفلسطينيين، ونمو الشعور القومي بين اليهود الأميركيين، والذي اعتبرته شكلاً من أشكال الولاء المنقسم. ورداً على ذلك، تعرضت لهجوم في وسائل الإعلام الصهيونية، وفرضت ضغوط على بعض الصحف التي نشرت عمودها لحملها على التوقف عن نشره. وبفضل مزيج من القناعة الفكرية، والكرامة الشخصية المهزوزة، والعناد الشديد، لم تؤد هذه المعاملة إلا

إلى تقوية عزم تومسون، فبدأت تبحث عن رفاق محتملين في قضيتها الجديدة. وبعد أن علم بهذا التطور المثير للاهتمام، كتب إليها الناشط المناهض للصهيونية إلمر بيرجر في يناير 1949، عارضًا عليها المجلس الأمريكي لليهودية (ACJ) كمنصة للتعبير عن شكوكها بشأن الصهيونية للمجتمع اليهودي الأمريكي، وأبلغ صديقه كيم روزفلت بهذا الاتصال الجديد القيم. وفي وقت لاحق من العام، في نوفمبر، تحدثت إلى فرع المجلس الأمريكي لليهودية في فيلادلفيا، وكانت هذه طلقة أخرى في وجه الصهيونية. وفي غضون ذلك، حاول أعضاء برنامج الاتصال الطارئ في الأرض المقدسة إشراكها في أنشطتهم، وفي العام التالي بدأ ويليام إيدي في مراسلتها بانتظام من الشرق الأوسط. بحلول صيف عام 1950، أصبحت دوروثي تومسون عضوًا حاملاً لبطاقة عضوية شبكة كيم روزفلت المناهضة للصهيونية وزعيمة تنظيمية محتملة على غرار رئيسة لجنة العدالة والسلام فرجينيا جيلدرسليف، ولكن أكثر شهرة من فرجينيا.(9)

كانت الميزة الأخرى التي تمتع بها المناهضون للصهيونية الأمريكيون في عام 1950 أكثر أهمية من تورط تومسون ولكنها أقل وضوحًا للمراقب الخارجي - بل وأخفتها عمدًا عن أعين الجمهور: الدعم المالي السري من وكالة المخابرات المركزية. قبل عامين، بدأ مكتب تنسيق السياسات OPC في تقديم مدفوعات سرية لقادة نقابات العمل الأمريكيين المتورطين في الجهود الخارجية لمواجهة أنشطة "الجبهة" الشيوعية في الحركة العمالية الدولية. وبحلول عام 1950، توسعت قائمة أولئك الذين يتلقون إعانات سرية من وكالة الاستخبارات المركزية لتشمل العديد من مجموعات المواطنين الأخرى في "اليسار غير الشيوعي" الأمريكي، ومن بينهم الطلاب والمثقفون، وكانت OPC تجرب أشكالاً مختلفة من تمرير التمويل لإخفاء منحها، بما في ذلك المؤسسات الخيرية المزيفة. ولم يكن الحفاظ على السرية عبر هذه

العملية المترامية الأطراف والمتشعبة بالأمر السهل بالنسبة لضباط الاستخبارات المعنيين، ولكنهم استعانوا بالإجماع المناهض للشيوعية الذي ساد في أميركا في أوائل الحرب الباردة، والاحترام الاجتماعي الذي كان بوسعهم عموماً الاعتماد على الآخرين لإظهاره لهم نظراً لخلفياتهم النخبوية.

ولن يتغير الأمر إلا في عام 1967 -عندما قوضت حرب فيتنام بشدة الإجماع المناهض للشيوعية، وتآكلت القوة الاجتماعية للنخب القديمة في الساحل الشرقي للولايات المتحدة بفعل الاضطرابات الثقافية في الستينيات- حين كشفت مجلة "رامبارتس" المتطرفة في الساحل الغربي عن أغطية وكالة الاستخبارات المركزية في تمويل عديد من نشاطاتها.(10)

ورغم أن السجلات الرسمية ذات الصلة لا تزال مغلقة أمام الباحثين، فمن الممكن تجميع صورة مفصلة للغاية لعمليات التغطية لوكالة الاستخبارات المركزية من خلال القرائن الواردة في الأوراق التي تركها المواطنون العاديون الذين شاركوا في هذه العمليات. ويرجع أول تلميح إلى أن كيم روزفلت كان يفكر في استخدام تكتيك الواجهة للترويج لقضايا العروبية ومعاداة الصهيونية إلى يونيو 1950، عندما بدأت مراسلاته مع إلمر بيرجر تتضمن إشارات مبطنة إلى إمكانية تولي بيرجر لبعض الأعمال الرسمية في واشنطن. وفي وقت لاحق من العام، في شهر ديسمبر، وبينما كان بيرجر لا يزال ينتظر "الموافقة الأمنية"، كتب المستعرب في مكتب الخدمات الاستراتيجية بيل إيدي إلى كورنيليوس فان إتش إنجرت، ضابط الخدمة الخارجية المتقاعد والسفير الأميركي السابق في أفغانستان، ليبلغه بخطة لإنشاء "مجموعة صغيرة... لتعزيز الزمالة والاهتمام بالشرق الأدنى". ورد إنجرت بحماس، مشيراً إلى الاهتمام المحتمل بهذا الاقتراح من جانب صديق قديم له، وهو آلن دالاس، الذي كان في طور الانضمام إلى وكالة

الاستخبارات المركزية كنائب للمدير. وفي يناير 1951، وفي نفس الوقت تقريباً الذي عادت فيه دوروثي تومسون من جولة في الشرق الأوسط دامت شهرين (وهي فكرة اقترحها في الأصل، وفقاً لأحد كتاب سيرة تومسون، معارف مستعربون في وزارة الخارجية)، أُعطى برجر الإخلاء/الموافقة الأمنية لبدء مهام استشارية بدوام جزئي مع وكالة الاستخبارات المركزية، والتي قام بها بينما استمر في العمل بدوام كامل في المجلس الأميركي لليهودية.(11)

وفي ال16 من مارس 1951، كتب بيرجر إلى تومسون يطلب مقابلتها "في موعد مبكر للغاية على انفراد [التأكيد في النص الأصلي] بشأن مسألة بالغة الأهمية والثقة". وفي نهاية مارس، سافر بيرجر وتومسون (التي كانت بالفعل صديقاً لآلن دالاس) إلى عاصمة البلاد لحضور اجتماعات حول "مشروع واشنطن" مع كيم روزفلت وضباط آخرين غير محددين من وكالة الاستخبارات المركزية. وفي وقت مبكر من الشهر التالي، وزعت تومسون رسالة (ربما صيغت بمساعدة بيرجر وإنجرت) على قائمة طويلة من المواطنين الأميركيين البارزين. وشددت تومسون على أهمية "الروابط الروحية والثقافية بين حضارات الشرق الأوسط وحضارتنا" كوسيلة دفاع ضد "الهجمة التي تعدها الشيوعية اليوم ضدنا"، واقترحت هذه الرسالة تشكيل مجموعة لتعزيز الصداقة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط، مضيفة أن "بعض الدعم المالي سوف يكون في انتظار" هذه المبادرة. وفي ال11 من مايو، أصدر آلن دالاس تعليماته إلى موظفي مكتب وكالة الاستخبارات المركزية بتوقع مكالمة من إنجرت، الذي كان "منخرطاً في إنشاء ... لجنة وسيحتاج إلى مساحة مكتبية وموظفين". وبعد أربعة أيام، في الخامس عشر من مايو، اجتمع أربعة وعشرون شخصاً في مقر إقامة تومسون الفسيح في مانهاتن على شارع إيست فورتي-إيت، لتشكيل

لجنة توجيهية لإطلاق منظمة جديدة، وهي منظمة "الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط" AFME.

(12)

وعلى الرغم من كل هذه الدلائل على تورط وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، فإن جمعية الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط كانت لا تزال حتى صيف عام 1951 تتسم بطابع ارتجالي وهواة. ومع انسحاب دوروثي تومسون من حرارة نيويورك إلى مزرعتها في ريف فيرمونت، اتخذ الدبلوماسي السابق النشط كورنيليوس فان إنجرت مقراً له في منزلها في مانهاتن وبدأ في الاهتمام بأمور مثل التأسيس القانوني للمجموعة الجديدة وإنشاء حساب جاري لها في بنك طومسون. وهناك أيضاً دلائل تشير إلى أن شركة أرامكو، على الأقل في هذه المرحلة، كانت تواصل دورها كمتبرع سري للعروبية الأميركية. وكان الرئيس التنفيذي للشركة في واشنطن، جيمس تيري ديوس، يراسل إنجرت بشكل متكرر، في حين استمر بيل إيدي في الكتابة إلى تومسون على أساس منتظم. ولقد أشار إيدي فيما بعد إلى نفسه باعتباره عضواً في "اللجنة الاستشارية الأصلية لدوروثي تومسون".(13)

ولم تتخذ وكالة المخابرات المركزية خطوات لمنح "الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط" أساساً أكثر ديمومة واحترافية إلا في أكتوبر 1951، فعينت ضابط حالة مسؤولاً عن المنظمة وأرسلته إلى نيويورك لترتيب شؤونها. ومن المعتاد بالنسبة لمجموعة واجهة تابعة للوكالة أن يتم التعرف على ضابط الحالة بواسطة بعض المراسلات غير الرسمية التي تم اكتشافها في مجموعة من أوراق العائلة. وكما يوحي اسمه، كان ماثر جرينليف إليوت من سلالة الWASP. وكان من بين أسلافه ويليام جرينليف إليوت، مؤسس جامعة واشنطن في سانت لويس، وكان أحد أبناء عمومته هو تي. إس. إليوت (كما ذكرنا

بالفعل، الشاعر المفضل لدى كيم روزفلت). ولد ماثر في عام 1911 في بيركلي، كاليفورنيا، وتخرج في كلية أنطاكية، أوهايو، في عام 1933 ثم أمضى عدة سنوات متنقلاً من وظيفة إلى أخرى - يصفه أقاربه بأنه هاوٍ اجتماعي - قبل أن يخدم في الجيش الأميركي أثناء الحرب العالميةً الثانية ومع قوات الاحتلال الأميركية في برلين بعد الحرب. انضم إلى وكالة المخابرات المركزية في أوائل عام 1950، ووجدها "شيئًا من الروتين وغير مجزية للغاية" في البداية، حتى تم نقله في يونيو 1951 إلى قسم الشرق الأدنى، حيث اكتشف فريقًا من "الأرواح المغامرة" مثله. وبعد عدة أشهر قضاها في قراءة العديد من الأعمال الكلاسيكية للدراسات الاستشراقية، عاد إليوت من إجازة في أكتوبر إلى "وظيفة كبيرة" (كما كتب لوالديه بفخر)، "منظمة مقرها الرئيسي في نيويورك، برنامج واعد، لكنه غير كاف على الإطلاق، الموظفون أعضاؤها في حالة مؤسفة من إنخفاض الروح المعنوية بسبب شخصياتها غير المتنوعة وبسبب الافتقار المحزن للتوجيه والعناية من واشنطن." وبعد شهر من "التفاوض الصبور مع عشرات الأشخاص"، وظّف ضابط الحالة إليوت قس فيرجينيا جارلاند إيفانز هوبكنز الذي منذ زوال لجنة العدالة والسلام في الأرض المقدسة كان يعمل في شيكاغو كمحرر مشارك في مجلة القرن المسيحي. ووعده براتب سنوي قدره 12000 دولار، قام إليوت بتثبيت هوبكنز في أحد المكاتب الجديدة في وسط مدينة مانهاتن في شارع ايست-فيفتي-سيفن مع "طاقم من حوله تحولوا من الكآبة إلى الثقة." ثم بدأ ضابط وكالة المخابرات المركزية في العمل على توجيه "المشروع لأجل إعادة الحيوية للمنظمة من خلال التسلسل الهرمي للجان. . . والموافقة على توسيعها في الحجم . . . والذي هو متناسب مع المهمة الذي يتعين القيام بها." (14)

ظهرت ثمار هذه الجهود في اجتماع ثانٍ لأعضاء المنظمة الجديدة المؤسسين في ال12 من ديسمبر 1951، عندما أعلنت تومسون أنها تلقت للتو هدية قدرها 25 ألف دولار من متبرع رغب في عدم الكشف عن هويته، مع تعهد بدفع 25 ألف دولار أخرى إذا هى جمعت هذا المبلغ بتبرعات من مصادر أخرى. (وبالصدفة، كان مبلغ 25 ألف دولار هو بالضبط ذات حجم المبلغ الذي دفعه متبرع مجهول لمجموعة واجهة أخرى تابعة لوكالة المخابرات المركزية، وهي منظمة نسائية تسمى لجنة المراسلات، عندما تم إطلاقها في يناير 1953.)

وأبلغت تومسون الحاضرين قائلة: "إن وضعنا هو أن لدينا أصدقاء يقولون لنا: إمضوا في مشروعكم، ولكن بالله عليكم لا تخبروا أنني أعطيتكم أي أموال"، قبل أن تكشف عن أن "من المؤكد أن مصالح النفط لم تكن هي التي قدمت هذه المساهمة" وأن الراعي الغامض كان مهتماً بـ "إسكات بعض الصهاينة المتطرفين". واستجاب كورنيليوس فان إنجرت، الذي كان يعمل الآن أميناً للصندوق في جمعية الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط، لتحدي المانحين وحصل على التمويل الإضافي خلال ربيع عام 1952. وفي وقت لاحق من نفس العام، قدمت "مؤسسة ديربورن"، التي كانت قد تأسست للتو في شيكاغو، المنحة الأولى من سلسلة من المنح المنتظمة للمنظمة والتي بلغ مجموعها بحلول عام 1957 ما يقرب من 1.5 مليون دولار أميركي. وكانت مؤسسة ديربورن، التي كان من بين المستفيدين الآخرين منها مجموعة الواجهة النسوية، لجنة المراسلات، واحدة من المؤسسات التي تم تحديدها في فضيحة رامبارتس عام 1967 باعتبارها قناة اتصال لوكالة المخابرات المركزية.(15)

ورغم أن كيم روزفلت كان قد تراجع عن الظهور العلني بالكامل في هذه المرحلة، فهناك تلميحات عرضية تشير إلى استمراره في ممارسة اهتمام قوي بالأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط من وراء الكواليس.

فقد كتب إلمر بيرجر من نيويورك إلى صديقهما المشترك جورج ليفيسون في العشرين من ديسمبر 1951: "كان أحد "أولاده الصغار" هنا يوم الثلاثاء"، في إشارة ربما إلى ضابط الحالة ماثر إليوت، "وأخبرني أن كيم متورط أكثر من أي وقت مضى".(16)

وبعد أن تأكدت من تمويلها، شرعت منظمة الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط في إنشاء هيكل إداري دائم لنفسها. وفي ديسمبر 1951، وفي نفس الاجتماع الذي استمعوا فيه إلى إعلان تومسون عن المنحة المجهولة، شكل الأعضاء المؤسسون للمنظمة أنفسهم كمجلس وطني، وانتخبوا مجلس إدارة لوضع السياسات، وشكلوا لجنة تنفيذية لتنفيذها، تتألف من الرئيسة دوروثي تومسون؛ ونائب الرئيس (الرئيس التنفيذي فعلياً)، جارلاند إيفانز هوبكنز؛ وأمين الصندوق إنجرت. وبحلول إبريل من العام التالي، أنشأ هوبكنز أربع إدارات تنفيذية: العلاقات بين الثقافات، البحث والنشر، العلاقات العامة، وشؤون الطلاب. وظهرت فروع تطوعية في مختلف أنحاء الولايات المتحدة ـ وأثبتت تلك الموجودة في شيكاغو ولوس أنجلوس نشاطها بشكل خاص ـ فضلاً عن فروعها في الشرق الأوسط نفسه، حيث كانت هذه الفروع مرتبطة بشكل أساسي بالكليات الأميركية في المنطقة. وبحلول صيف عام 1953، بدأت المنظمة في إنشاء مكاتب ميدانية في مدن الشرق الأوسط: أولاً في طهران، تحت إشراف قس مشيخي سابق، تشارلز ر. هولاك الابن، ثم في القدس -القدس الشرقية- تحت إشراف جون دبليو بارويك، الذي كان يعمل سابقًا في جمعية الشبان المسيحية لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين في لبنان والأردن. وفي أكتوبر 1953، سافر ضابط الحالة ماثر إليوت بنفسه إلى دمشق لتولي منصب مدير الشرق الأوسط في منظمة AFME. (17)

ومع وجود هذا الجهاز التنظيمي، ومع ارتفاع ميزانيته السنوية المسجلة إلى أكثر من نصف مليون دولار بحلول عام 1955، شرعت AFME في برنامج واسع النطاق بشكل مثير للإعجاب من الأنشطة. واستكملت الاجتماعات السنوية في نيويورك، التي اشتهرت بمعايير الضيافة الباذخة، بالعديد من المحاضرات وغيرها من الأحداث المحلية، والتي استضافها العديد منها بحماس أعضاء متطوعون. زار ضيوف بارزون من الشرق الأوسط الولايات المتحدة بمنح من AFME، بينما سافر الحاصلون على المنح الأمريكية ومسؤولو المنظمة في الاتجاه المعاكس. وكان التبادل الثقافي أيضاً موضوعاً لبرنامج طلابي مزدهر شمل دعم المؤتمرات والمنظمات الطلابية العربية في الولايات المتحدة والفرز المحلي للمتقدمين من الشرق الأوسط إلى الجامعات الأميركية في إيران والعراق. (وقد كان تشارلز هولاك رائداً في هذه الخدمة الأخيرة، حيث جاء إلى AFME من منصب مدير الطلاب الدوليين في كلية لافاييت بولاية بنسلفانيا، وهي مؤسسة لها العديد من الروابط الأخرى مع الشرق الأوسط). وبالإضافة إلى بناء مكتبة جيدة التجهيز في مقرها الرئيسي، نشرت AFME كتبها وكتيباتها الخاصة، ونشرة إخبارية شهرية، وتقارير سنوية مفصلة بشكل ملحوظ ومنتجة بشكل جميل؛ كما قدمت خدمة فرعية، فينيكس، نشرات إخبارية عن "المعلومات الأساسية" عن الشرق الأوسط وإليه. كما كانت المنظمة وراء اجتماع عُقد على نطاق واسع بين علماء الدين المسيحيين والمسلمين في الظهران بالمملكة العربية السعودية في إبريل 1954، وأدى إلى تشكيل "اللجنة المستمرة للتعاون الإسلامي-المسيحي"، وهي كيان منفصل تلقى المساعدة والتوجيه من AFME من خلال أمينها المشارك، جارلاند هوبكنز.(18)

وفي كل هذه الأنشطة، كان مديرو ومسؤولو AFME يعبرون باستمرار عن مجموعة واضحة من القيم. ولعل أقوى هذه القيم كان

الشعور بالهوية الثقافية والروحية المشتركة بين أميركا وبين الشرق الأوسط. ويعكس هذا جزئياً المشاركة السابقة للعديد من الأفراد المعنيين بالعمل التبشيري والتعليمي في المنطقة، وهي التجربة التي جعلتهم أكثر حساسية للبعد الشخصي للعلاقات الخارجية. وكما قال جارلاند هوبكنز في التقرير السنوي للمنظمة لعام 1954-1955، مستشهداً بأعمال جون باروبك الإغاثية في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين كمثال، فإن "العنصر الشخصي هو جوهر الأمر". كما نشأ هذا التركيز على الروابط غير المادية بين الأميركيين والشرق الأوسط من وعي تاريخي عميق بدور المنطقة باعتبارها "مهداً" للأديان العالمية التوحيدية، "أديان الكتاب"، كما أطلق عليها الكاتب والعميل السابق في مكتب الخدمات الاستراتيجيةOSS ومدير AFME هارولد لامب ـ قاصداً ليس فقط المسيحية واليهودية، بل والإسلام أيضاً.
لقد كان التشابه الأساسي بين المعتقدات الدينية للمسيحيين والمسلمين من بين الترديدات اللازمة والمتكررة من قبل أنصار المنظمة. فقد كتب المستعرب الأعرق ويليام إيدي: "نحن ... نشترك مع الإسلام في العديد من أنبيائنا والكثير من كتبنا المقدسة. كما نشترك أيضًا في المعتقدات المتعلقة بالاحترام والتواضع والإحسان وأخوة البشرية وأن الأسرة هي الوحدة المقدسة في المجتمع".
وأشارت بيانات أخرى صادرة عن دائرة AFME إلى كيف أن:-
العلماء العرب قد رعوا "أفكار الحضارة الغربية" خلال العصور المظلمة الأوروبية، الأمر الذي يعني ضمناً أن الدَين الغربي الى العالم العربي لم يسدد بعد.(19)

ولقد شارك المحيطون بمنظمة AFME أيضاً في الاعتقاد بأن علاقات الأميركيين بالعرب والمسلمين أصبحت منذ المساعي التبشيرية في القرن الماضي أصبحت مشوبة بسوء الفهم المتبادل والجهل.

وقد أوضح بيان صادر عن منظمة AFME في عام 1951: "في كثير من الأحيان يميل الأميركيون إلى التفكير في الشرق الأوسط إما من منظور رومانسي مثل (ألف ليلة وليلة)، أو باعتباره خزاناً هائلاً من النفط". ومن جانبهم، فشل أهل الشرق الأوسط عموماً في رؤية القيم الروحية الكامنة وراء المادية السطحية للحياة الأميركية الحديثة، والتي تنشط وجود الأمة ذاته. وفي وقت كانت فيه الشيوعية تسعى إلى تصوير نفسها على أنها تتمسك بنفس المبادئ التي تتبناها الديانات الكبرى ولكنها كانت في الواقع تعمل "على الاستيلاء على المسيحية والإسلام وتدميرهما في نهاية المطاف"، كان هذا الموقف خطيراً للغاية.(20)

كانت مهمة منظمة AFME (المنظمة الواجهة ل CIA) واضحة. من ناحية، كان على المنظمة واجب إعادة تثقيف الأميركيين بشأن مساهمة العرب والمسلمين في الحضارة الغربية، و"الابتعاد عن التفكير في الشرق الأوسط من منظور الاستراتيجية أو النفط أو التجارة فقط"، كما قال كورنيليوس فان إنجرت.
ومن ناحية أخرى، كُلِّفت AFME بمساعدة أهل الشرق الأوسط على فهم أنه على الرغم من كل التقدم العلمي والتقني الواضح الذي أحرزته الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة، فإن "الأميركيين ما زالوا يعتبرون القيم الروحية والثقافية هي العليا".
وبالطبع هذا البرنامج كان له غرض يعود إلى الحرب الباردة. فمن خلال رفع الوعي ب"التراث الروحي المشترك" بين الولايات المتحدة وبين الشرق الأوسط، فإن AFME ستولد أيضًا وعيًا مشتركًا "بنفس التهديد المتمثل في الشيوعية أو المادية الإلحادية التي نخشاها ونشعر بالتهديد منها"، كما قال إنجرت في اجتماع مؤسسي المنظمة في ديسمبر 1951.

في ذهن بيل إيدي، كانت فكرة "التحالف الأخلاقي/اللامادي" بين المسيحية والإسلام ضد الشيوعية هي المفتاح للفوز بالحرب الباردة في الشرق الأوسط؛ وقد دفع بهذه الفكرة بقوة طوال أوائل الخمسينيات، سواء في واشنطن أو في المنطقة نفسها، وناقشها (كما أبلغ دوروثي تومسون في يونيو 1951) مع كل من:- الأمين العام لجامعة الدول العربية، المفتي العام للقدس أمين الحسيني(الذي كان تحالف مع النازيين ضد البريطانيين لمنع ضياع فلسطين، واللاجئ السياسي في القاهرة اليوم)، ومع الملك السعودي ابن سعود حليف واشنطن.(21)

ولم يقتصر هدف منظمة AFME (الواجهة لـCIA) على مجرد اكتساب ميزة تكتيكية فقط في المسرح الجديد للحرب الباردة. بل التزاماً برؤية إيدي السابقة حول التوليف العظيم بين الحضارتين المسيحية والإسلامية، كان مؤسسو المنظمة يغذون أفكاراً عن شيء أعظم كثيراً. فقد اعتقدوا أن أميركا قادرة على تسوية الديون القديمة للغرب تجاه الشرق، من خلال تقاسم عوائد التقدم الغربي الحديث، سواء على المستوى السياسي أو المادي، ودعم الدول العربية الجديدة في تحركها نحو الديمقراطية "بمسارتهم هم المختلفة" لتلك الديموقراطية. وفي المقابل، يستطيع الشرق الأوسط أن ينقل بعضاً من الشدة الدينية للإسلام الحديث إلى الولايات المتحدة، الأمر الذي يساعد "الأميركيين أنفسهم على إحياء وتنشيط الحقائق الروحية". (كان القلق بشأن مادية الحياة الأميركية الحديثة يشكل تياراً خفياً مزعجاً في العديد من أقوال المستعربين في هذه المنظمة الواجهة، تماماً كما كان الحال بالنسبة للعديد من المبشرين في القرن التاسع عشر).(22)
ولكن هذا لا يعني أن المستعربين في AFME كانوا يتصورون تبادلاً متساوياً تماماً بين الغرب والشرق. فقد كان الإعجاب بالأمجاد القديمة للحضارة الإسلامية يميل إلى السير جنباً إلى جنب مع تصورات

"الركود الثقافي" الأكثر حداثة للعالم الإسلامي، على حد تعبير جارلاند هوبكنز، وهو ما يعني بدوره الحاجة إلى وصاية أميركية حميدة على أساليب الحداثة. ومن الملاحظ أيضاً أنه على الرغم من أن اهتمامهم الرئيسي يكمن بوضوح في العالم العربي، فإن ضباط AFME كانوا يميلون إلى تفضيل تعريف غامض ومرن إلى حد ما لـ "الشرق الأوسط" ـ وفقاً لهوبكنز، كان "منطقة نفسية أكثر منها جغرافية"، تمتد "من المغرب إلى إندونيسيا" ـ وهو ما يدعو إلى أقصى قدر من اللعب للقوة الأميركية في المنطقة. (من المترجم:- النسخة الأقدم من "مشروع الشرق الأوسط الكبير" 2004 لإدارة بوش الإبن عقب غزو العراق 2003)

ولكن بالمقارنة مع المناهج الاستعمارية والاستشراقية السابقة، فإن AFME كانت تمثل انطلاقة جديدة من نوع ما، وجهداً لوضع العلاقات الغربية مع العرب والمسلمين على أساس أكثر إنسانية وتفاعلاً وفائدة متبادلة.(23)

ولعل أوضح تعبير عن هذا الدافع كان في العنف الذي رفض به زعماء AFME إرث الاستعمار الأوروبي في الشرق الأوسط. وكان جارلاند إيفانز هوبكنز صريحاً بشكل خاص في هذا الصدد، حيث أخبر وزارة الخارجية في عام 1953، على سبيل المثال، أنها يجب أن "تدعم أولئك الذين يسعون إلى التحرر من العصابات الحاكمة المدعومة من الخارج ... والتي تسيطر الآن على بعض بلدان الشرق الأوسط". وكما أوضح، لم يكن هوبكنز يشير إلى الفرنسيين فحسب، بل والبريطانيين أيضاً، الذين ندد بهم بسبب قبضتهم المستمرة على قناة السويس وعلى حقول النفط الإيرانية.

وذهبت دوروثي تومسون إلى أبعد من ذلك عندما تحدثت في العراق خلال أول جولة رسمية لممثلي AFME في الشرق الأوسط في عام 1952، فقالت لجمهور من خريجي "الجامعة الأمريكية في بيروت" أن

بريطانيا العظمى ما هي إلا "جزيرة صغيرة مكتظة بالسكان تبحث عن أصدقاء لإبقائها على قيد الحياة".
وفي وقت لاحق من عقد الخمسينات، أصدرت المنظمة بياناً أكثر تحفظاً، بالإشارة إلى الحاجة إلى أن تحترم الولايات المتحدة التزاماتها تجاه حلفائها في أوروبا الغربية، وبالرغم من ذلك أصرت على "فرضيتنا القائلة بأن تعاطفنا مع الشعوب التي تسعى إلى تحقيق الأهداف القومية التي ناضلنا نحن من أجلها بنجاح من قبل"، وبالتالي مساواة القومية العربية بتاريخ أميركا نفسه من التمرد الناجح ضد الحكم الاستعماري.(24)
وأخيراً، ورغم أن معاداة الصهيونية لم تكن واضحة بشكل مباشر كقوة دافعة لـ AFME مقارنة ببعض المنظمات السابقة لها، ورغم أنها كانت تلعب دوراً ثانوياً في مواجهة الهدف الأكثر إيجابية المتمثل في تعزيز الحوار بين الثقافات مع العرب والمسلمين، إلا أنها كانت حاضرة بوضوح في نظام القيم في المنظمة، ويمكن اكتشاف ذلك في الإشارات الغامضة إلى "المصالح الخاصة" التي تقوض السياسة الخارجية الأميركية وفي غياب دولة إسرائيل عن قائمة دول الشرق الأوسط المدرجة في برامج التبادل وغيرها من الأنشطة التي تنظمها AFME.
ولعل هذا لم يكن مفاجئاً، نظراً إلى أنه على الرغم من حدوث بعض التغييرات في المناصب القيادية العلنية منذ أيام لجنة العدالة والسلام - مثلا: اختفاء كيم روزفلت عن الأنظار العامة، واستبدال جيلدرسليف بتومسون - إلا أن العديد من الشخصيات نفسها كانت متورطة وراء الكواليس بالفعل.
كان إلمر بيرجر قد أجرى مشاورات مكثفة مع وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية عندما تأسست منظمة AFME في عام 1951، وشغل منصب "الموزع الرئيسي للمطبوعات" للمنظمة الجديدة في الأشهر الأولى من وجودها. وبعد ذلك، ورغم أنه انضم في نهاية

المطاف إلى المجلس الوطني لمنظمة AFME في العام التالي، فقد ظل بيرجر يحاول التخفي، بينما شجع زميله في المجلس الأميركي لليهودية موريس لازارون على لعب دور أكثر وضوحاً. وقال بيرجر للازارون إن هناك خطراً يتمثل في وصم قادة منظمة AFME البروتستانت بمعاداة السامية، وهذا يجعل "من المهم للغاية أن يكون هناك تمثيل يهودي". كما أطلع بيرجر جورج ليفيسون على التطورات، موضحاً أنه بسبب "صعوبات الأموال المخصصة من واشنطن"، اضطرت المنظمة الجديدة إلى إخفاء النظر الى حد ما عن نشاطها المحلي إلى أن تتمكن من "بناء نوع من الحساب المصرفي المنفصل". كان هذا إشارة، على الأرجح، إلى بند في قانون الأمن القومي لعام 1947 يحظر صراحةً على وكالة المخابرات المركزية الأمريكية العمل داخل حدود الولايات المتحدة.(25)

هل كانت معاداة الصهيونية في AFME مرتبطة بمواقف معادية للسامية في دائرة المنظمة، كما زعم منتقدو الصهيونية لاحقًا؟ من المستحيل الإجابة على هذا السؤال بشكل قاطع، ولكن هناك دلائل تشير إلى أن مسؤولاً واحدًا على الأقل في AFME، دوروثي تومسون، كان لديه بعض المواقف العرقية والدينية الإشكالية. كتبت إلى فرجينيا جيلدرسليف في أغسطس 1951: "أنا قلقة للغاية بشأن وضع اليهود في الولايات المتحدة". "يبدو أن كل شيء على السطح يسير في الاتجاه الصهيوني، ولكن في باطن الأرض بدأت البلاد تغلي بالاستياء... والناس يسألون أنفسهم السؤال التالي: من الذي يدير أميركا حقًا؟". لطالما استخدم المناهضون للصهيونية من الأمريكيين الحجة القائلة بأن التحريض الصهيوني في الولايات المتحدة يؤدي إلى رد فعل معادٍ للسامية. ولم تكن أكثر حساسية في تصريحاتها تجاه المناهضين للصهيونية من اليهود، حيث اشتكت لبرجر، على سبيل المثال، من "عدم الحساسية الأنانية لدى الإسرائيليين (والصهاينة)،

وهذا الافتقار إلى أي محطات استقبال إذاعية في عقولهم أو آذانهم أو مسامهم، وهو أمر غير عادي بين اليهود، الذين كنت أعتقد دائمًا أنهم يمتلكون، بل ويعانون من، الحساسية المفرطة". ولكن تومسون لم تقتصر على اليهود: فقد نسبت إلى العرب أيضاً طبيعة "حساسة للغاية"، وكانت النتيجة، كما أخبرت صديقتها البريطانية ريبيكا ويست عن العرب، "صدمة نفسية جماعية تنطوي على "المكانة" والدونية، والتي أصبحت أكثر فتكاً بهم بسبب حقيقة مفادها أنهم بالفعل أدنى". وعلى الرغم من سجلها العلني في التعاطف الشجاع مع ضحايا العنصرية النازية، يبدو أن دوروثي تومسون (من المترجم:- ككل الـWASP الأمريكي) كانت تحمل في جوهرها مواقف عنصرية متحيزة ضد كل الساميين، العرب منهم واليهود على حد سواء.(26) ولكن تومسون كانت غير عادية في الدائرة الداخلية لـ AFME لأنها لم تكن يهودية معادية للصهيونية ولا مستعربة متعمقة ذات خبرة طويلة في المنطقة. ولا يوجد دليل وثائقي قاطع على أن الأفراد الأمريكيين الذين ينتمون إلى أي من هاتين الفئتين يحملون آراء معادية للسامية - ما لم يتم تفسير معاداة الصهيونية على أنها دليل أولي على معاداة السامية أو، في حالة اليهود المعادين للصهيونية، كراهية الذات اليهودية. وعلى نحو مماثل، مع ذلك، لا توجد سوى علامات قليلة على أن غير اليهود من الطبقة العليا حول AFME طوروا قدرًا كبيرًا من الاعتبار لمشاعر اليهود الأميركيين بعد الهولوكوست، المثال الأكثر دقة لذلك هو معاداة كيم روزفلت للصهيونية؛ واستعداد بيل إيدي للتواصل مع المفتي الأكبر للقدس الحسيني والمرتبط سابقاً بالنازية هو مثال واضح على ذلك.

بل وازدادت معاداة الصهيونية بين كبار المستعربين مثل إيدي بعد خيبة الأمل التي أحدثها تقسيم فلسطين واعتراف الولايات المتحدة بالدولة

الإسرائيلية. كما تزايد الشعور بالانزعاج الأرستقراطي للواسب الأمريكي إزاء النفوذ الجديد الذي مارسته جماعات الضغط الصهيونية على العملية السياسية الداخلية، وبشكل غير مباشر على العلاقات الخارجية الرسمية لواشنطن. في أكتوبر 1951 كتب إيدي إلى تومسون: "إذا كان لزاماً على السياسة الأميركية في ظل نظامنا الديمقراطي أن تتحدد وفقاً لاحتياجات الساسة إلى الأموال والأصوات في انتخاباتنا الداخلية، فإن من الضروري في يوم من الأيام، كما أبدى جورج كينان هذه الملاحظة، أن نلقي نظرة ثانية على البركات المزعومة التي يتمتع بها نظامنا الديمقراطي الأميركي". وإلى أن يتم التوصل إلى وسيلة ما لتخفيف الآثار الضارة المترتبة على الديمقراطية المفرطة، فإن المستعربين الأميركيين والمناهضين للصهيونية سوف يضطرون إلى اللجوء إلى حيلة السرية التنفيذية، في هيئة التمويل السري من قِبَل وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية.(27)

وفي حين يصعب الجزم بذلك في غياب ملفات وكالة الاستخبارات المركزية ذات الصلة، فمن الممكن أن نستنتج من مصادر أخرى مختلفة بعض الأهداف التكتيكية العملية التي حققتها الوكالة من علاقتها السرية مع واجهتها الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط. ولنبدأ ربما بالهدف الأكثر وضوحاً من بين هذه الأهداف، وهو وجود مكاتب ميدانية لـ AFME في الشرق الأوسط وفرت لضباط وكالة الاستخبارات المركزية غطاءً مدني غير تابع للسفارات للقيام بمهام التجسس والعمل السري. وهناك أدلة متناثرة من مصادر موثوقة تفيد بأن ممثلي AFME في الشرق الأوسط يؤدون مثل هذه الوظيفة: أحدهم، الذي يتخذ من سوريا مقراً له، كان يلتقي بأعضاء محطة وكالة الاستخبارات المركزية في السفارة ليلاً في "المنازل الآمنة التي تحتفظ بها المحطة للاتصالات السرية" لتمرير المعلومات الاستخباراتية التي جمعها؛

وآخر، في بغداد، كان يكتب "تقارير أسبوعية على الأقل عن الأحداث المحلية ويخفيها في خزانة كتب خاصة يوجد في قاعدتها حجرة سرية". وكان وجود ضباط الاستخبارات "المتخفّين بعمق" هؤلاء ملائماً لسكان الشرق الأوسط الذين كانوا يرغبون في الحفاظ على "قناة خلفية" مع الحكومة الأميركية. وقد شكك أحد ممثلي AFME في أن معظم المسؤولين المحليين في الشرق الأوسط ممن تعاونوا مع المنظمة أدركوا بالفعل أن المنظمة ما هي إلا واجهة للسي آى ايه ولكنهم تعاونوا معها لأن ذلك يخدم مصالحهم.(28)
وكان ظهور AFME كمنظمة غير حكومية (من المترجم:- قبل أن ينتشر مفهوم NGO في أواخر زمن الحرب الباردة) مفيداً أيضاً عندما يتعلق الأمر بتعزيز التبادل الثقافي. فكان سكان الشرق الأوسط أكثر ميلاً إلى قبول دعوة لزيارة الولايات المتحدة من جمعية تطوعية مقارنة بوكالة حكومية، في حين كان الأميركيون الذين يسلكون الطريق الآخر يتمتعون بمصداقية أكبر في نظر العرب والمسلمين عند السفر برعاية خاصة بدلاً من رعاية رسمية. وفي عام 1959، أبلغ أحد ضباط وزارة الخارجية مسؤولاً آخر: "في عدد من الحالات وجدنا أنه من المفيد للغاية أن نطلب من AFME رعاية زيارات معينة لم نتمكن نحن كحكومة من رعايتها. وتميل التبادلات تحت مثل هذه الرعاية إلى منح الأفراد المعنيين وضعاً مستقلاً يعزز من فعاليتهم". "ولم يكن عدم شعبية الحكومات الغربية في العالم العربي هو السبب الوحيد وراء جعل استخدام الأدوات غير الرسمية أمراً مرغوباً فيه هناك؛ بل إن التجربة التاريخية للمنطقة في الأعمال الخيرية التي يقوم بها مواطنون أميركيون لا صلة لهم مباشرة بالحكومة الأمريكية تعني أن منظمات مثل AFME يمكن أن تستفيد من "حسن نية أسلافهم""، على حد تعبير وليام إيدي.(29)

ولقد كان لـ AFME استخدام عملي آخر لرعاتها الرسميين السريين الذي يتناقض مع غرضها المعلن: فمجرد وجودها يشهد على وجود رأي عروبي معادٍ للصهيونية في الولايات المتحدة، وبالتالي على إمكانية تبني حكومة الولايات المتحدة لسياسة في الشرق الأوسط أقل محاباة لإسرائيل وأكثر ملاءمة للدول العربية. وما إذا كان قد يحدث هذا في الواقع أم لا، فهو بالطبع أمر مفتوح للتساؤل إلى حد كبير، ولا سيما وأن AFME أطلقت بينما كان هاري ترومان، الرئيس الذي اعترف باستقلال إسرائيل بعد 11 دقيقة فقط من إعلانها، لا يزال في البيت الأبيض. ومع ذلك، كان من المرغوب فيه لمخططي السياسة الخارجية الأمريكية أن يحافظوا على إدعاء أن مثل هذا التغيير قد يحدث. (من المترجم :- لأجل خداع العُربان فقط!)
"في غياب أي تغيير ملحوظ في السياسة من شأنه أن يزيل انعدام الثقة السياسية العربية، فلا نستطيع نحن، كبروباجانديين، إلا أن نبذل قصارى جهدنا لإبقاء الأمل حياً في العالم العربي في إمكانية التوصل إلى حل سياسي من جانب الولايات المتحدة"، كما أوضح السفير الأميركي في العراق، بيرتون واي بيري، في عام 1952، قبل أن يواصل بصراحة وصف "قناة الحكومة إلى أنشطة الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط" بأنها "تحمل "أعظم وعد في هذا الاتجاه".

وفي هذا الصدد، كانت منظمة AFME واجهة الCIA مماثلة لأنشطة واجهة أخرى لوكالة المخابرات المركزية والتي مكنت الحكومة الأمريكية من تقديم أكثر من وجه للجمهور الأجنبي في وقت واحد - على سبيل المثال، الدعم المالي السري لمجموعات "اليسار غير الشيوعي" في أوروبا في وقت كان فيه الكونجرس الأمريكي يعاني من التشنجات المحافظة المكارثية.(30)

بالإضافة إلى اللمحة السابقة عن الأهداف التكتيكية لوكالة المخابرات المركزية في إدارة AFME، فإن سجلات وزارة الخارجية وغيرها من الوثائق التي تم إنشاؤها بشكل خاص تلقي الضوء على الترتيبات الأمنية التي استخدمتها الوكالة "للتعامل" مع واجهتها في الشرق الأوسط. أولاً، خصصت للمنظمة ضابط حالة، ساعد في إدارة شؤونها اليومية - وهو الدور الذي قام به في البداية ماثر إليوت، الذي تم تفسير اجتماعاته المتكررة في نيويورك مع قيادة المنظمة من خلال تبنيه لمظهر السكرتير الشخصي لدوروثي تومسون. وبعد أن انتقل إليوت إلى الميدان كمدير لمكتب الشرق الأوسط التابع لـ AFME في عام 1953، تعاون اثنان آخران من ضباط وكالة المخابرات المركزية، هما جاك ويليامز ولورين ني نورتون، كـ "ثنائي إداري مشترك" في الولايات المتحدة.

كانت نورتون، وهي مواطنة من نيويورك أمضت معظم فترة الحرب العالمية الثانية في فرنسا المحتلة كطالبة دكتوراه في جامعة السوربون، باحثة أدبية بارعة، وزوجة سابقة لابن المستعرب الفرنسي البارز موريس جودفروا ديمومبين، ومتحدثة فرنسية طليقة انضمت إلى وكالة المخابرات المركزية كمتخصصة في شمال إفريقيا في عام 1950. وفي وقت لاحق، في عام 1956، عندما غادر إليوت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تمامًا وبدأ مهمة سرية جديدة كعامل نفط في إيران، تولت نورتون وظيفة ضابط الحالة في المنظمة منه، مما جعلها واحدة من النساء القليلات جدًا اللائي تولين مثل هذه المسؤولية في وكالة المخابرات المركزية في هذا الوقت. (بعد ذلك بوقت ما، سيتزوج إليوت ونورتون).(31)

ولم يكن ضابط الحالة هو القناة الوحيدة التي تستخدمها وكالة الاستخبارات المركزية للتواصل مع AFME. فقد كان مجلس الإدارة وسيلة مهمة للاتصال أيضا، حيث كان الرجال الذين يُعَدون ممثلين

ل"مؤسسة ديربورن" يحضرون الاجتماعات من أجل تمرير القرارات المتعلقة بالسياسة العامة أو المشاريع الخاصة التي تُنفَّذ في أماكن أخرى، والتي كان أعضاء مجلس الإدارة ينقلونها بعد ذلك إلى المسؤولين التنفيذيين في المنظمة. (وقد تلقت لجنة المراسلات، وهي منظمة واجهة أخرى للسي آى ايه تتألف كلها من نساء فقط، زيارات مماثلة من "مؤسسة ديربورن"). ووفقاً للورين نورتون، كان قائدها المباشر في السي آى ايه، إتش بين سميث، يحضر الاجتماعات في كثير من الأحيان، وفي بعض الأحيان كان كيم روزفلت نفسه يجلس في الاجتماعات. وكان المسؤولون التنفيذيون في مؤسسة ديربورن، الذين أقسموا جميعهم يمين السرية الرسمية، والذين تلقوا أجراً مقابل خدماتهم، وفقاً لنورتون، يتواصلون أيضاً بشكل مباشر مع كبار موظفي الوكالة. على سبيل المثال، تتضمن أوراق دوروثي تومسون الشخصية نسخة من رسالة من جارلاند إيفانز هوبكنز موجهة إلى شخص يدعى هارولد يو ستوبارت (ربما اسم رمزي أو "اسم مضحك") في صندوق بريد في واشنطن تحتوي على معلومات سرية حول "اللجنة المستمرة للتعاون الإسلامي-المسيحي"، وتحدد المتطلبات المالية المختلفة، وتحدد "الأشخاص الذين يمكن الوثوق بهم بشكل كامل للتعاون" والذين يجب أن تسمح مشاركتهم "بأقصى فرصة لتوجيه المنظمة السعودية". وعلى الرغم من أن أحد كتاب سيرتها الذاتية ينكر الأمر، فإن تومسون نفسها كانت "witting" بوضوح ـ وهذا مصطلح من المصطلحات التشغيلية للمواطنين من القطاع الخاص الذين كانوا مطلعين على تفاصيل علاقات وكالة الاستخبارات المركزية مع مجموعات الواجهة ـ وذلك ليس فقط بناءاً على تعليقاتها حول المتبرع المجهول بمبلغ 25 ألف دولار في الاجتماع التنظيمي في ديسمبر 1951، بل وأيضاً من خلال نصيحتها إلى جارلاند هوبكنز أثناء البحث في عام 1954 عن شخص لإدارة خدمة أخبار فينيكس بأن "لا ينبغي توظيف أي شخص

دون موافقة مسبقة لا لبس فيها". ومع ذلك، تتذكر نورتون أن تومسون كانت مترددة في قبول المال من وكالة الاستخبارات المركزية، ربما لأنها كانت تخشى الإضرار بسمعتها الصحفية إذا انتهى الأمر بالذياع بين الناس.(32)

وأخيراً، هناك أدلة على أن بعض العاملين في محطة ميدانية تابعة لAFME إلى جانب ماثر إليوت كانوا ضباط استخبارات موظفين بالوكالة. على سبيل المثال، تم التعرف على "كيث ويليامز" (ربما اسم رمزي آخر)، وهو ممثل AFME في دمشق، لاحقًا باعتباره رجلًا سريًا من وكالة المخابرات المركزية، وكذلك "يوجين بيرنز"، عامل إغاثة AFME في بغداد. وفي الوقت نفسه، في مقرها المحلي في نيويورك، وظفت AFME موظفين إداريين كانوا قد عملوا سابقًا لصالح مجموعات أخرى تم الكشف عنها لاحقًا على أنها واجهات لوكالة المخابرات المركزية، وغالبًا ما تكون من خريجات كليات الأخوات السبع. على سبيل المثال، جاءت نانسي سبوفورد، التي تلقت تعليمها في كلية فاسار، إلى المنظمة من "راديو أوروبا الحرة" (واجهة أوروبية للسي آى ايه)؛ كانت أليس ب. ويلين، المديرة العامة لـ AFME في أيامها الأولى، ليست فقط خريجة من كلية سميث ولكن أيضًا من مكتب الخدمات الاستراتيجيةOSS، حيث عملت "في مجال الحرب النفسية فيما يتعلق بالحملة الإيطالية وشمال إفريقيا". ونفس الممارسة حدثت في "لجنة المراسلات" النسوية.(33)

إن هناك أدلة كثيرة على أن وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية استخدمت منظمة "AFME" لأغراض تكتيكية في الشرق الأوسط، واحتفظت بقبضة محكمة على شؤون المنظمة في الداخل. ولكن من الخطأ أن نستنتج أن المنظمة كانت مجرد أداة جامدة ولا عاقلة لإرادة الوكالة، مجرد "دمية تحركها خيوط". وهناك عدد من الاعتبارات التي تتعارض مع مثل هذه النظرة إلى منظمة "AFME": التاريخ الطويل

من مشاركة المواطنين المدنيين الأمريكيين في الشرق الأوسط الذي سبق تأسيسها، وأصولها التنظيمية المباشرة في النشاط المناهض للصهيونية العفوي من قِبَل جهات غير حكومية، وحقيقة مفادها أن الرجل المسؤول عن برنامج وكالة الاستخبارات المركزية في الشرق الأوسط، كيم روزفلت، شارك بنفسه في هذا التقليد قبل أن يتولى المنصب هذا بشكل رسمي. وقد لاحظ مؤرخو عمليات الواجهة لوكالة الاستخبارات المركزية على "اليسار غير الشيوعي" الأوروبي كيف أن العديد من ضباط الاستخبارات المتورطين كانوا يشتركون بطبيعة الحال في القيم السياسية الليبرالية لمجموعات المواطنين التي كانوا يدعمونها سراً. ويبدو أن نمطاً مماثلاً ساد في حالة AFME، باستثناء أن القيم المعنية كانت العروبية ومعاداة الصهيونية.

والواقع أن قبضة هذه القيم كانت قوية إلى الحد الذي جعل حتى ضباط وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية الذين يفتقرون إلى تاريخ سابق من التعامل مع القضية العربية، مثل ماثر إليوت، سرعان ما طوروا عقلية عروبية ومعادية للصهيونية بعد انخراطهم في المنظمة. وفي رسالة إلى والديه في ديسمبر 1953 بعد جولة في "الخطوط الأمامية للأردن وإسرائيل"، أعرب إليوت عن أسفه على مصير الفلسطينيين الذين طردوا من الأرض التي كانت "حياتهم كلها وميراثهم بالكامل"، وتوقع أن "اليهود الذين أخذوا بسهولة سوف يعيشون ليندموا ... على اليوم الذي أخذوا فيه هذه الأرض".(34)

وبعبارة أخرى، كانت العلاقة بين الCIA وبين منظمتها الواجهة AFME تتسم بكونها تحالف بين الشركاء الذين توحدهم غاية ورؤية مشتركة أكثر من كونها مجرد الممول والعميل. ومع ذلك، كان هناك تناقض أساسي في هذا الترتيب. فقد ادعت AFME أنها تمثل تقليداً مدنياً أمريكياً من المشاركة الأميركية غير الأنانية للعالم العربي، إلا أنها كانت تعتمد سراً على دعم الحكومة الأميركية لوجودها ذاته.

وعلاوة على ذلك، في حين أن وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية ربما كانت تشترك بشكل طبيعي في أجندة AFME وبالتالي كانت غير راغبة في التدخل غير البنّاء في المجموعة، فإن سيطرتها على محفظة النقود للمنظمة أعطتها الكلمة الأخيرة في شؤون منظمتها الواجهة العروبية، أى :- القدرة على السيطرة، كما كان الحال.

في حين كان كيم روزفلت يحقق أخيرًا طموحه الذي طال أمده في إنشاء منظمة عروبية أمريكية فعالة، كان آرتشي روزفلت، الرجل الذي تغلب عليه كيم في منصب مكتب تنسيق السياسات OPC، في أزمة.
فبالإضافة إلى علاقته المتوترة برئيسه مايك ميتشل، كان آرتشي قد اصطدم بالسفير الأميركي في لبنان لويل سي بينكرتون (وهو حدث شائع في التاريخ المبكر لوكالة الاستخبارات المركزية، حيث نشأت نزاعات على مناطق النفوذ بين الدبلوماسيين المخضرمين وبين الجواسيس المبتدئين). ولم تقدم له حياته الأسرية سوى القليل من العزاء، حيث ظل هو وزوجته KW، التي خرجت في النهاية للانضمام إليه في بيروت مع الصبي تويد، محاصرين في زواج بلا حب. ولتتويج كل ذلك، كاد آرتشي أن يموت في صيف عام 1949 بسبب التهاب الشغاف القلبي، وهو عدوى بكتيرية في صمام قلبه المعيب، ولم ينجُ إلا بفضل العلاج الذي تلقاه في مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت.
وفي احتجاج ضمني على الحالة المزرية التي كانت عليها حياته، اتخذ آرتشي خطوة غير مسبوقة بالنسبة لرجل من عائلة روزفلت، حيث قام بإطلاق لحيته، مما أثار استياء والده عسكري الهوى والطباع، وتسبب في ركض الأطفال في منطقة كولد سبرينج هاربور خلفه، وهم يضحكون ويشيرون إليه.(35)
بدأت أحوال آرتشي في التحول في نهاية المطاف بعد عودته إلى وطنه من جولته في بيروت. ففي نوفمبر 1949، ذهب على سبيل الإعارة

من وكالة المخابرات المركزية للعمل في مكاتب نيويورك لإذاعة "صوت أمريكا" VOA، (هى بذاتها وكالة بروباجاندا شبيهة بالسي آى ايه، وقانونها -كقانون السي آى ايه- يقول انها تُحظَر من العمل البروباجاندي داخل حدود الولايات المتحدة) للإشراف على إطلاق عمليات البث الأمريكية في الشرق الأوسط. وبدأ هو وKW أخيرًا إجراءات الطلاق، وانتقل إلى شقة صغيرة في وسط المدينة في مانهاتن.

ثم في أحد أيام السبت من شهر يونيو 1950، بينما كان آرتشي يستكمل أوراقه في مكتبه، سمع طرقًا على بابه. تم إرسال سلوى "لاكي" شقير، الطالبة في السنة الأخيرة من كلية فاسار، لرؤيته من قبل معلمه في زمن الحرب، إدوين رايت، لمناقشة إمكانية عملها في الخدمة العربية من إذاعة صوت أمريكا، وربما لتقييم تجنيدها بواسطة السي آى ايه. كانت سلوى "لاكي" هى ابنة مهاجرين لبنانيين من طائفة الدروز وتحدثت بلهجة تعكس نشأتها في تينيسي - وهي لهجة مختلفة تمامًا عن لهجات الساحل الشرقي التي اعتاد آرتشي سماعها - وقد أسرت لاكي المستعرب الشاب على الفور.

ورغم أنه سرعان ما اتضح أنها لا تتقن العربية بالقدر الكافي لكي تكون مفيدة سواء للخدمة العربية لإذاعة صوت أمريكا أو حتى لوكالة الاستخبارات المركزية، فقد دعاها آرتشي في لحظة من التهور الرومانسي إلى الغداء. وبعد مغازلة شديدة أثناء تناول الكوكتيلات، خطط الاثنان لقضاء بقية فترة ما بعد الظهر وكل يوم الأحد معًا أيضًا، حيث رافق آرتشي لاكي إلى كلية فاسار، غير قادر على فصل نفسه عنها. وفي الأسبوع التالي، لم يستطع احتواء حماسه عندما تناول الغداء مع مايلز كوبلاند، الذي عاد أيضًا إلى الولايات المتحدة، وهو يتحدث بحماس عن الجمال "السامي" للمرأة اللبنانية من الجنوب الأمريكي. "حتى أن رأسها متطاول!" dolichocephalic head

صرخ آرتشي - في إشارة إلى الجمجمة الطويلة المزعومة للساميين. ("يا المسيح، لقد فكرت، الولد في حالة حب!" يتذكر مايلز كوبلاند الأمر).
من جانبها، كانت لاكي مفتونة بمزيج آرتشي من شجاعة العالم القديم وحس المرح الصبياني. بعد ثلاثة أشهر، في الأول من سبتمبر 1950، تزوجا في منزل بيلي روزفلت في نيويورك في حي ساتون بليس، المطل على نهر الشرق، مع وجود ابن عمه كيم -الذي يبدو أنه غُفر له لتوليه وظيفة OPC- كوصيف له.(36)

زواج آرتشي من أميركية من أصل عربي عنى أنه من أجل تجنب اتهامات التحيز، فإنه سوف يتنحى من الآن فصاعداً عن مناصب الاستخبارات في الدول العربية. ولكن هذا بدا بالنسبة له ثمناً زهيداً مقابل حالته الجديدة من النعيم الأسري. وعلى أية حال، بدا أن القضية العروبية أصبحت آمنة في أيدي ابن عمه. والواقع أن كيم روزفلت، بعد أن جاء سراً لإنقاذ العناصر المؤيدة للعرب والمعادية للصهيونية داخل المجتمع الأميركي مالياً، كان على وشك أن يُلقي بدعم وكالة الاستخبارات المركزية وراء أعظم زعيم قومي عربي في جيله.

الفصل العاشر

بحثًا عن بطل : مصر، 1952

كان انتقال كيم روزفلت إلى مكتب تنسيق السياسات OPC خطوة ذكية في مسيرته المهنية. فقد نمت وحدة العمليات السرية الجديدة، التي دفعت بها صدمات الحرب الباردة مثل انتقال الصين إلى الشيوعية واندلاع الحرب في كوريا، بمعدل هائل، من أكثر من ثلاثمائة موظف بقليل في عام 1949 إلى أقل من ستة آلاف بحلول عام 1952. وبإعفائها من متطلبات المحاسبة التي يفرضها الكونجرس بموجب قانون الاستخبارات المركزية لعام 1949، كانت وكالة الاستخبارات المركزية غارقة في الأموال غير الخاضعة للرقابة لأجل مشاريع جديدة. وقد حسب مايلز كوبلاند، الذي كان يساعد كيم كنائب لرئيس الاستخبارات، أن قسم الشرق الأدنى (NEA)، الذي تشمل أراضيه الجغرافية أيضًا إفريقيا وجنوب شرق آسيا، يحتاج إلى ميزانية تبلغ حوالي 20 مليون دولار. ولم يكن كيم راغبًا في أن يتفوق عليه رؤساء الأقسام الآخرون، فطلب خمسة أضعاف هذا المبلغ ـ وحصل عليه. 100 مليون دولار في أول عقد الخمسينات. وأصر مايلز كوبلاند لاحقًا على أن الاستخدامات التي استُخدِمت فيها هذه الأموال كانت غير ضارة تمامًا.

"لم نكن مجموعة من العباقرة الأشرار الذين يخططون لغسل أدمغة العالم"، كما كتب في مذكراته. ومع ذلك، فإن بعض مشاريع الW&W "الغريبة والرائعة" لقسم الشرق الأدنى التي وصفها لاحقًا - محاولة وضع مواد مهلوسة للزعيم الإندونيسي سوكارنو، على سبيل المثال، أو توظيف وسيط روحي في ريتشموند بولاية فرجينيا لإرسال رسائل تخاطرية إلى إسطنبول ـ لا يشير إلى نهج مدروس ومنضبط على الإطلاق، حتى مع الإعتبار المسبق للتجاوزات التحريرية لكوبلاند.(1)

ولقد بُذِلت بعض الجهود لكبح جماح نزعات اللعب السري التي يتسم بها مكتب مراقبة العمليات، وخاصة بعد تولي الجنرال المحترم على نطاق واسع والتر بيدل سميث، رئيس أركان دوايت أيزنهاور أثناء الحرب العالمية الثانية، منصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية في أكتوبر 1950. وقد طرد "بيتل/الخنفساء" الذي كان سريع الغضب العديد من أفراد مجتمع الاستخبارات الأكثر فظاظة والأقل لياقة وأنشأ "مجلساً للقتل" لاستئصال المشاريع المتهورة بشكل خاص، الأمر الذي أدى إلى ترهيب رئيس مكتب مراقبة العمليات فرانك ويزنر تماماً. ومع ذلك، فإنه لم يوقف الانجراف الأساسي لوكالة الاستخبارات المركزية بعيداً عن مهمتها الأصلية المزعومة المتمثلة في جمع المعلومات الاستخباراتية وتحليلها تجاه العمل السري أكثر. وعلاوة على ذلك، ربما بفضل تأثير صديقته بيلي روزفلت، كان بيتل يكنّ مشاعر طيبة لكيم، والذي انتقل إلى منزل في حي ويسلي هايتس الراقي في واشنطن على بعد عدة خطوات فقط من منزل بيتل. وكذلك فعل أيضا نائب المدير سميث، الودود الذي يدخن الغليون آلن دالاس، تجاه كيم.
كان دالاس مهتماً كثيراً بالنسب الاجتماعي، وكان نسب كيم لا تشوبه شائبة. والأفضل من ذلك أنه كان من "عائلة أويستر باي روزفلت"، كما قال دالاس مازحاً عند تقديمه إلى زملائه الجمهوريين، "وليس من

بين أولئك الليبراليين في هايد بارك". وحتى الإرتباط الأدبي للقب كيم كانت تعمل لصالحه: فقد أمضى دالاس عدة سنوات من شبابه في الهند، وكان يعتبر رواية كيم من بين كتبه المفضلة (كانت هناك نسخة من الكتاب بجانب سريره عندما توفي)، و"تخيل نفسه شخصية في رواية للإسكتلندي جون بوكان"، كما أخبر كيم مايلز كوبلاند ذات مرة. كل ذلك ممزوجاً بنقص الخبرة في مجال الشرق الأوسط في الدوائر الحكومية الأميركية، فإن المكانة الرفيعة التي اكتسبها كيم بين كبار المسؤولين الأميركيين كانت تعني أنه هو ودائرته الصغيرة من المقربين من العروبيين كانوا يستمتعون بشكل متزايد ب"ما يماثل استعراضاً خاصاً بنا نديره"، على حد تعبير مايلز في وقت لاحق.(2)

لقد استخدم كيم النطاق العملي والموارد المتاحة له في مكتب التخطيط الاستراتيجي OPC لإنجاز عنصر واحد من برنامجه العروبي: إنشاء قوة محلية مضادة للصهيونية الأميركية. ولكن طموحاته في الشرق الأوسط نفسه لم تتحقق بعد. لقد أظهر حسني الزعيم في سوريا لفترة وجيزة وعداً بأنه "النوع المناسب من القادة"، وهو رجل قوي مستنير ملتزم بتحديث بلاده وحتى السعي إلى إيجاد "تسوية مؤقتة" بين العرب وبين الإسرائيليين، ولكن في النهاية تبين أنه يفتقر إلى الصفات الشخصية اللازمة لهذا الدور. والآن تحول كيم إلى مكان آخر في بحثه عن بطل عربي.

عندما وصل كيم روزفلت الإبن إلى مطار الملك فاروق بالقاهرة في فبراير 1952، لم يتوجه إلى مكان إقامته المعتاد. فقبل بضعة أسابيع، في ال26 من يناير - "السبت الأسود"، كما أصبح معروفاً لاحقاً - حوّل المتظاهرون القوميون فندق شيبرد إلى كومة من الأنقاض المتفحمة، إلى جانب بنك باركليز، ونادي تيرف، والعديد من المعالم الأخرى للاستعمار البريطاني.

وكانت أعمال الشغب في القاهرة، التي خلفت ستة وسبعين قتيلاً وعدداً لا يحصى من الجرحى، قد جاءت رداً على مقتل خمسين شرطياً مصرياً خلال غارة شنها الجيش البريطاني على ثكنات الشرطة على قناة السويس، والتي أعقبت بدورها سلسلة من الهجمات التي شنها قوميون بتكتيكات حرب العصابات (الفدائيون) على القاعدة البريطانية على قناة السويس.
دين أتشيسون وزير الخارجية الأمريكي، الذي كان يراقب من واشنطن، كان يائساً إزاء عجز بريطانيا عن احتواء العنف المتصاعد، ولاحظ بحدة: "إن "ضجيج البنادق" لا يوقف الأمور على ما يبدو كما قيل لنا من وقت لآخر من قِبَل البريطانيين". (من المترجم :- مصطلح splutter of musketry هو مصطلح بريطاني عن نهج لندن في الشرق الأوسط المتمرد -مصر وإيران بالتحديد- أوائل عقد الخمسينات، "الضرب بيد من حديد" يعني باللغة المصرية)
وإذا كانت الولايات المتحدة راغبة في منع الفوضى من الاستيلاء على مصر وانتشارها في مختلف أنحاء المنطقة، وبالتالي فتح المنطقة أمام "الاختراق الشيوعي"، فلابد أن تتحرك الآن، بشكل مستقل عن البريطانيين ـ "كسر الحضن مع البريطانيين والانطلاق إلى الأمام بجهد"، على حد تعبير أتشيسون. وكخطوة أولى، فعل وزير الخارجية نفس الشيء الذي فعله في عام 1944 عندما علم أن بعثة لانديس في القاهرة قد واجهت صعوبة: فأرسل في طلب كيم روزفلت.(3)

كان كيم قد عاد إلى القاهرة عدة مرات منذ الحرب، بدءًا من رحلة البحث التي قام بها في عام 1947 والتي أسفرت عن مقالة مجلة هاربر بعنوان "عقدة النقص المصرية" وعن الفصل "كعك للسِمان وبصل للنحفاء/الفقراء" في كتابه العرب والنفط والتاريخ. وقد أدانت هذه الكتابات التفاوت الاجتماعي والاقتصادي في مصر، وصورت الملك

الشاب فاروق على أنه فتى لعوب مستهتر (حرفيا:- feckless unmanned playboy) تم إخصائه بالإذلال المستمر الناجم عن الخضوع للبريطانيين، وأشادت بجهود الإصلاح التي يبذلها "الأفندية الشباب". فلا عجب إذن أن تحتجز السلطات المصرية كيم عندما حاول العبور عبر مطار فاروق في يناير 1951 بتهمة الإدلاء بتصريحات معادية للعرب. ولكن في نهاية المطاف، وبعد "بعض النشاط رفيع المستوى"، أُطلق سراح ضابط المخابرات المركزية الشاب.(4)

وعلى الرغم من هذه الإحباطات، كان كيم مدركاً تمام الإدراك لأهمية مصر الاستراتيجية، باعتبارها، على حد تعبير كتاب "العرب والنفط والتاريخ"، "مركزاً للاتصالات، قريبة من مواطن النفط، ودولة رئيسية في العالم العربي حيث تلتقي الديمقراطية -الأمريكية- والشيوعية وجهاً لوجه". وعلاوة على ذلك، وعلى الرغم من كل تحفظاته بشأن الحالة المعاصرة للبلاد، فقد كان كيم مفتوناً بالتاريخ الفرعوني لمصر وماضيها الحديث كمقر "للإمبراطورية السرية" البريطانية في العالم العربي. (المقر المركزي ل"المكتب العربي" البريطاني الشهير أثناء الحرب العالمية الأولى). وفي صيف عام 1951، وخلال جولة على محطات وكالة المخابرات المركزية الأميركية في المنطقة، سافر كيم إلى القاهرة حتى يتمكن ابنه الأكبر، كيرميت الثالث، من استيعاب أجواء الإمبراطوريات القديمة والحديثة، وتسلق الأهرامات والإبحار في نهر النيل.(5)

وقد انعكس التناقض الذي كان يسود موقف كيم تجاه مصر في المهمة التي أوفده إليها دين أتشيسون في فبراير 1952. فوفقاً للرواية التي وردت في كتاب مايلز كوبلاند الصادر عام 1969 بعنوان "لعبة الأمم"، والتي أكدها كيم نفسه فيما بعد، فقد كلف وزير الخارجية كيم بإقناع الملك فاروق بتنفيذ برنامج إصلاحي من شأنه أن ينزع فتيل

"القوى الثورية" في المجتمع المصري وبالتالي إنقاذ عرشه. (في مذكراته اللاحقة، "لاعب اللعبة"، تطوع مايلز أيضًا بمعلومات تفيد بأن المهمة "وافق عليها آلن دالاس أثناء تناول الشاي في منزله في جورج تاون بعد ظهر يوم الأحد في أعقاب السبت الأسود"، وأنها كانت معروفة بشكل غير رسمي داخل قسم NEA في وكالة الاستخبارات المركزية باسم "مشروع FF" نسبة إلى اللقب القاسي لفاروق، "المنيوك السمين" Fat Fucker). وتابع مايلز أنه إذا فشلت الجهود الرامية إلى إحداث "ثورة سلمية"، فإن كيم سيتخلى عن دعم فاروق ويبحث عن عناصر قيادية أخرى قادرة على جلب الاستقرار إلى البلاد - "رجل واجهة وسيم، أو رجل قوي، أو صيغة تجمع بين الاثنين".(6)

وعاد كيم من القاهرة سعيدًا بالنتيجة التي حققها من مهمته. كتبت زوجة كيم، بولي، إلى والدته، بيلي، في أوائل مارس: "لقد قضى وقتًا ناجحًا حقًا في مصر وهو يعقد أصابعه (صيغة عن التمني)... أن تستمر نتيجة أعماله وتكون ذات فائدة ما للموقف". ولكن سرعان ما أصبح من الواضح أن فاروق كان يفتقر إلى الحس السليم اللازم لمتابعة مفهوم كيم عن "الثورة السلمية" وإنقاذ نفسه (كما أوضح كيم في وقت لاحق مشمئزا من فاروق: "إنه لن يبني حتى قوة أمنية!"). وبدلاً من ذلك، تكشفت سلسلة من الأحداث المشابهة جدًا لتلك التي وقعت في سوريا قبل ثلاث سنوات.(7)

لقد أصبح الجيش المصري، الذي ضم فيلق ضباطه عددًا من الشباب المنبوذين من خلفيات إقليمية من الطبقة الدنيا، أرضًا خصبة للمعارضة القومية العربية لنظام فاروق شبه الاستعماري. وكان الوجود المستمر للقوات البريطانية في السويس سببًا في استياء شديد؛ وكذلك كان فساد طبقة الباشاوات من السياسيين المدنيين في البلاد، الذين ألقي عليهم

اللوم في هزيمة الجيش في حرب 1948 العربية-الإسرائيلية. وبعد سنوات من التخطيط التآمري، قدمت أزمة يناير 1952 الذريعة التي احتاجها ما يسمى ب"الضباط الأحرار" للتحرك. فبين عشية وضحاها في 22-23 يوليو، توغلت وحدات الجيش في وسط القاهرة، واحتلت مواقع استراتيجية. وبعد يومين، في 25 يوليو، تنازل فاروق عن عرشه وأبحر من الإسكندرية إلى المنفى في إيطاليا.

وشكل الضباط الأحرار "مجلس قيادة الثورة" RCC تحت قيادة الجنرال الشعبي المحبوب محمد نجيب، الذي تولى منصب وزير الحربية. بينما كان المراقبون المطلعون يعرفون أن السلطة كانت في الواقع في أيدي عقيد هادئ يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا يدعى جمال عبد الناصر.

ولا تنتهي أوجه التشابه بين الانقلاب السوري عام 1949 والثورة المصرية عام 1952 عند هذا الحد. وكما حدث في الحدث السابق، فقد نشأ نزاع طويل الأمد حول درجة التورط السري للولايات المتحدة في الإطاحة بفاروق - ومرة أخرى، تشكل كتب مايلز كوبلاند السبب الرئيسي للجدال. فمن ناحية، هناك تأكيد مايلز في كتابه "لعبة الأمم" على أن كيم روزفلت التقى في مارس 1952 ثلاث مرات بأعضاء من الضباط الأحرار، الذين أطلعوه على خططهم لتنفيذ انقلاب وإقامة دكتاتورية من شأنها أن تعزز ظهور الديمقراطية في مصر في نهاية المطاف. وهناك أيضاً شهادة مايلز الإضافية في كتابه "لاعب اللعبة" بأنه هو نفسه الذي رتب للاجتماعات بين كيم والضباط الأحرار أثناء رحلة قام بها إلى مصر في مارس 1952؛ وأنه تلقى المساعدة في هذا العمل من "روبرت"، وهو عميل أميركي ناطق بالعربية يعمل لدى كيم؛ وأن الضباط الذين التقى بهم كيم لم يكونوا سوى عبد الناصر نفسه.(8)

وكما حدث مع الانقلاب السوري، يبدو أن بعض الأدلة الظرفية تؤكد مزاعم مايلز. ففي يناير 1952، أوصت لجنة مشتركة بين الإدارات أنشأها دين أتشيسون لدراسة مشاكل العالم العربي، وترأسها كيم روزفلت، بأن تعمل الحكومة الأميركية على "تشجيع ظهور قادة أكفاء" في الشرق الأوسط، بوسائل سرية إذا لزم الأمر، "حتى عندما لا يكونون في السلطة". وتُظهِر وثائق أخرى أنه قبل ثورة يوليو كانت هناك اتصالات بين الضباط الأحرار وبين المسؤولين في السفارة الأميركية في القاهرة، وخاصة رئيس استخبارات القوات الجوية الذي تلقى تدريبه في الولايات المتحدة، قائد الجناح علي صبري، والمقدم ديفيد إيفانز الثالث، الملحق الجوي المساعد الأميركي، الذي لعب دوراً لا يختلف كثيراً عن دور ستيف ميد في الفترة التي سبقت انقلاب حسني الزعيم في سوريا. وتُظهِر السجلات الروسية أن مسؤولي الاستخبارات السوفييتية المعاصرين للأحداث كانوا يشتبهون في وجود يد أميركية خفية في الثورة. ويشير كيم روزفلت في كتابه "العرب والنفط والتاريخ" إلى بعض الملاحظات المخيفة ذات الصلة بشأن اهتزاز قبضة فاروق على السلطة وعدم استعداد مصر للديمقراطية.

وأخيرا، يدعونا مايلز إلى التعرف على العميل الأمريكي روبرت باعتبار أنه كان ريتشارد بول ميتشل، وهو طالب دراسات عليا سوري أميركي شاب جاء إلى القاهرة في عام 1951 في إطار منحة فولبرايت للبحث في جماعة الإخوان المسلمين. ووفقا للذكريات اللاحقة لويليام لاكلاند، وهو ضابط سياسي مبتدئ في السفارة الأميركية في ذلك الوقت، فإن ميتشل "أثبت أنه مفيد للغاية في القاهرة، لأنه كان قادرا على التظاهر بأنه من أهل المدينة... والإبلاغ عما يجري في المدينة". ومن المؤسف أن شهادة لاكلاند لا تلقي أي ضوء على صدقية قصة مايلز التي تفيد بأنه التقى روبرت لأول مرة متنكرا في هيئة درويش راقص (كالرقص

الصوفي) في ملهى ليلي في القاهرة كان يسمى "عرين ميلو"، وهو مشهد مأخوذ مباشرة من رواية "غرينمانتل" لجون بوكان.(9)

ولكن ربما كان من المحتم أن تتناقض مصادر أخرى مع سيناريو كوبلاند الذي يزعم أن الانقلاب سينفذ وفقاً لخطة متفق عليها بين روزفلت وناصر. ففي مقابلة أجريت معه مؤخراً، أعرب ويليام لاكلاند، الذي كان على صلة وثيقة بناصر والضباط الأحرار، عن شكوكه في أن مايلز وكيم التقيا بأعضاء بارزين في الحركة قبل الثورة. (كان الموقف العام الذي تبناه لاكلاند تجاه مايلز بارداً إلى حد ما، ومماثلاً لموقف الضابط السياسي الصغير في السفارة في دمشق، دين هينتون). وفي صدى ثانٍ لما حدث في مارس 1949، عندما اقترب الزعيم من المستشار العسكري البريطاني العقيد جوردون فوكس قبل شن انقلابه، هناك أدلة على أن الضباط الأحرار المصريين كانوا يغازلون خاطبين غربيين آخرين إلى جانب الأميركيين. في ديسمبر 1951، كتب مدرب عسكري بريطاني آخر، وهو ضابط استخبارات سابق في سلاح الجو الملكي البريطاني، الكابتن باتريك دومفيل، إلى عضو البرلمان المحافظ جوليان أميري ليخبره أن أصدقاء له في الجيش والقوات الجوية المصرية طلبوا منه السعي إلى الحصول على دعم بريطاني سري لمؤامرة "لإسقاط... الملك ثم إقامة دكتاتورية عسكرية". ولعل أكثر ما أضر بمزاعم مايلز هو أن كيم روزفلت نفسه والعديد من الضباط الأحرار الذين زُعم تورطهم في المؤامرة نفوا في وقت لاحق أي دور لوكالة المخابرات المركزية في المؤامرة لخلع فاروق، وقد رفض كيم صراحةً الاقتراح القائل بأنه عاد إلى مصر بعد رحلته الأولى في فبراير للقاء ناصر والآخرين ـ على الرغم من أنه اعترف بأن الوكالة "أُبلغت بشكل غير مباشر" بمؤامرة الانقلاب (وتشير المراسلات العائلية لعائلة كيم إلى أنه ربما سافر في الواقع إلى القاهرة في أبريل).(10)

وبالطبع، ليس من المستغرب على الإطلاق أن ينكر كل من كيم روزفلت والضباط الأحرار مزاعم مايلز، الأول لأنه طور فيما بعد علاقات تجارية مع العديد من الملوك العرب، وبالتالي كان ليرغب في تجنب أي مظهر من مظاهر التورط في مؤامرة لخلع ملك عربي و لإنشاء جمهورية، والطرف الثاني (الضباط الأحرار) لأن الاقتراح بأن قوة إمبريالية غربية كانت حاضرة عند إنشاء الحكومة الثورية في مصر كان محرجاً سياسياً. وعلاوة على ذلك، فإن هناك قدر هائل من الأدلة على أن الاتصالات السرية الأميركية المصرية كانت واسعة النطاق في الأشهر التي أعقبت الثورة، سواء كانت وكالة الاستخبارات المركزية قد تعاملت بشكل مباشر بالفعل مع الضباط الأحرار قبل انقلابهم في يوليو 1952 أم لا. وكما حدث في عام 1949، عندما وفر ستيف ميد قناة رئيسية لنظام الزعيم خلال الأشهر الأولى من وجوده، كان الملحق الجوي ديفيد إيفانز هو نقطة الاتصال الأولى للضباط الأحرار. وفي غضون ساعات فقط من الثورة، تلقى إيفانز دعوة إلى مقر المخابرات العسكرية، حيث علم برغبة الحكومة الجديدة في التعاون مع الولايات المتحدة ومع خططها لقمع الشيوعيين المصريين.

كما بقي ويليام لاكلاند هو الآخر قريبًا من الضباط؛ وصادق المراسل المفضل لدى ناصر، الصحفي الصاعد محمد حسنين هيكل؛ واستضاف ناصر نفسه بانتظام لتناول العشاء في شقته المطلة على النيل. ورغم أن السفير الأميركي جيفرسون كافري، وهو جنوبي مهيب يقترب من التقاعد، فضل التعامل فقط مع رئيس الوزراء المصري الإسمي الجنرال نجيب، فإنه شجع إيفانز ولاكلاند بهدوء على تعزيز اتصالاتهما مع ناصر. وكان كافري، الذي كان ينتقد الإمبريالية البريطانية منذ فترة طويلة، حريصاً على تعزيز الصداقة الأميركية مع الضباط الأحرار؛ كما مدح النظام الجديد في تقاريره إلى واشنطن.(11)

وبحسب ما يتذكره مايلز في وقت لاحق، كان كيم روزفلت قد سئم الدكتاتوريات العسكرية بعد كارثة الزعيم، ولذلك "امتنع عن أي اتصال مباشر مع ناصر" في الأيام الأولى للثورة المصرية. لكن هذا لم يمنعه من إرسال تحقيقات غير مباشرة إلى الضباط الأحرار، كما كشفت وثيقة غير عادية تم اكتشافها بين الأوراق الشخصية لرئيسة جمعية AFME دوروثي تومسون. ففي سبتمبر 1952، أثناء التحضير لرحلة إلى مصر، تلقت تومسون مذكرة تحمل خط يد كيم، تأمرها بإثارة مصير رئيس الوزراء السابق أحمد نجيب الهلالي وعضوين آخرين في الحكومة السابقة "ذوي السمعة الطيبة والاستقلال (و... التحيز المؤيد لأميركا)" مع الجنرال نجيب، فهم مسجونون من ساعة الانقلاب.
ولقد أوضحت المذكرة أن نجيب "أظهر أنه زعيم قادر وكفء وحازم"، ولكن مثل هذه الاعتقالات السياسية كان من الممكن أن "تلقي ضوءاً سيئاً على برنامجه بأكمله". ومن المثير للاهتمام أن هذه الدعوة غير المباشرة للعفو السياسي -التي تذكرنا بتدخل ميد مع الزعيم نيابة عن الرئيس السوري المخلوع القوتلي في عام 1949- استبعدت على وجه التحديد بعض السياسيين المصريين الذين كانوا على ارتباط وثيق بنظام فاروق لدرجة أنهم بدوا الآن خارج نطاق التأهيل. وكان من بين هؤلاء أحمد مرتضى المراغي، وهو وزير الداخلية السابق في تلك الحكومة، وإذا صدقنا مايلز، فإن المراغي كان شريكاً في مؤامرة كيم السابقة لإثارة "ثورة سلمية" من الداخل بدعم فاروق، وتُرِك بهدوء ليلقى مصيره.(12)
وفي مذكرة مرفقة بعنوان "الخلفية" لمهمة تومسون، توسع كيم في شرح أسباب رغبته في تحسين صورة نجيب، وبذلك قدم لمحة كاشفة عن مشاعره العامة تجاه الحكومة المصرية الجديدة. وأوضح كيم أنه منذ وصول الضباط الأحرار إلى السلطة، بادروا إلى "عدد من التدابير الإصلاحية التي بدأت في إثارة آمال أصدقاء مصر المطلعين". وشملت

هذه التدابير إلغاء ألقاب مثل "بيه" و"باشا"، و"تطهير البرلمان الفاسد"، وتأسيس "برنامج إصلاح زراعي" ضروري للغاية، إلى جانب تدابير لجذب "الاستثمار الأجنبي". وقد اتخذت كل هذه الخطوات التقدمية اجتماعياً واقتصادياً في نفس الوقت الذي تبنت فيه الحكومة الجديدة تدابير "لتعزيز أساس الأمن الداخلي في مصر". (ربما كان كيم يشير هنا إلى القمع الوحشي الذي مارسته المؤسسة العسكرية ضد إضراب عمال النسيج في الإسكندرية في الشهر السابق، وما تلا ذلك من اعتقالات لقادة شيوعيين). باختصار، عرض الضباط الأحرار الاستقرار في الأمد القريب في حين ظلوا متمسكين بإمكانية التحول الديمقراطي والتحديث في الأمد البعيد تحت التوجيه الأميركي.
وكانت زيارة أخرى إلى القاهرة في أكتوبر 1952 قام بها عضو جديد في AFME، إدوارد إل. آر. إلسون، وهو قس من الطائفة المشيخية من واشنطن العاصمة، سبباً في تعزيز هذا الانطباع. وفي إجابة على سلسلة من الأسئلة السياسية المحددة التي طرحها إلسون، أكد نجيب احترام نظامه للحريات الفردية، واستقباله للمساعدات الأجنبية، وطموحه إلى تطوير الاقتصاد المصري. وكتب مايلز كوبلاند في وقت لاحق: "كان كل شيء يشير إلى أننا أصبحنا الآن في طاقمنا لاعباً جديداً كان بالضبط ما كنا نبحث عنه".(13)

ومن جانبهم، بدا أن الضباط الأحرار كانوا متقبلين للغاية لهذه المبادرات الأميركية. بنشأتهم في كفاح ناجح ضد الحكم البريطاني الاستعماري، وبتاريخ واشنطن الحديث من النشاط التبشيري الحميد نسبياً في العالم العربي، نظروا الى الولايات المتحدة باعتبارها شريكاً محتملاً لهم - أكثر من الاتحاد السوفييتي الملحد. وكان رئيس الاستخبارات الجوية علي صبري والصحفي محمد حسنين هيكل قد زارا بالفعل "أرض الأحرار" وعادا بتقدير للثقافة الشعبية الأميركية التي

شاركاها مع مواطنيهما. ولقد شجع هيكل بيل لاكلاند على تقديم النقانق hot dogs لعبد الناصر وإظهار أفلام هوليوود له، وكان يستهلك عبد الناصر كليهما بحماس (وفقاً لما ذكره لاكلاند، كان ناصر من المعجبين بشكل خاص بنجمة "الموسيقى المائية" إستر ويليامز). كما رحب الشباب المصريون بالطابع الديمقراطي غير الرسمي لأخلاق السلوك الأميركية، وهو ما كان يشكل تغييراً منعشاً عن السلوك البريطاني الصارم. وكان التقدير متبادلاً. فقد لاحظ الأميركيون بموافقة الجدية والانضباط الذاتي اللذين أظهرهما الضباط الأحرار في أداء مهمة حكم مصر، وهي السمات التي انعكست أيضاً في حياتهم الخاصة ـ كان ناصر، الرجل المخلص لعائلته، يعيش حياة متواضعة بشكل خاص ـ وهي كلها تختلف تمام الاختلاف عن حياة فاروق الفاسق. وحتى بنية الشباب ـ "الرشيقة... النحيلة، والرياضية المظهر"، على حد تعبير كوبلاند ـ كانت تتناقض بشكل إيجابي مع جنرالات عصر فاروق ذوي الكروش المنتفخة. وكان الأميركيون أيضاً شباباً وقويين، على عكس البريطانيين المسنين الضعفاء. ويقال إن عبد الناصر أشار إلى الولايات المتحدة باعتبارها "الجاية" (البازغة) وإلى بريطانيا باعتبارها "الرايحة" (الهالكة). (14)

(ملاحظة من المترجم :- المؤرخون الأمريكيون -وعموم الأمريكان- يشيرون دائما إلى عبد الناصر في كتاباتهم بمجرد الاختصار "ناصر"، وهو شيء يبدو أنه هو الأصل ومنه انتقل الأمر تاليا لإستخدام البروباجاندا المصرية ذاتها للكلمة "ناصر" رسمياً أثناء حكم عبد الناصر ذاته! وسأشير له تاليا كما يشير الأمريكان له بمجرد "ناصر")

وليس من المستغرب أن المراقبين البريطانيين لم يعطوا إعتباراً كثيراً لهذه العلامات التي تدل على الرفقة المصرية الأميركية. فخلال الحرب العالمية الثانية، كان البريطانيون قد تنازلوا وسمحوا بإنشاء مكتب

الخدمات الاستراتيجية OSS في القاهرة؛ أما الآن فقد أصبحوا غاضبين تماماً. فقد كان الأميركيون غير مخلصين لصديقهم وحليفهم القديم، وشجعوا المصريين على تقديم مطالب غير معقولة، اشتكى السفير البريطاني في القاهرة، رالف ستيفنسون. وكانوا أيضاً ساذجين، فلم يتمكنوا من اكتشاف خداع العرب الذين كانوا يتظاهرون بالصداقة، ولكنهم في الحقيقة، وفقاً للمستعرب المخضرم السير أليك كيركبرايد، كانوا ينظرون إليهم "بازدراء خفي لكونهم سهلي الخداع".
("عاجلاً أم آجلاً، سيذهب الشركاء المحليون للأمريكيين إلى أبعد مما ينبغي لهم، ولابد من قطع الصلة، حتى ينتهي الأمر بالأميركيين إلى اعتبار أصدقائهم السابقين أعداء لهم"، هكذا تابع كيركبرايد، مع بعض البصيرة، كما اتضح.)
لجأ البريطانيون إلى علم نفس الهواة، وألقوا باللوم في هذه الميول على "المشاعر والعواطف شبه الواعية حول العرب وحولنا الكامنة في العقل الأميركي" (روجر ماكينز، السفير البريطاني في واشنطن) وعلى "الأفكار الثابتة الأساسية، وإن كانت شبه اللاواعية، التي يحملونها عنا باعتبارنا "إمبرياليين" و"مضطهدين للأجناس المتخلفة، ومختلفين عنهم، والذين يشعرون بأنهم محررون ومشجعون للمضطهدين" (روبن هانكي، مسؤول وزارة الخارجية في القاهرة).
وبعبارة أخرى، كان الأميركيون يسمحون لأنفسهم بأن تحكمهم قوى عاطفية غير عقلانية، تشبه إلى حد كبير العرب الشرقيين في الواقع، وليس مثل البريطانيين العقلاء والقساة في عقلانيتهم على الإطلاق.
وخلص المستعرب أليك كيركبرايد إلى القول لاجئا الى السب: "إن أكثر جوانب المسألة إثارة للشفقة هو اعتقاد الأميركي العادي بأنه يستحق أن يحظى بالإعجاب، وعجزه عن فهم سبب عدم استحقاقه لهذا الإعجاب عندما تصبح هذه الحقيقة واضحة للغاية بحيث لا يمكن تجاهلها بعد الآن".(15)

لقد أثبت كيم روزفلت، من خلال ارتباطاته البريطانية المتنوعة، على الأقل في هذه المرحلة، أنه يشكل استثناءً لهذا الموقف؛ فقد كانت الأهداف الرئيسية للهجوم البريطاني -بدلاً من كيم- هي "العاطفي" ويليام لاكلاند و"الكريه" جيفرسون كافري. ولكن في الحقيقة، إذا كان هناك فرد واحد عزز التحالف المتنامي بين الولايات المتحدة والحكومة المصرية الجديدة، فهو كيم ذاته. كانت أول رحلة له إلى القاهرة بعد الثورة في أكتوبر 1952، عندما قدمه كافري إلى كل من نجيب وناصر في فندق مينا هاوس، المطل على الأهرامات. وبعد ذلك، بينما استمر السفير في إجراء أعمال دبلوماسية رسمية مع "الواجهة الوسيم" نجيب، كان ضابط وكالة المخابرات المركزية وناصر يجتمعان بشكل مستقل عن السفارة، أحيانًا في منزل الأخير في الضواحي، وأحيانًا أخرى في أماكن سرية مختلفة، حيث يناقشان أمورًا أكثر أهمية وحساسية، مثل المساعدات العسكرية الأمريكية للحكومة الجديدة. ولم تكن الطبيعة السرية لهذه الاجتماعات تشكل مشكلة بالنسبة للمصري، الذي قضى سنوات في إخفاء وجود جمعية الضباط الأحرار عن نظام فاروق. وبعد ثورة يوليو بقليل، سُئل ناصر عما إذا كان "يسارياً" أم "يمينياً". فأجاب: "لا هذا ولا ذاك، أنا متآمر".(16)

وبعيداً عن حبهما المشترك للخداع، كيف لنا أن نفسر العلاقة التي نشأت بين هذين الرجلين، أحدهما من نسل رئيس أميركي وأحد الأفراد النموذجيين للدائرة الداخلية في واشنطن، والآخر ابن موظف بريد إقليمي كرس حياته للنضال الوطني؟
ويبدو أن ناصر أدرك بسرعة أن كيم قد يكون مفيداً له سياسياً، حيث يوفر له قناة خلفية رفيعة المستوى لواشنطن، والتي من شأن سريتها أن تحميه من اتهامات زملائه القوميين المصريين بأنه كان يتملق الأميركيين. ولكن من المرجح أيضاً أنه كان يفضل الرفقة الشخصية

لهذا الرجل الهادئ غير المتكلف البالغ من العمر ستة وثلاثين عاماً على الرفقة الشخصية للرجل الكبير المسن كافري. ويستشعر المرء عنصراً من التعاطف الشخصي الحقيقي في هذه العلاقة مفقوداً في تعاملات ناصر مع المسؤولين الغربيين الآخرين.(17)

ومن جانبه، كان كيم سعيداً بناصر. ومثله كمثل حسني الزعيم في سوريا، جمع المصري بين الالتزام المثالي بالإصلاح التحديثي والفهم الواقعي للحاجة إلى تدابير استبدادية قصيرة الأجل، ولكن على عكس السوري كان ذكيًا وجذابًا على المستوى الشخصي بما يكفي - وقد علق المراقبون الغربيون بشكل متكرر على جسده الطويل، قوي البنية ومظهره المثير للإعجاب وعينيه الداكنتين المُذوِّبتين- ليكون لديه فرصة للبقاء في السلطة بالفعل. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل كان ناصر يُظهِر أيضًا علامات تشير إلى أنه قادر على تولي دور قيادي خارج مصر، في العالم العربي الأوسع. كتب كيم إلى مايلز كوبلاند: "العقيد ناصر هو الرجل الوحيد الذي التقيته والذي أذهلني بشعوره بأنه يمتلك القدرات اللازمة لقيادة الشرق الأدنى ـ ليس مصر فحسب، بل ومن خلال مصر أصدقائها وجيرانها العرب ـ للخروج من البرية القاحلة". وتابع كيم: "أنا على يقين من أن شعوب الشرق الأدنى قادرة على تحقيق نهضة عظيمة إذا ما توافرت لها الزعامة الملهمة. وبدونها، فإن نقاط الضعف الحالية والعواطف الوطنية غير المعقولة واليأس ـ سوف تزيد من تخريب المنطقة".(18)
ولعل هناك بعض الأصداء المؤسفة هنا لصانعي الملوك السابقين، العملاء الإمبراطوريين الذين كانوا يبحثون أيضًا عن زعيم قوي قادر على توحيد العرق العربي الفوضوي المزعوم. على سبيل المثال، جاء تي إي لورنس إلى شبه الجزيرة العربية "لتقييم رجالها العظماء" لدور "الزعيم الضروري"، وهي المهمة التي أسفرت في النهاية عن الأمير

الهاشمي فيصل الأول. ومن ناحية أخرى، كان كيم روزفلت يكرر ببساطة سعي لورنس إلى "قوة تتجاوز القبيلة"، "روح قائدة" التي "ستشعل الصحراء" و"تجلب الثورة العربية إلى مجدها الكامل".(19)

ولكن من الإنصاف لكيم، أنه لم يكن الوحيد الذي يفكر بوعي في وضع منصة لاختيار دور البطل العربي فيها. وكما أوضح ناصر بعد ذلك بسنتين في كتابه "تحرير مصر: فلسفة الثورة" (من المترجم :- الكتاب الذي حرره حسنين هيكل ولايُعرف بالتحديد مصدر تأليفه الحقيقي)، فإنه أيضا كان يعتقد أن "داخل الدائرة العربية يوجد دور يتجول بلا هدف بحثاً عن بطل"، وأن "هذا الدور... قد استقر أخيراً، متعباً ومنهكاً، بالقرب من حدود بلادنا وهو يدعونا إلى التحرك، واتباع خطوطه، وارتداء زيه، لأن لا أحد غيرنا مؤهل للعبه".(20)
وفي الوقت الحالي على الأقل، كان كيم روزفلت وجمال ناصر يقرآن من نفس النص.

كانت الأمور تتجه في مسار محبب لكيم في البيت الداخلي أيضاً. ففي أواخر عام 1952، وكجزء من حملة إعادة تنظيم بيتل سميث، تم إبعاد مكتب OPC من إدارة وزارتي الخارجية والدفاع له وضمه إلى هيكل القيادة في وكالة الاستخبارات المركزية، مما أدى إلى توحيد العمل السري والتجسس في جهاز تجسسي سري واحد في الخارج. وتولى كيم قيادة فرق الشرق الأدنى وأفريقيا المشتركة، متفوقاً على عدو أرتشي روزفلت القديم، مايك ميتشل (الذي، وفقاً لما ذكره مايلز كوبلاند، تم إرساله "لوظيفة ثانوية في السجل"). وهذا وضع كيم في السلطة، على حد تعبير مايلز مرة أخرى، "ليس فقط على العمليات الاستخباراتية في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا وأفريقيا، بل

وأيضاً على عملنا السياسي البازغ، الحرب النفسية، الحرب الاقتصادية، والعمليات البارا-عسكرية في تلك المناطق".(21)

وحتى السياسة الانتخاباوية المحلية كانت تلعب لصالح كيم. ففي نوفمبر 1952، ومع رفض هاري ترومان الترشح لإعادة انتخابه، هزم المرشح الرئاسي الجمهوري دوايت د. أيزنهاور بسهولة المرشح الديمقراطي أدلاي ستيفنسون. ورغم أن وزير الخارجية المنتهية ولايته دين أتشيسون كان يشاطر كيم رؤيته الواسعة للتنمية في الشرق الأوسط، وعلى وجه الخصوص تصوره لمصر باعتبارها القوة الرائدة في المنطقة، فإن دعم البيت الأبيض في عهد ترومان لإسرائيل كان يتعارض مع عنصر رئيسي آخر من البرنامج العروبي لكيم، وهو معاداته للصهيونية. ولكن أيزنهاور حقق النصر دون أن يضطر إلى استمالة ما يسمى بالصوت اليهودي، وبدا أن إدارته عازمة على تبني نهج أكثر إنصافاً في التعامل مع الصراع العربي-الإسرائيلي مقارنة بسابقتها. وعلاوة على ذلك، كان اختيار الرئيس الجديد لخلافة أتشيسون ليس سوى الشقيق الأكبر لآلن دالاس، جون فوستر.
وبتصعيد آلن دالاس نفسه لمنصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية خلفاً لبيتل سميث في أوائل عام 1953، أصبح لدى كيم الآن فرصة معقولة لرؤية كل، وليس مجرد جزء، من رؤيته العروبية تترجم إلى ممارسة عملية.
وإذ شعروا بأن التغيير كان في أجواء واشنطن، تجمعت شبكة كيم الحكومية-الخاصة من المستعربين والمناهضين للصهيونية في جهد متضافر لتأمين تعيينه كمساعد لوزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى، وبالتالي نقله من منصب نفوذ سري في وكالة الاستخبارات المركزية إلى منصب علني في وزارة الخارجية. وقد أكدت فرجينيا جيلدرسليف لوزير الخارجية الجديد أن كيم كان "ذكياً للغاية، مطلعاً جيداً، نشيطاً،

ومقبولاً شخصياً". ولمغازلة فوستر دالاس "من كاتب للتاريخ إلى صانع للتاريخ"، أعرب مدير AFME هارولد لامب عن اعتقاده بأن "حفيد ثيودور روزفلت" قادر على "التمسك بخط المصالح الأميركية ... في الشرق الأوسط المضطرب". وهكذا دواليك من أساليب النفاق. تحتوي أوراق دالاس على حزمة من الثناءات الموجهة إلى كيم من المواطنين المدنيين زعماً في دائرة منظمة AFME، وهو ما يشهد على الطبيعة التعاونية المتبادلة النفع للعلاقات التي تربط وكالة المخابرات المركزية بواجهتها العروبية.(22)

ولكن كما اتضح في النهاية، كانت محاولات AFME بلا جدوى. فبعد أن عرض المنصب على رئيس كيم السابق في مكتب الخدمات الاستراتيجية، ستيفن بينروز، الذي رفضه من أجل الاستمرار في منصب رئيس الجامعة الأميركية في بيروت، قرر فوستر دالاس الاحتفاظ بخدمات هنري أ. بيرود، مساعد الوزير الذي ورثه من إدارة ترومان. والواقع أن الأسباب التي أدت إلى خسارة كيم على هذا النحو ليست واضحة تماماً. وفي وقت لاحق، انتشرت قصة مفادها أنه عُرض عليه المنصب سراً ولكنه رفضه بعد أن تلقى نصيحة من كبار المسؤولين بأنه ينبغي له أن يبقى في وكالة الاستخبارات المركزية، "حيث توجد الأحداث الحقيقية". ولكن هناك مؤشرات معاصرة على أن ترشيحه قد تعطل بسبب عوامل أخرى، بما في ذلك صغر سنه وأيضا حملة احتجاجية لا تقل تماسكاً من حملة AFME قدمت من جانب أعدائه الصهاينة القدام. (23)

ورغم ذلك، أنصار AFME كانوا ليشعروا بالارتياح لحقيقة مفادها أن الوظيفة عُرضت على بينروز، وهو ما يشير إلى أن الإدارة الجديدة كانت صديقة للقيم التي يتبنونها. أما بالنسبة لكيم روزفلت نفسه، فبعد أن انتهى من تشتيت انتباهه بسبب حملة مساعد الوزير الفاشلة، أصبح

الآن حراً في تركيز سلطاته السرية الهائلة على قضية أصبحت عزيزة عليه شخصياً: دعم صديقه الجديد جمال ناصر بينما كان يعزز قبضته على السلطة في مصر. وكان عام 1953 عاماً مزدحماً في حياة العروبي الشاب ـ "ساعة مصيره"/"ساعة مجده" (his crowded hour) التي تشبه ساعة مجد جده ثيودور روزفلت في غزو كوبا الإسبانية.

الفصل الحادي عشر:
مجانين على النيل

في مايو *1953*، أصبح جون فوستر دالاس أول وزير خارجية أميركي يزور الشرق الأوسط. وكان فوستر دالاس -الذي كان رجلاً طويلاً وكئيب الطلعة من أتباع الكنيسة المشيخية، يفتقر إلى اللمعان الخبيث الذي كان يتسم به شقيقه الأصغر آلن- منشغلاً بما اعتبره تهديداً وجودياً من جانب الاتحاد السوفييتي ل"الغرب المسيحي". ومع ذلك، فقد أدرك أن تركيز الحرب الباردة كان يبتعد عن أوروبا نحو العالم الثالث ما بعد الاستعمار، حيث كان الشيوعيون يحاولون بالفعل تسخير القوة المتنامية للقومية الثورية. وكان قراره بالقيام بجولة مدتها ثلاثة أسابيع في اثنتي عشرة دولة في الشرق الأدنى وجنوب آسيا يعكس "الموقع الاستراتيجي لهذه الأراضي"، على حد تعبيره للصحافة الأميركية، وتأثيرها على "حرية وأمن العالم الحر بأكمله".(1)

كان وزير الخارجية حريصاً بشكل خاص على زيارة مصر، البلد الذي اعتبره "مفتاحاً لتنمية قوتنا في الشرق الأوسط"، وجعلها المحطة الأولى في جدول رحلته، فوصل إلى القاهرة في ال11 من مايو. وبعد

لقاء لطيف مع رئيس الحكومة الثورية محمد نجيب، قضى فوستر دالاس معظم اليوم التالي في غرفة مغلقة في السفارة الأميركية مع نائب نجيب ـ والسلطة الحقيقية وراء العرش ـ جمال ناصر. ولقد استغل وزير الخارجية الفرصة للتعبير عن "حماسه الحقيقي للنظام الجديد في مصر" وثقته في أنه "سيضرب المثل للدول العربية الأخرى".
ورد ناصر، على نحو غير رسمي إلى حد ما، "أنه من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن الإدارة الجمهورية لا تدين بنفس القدر من الدين السياسي الذي تدين به الإدارة الديمقراطية للجماعات اليهودية"، قال ناصر هذا باللغة الإنجليزية وبصوت منخفض لدرجة أن الأميركيين الحاضرين واجهوا صعوبة في فهم كل ما قاله، وفهموا ببساطة أنه عنى "أهداف الولايات المتحدة ومصر متماثلة". ويبدو أن مجال الخلاف الوحيد كان خطط دالاس لعقد ميثاق دفاع إقليمي لصد التوسع السوفييتي المحتمل في الشرق الأوسط. وكما أشار ناصر، فإن الشاغل الأكثر إلحاحاً بالنسبة للمصريين كان تخليص بلادهم من آخر آثار الاستعمار البريطاني، وخاصة القوات التي تحتل قاعدة قناة السويس.(2)

وعلى الرغم من هذا وبعض سوء الفهم الآخر ـ فقد حير دالاس إشارات ناصر المستمرة إلى محادثات سابقة مع شخص يدعى "بيل"، حتى تم تقديمه إلى المسؤول السياسي الشاب في السفارة، ويليام ليكلاند ـ فقد اعتبر الجانبان أن الاجتماعات كانت ناجحة. وعاد الوزير إلى واشنطن أكثر اقتناعاً من أي وقت مضى بالحاجة إلى مواصلة التودد إلى القوميين العرب عموماً وإلى ناصر على وجه الخصوص. وكما أوضحت توجيهات مجلس الأمن القومي رقم 155/1 الصادرة في 14 يوليو 1953، فإن إدارة أيزنهاور كانت تهدف إلى "توجيه الضغوط الثورية والقومية في مختلف أنحاء المنطقة نحو قنوات منظمة غير معادية للغرب، بدلاً من مجرد محاولة الحفاظ على الوضع القائم". وفي

حالة مصر، كان هذا يعني السعي إلى إيجاد حل للنزاع العربي-الإسرائيلي يكون مقبولاً في القاهرة وكذلك في تل أبيب. ولكن الأولوية الأولى كانت هي نفس الأولوية التي كانت لدى الحكومة المصرية: تحقيق الرحيل المنظم للبريطانيين.(3)

ومن هنا فقد نجح كيم روزفلت أخيراً في تحقيق هدف أفلت من أيدي مستعربي مكتب الخدمات الاستراتيجية قبل عقد من الزمان: إزاحة البريطانيين عن موقعهم المهيمن في مصر، والتخلص من "كبلنج وكل ما شابه ذلك" لصالح تقنيات أميركية مميزة للسلطة الخفية المستعارة -مثل العديد من الأفكار الجديدة في الخمسينيات- من شارع ماديسون. (من المترجم :- الشارع في مانهاتن المرتبط اسمه بصناعة الدعاية الأمريكية منذ عشرينيات القرن العشرين. ويشير مصطلح "شارع ماديسون" على وجه التحديد إلى الوكالات ومنهجية الدعاية والإعلان. ويشير مصطلح "تقنيات شارع ماديسون" إلى الاستخدام الماكر والذكي لوسائل الاتصال للعب على المشاعر)

ولكي نفهم كيف نجح كيم في تحقيق هذا، فمن الضروري أن نعيد تقديم الرجل الذي اخترع هوية جديدة لنفسه بالفعل - هوية الجاسوس العروبي - وكان على وشك العودة إلى الشرق الأوسط متنكرا في هيئة رجل مجنون.

لم تكن بداية العقد واعدة بالنسبة لمايلز كوبلاند. فبعد انتهاء مهمته في سوريا في عام 1950، وجد نفسه عائداً إلى أرلينجتون بولاية فرجينيا، حيث يعيش في مسكن ضيق مع مجموعة متزايدة من الأطفال (وُلِد له الطفل الثالث ستيوارت، عازف الطبول في فرقة الروك ذا-بوليس في المستقبل، في عام 1952) وعدد كبير من الكلاب غير المُروَّضة، وكل هذا بعيد كل البعد عن محيطه الفخم السابق في دمشق. وكان منصبه الجديد كنائب مساعد لكيم روزفلت مليئاً بلحظات المرح ـ

مثلا: مساعدته لكيم في اختيار الشابات العاملات في برنامج "فخ العسل" المعروف بشكل غير رسمي باسم مدرسة السيدة ماكمورتي للإغواء ـ ولكن لم يكن أي من ذلك على مستوى بريق وإثارة سوريا.
ولم يكن الاندماج بين مكتب تنسيق السياسات OPC ووكالة الاستخبارات المركزية قد تم بعد، وكان منصب مايلز قائماً، كما قال لاحقاً، على "الجانب الخطأ من البيت": فرع التجسس في الوكالة، مكتب العمليات الخاصة (OSO). وبالمقارنة مع مكتب تنسيق السياسات، الذي كان كيم وبارونات إقليميون آخرون يديرون عمليات سرية، كان مكتب العمليات الخاصة لجمع المعلومات الاستخباراتية يبدو رتيباً إلى حد ما، وهو ما يتناقض مع اسمه المثير. وعلاوة على ذلك، فبينما كان كيم في كثير من النواحي رئيساً ممتازاً، فإن رعايته لمايلز أظهرت له أكثر من مجرد تلميح إلى الاستعلاء الأرستقراطي لكيم.
وكتب كيم في تقييمه للموظفين لعام 1953: "سيكون من مصلحته أن يتمكن من كبح جماح اندفاعه". "في المقر الرئيسي، يكون أكثر فعالية عندما يعمل تحت التأثير المهدئ لشخص يثق فيه".(4)
بدأت الأمور تتحسن بالنسبة لمايلز بعد دمج كل من OPC و OSO في مديرية الخطط وانتقاله إلى منصب جديد: رئيس هيئة تخطيط المعلومات التابعة لأقسام الشرق الأدنى المشتركة، مخططاً للعمليات البروباجاندية السرية من مجموعة مكاتب مجاورة لمكتب كيم.
يعود استخدام الحكومة الأمريكية لـ "الحرب النفسية" - المصطلح الرسمي الذي يفضله الأمريكيون للأفعال التي تهدف إلى تعزيز الروح المعنوية للحلفاء وتقويض معنويات الأعداء - إلى الحرب العالمية الأولى، لكنها لم تكن أبدًا عملاً رسميًا حصريًا.
منذ البداية، اعتمدت الحرب النفسية بشكل كبير على الأفكار والأساليب الرائدة في صناعة الدعاية والإعلان الأمريكية، وخاصة "نظرية العلاقات العامة" لابن شقيقة سيجموند فرويد إدوارد بيرنايز. ولقد كان

من المنطقي إذن أن يستعين مشروع كوبلاند الجديد بمديرين تنفيذيين من شارع ماديسون، مثل زميله القديم في فيلق مكافحة الاستخبارات CIC جيمس "آيش" آيشلبرجر، الذي ذهب للعمل لدى عملاق الإعلان جيه والتر تومسون في شيكاغو بعد الحرب، واكتسب سمعة باعتباره "رجل أفكار". وخلال النهار كان مايلز وآيش يبتكران القصص لجمهور الشرق الأوسط، ثم يجتمعان في المساء لمناقشة "مواضيع أدبية رفيعة المستوى".(5)

ولكي يتمكن من الصمود فكرياً مع أمثال إيشلبرجر، وجزئياً لكي يتمكن من تطوير بعض الأفكار حول القيادة الثورية التي بدأت تتشكل في ذهنه أثناء فترة وجوده مع حسني الزعيم في سوريا، شرع مايلز الآن في تدريس نفسه دورة مكثفة في "النظرية الاجتماعية". وعلى الرغم من أنه قرأ على نطاق واسع في النصوص المؤسسة لعلم الاجتماع الحديث، بما في ذلك الأعمال الكلاسيكية لماركس وفيبر، فإن كتابين نُشرا مؤخراً هما اللذان جذبا اهتمامه حقاً. أحدهما كان كتاب "الماكيافيليون" (1943) لجيمس بيرنهام، وهو تروتسكي سابق انفصل عن الماركسية، وفي طريقه إلى أن يصبح شخصية مهمة في الفكر المحافظ الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية، تولى وظيفة مستشار خاص لOPC. وكان الكتاب الآخر هو "تشريح الثورة" (1938) للمؤرخ البارز والمحلل السابق في مكتب الخدمات الاستراتيجية كرين برينتون، الذي ألقى تأثيراً فكرياً قوياً على جيل الطلاب الذين درّسهم في جامعة هارفارد خلال ثلاثينيات القرن العشرين، ومن بينهم كيم روزفلت نفسه. ووفقاً لذكريات مايلز اللاحقة، فقد جعل كيم "تشريح الثورة" "قراءة إلزامية لكل أعضاء فريقه".(6)

ومن كتاب بيرنهام -الذي يعد في الأساس كتاباً تمهيدياً في الفكر الاجتماعي غير الماركسي للشباب المحافظين البازغين- استوعب مايلز

"حساً مكيافيلياً بالتشاؤم والكلبية بشأن الطبيعة البشرية وآفاق الديمقراطية الحديثة". وقد نبهه كتاب برينتون "تشريح الثورة"، الذي قارن بين أربع ثورات حديثة في محاولة للكشف عن هياكل أساسية مماثلة، إلى ميل الحكومات الثورية إلى الانهيار في نهاية المطاف وحكمة النخب الحاكمة في استباق التهديدات المحتملة لسلطتهم.

ولقد تحركت من وراء بيرنهام وبرينتون شخصية فيلفريدو باريتو، عالم الاجتماع الإيطالي الذي يشار إليه أحياناً من الماركسيين بإسم "كارل ماركس البرجوازية". لقد استعار باريتو في كتاباته مفاهيم من العلوم الطبيعية لتصوير المجتمعات البشرية كأنظمة مغلقة تعود بعد اضطرابات مؤقتة إلى حالة من التوازن، مثل الجسم الذي يتعافى من المرض (استخدم برينتون مراراً وتكراراً استعارة الحمى لوصف الثورات في كتابه التشريح). وقد انتشرت هذه الفكرة في جامعة هارفارد في ثلاثينيات القرن العشرين بين أساتذة ذوي ميول محافظة، مما أدى إلى ظهور الحديث عن "حلقة باريتو" في جامعة هارفارد؛ كما أثرت على الفاشيين الإيطاليين مثل بينيتو موسوليني.(7)

كان مايلز مثاراً بشدة بالمفاهيم الباريتوسية التي قابلها في كتاب برينتون، وخاصة في كتاب بيرنهام. فقد استند في محاضرته التي ألقاها على المجندين الجدد في وكالة الاستخبارات المركزية إلى كتاب "الماكيافيليون" وسعى إلى الحصول على نصيحة مؤلفه بشأن السبل الكفيلة بدعم الحكومات الثورية. وفي وقت لاحق، حدد مايلز ثلاثة مبادئ تعلمها من بيرنهام: أن "المهمة الأولى لأي مجموعة حاكمة هي الحفاظ على نفسها في السلطة... بدلاً من محاولة إرضاء الجميع"؛ وثانياً، أن "سلوك زعماء الأمة يجب أن يكون "منطقياً" - أي يجب أن يكون لديهم "هدف متعمد أو غرض متعمد" - ولكن يجب على القادة ألا ينسوا أبداً أنهم يتعاملون مع شعب دوافعه غير منطقية في الغالب"؛ وأخيراً، أن الحكومة الثورية "لا تستطيع تجنب استخدام بعض

الإجراءات القمعية... ولكن يجب عليها أن تسعى بأسرع ما يمكن إلى كسب دعم الجماعات والطبقات المؤثرة بشكل منهجي".

إن الحكومة الثورية الناجحة، إذن، كانت "حكومة تنجح في تحقيق التوازن بين "القمع" و"البناء"، فتخفي الأول وتروج للثاني".

ولم يقتصر تأثير بيرنهام على كوبلاند على دروس محددة في سياسة القوة: فقد أصبح نهج مايلز برمته الآن يحمل طابعاً علمياً اجتماعياً سريرياً، وهو ما يرجع إلى حد كبير إلى مفهوم باريتو للمجتمعات باعتبارها كائنات حية محاصرة قادرة على تنظيم نفسها. ويتذكر مايلز كوبلاند الثالث أن والده قال له: "لا يمكنك أن تغضب من جرثومة مرض الخناق، فهي تفعل ما تفعله، وليس اللوم عليها. عليك فقط أن تفهم كيف تعمل". لقد كان كل هذا بعيدًا كل البعد عن الخطاب الأخلاقي الأساسي للجيل السابق من مستعربي مكتب الخدمات الاستراتيجية المنحدرين من أصل تبشيري.(8)

ولقد حدد المؤرخون الفكريون "موضة باريتو" في ثلاثينيات القرن العشرين باعتبار أنها كانت حاسمة في تشكيل تطور نظرية التنظيم وتطور علم النفس الصناعي في الغرب، لذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن يصبح مايلز مهتمًا بعلم اجتماعي "تطبيقي" جديد آخر، وهو الهندسة الإدارية. لقد أظهر بالفعل اهتمامًا بالديناميكيات التنظيمية في أواخر الأربعينيات، عندما رسم مخططات لإدارة الانتقال المعقد إلى وكالة المخابرات المركزية من مجموعات الاستخبارات السابقة. في أوائل الخمسينيات، قدمه رئيس مكتب تنسيق السياسات OPC كيلبورن جونستون إلى مجموعة متزايدة من الأدبيات المهنية حول التنظيم والإدارة، أو "O&M". وبدمج ما قرأه هناك مع معرفته الاجتماعية الجديدة وملاحظاته الشخصية عن الحكومات الثورية في الشرق الأوسط وأفريقيا، كتب كوبلاند تقريراً من ثلاثين صفحة في أواخر عام 1952 عن الزعامة والبيروقراطية في العالم الثالث، والذي

لفت انتباه المسؤولين التنفيذيين لشركة الاستشارات الإدارية الرائدة في الولايات المتحدة، شركة بوز، ألين وهاملتون. وبعد فترة وجيزة، تناول الغداء مع مدير مكتب شركة بوز، ألين وهاملتون BA&H في واشنطن، الذي عرض عليه وظيفة للمساعدة في إنشاء القسم الدولي الجديد للشركة. وبعد أن أغرته فكرة الراتب الضِعف مما كان يتقاضاه من عمله الحكومي، وربما كان سعيداً للغاية بالحصول على بعض الراحة من صحبة خريجي مدرسة جروتون وهارفارد وبقيتهم، قرر مايلز أن يأخذ سنة إجازة من وكالة الاستخبارات المركزية، وبذلك أصبح أول مستعربي الوكالة الذين دخلوا "الباب الدوار" بين القطاعين العام والخاص.(9) (وسيليه الآخرين)

ولكن مايلز لم يتخلى عن الحكومة بالكامل. "يمكنك إخراج الولد من وكالة المخابرات المركزية، ولكن لا يمكنك إخراج وكالة المخابرات المركزية من الولد"، كما أوضح لاحقًا. وبعد محادثات مع كيم روزفلت وفرانك ويزنر، وافق مايلز على أن يصبح ما أسماه ويزنر "خريجًا وفيًا"، حيث يقوم بمهام حساسة بشكل خاص لصاحب عمله السابق (السي آى ايه) تحت غطاء وظيفته الجديدة.

ولم تعترض شركة BA&H على هذا الترتيب. كانت للشركة بالفعل تاريخ في العمل لصالح وكالات حكومية، حيث ساعدت البحرية في تبسيط هياكلها القيادية استعدادًا للحرب العالمية الثانية وبعد الحرب أجرت دراسة لقدرات إنتاج الصواريخ الموجهة للقوات الجوية. في وقت لاحق، أصبحت شركة BA&H مستشاري الإدارة المفضلة بشكل خاص لوكالات الحكومة الفيدرالية، مع مقرها المركزي بجوار المقر الرئيسي لوكالة المخابرات المركزية في قرية لانغلي في ماكلين بولاية فرجينيا. ولعل من الدلالة أن أول مهمة للشركة خارج الولايات المتحدة كانت في عام 1953، عندما تعاقدت معها حكومة الفلبين بقيادة رامون ماجسايساي لتنفيذ دراسة ملكية الأراضي، والتي كان قد تولى السلطة

للتو بمساعدة عميل مكافحة التمرد الأسطوري في وكالة الاستخبارات المركزية و"باني الأمة"، إدوارد جي لانسديل (رجل دعاية وإعلانات آخر، ويُزعم أنه كان مصدر الإلهام الحقيقي لرواية "الأمريكي الهادئ" لجراهام جرين).
وربما يُنظَر إلى عمل شركة BA&H في الفلبين باعتباره مقدمة لجهود أوسع نطاقاً بين الحكومة والشركات الخاصة لأجل الفوز بالحرب الباردة في دول العالم الثالث من خلال منحهم فوائد الحداثة الغربية على الطريقة الأميركية.(10)
وكان يتم تجهيز "المهمة المزدوجة" لمايلز كوبلاند على مدى الربيع وأوائل الصيف من عام 1953، حيث كان يتنقل بين الاجتماعات مع المسؤولين في واشنطن وبين مكاتب شركة BA&H في نيويورك.
كان كل من رئيسه القديم والجديد يريدانه في القاهرة - BA&H أرادته في القاهرة حتى يتمكن من إعداد الأرض لإجراء مسح للممتلكات المتشابكة للبنك الوطني المصري، وبنك مصر، أما وكالة المخابرات المركزية فأرادته هناك حتى يتمكن من متابعة المناقشات بين الملحق الجوي ديفيد إيفانز وبين رؤساء وكالات المخابرات المصرية، حول المساعدة الأمريكية المحتملة في تدريب الضباط لإنشاء "جهاز المخابرات العامة" المصري.
في أبريل، في واشنطن، تم تقديم مايلز إلى حسن التهامي، وهو ضابط شاب -لم يتجاوز ال30 من عمره- من تنظيم الضباط الأحرار أرسله ناصر إلى واشنطن لتفقد أجهزة الاستخبارات الأمريكية على أرض الواقع ولإنشاء اتصال أمريكي-مصري. بعد فترة وجيزة، التقى كيم روزفلت وناصر في القاهرة وأضفيا الطابع الرسمي على ترتيب اتصال التعاون الإستخباراتي. وغادر مايلز وزوجته لورين والأطفال وكلابهم إلى مصر في يونيو 1953.(11)

كان آل كوبلاند سعداء للغاية بالعودة إلى الشرق الأوسط مجدداً، حيث عاشوا حياة تجمع بين عناصر النظام الإمبراطوري البريطاني المغادر - من النوع الذي وصفه الروائي لورنس داريل في رباعيته الإسكندرية - والنظام الأميركي الجديد. وقد أقامهم حسن تهامي (ملاحظة من المترجم:- مجددا من الأمريكان: تهامي بدلا من التهامي) في فيلا مترامية الأطراف، وأقام هو نفسه في بيت الضيافة، على الضفة الشرقية لنهر النيل في المعادي، وهي قرية تبعد حوالي ثلاثين دقيقة بالسيارة عن القاهرة. وكان المنزل، الذي كان يضم حدائق رسمية وحمام سباحة على شكل كلية، موطناً في وقت سابق لقائد القوات البريطانية في مصر، الجنرال "جامبو" ويلسون، وكانت المعادي تضم مدرسة بريطانية ونادياً ريفياً، حيث تعلم أطفال آل كوبلاند السباحة. وبفضل طاقم العمل الكامل، كان لدى لورين الوقت لزيارة جميع الآثار القريبة، والحصول على صفقات على التحف الشرقية، والاستمتاع بالحفلات المسائية في مركب شراعي فلوكة على النيل. ولقد اعترفت لورين بأنها كانت تعيش حياة منعزلة "شرنقية"، وقد أصبحت أكثر متعة بسبب حقيقة مفادها أنه بسبب انتقال مايلز إلى BA&H، لم يكن عليها أن تخضع لسلطة زوجة السفير كافري المخيفة، جيرترود، التي أصرت على ارتداء "زوجات السفارة" "قفازات بيضاء وقبعات وجوارب مستقيمة". وقد ترك هذا للورين حرية الانغماس في شغفها المتزايد بالآثار، والذي تم تحريضه خلال جولة سياحية فاخرة مع كيم وبولي روزفلت، عندما سُمح لها بالدخول إلى حفرة بجوار الهرم الأكبر والنظر من خلال ثقب صغير إلى سفينة خوفو التي تم اكتشافها للتو. وفي الوقت نفسه، كان أطفال كوبلاند يمرحون في الفيلا، ويأكلون التين ويشربون حليب الماعز، ويستكشفون الشوارع على الدراجات.(12)

وأثبتت هذه الخطوة أنها كانت جيدة بالنسبة لمايلز على الصعيد المهني أيضاً. فقد قامت مجموعة عمل من خمسة مهندسين إداريين من شركة BA&H بتأسيس مكتب في منطقة جاردن سيتي بالقاهرة -وهي منطقة ثرية صُممت في الأصل حول السفارة البريطانية التي تشبه القلعة- وبدأت العمل في بنك مصر، "متجاوزين بذلك الفوضى التنظيمية و... "تحجر التقاليد"،" على حد تعبير أحد أعضاء الفريق.
وفي الوقت نفسه، كان هناك وافدان جديدان آخران من واشنطن على استعداد لدعم العمل الذي كان مايلز يقوم به لصالح وكالة الاستخبارات المركزية: جيم إيشيلبرجر وزميل آخر في السكن في لندن من أيام فيلق الاستخبارات المضادة CIC، الصحفي فرانك كيرنز. وكان كيم روزفلت قد أرسل آيش إلى القاهرة متخفياً ك"ملحق اقتصادي" لتقديم المشورة للحكومة الثورية بشأن مسائل التنظيم. كان كيرنز -الذي ساهم مؤخراً في حملة إيرل وارين لمنصب حاكم ولاية كاليفورنيا- في مصر في الوقت نفسه الذي كان يعمل فيه مراسلاً لشبكة CBS، ووفقاً لما ذكره مايلز، "كان يقدم لناصر بعض النصائح المجانية في مجال العلاقات العامة (قال له كيم: "فقط اجعله يبتسم أكثر قليلاً")." كما مر عميل ثالث، وهو زميل مايلز السوري ستيف ميد، بالقاهرة بناءً على أوامر كيم، لتقييم احتمالات نجاة نظام ناصر، لكنه كان قد انتقل إلى مكان آخر بحلول وقت وصول مايلز.(13)
ولم يمض وقت طويل قبل أن يصبح كوبلاند على اتصال منتظم مع ناصر نفسه، حيث كان يتناول الغداء المكون من الحساء والسندويشات في مكتب الأخير أو في فوضى مقر مجلس قيادة الثورة. وقد قدر المصري معرفة مايلز بالشؤون السرية في البلدان العربية الأخرى، وخاصة سوريا، وحسه الفكاهي؛ أما الأميركي فقد اعتبر أن "مخزونه من الحكايات عن الانقلابات السورية" هو الذي جعله "شخصاً مرغوباً فيه في بيت ناصر". ومن جانبه، كان مايلز يستمتع بوضوح بصحبة

ناصر. وكتب في وقت لاحق: "لا أعرف أحداً أفضل أن أقضي معه أمسية طويلة من الحديث والمزاح". وكان الرجلان غير كتومين بشكل مدهش بشأن صداقتهما. وتتذكر لورين كوبلاند أن ناصر توجه إلى الفيلا في المعادي "بمرافقة من دراجات نارية وحاشية"، والتقى به ذات مساء في إحدى دور السينما في القاهرة وسط مجموعة من الحراس الشخصيين. "رأى مايلز وصفعه على ظهره مبتسماً".
وسيستمر ناصر في اللقاء بمايلز سراً لسنوات، حتى بعد أن توقف عن التحدث إلى معظم الغربيين الآخرين.(14)
وبعد أن يرى ناصر، كان مايلز يذهب للقاء إيشيلبرجر وكيرنز في شقة الأخير الفاخرة في عمارات بدراوي في حي الزمالك الراقي في الجزيرة، والتي أصبحت بمثابة محطة غير رسمية لوكالة المخابرات المركزية. وكان الرفاق الثلاثة القدامى في مخابرات CIC أثناء الحرب سعداء للغاية بلقائهم ببعض مرة أخرى، وكثيراً ما كانوا يحتفلون مع زوجاتهم في منازل بعضهم البعض. وكان نادي الجزيرة الرياضي مكاناً آخر للتجمع، وكان في السابق حكراً على الجيش البريطاني، ولكنه الآن، في عهد ناصر، أصبح مفتوحاً أمام النخبة المصرية، وعلى ما يبدو أمام جواسيس من جنسيات مختلفة. ووفقاً لأحد العملاء الإسرائيليين، "استعمر الأميركيون مكاناً بالقرب من مدخل المطعم"، حيث كان البريطانيون يحدقون فيهم من "زواياهم الخاصة بالقرب من غرفة البلياردو". أصبح المجانين يسيطرون على المكان.(15)

على الرغم من أن مايلز كوبلاند ومحمد حسنين هيكل، الصحفي المصري البارز الذي كان ناطقاً بلسان عبد الناصر، لم يتفقا دائماً، إلا أنهما اتفقا على شيء واحد. فعندما بحثا عن كلمة لوصف التفاعلات بين وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية وبين نظام ناصر التي جرت في الفترة من 1953 إلى 1955، لجأ كلاهما إلى لغة الرومانسية.

لقد كانت هذه الفترة، كما كتبا بشكل منفصل، بمثابة "شهر عسل".
لم تكن إدارة أيزنهاور أكثر ميلاً إلى القضية العربية من سابقتها فحسب، بل كانت أيضاً مستعدة لإطلاق العنان للعمليات للسرية لوكالة الاستخبارات المركزية كجزء من سياستها الأمنية الوطنية "المظهر الجديد" (كان البيت الأبيض في عهد ترومان يبدو دائماً قلقاً إلى حد ما بشأن استخدام الحيل القذرة). ولكن ما هو أفضل من ذلك أن الرئيس نفسه كان مؤمناً شخصياً كبيراً بالحرب النفسية، حتى أنه عيَّن المدير التنفيذي لشركة تايم-لايف سي. دي. جاكسون مستشاراً رئاسياً خاصاً في هذا الموضوع ـ وكان جاكسون يتفق تماماً مع آراء كيم روزفلت بشأن الشرق الأوسط. وباختصار، كان كل عنصر ممكن على الجانب الأميركي مصطفاً لصالح سياسة كيم المتمثلة في الدعم السري للحكومة المصرية الثورية، ووصولًا إلى الأخوين دالاس، الصديقان القديمان لعائلة روزفلت، اللذان احتلا أقوى منصبين داخل جهاز السياسة الخارجية الأميركية. أما بالنسبة للمصريين أنفسهم، فقد كانت الولايات المتحدة بكل سهولة الأكثر جاذبية بين المرشحين المحتملين لدور الحليف من القوى الكبرى؛ ففي كيم روزفلت كان لها ممثل شخصي أكثر جاذبية لجمال ناصر من المسؤولين الأجانب الآخرين الذين كان يتعامل معهم. وبطبيعة الحال، تحمل كلمة "شهر العسل" معها ضمناً احتمال تهدئة الحماسة في نهاية المطاف، ولكن في هذه المرحلة من العلاقة لم تكن هناك سوى علامات قليلة، إن وجدت، على الخلاف الزوجي.(16)
ولكن ما الذي فعلته وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية بالضبط لتعزيز نظام ناصر خلال هذه الفترة الأولية من شهر العسل الأميركي-المصري؟
أولاً، شرعت في تعليم حكام مصر الجدد النظرية السياسية الغربية. وكان جيم إيشلبرجر، الذي وصفته لورين كوبلاند بأنه "الفيلسوف

المتعلم أكاديمياً في مجموعتنا"، هو الذي تولى هذه المهمة، فكتب سلسلة من الأوراق النظرية التي تُرجمت إلى العربية لتوزيعها داخل مجلس قيادة الثورة. وفي سياق المحادثات التي تلت ذلك مع ناصر وحسنين هيكل وغيرهما، كوّن إيشلبرجر الانطباع، كما أُبلغ السفير كافري، بأن الضباط الأحرار "كانوا ينتهجون سياسة الانجراف والتسوية"، وأنهم كانوا مهتمين بشكل مفرط بـ "شعبيتهم" ويفتقرون إلى "الثقة في فعالية سلطاتهم القمعية". ورداً على ذلك، أنتج إيشلبرجر مقالاً جديداً بعنوان "مشاكل القوة في الحكومة الثورية"، والذي أدرجه مايلز كوبلاند في وقت لاحق كملحق لكتابه "لعبة الأمم". ولقد نصح آيشلبرجر الزعماء الثوريين بأن لايضعوا بالاً لمسألة "الشعبية المجردة" وأن يهتموا أكثر بالعمل الأكثر جدية، وهو بناء "قاعدة بناءة" لسلطتهم، باستخدام أدوات الحكومة لكسب دعم الشعب "من خلال مناشدة مصالحهم الذاتية فضلاً عن عواطفهم".

ولكن هذه المهمة لم تكن من أكثر المهام إلحاحاً لهم. فقد كانت الأولوية الأولى للحكومة الثورية هي البقاء، وهذا يعني تأمين "قاعدتها القمعية"، وقمع التهديدات المضادة للثورة من خلال حظر حركات المعارضة، وتعزيز شرطة الدولة وأجهزة الاستخبارات. إن التاريخ مليئ بأمثلة الثورات التي عكست هذه الخطوات (التي ينصح بها إيشلبرجر)، فاعتمدت بشكل مفرط على الوسائل البناءة في البداية، ثم عندما فشلت تلك الوسائل، لجأت إلى القمع الشديد، أو الإرهاب، للتشبث بالسلطة. وحذر آيشلبرجر، مرددا صدى كرين برينتون، قائلاً: "هذا مرض الثورات، وهو مرض يمكن أن يكون قاتلاً".(17)

وإذا كان آيشلبرجر قد قدم النظرية التي استندت إليها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في "منع الانقلابات" المستقبلية في مصر، فإن مايلز كوبلاند قدم الممارسة العملية. ففي حين كان أعضاء

آخرون في مكتب BA&H في القاهرة يتعاملون مع بطاقات الهوية "ومشاكل أخرى تتعلق بالمكتب الرئيسي" لوزارة الداخلية المصرية، كان مايلز مشغولاً بوضع المخططات التنظيمية وتحديد الدورات التدريبية الجديدة لكلية الشرطة المصرية. ولمساعدته في هذه المهمة الأخيرة، استقدم اثنين من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI السابقين وشرطي من نيويورك كان يتولى تأمين كبار الشخصيات الذين يزورون مانهاتن.

بعد أن أدركوا أن جهاز الاستخبارات القائم غير كاف، أنشأ الضباط الأحرار مديرية جديدة للمباحث العامة (GID) على غرار السي أى ايه جزئياً. (سيتحول الإسم الرسمي تاليا من "مديرية" إلى "جهاز" وستتحول GID إلى GIS جهاز المخابرات العامة، مجرد تغيير في الإسم فقط)

ولقد رتب مايلز تدريب كبار ضباط المخابرات العامة الأميركية، وتلقى تعليمات من مكتب التقديرات الوطنية التابع لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في كتابة ملخصات الاستخبارات اليومية لرئيس الدولة، وتوفير "المجموعة الكاملة من المعدات الإلكترونية التي كانت منظمات التجسس الصناعي ومكافحة التجسس الأميركية تطورها آنذاك" (على حد تعبير كتاب "لعبة الأمم"). بل إن مايلز قضى ساعات معزولاً مع ضابط الاتصال الخاص به حسن تهامي، يتخيلان محاولات محتملة من جانب جماعة الإخوان المسلمين وعناصر معارضة أخرى للإطاحة بعبد الناصر.

وما زال الجدل قائماً حول كل ما نتج عن هذا كله. ففي كتاب "لعبة الأمم"، بعد أن أشار مايلز إلى أن وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية اخترعت الكثير من دولة الأمن المصرية الحديثة، أصبح متواضعاً فجأة، فأعلن أنه "على الرغم من كل مستشاريهما الأجانب"، فقد "بنى ناصر ووزير الداخلية زكريا محيي الدين أجهزة الاستخبارات

والأمن بمساعدة خارجية ضئيلة للغاية". ويتفق معه في هذا الرأي ضابط مخابرات مصري مخضرم، أبو الفضل. ولكن المحلل الاستخباراتي السابق أوين إل. سيرز، بعد أن استعرض مؤخراً كل الأدلة المتاحة، كتب عن "صعود وكالة الاستخبارات المركزية" في هذه الفترة، "أوج تورطها المبكر في مصر". (18)

وهناك ادعاء آخر أكثر إثارة للجدل في كتاب "لعبة الأمم": وهو أن وكالة الاستخبارات المركزية ساعدت في استيراد مجرمي الحرب النازيين إلى مصر للمساعدة في بناء "القاعدة القمعية" لناصر. وهنا، يتخذ الجدل المستمر حول موثوقية مايلز كوبلاند صفة سريالية تقريباً، حيث يعترف الرجل نفسه طواعية بسلوكه في الماضي الذي يثير شكوكاً أخلاقية مذهلة ـ ويشير كتاب لاحقون إلى أدلة تناقض اعترافه. وبحسب لعبة الأمم، كان الشخصية الرئيسية في هذه العملية هو أوتو سكورزيني، ضابط وحدات العاصفة السابقين في قوات الأمن الخاصة الألمانية (SS-Sturmbannführer) والذي قاد في عام 1943 غارة جريئة لإنقاذ موسوليني من أسر الحلفاء. وبعد أن أُسِر في نهاية الحرب، أصبح سكورزيني صديقاً للعديد من ضباط هيئة الاستخبارات المضادة CIC الأمريكية قبل أن يفر من السجن في عام 1948 (من المترجم:- يفر من السجن؟!) ويبدأ نشاط تجاري في مدريد فرانكو. وفي وقت ما من عام 1953 أو 1954، كما زعم مايلز، أحضرت وكالة الاستخبارات المركزية سكورزيني إلى القاهرة لتقديم المشورة إلى ناصر حول تدريب الجيش المصري وتجنيد ضباط سابقين في الجستابو للمساعدة في بناء جهاز المخابرات العامة الجديد. وفي نهاية المطاف، قام عدة مئات من النازيين السابقين بالرحلة إلى مصر، حيث، وفقاً لما ذكره مايلز (الذي يخفض الآن من حدة تصريحاته المُهيّجة السابقة)، تم تجاهلهم عموماً ولم يُدفع لهم أجورهم.(19)

وهناك في الواقع أدلة قوية في السجلات الدبلوماسية المعاصرة على وجود ألماني واسع النطاق في مصر في ذلك الوقت، بما في ذلك وجود بعض مجرمي الحرب الفظيعين، مثل ألويس برونر، المساعد السابق لأدولف آيخمان الذي اشتهر بقسوته على الأطفال اليهود. وقال أحد المراقبين البريطانيين غير الرسميين لعضو البرلمان المحافظ جوليان أميري إن مطعماً في ميونيخ تم نقله فعلياً إلى القاهرة لتلبية احتياجات هؤلاء المغتربين، الذين تمتعوا أيضاً بامتيازات مثل الوصول إلى السلع الألمانية المعفاة من الضرائب. وقال أحد النازيين السابقين بفخر للبريطاني المذهول: "هذا هو انتقام فيلق أفريقيا في العلمين".(20)

ومع ذلك، فإن ما إذا كان هذا كله من عمل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أمر قابل للنقاش. إن العلاقات بين المصريين والألمان ترجع إلى الحرب العالمية الثانية، عندما كان لديهم عدو مشترك متمثل في البريطانيين، وكان من الواضح أن الضباط الأحرار كانوا على صلة خاصة برئيس الاستخبارات الألمانية الغربية، الجنرال السابق في الفيرماخت راينهارد جيلين. (من المترجم:- راينهارد جيلين استسلم لفيلق مكافحة التجسس CIC الأمريكي في 1945 وذهب للحياة في أمريكا وحصل على الجنسية الأمريكية! قبل أن يعود لألمانيا الغربية ليشغل منصب رئيس الاستخبارات!)
والواقع أن عملية تهريب النازيين السابقين إلى مصر بدأت في الواقع بينما كان فاروق لا يزال على العرش، حيث كان فيلهلم فوس، الضابط السابق في قوات الأمن الخاصة الألمانية SS والرفيق المقرب من هاينريش هيملر، هو الذي مهد الطريق، وفي وقت لاحق تبعه سكورزيني. إن السجلات الأميركية من أواخر الخمسينيات، والتي تم رفع السرية عنها مؤخراً امتثالاً لقانون الكشف عن جرائم الحرب

النازية لعام 1998، تكشف عن جهل مسؤولي وكالة المخابرات المركزية بالجوانب الرئيسية للاختراق الألماني لمصر.(21)
ومن ناحية أخرى، تظهر نفس السجلات أيضاً أنه في عام 1959 طلب ضابط وكالة المخابرات المركزية المتمركز في مدريد إصدار تأشيرة لسكورزيني حتى يتمكن من دخول الولايات المتحدة في مهمة رسمية؛ وهناك أدلة وفيرة على تعاون وكالة المخابرات المركزية مع "منظمة" راينهارد جيلين في عمليات أخرى أثناء الحرب الباردة؛ ومثل العديد من ضباط فيلق مكافحة الاستخبارات CIC السابقين، كان لدى مايلز كوبلاند خبرة في العمل مع النازيين "المفيدين" مباشرة بعد الحرب. وعلى أقل تقدير، يبدو من المرجح، كما خلص أوين سيرز، أن "وكالة المخابرات المركزية كانت على علم بعلاقة الاتصال بين المخابرات المصرية والألمانية الغربية، وتغاضت عنها" (22)

وبالإضافة إلى هذه الإجراءات القمعية، كان لضباط وكالة الاستخبارات المركزية أيضاً يد في بناء "القاعدة البناءة" التي استند إليها ناصر (كما قال إيشلبرجر)، وهو ما يعني في المقام الأول أنهم ساعدوه في شن حرب نفسية. وكان هذا الأمر جزئياً يتلخص في تشويه سمعة أعداء مجلس قيادة الثورة من خلال اتهامات نصف صحيحة ("رمادية") أو مختلقة بالكامل ("سوداء") بسوء السلوك، وعادة ما تكون ذات طبيعة جنسية أو دينية. ورغم أن الناشرين الأقوياء المؤيدين لناصر مصطفى وعلي أمين (الصديقان القديمان لكيم روزفلت) حققا بداية جيدة على هذه الجبهة، حيث أغرقا صحفهما بقصص تدين النظام القديم، فقد قررت وكالة الاستخبارات المركزية أن الأمر يتطلب المزيد، فاستدعت أحد أبرز مستشاريها في الحرب النفسية، بول إم. إيه. لينبرجر. كان لاينبرجر، وهو عقيد في الجيش وأستاذ في السياسة الآسيوية في جامعة جونز هوبكنز، مؤلف النص

الرائد لعام 1948 "الحرب النفسية" (وتحت الاسم المستعار كوردواينر سميث، كتب سلسلة من قصص الخيال العلمي المؤثرة). وخلال أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، كان له حضور متكرر في الشرق الأقصى والشرق الأوسط باعتباره، على حد تعبيره، "زائرًا للحروب الصغيرة"؛ وقد استفادت حملة مكافحة التمرد التي قادها إدوارد لانسديل في الفلبين من مدخلاته. وفي ديسمبر 1954، وصل لاينبرجر، الذي سافر تحت اسم لورانس دبليو تيد، إلى القاهرة لتعيينات "عملياتية" في المعادي والزمالك. وأثناء وجوده في مصر، قدم للضباط الأحرار إرشادات حول الدعاية السوداء والرمادية، بما في ذلك أسلوب نشر معلومات إيجابية ظاهريًا عن أفراد وجماعات ألحقت بالفعل أضرارًا طويلة الأمد بسمعتهم. كما استعان بأحدث أبحاث الاتصالات الأميركية لتدريب وزارة الإرشاد الوطني على استطلاعات الرأي العام، وكان الهدف حشد الدعم الشعبي الإيجابي للحكومة الثورية.(23)

وكان هناك دائماً خطر، بطبيعة الحال، من أن مثل هذه الأساليب قد لا تنجح، أو حتى تأتي بنتائج عكسية، في بيئة العالم الثالث. على سبيل المثال، فشلت جهود شركة BA&H لترشيد الخدمة المدنية المصرية في مواجهة ثقافة راسخة من المحسوبية السياسية، في حين عاد قرار وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية بتوفير معدات البث والتدريب لموظفي محطة إذاعة ناصر "صوت العرب" ليطاردها بعد بضع سنوات، عندما أصبحت القاهرة المزود الرئيسي للدعاية المعادية لأميركا في العالم العربي.
كان على مايلز والآخرين أن يخطوا خطواتهم بحذر في القاهرة، وذلك لأن دورهم كمساعدين فنيين للحكومة الثورية، على الرغم من كل الحداثة اللامعة لمبادئهم وأساليبهم، كان يعيد إلى الأذهان الممارسة الاستعمارية السابقة، والتي ارتبطت بشكل خاص بالحاكم القنصلي

المكروه اللورد كرومر، والتي كانت تتمثل في إرسال مستشارين بريطانيين إلى الوزراء المحليين. وفي هذا الصدد، كانت هناك أيضًا أوجه تشابه بين العمل الاستشاري الذي كان مايلز يقوم به لنظام ناصر وعلاقة ت. إ. لورنس بالهاشميين، أو علاقة جاك فيلبي بآل سعود. ومع ذلك، على الرغم من كل هذه الأصداء للإمبراطوريات السابقة، يبدو أن الضباط الأحرار، على الأقل بين عامي 1953 و1955، كانوا منفتحين حقًا على الأفكار الجديدة التي روج لها رجال الدعاية والإعلان وخبراء الحرب النفسية من الأمريكيون.

كانت الخدمة الأخيرة التي قدمتها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية للحكومة الثورية في مصر تذكرنا بحقبة أقدم، حيث تصرف كيم روزفلت وكأنه مبعوث بلاط من القرن الثامن عشر أو التاسع عشر. فبعد اجتماعه مع الضباط الأحرار في مايو 1953، أدرك جون فوستر دالاس أن أولويته الأولى فيما يتصل بمصر كانت حل نزاعها المزعج مع بريطانيا بشأن قناة السويس. وسرعان ما اتضح أن جميع الأطراف الرئيسية المعنية تريد التوصل إلى تسوية، حتى البريطانيين، الذين بدأوا يشعرون بالضائقة الاقتصادية الناجمة عن الدفاع عن قاعدة القناة. بيد أن احتمالات التفاوض كانت مهددة بسبب عدة عوامل، بما في ذلك احتمالات إقدام أعداء ناصر الداخليين على إحداث المشاكل إذا شوهد وهو يتعامل علناً مع البريطانيين المكروهين.
ولم يساعد في هذا الأمر أن محمد نجيب كان قد سئم من دوره كزعيم شكلي لمجلس قيادة الثورة، وطالب بدور أكبر في القرارات السياسية وببناء الجسور مع جماعة الإخوان المسلمين. وكانت المشكلة الأخرى هي أن جون فوستر دالاس فشل في إقامة علاقات طيبة مع نظيره البريطاني، وزير الخارجية الأرستقراطي الكسول أنتوني إيدن، الذي أزعج الأميركيين بعادته في مخاطبة الرجال بعبارة "عزيزي". وعلى

نحو مماثل، لم يكن البريطانيون يكترثون كثيراً بدالاس العابس؛ فبعد لقائه به للمرة الأولى في يناير 1953، رجع رئيس الوزراء ونستون تشرشل وهو يتذمر منه ومن شكله المنفر القبيح.(24)

وقد توصل مايلز كوبلاند إلى الحل في اجتماع بينه وبين ناصر في أغسطس 1953: تجنيد كيم روزفلت كوسيط سري بين إنجلترا ومصر. ولقد وافق كيم على هذا الدور على الفور، لأنه كان يروق لذوقه في الدسائس، وكان في كل الأحوال قد أمضى بالفعل قدراً كبيراً من الوقت مع البريطانيين لأسباب كانت على وشك الكشف عنها.(الانقلاب في ايران على مصدق). وفي غضون أسابيع قليلة من محادثة مايلز وناصر، كان كيم يتنقل بين واشنطن ولندن والقاهرة، تاركاً وراءه موجة وثائقية واسعة النطاق بشكل غير عادي. ففي الخامس والعشرين من يناير 1954، نشرت صحيفة نيويورك تايمز تقريراً، في افتقار مفاجئ إلى السرية، عن حضوره في القاهرة لحضور مؤتمر في مقر مجلس قيادة الثورة مع نجيب وناصر. وفي مارس، أبلغ السفير البريطاني في واشنطن، روجر ماكينز، لندن أن ناصر أرسل للتو رسالة إلى كيم "عبر قنوات آمنة" يحث فيها على حل سريع للنزاع قبل أن يبدأ نجيب "في منافسة مع نفسه في التصريحات المناهضة لبريطانيا والتي من شأنها أن تجعل التسوية مستحيلة". وفي وقت لاحق من الربيع، ومع إشارة لندن إلى أنها مستعدة لسحب جميع القوات البريطانية من السويس في غضون عشرين شهراً في مقابل حق العودة إذا اندلعت الحرب في المنطقة، فقد حان دور كيم لإبلاغ ناصر أن واشنطن لن تضغط على البريطانيين لتقديم المزيد من التنازلات. ومن الواضح أن المستعرب الشاب كان يستمتع بقدرته على الوصول سراً إلى أعلى مستويات الحكومة في ثلاث عواصم عالمية.

وعندما سأله الرئيس أيزنـهاور، في جلسة استماع أمام السكرتير الصحفي للبيت الأبيض جيمس هاجرتي، "ما إذا كان له الحق في اتخاذ القرارات بشأن مواضيع ينبغي أن تكون مدرجة بشكل صحيح في المعاهدة [الأنجلو-مصرية]"، أجاب كيم "متضايقا :- نعم - إيه، نعم ". (25)

وفي نهاية شهر يوليو، تم التوقيع على بنود الاتفاقية بين بريطانيا ومصر في القاهرة، وتم التوقيع على المعاهدة النهائية نفسها في أكتوبر 1954، الأمر الذي مهد الطريق أمام الانسحاب البريطاني النهائي من قناة السويس بحلول يونيو 1956. وفي حين هنأت إدارة أيزنـهاور نفسها على نجاحها في نزع فتيل تهديد رئيسي للاستقرار الإقليمي والاستعداد لمواجهة تهديد آخر، وهو الصراع العربي-الإسرائيلي، ابتهج أنصار ناصر لاحتمالية انتهاء الاحتلال البريطاني بعد سنوات عديدة.

وفي وقت لاحق من شهر أكتوبر، أطلق أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، التي رأت في التسوية الأنجلو-مصرية استسلاماً للإمبريالية الغربية، النار على ناصر أثناء إلقائه خطاباً في الإسكندرية. ولم يصب مطلق النار ضحيته المقصودة، التي أعلنت على الفور بصوت عالٍ فوق هدير الحشد: "جمال عبد الناصر منكم وإليكم وهو على استعداد للتضحية بحياته من أجل الأمة".

وسواء كانت هذه الحادثة مدبرة أم لا ـ فقد زعم حسن التهامي في وقت لاحق أن وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية زودت ناصر بسترة واقية من الرصاص قبل وقوع الحادثة ـ فقد وفرت لمجلس قيادة الثورة الذريعة التي احتاج إليها لشن حملة وحشية للقضاء على الإخوان المسلمين. وفي الشهر التالي، اعتُقِل الرئيس نجيب نفسه وحُكِم عليه بالإقامة الجبرية.(26)

في غضون عامين فقط، نجح ناصر في ترسيخ دعائم ثورة يوليو، في القضاء على منافسيه الرئيسيين، وبرز كبطل للوطنية المصرية.
وكان دور الزعيم العربي الإقليمي في انتظاره الآن.

ولم يكن بوسع حتى مكيافيليي جيمس بيرنهام أن يبتكروا سيناريو أفضل من هذا. (27)

الفصل الثاني عشر:
تأليف انقلاب : إيران، 1953

في نفس الوقت تماماً الذي كان كيم روزفلت يعمل فيه سراً على إزاحة البريطانيين ودعم حكومة جمال عبد الناصر القومية في مصر، كان متورطاً أيضاً في مؤامرة أخرى ليست بعيدة كثيراً إلى الشرق. لكن هذه المؤامرة كان لها تأثير مختلف تماماً على الدولة المعنية ـ إيران ـ وعلى المنطقة ككل.

في حين أن عملية كيم المصرية دفعت إلى الأمام أهداف "العروبية الأمريكية" المعادية للاستعمار والمؤيدة للقومية العربية (وإن كان ذلك من خلال دعم حكومة عسكرية)، فإن هذه العملية أدت إلى تراجع قضية القومية في الشرق الأوسط وساعدت في إحياء قوة النظام الإمبراطوري القديم. كما أنها تركت إرثاً من الشك في والاستياء من الولايات المتحدة في المنطقة، الأمر الذي هدد بتدمير سمعة الأميركيين السابقة في الإحسان غير الأناني.

لقد تم سرد قصة هذه المؤامرة ـ انقلاب أغسطس 1953 الذي أطاح برئيس الوزراء الإيراني محمد مصدق وضمن عرش الشاه الشاب ـ مرات عديدة من قبل، في عدد لا يحصى من الكتب والمقالات والأفلام الوثائقية، وحتى في الآونة الأخيرة في رواية مصورة. ولعل هذا ليس مفاجئاً، نظراً لأنه، بصرف النظر عن أهميته التاريخية، كان للانقلاب ذاته صفة درامية ومثيرة وأدبية تقريباً، مما يجعله مناسباً جداً لصنعة سرد القصص. ومع ذلك، في جميع الروايات عن الحدث، تلقى موضوع واحد اهتماماً أقل مما يستحقه: الدافع الشخصي لكيم روزفلت.
لماذا قاد هذا المستعرب الشاب، المدافع عن القومية ومعاداة الاستعمار في العالم العربي، عملية يُنظَر إليها الآن على نطاق واسع على أنها ألحقت ضرراً عميقاً بهذه الغايات ذاتها في إيران؟(1)

تكمن الإجابة على هذا السؤال جزئياً في الاعتبارات الاستراتيجية الكبرى المتعلقة بالشيوعية والنفط التي أثرت على سياسات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط عموماً في فترة الحرب الباردة المبكرة. ولكن على نفس القدر من الأهمية بالنسبة لكيم روزفلت شخصيًا كانت هناك عوامل أكثر تحديدًا تتعلق بخلفيته الثقافية وتاريخ عائلته ـ وبفعل صنعة سرد القصص ذاتها.

ولكي نفهم لماذا وجد كيم روزفلت نفسه في عام 1953 مسؤولاً عن جهد سري للإطاحة بأحد أبرز القوميين في الشرق الأوسط، فمن الضروري أن نعود إلى سنوات عديدة في التاريخ الإيراني، إلى ما قبل وقت طويل من انخراط كيم نفسه في العملية.
ومن الواضح أن مناوشات الحرب الباردة في عامي 1946 و1947 التي شهدها آرتشي روزفلت ـ انسحاب القوات السوفييتية وقمع

الحركات الانفصالية في أذربيجان وكردستان الإيرانيين ـ قد تركت إيران مقيدة بقوة داخل المعسكر الغربي. ومع ذلك، ظل مصدر رئيسي لعدم الاستقرار قائماً. فعلى الرغم من المثال الذي ضربته شركة أرامكو في المملكة العربية السعودية، حيث تم تقسيم عائدات النفط مناصفة مع الحكومة السعودية، كانت شركة النفط البريطانية الأنجلو-إيرانية (AIOC) ترفض تقاسم الأرباح من عمليات التنقيب مع الإيرانيين.
ومع بدء الحزب الشيوعي في البلاد، أو حزب توده، في اكتساب الدعم بين العمال المستغلين في مصفاة عبادان الضخمة التابعة لشركة النفط الأنجلو-إيرانية، نشأ تحالف واسع النطاق من الجماعات ذات التوجه الإصلاحي، "الجبهة الوطنية"، تحت قيادة محمد مصدق، البطل المخضرم لاستقلال إيران والحكم الدستوري.
ورضوخًا للضغوط العامة، عين الشاه الشاب مصدق رئيسًا للوزراء في أبريل 1951؛ وبعد بضعة أيام، استولت الحكومة الإيرانية على السيطرة على صناعة النفط في البلاد من البريطانيين.

في البداية، حاولت الولايات المتحدة اتخاذ موقف محايد في النزاع النفطي الأنجلو-إيراني، فعرقلت خطة بريطانية لاستعادة مصفاة عبادان بالقوة العسكرية وأرسلت مبعوثين إلى طهران ولندن للتوسط في تسوية تفاوضية. ولقد كان مسؤولو إدارة ترومان منزعجين من العقلية الاستعمارية التي تبناها نظراؤهم البريطانيون، وفي هذه المرحلة كانوا يرون في مصدق، الذي يتمتع بشعبية كبيرة، والذي كان معادياً للشيوعية علناً، حاجزاً أمام التوسع السوفييتي المحتمل في إيران.
وكانوا محقين في اعتقادهم ذلك. فلم يكن رئيس الوزراء مصدق أقل معارضة للاستعمار السوفييتي من معارضته للاستعمار البريطاني؛ ومثله كمثل العديد من الزعماء القوميين في إيران قبله، كان هدفه

الأساسي وضع حد للعبة الكبرى بين إنجلترا وروسيا على الأراضي الإيرانية القائمة منذ قرن من الزمن وأكثر.
وعلى أية حال، وكما حدث في أزمة 1946-1947، لم يكن من الواضح في أذهان محاربي الحرب الباردة الأمريكان إن كان السوفييت يرغبون في شيوعية إيران أم لا. أما الأبحاث التاريخية الحديثة -بعد سقوط السوفييت- في الأرشيفات الإيرانية والروسية فتشير إلى أن لا موسكو ولا حزب توده الإيراني رؤوا البلاد جاهزة للاستيلاء الشيوعي.(2)

ولقد أدت عوامل عديدة إلى التقويض التدريجي للحياد الأميركي. ورغم أنه ليس من الواضح تماماً ما إذا كانت الشركات الأمريكية في مجال النفط تطمع في حقول النفط الإيرانية ذاتها لنفسها، فإنها -على الأقل- لم تعجبها بالتأكيد المثال الذي ضربه مصدق باستيلاءه على أصول شركة النفط الأنجلو-إيرانية، وفرض لوبي النفط الأمريكي ضغوطاً خفية في واشنطن ضده. وكان رئيس الوزراء شخصية مبهرجة، اعتاد على إدارة أعمال الحكومة من سريره، وأعمال مسرحية من البكاء والإغماء عليه. ورغم أن هذا السلوك أسعد أنصاره الإيرانيين، فإنه أثار حفيظة المسؤولين الأميركيين، الذين مالوا إلى إلقاء اللوم في ذلك على العاطفانية "الشرقية" واللاعقلانية (في مقال "رجل العام" لعام 1951، وصفت مجلة تايم مصدق بأنه "ساحر عجوز مصاب بالدوار" في مقالها الذي اعتمدت فيه أسلوباً نثرياً يهدف بوضوح إلى استحضار قصة على غرار قصص ألف ليلة وليلة). أما البريطانيون، الذين استفادوا كثيراً من خبرتهم الأكبر في الشؤون الفارسية، فلم يفعلوا الكثير لتثبيط هذا الاتجاه نحو الاستشراق في رؤية الغرب لمصدق.

وأخيرا، ومع استمرار النزاع النفطي لشهور وتزايد الضغوط على الاقتصاد الإيراني، بدأ ائتلاف الجبهة الوطنية في التفكك. مُقوّاة بتلك التصدعات في إئتلاف مصدق، قامت العناصر الجريئة في المعارضة بتنظيم مظاهرات في شوارع طهران، مما دفع مصدق إلى اللجوء إلى تدابير استبدادية.
أما المراقبون في واشنطن فشعروا بالقلق إزاء ما اعتبروه إضعافا لقدرة إيران على مقاومة النفوذ السوفييتي. ولم يساعد في هذا أن المناخ السياسي المحلي في الولايات المتحدة كان معادياً للشيوعية بشدة، مع صعود السيناتور جوزيف مكارثي إلى السلطة؛ وعلاوة على ذلك، اعتباراً من سبتمبر 1951، لم يكن السفير الأميركي في طهران الذي يقدم تقاريره عن التطورات هناك سوى محارب الحرب الباردة النموذجي في خدمة وزارة الخارجية لوي هندرسون.(3)

وعلى الرغم من أن المسؤولين الرسميين الأميركيين استمروا في العمل من أجل التوصل إلى تسوية تفاوضية للنزاع النفطي، إلا أن الدعم وراء الكواليس لاتخاذ إجراءات صارمة ضد مصدق كان ينمو. وفي أعقاب حوادث عامي 1946 و1947، قامت وكالة المخابرات المركزية بتنفيذ عمليات سرية معادية للسوفييت في إيران، بما في ذلك برنامج BEDAMN، وهو برنامج للحرب النفسية يديره عالم الآثار والضابط السابق في مكتب الخدمات الاستراتيجية دونالد ويلبر، الذي يعمل الآن مستشارًا بدوام جزئي لدى الوكالة. وبعد عام 1951، ركز عملاء BEDAMN الرئيسيون، علي جلالي وفاروق كايواني (الاسمان الحركيان لهما في وكالة المخابرات المركزية: نيرين وكيلي)، انتباههم بشكل متزايد على مصدق نفسه، في محاولة لإثارة رجال الدين المسلمين البارزين وغيرهم من أعضاء ائتلاف الجبهة الوطنية ضد رئيس الوزراء.

وفي الوقت نفسه، أكدت تقديرات استخبارات وكالة المخابرات المركزية على "عدم كفاءة مصدق وميوله الدكتاتورية"، فضلاً عن ضعفه أمام المغامرات الشيوعية. وكان ذلك جزئيًا استجابة لمثل هذه التقارير، حيث أصدرت إدارة ترومان في نوفمبر 1952 توجيه مجلس الأمن القومي NSC 136/1 لمسؤولي الولايات المتحدة بتوسيع "العمليات السياسية الخاصة" لإحباط انقلاب شيوعي محتمل. (4)

ولكن حتى ذلك الوقت، لم يكن أحد في واشنطن ذاتها يقترح عملية للتخلص من مصدق، ليس بالشكل الذي حدثت به فعلاً ـ فقد نشأت هذه الفكرة في بريطانيا. وبشكل غير متوقع إلى حد ما، نبعت الفكرة من أستاذين في اللغة الفارسية هما آن "نانسي" لامبتون من جامعة لندن وروبن زاهنر من جامعة أكسفورد، هما أول من اقترح في عام 1951 المؤامرة ضد مصدق والتي بلغت ذروتها بانقلاب عام 1953. وقد حظيت الفكرة بمباركة حماسية من رئيس الوزراء الجديد-القديم ونستون تشرشل (العائد للوزارة مجددا) والذي كان مؤمناً عتيداً بالحرب السرية وبحق بريطانيا في النفط الإيراني، وتم تسليم هذه المؤامرة المقترحة من البروفيسورات إلى جهاز الاستخبارات السرية البريطاني (SIS، المعروف أيضاً باسم إم آي 6) لتطويرها في طهران. وقد حشد رئيس جهاز إم آي 6 كريستوفر "مونتي" وودهاوس عملاء بريطانيين ـ مثل الإخوة الثلاثة من عائلة رشيديان ـ التجار الذين تربطهم علاقات ممتازة بسياسيين معارضين، برجال دين وبصحفيين ـ في حملة تحريض مناهضة لمصدق. واستجاب رئيس الوزراء في أكتوبر 1952 بطرد جميع الموظفين البريطانيين من البلاد. وعلى الرغم من ذلك، أعاد جهاز الاستخبارات الخارجية البريطانية (إم آي 6) تجميع فريقه الإيراني في قاعدته العسكرية الدائمة في قبرص تحت قيادة مساعد وودهاوس، نورمان داربيشاير. وقبل مغادرته لطهران،

كان وودهاوس قد سلم بنفسه أصوله الإستخباراتية -عائلة الرشيديين- والأصول البريطانية الأخرى إلى روجر جويران، رئيس محطة وكالة الاستخبارات المركزية هناك. وكان وودهاوس يعتقد منذ البداية أن الدعم الأميركي ضروري إذا كان البريطانيون يعتزمون إزاحة مصدق، وفي نوفمبر 1952 غادر إلى واشنطن حاملاً خطة مفصلة لعملية بريطانية-أميركية مشتركة أطلق عليها اسم "بوت" BOOT.
وفي حين كان رد فعل ممثلي وزارة الخارجية بارداً، أعرب رئيسا وكالة الاستخبارات المركزية آلن دالاس وفرانك ويزنر عن اهتمام حذر. وكما اعترف لاحقاً، فقد تعمد وودهاوس تصميم عرضه للتأكيد على "العنصر المناهض للشيوعية في خططنا" وتجنب أي تلميح إلى أن الأميركيين "كانوا يُستخدَمون لإنقاذ مصالح النفط البريطانية". كان هذا التكتيك فعّالاً، على حد اعتقاده. "في ذلك التاريخ كانت وكالة الاستخبارات المركزية مؤسسة جديدة إلى حد ما، وكانت على استعداد لقبول المشورة المهنية وحتى النفوذ من البريطانيين".(5)

وفي هذا المنعطف تحديداً ظهر كيم روزفلت على الساحة. أثناء مروره عبر لندن في طريق عودته من إحدى رحلاته الدورية إلى طهران، أوقفته مجموعة من المسؤولين البريطانيين الذين قدموا له BOOT. مستثاراً بالفكرة، سعى إلى تنفيذها مع آلن دالاس، الذي كان من المقرر أن يشغل منصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية في إدارة أيزنهاور القادمة في يناير. وكما أوضح لاحقًا، كان هو ودالاس "في خلاف هادئ مع مواقف الإدارة المنتهية ولايتها، وكانا قد بدآ بالفعل في دراسة الإجراءات المحتملة لدعم الشاه، واختبار العملاء مع وضع مثل هذا الإجراء في الاعتبار".(6)
في فبراير 1953، وصل فريق من MI6 إلى واشنطن واقترحوا كيم ليكون "القائد الميداني" للعملية برمتها.

وتم إرسال مايلز كوبلاند إلى إيران لتقييم احتمالات "البقاء ملتصقاً" لخليفة مصدق القادم (بعكس تجربة حسني الزعيم الشهيرة)؛ وعاد في أبريل بتقدير إيجابي. وفي الوقت نفسه، كان كيم في طهران يجتمع مع الأخوة من تجار آل رشيديان ومع اللواء المتقاعد في الجيش، فضل الله زاهدي، الرجل الذي تم تحديده باعتباره أفضل رهان لاستبدال مصدق كرئيس للحكومة.

وفي مايو، اجتمع دونالد ويلبر ونورمان داربيشاير في قبرص لوضع تفاصيل خطة الانقلاب، التي يُطلق عليها الآن TP-AJAX.

كانت "TP" هي البادئة القُطْرِيّة لإيران في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، في حين يبدو أن "AJAX" كانت، بشكل مبتذل إلى حد ما، إشارة إلى منظف المنازل الشعبي، والضمني هو أن العملية ستطهر إيران من النفوذ الشيوعي إلى الأبد.(7)

وبعد اجتماعات التخطيط النهائية في بيروت ولندن وواشنطن، منح تشرشل الموافقة البريطانية الرسمية على AJAX في الأول من يوليو؛ ووقع أيزنهاور على الخطة في ال11 من يوليو. وفي التاسع عشر من يوليو، وبينما كانت شبكات وكالة المخابرات المركزية BEDAMN وشبكة عائلة رشيديان لMI6 يثيرون الاضطرابات في شوارع طهران، تسلل كيم عبر الحدود من العراق. واختبأ في التلال الواقعة خارج العاصمة مباشرة، في منزل جوزيف جودوين في قرية تجريش، (التي أصبحت حي تالياً) وجودوين هذا هو ذاته أحد الصحفيين السابق ذكرهم الذين كانوا سبقوا جيش الشاه في الدخول إلى أذربيجان قبل سبع سنوات متوقعين المذبحة، والذي ذهب منذ ذلك الحين للعمل لصالح وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية. وفي الفترة التي سبقت الانقلاب، عمل جودوين بديلاً لرئيس المحطة روجر جويران، الذي عاد فجأة إلى واشنطن من طهران في ال2 من

أغسطس. وقد عُرِضت تفسيرات مختلفة لرحيل رئيس المحطة جويران هذا، ولكن التفسير الأكثر ترجيحاً يبدو أنه كان إحجامه عن المشاركة في ما أسماه "عملاً من أعمال الاستعمار الأنجلو-فرنسي". ولم تكن مثل هذه الشكوك نادرة بين ضباط وكالة الاستخبارات المركزية من المستوى المتوسط والخبراء في الشؤون الفارسية الذين كانوا مستشارين للوكالة.(8)

وبفريق في مقر وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في واشنطن يتولى التعامل مع الجوانب الدعائية والعسكرية للانقلاب، وبالقاعدة البريطانية في قبرص توفر الاتصالات ثلاثية الأطراف، شرع كيم الآن في العمل على تحويل عملية أجاكس إلى حقيقة. وكان جوهر الخطة كلها هو إفتعال أزمة دستورية مفتعلة حيث يضطر الإيرانيون فيها إلى الاختيار بين مصدق و الشاه. وكان كيم ورفاقه المتآمرون على ثقة من أنه في مواجهة بين رئيس الوزراء والملك، فإن العناصر الأكثر قوة في المجتمع الإيراني ـ تجار البازار، والزعماء الدينيين المسلمين (بقدرتهم على حشد الحشود في المناطق الحضرية)، وضباط الجيش ـ سوف تتجمع وراء الأخير. وكانت المشكلة أن الشاه الشاب، برغم أنه لم يكن صديقاً لرئيس وزرائه المضطرب، كان متردداً في التوقيع على المراسيم الملكية، أو الفرمانات، التي تقضي بعزله وتعيين زاهدي بدلاً منه ـ وهو أمر غير مفاجئ على الإطلاق، نظراً للمخاطر الشخصية التي ينطوي عليها هذا. ولقد استجاب كيم بالضغط عليه من خلال أطراف ثالثة مختلفة، أولاً شقيقة الشاه -شقيقته التوأم- القوية الإرادة، الأميرة أشرف (وقد تم تجنيد ستيف ميد الذي يُفترض أنه لا يقاوم جنسياً في محاولة لكسبها)، ثم عندما فشلت تلك الحيلة، تم تجنيد الجنرال هـ. نورمان شوارتزكوف، رئيس بعثة الدرك الأميركية السابقة في زمن الحرب إلى إيران (وهو والد قائد "عاصفة الصحراء" التالية). ومع

عدم صدور الفرمانات بعد، ذهب كيم بنفسه أخيراً لمقابلة الشاه، مختبئاً تحت بطانية على المقاعد الخلفية بينما كانت تقاد سيارته بواسطة سائق عبر بوابات القصر. وفي نهاية المطاف، وقع الشاه على الأوامر في الثالث عشر من أغسطس، بعد انسحابه إلى منتجع ملكي على بحر قزوين. ومع وضع الترتيبات اللازمة لاعتقال مصدق وأنصاره في الجيش، تم تحديد الخامس عشر من أغسطس كيوم للانقلاب.

ثم سارت الأمور على نحو خاطئ!
وبعد أن تنبه مصدق إلى تسريب أمني واحد على الأقل، أمر مصدق باعتقال الجنود المتهمين باعتقاله. وخبّأ الجنرال زاهدي نفسه في قبو أحد ضباط وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، وفر الشاه إلى بغداد ثم إلى روما، وأمرت واشنطن بإجلاء عملاء أجاكس من طهران. وفي السابع عشر من أغسطس، أخبر والتر بيديل سميث، وكيل وزارة الخارجية آنذاك، السفير البريطاني في واشنطن أن إدارة أيزنهاور كانت "تنظر إلى السياسة الجديدة تجاه بلاد فارس" بل وحتى أنها كانت تفكر في تقديم المساعدة الفنية لحكومة مصدق. وأوضح سميث قائلاً: "مهما كانت عيوبه، فإن مصدق لم يكن يحب الروس، وقد تمكنه المساعدة في الوقت المناسب من إبقاء الشيوعية تحت السيطرة".(9)

ولكن كيم روزفلت كان له رأي آخر. فقد كانت أوامر الإخلاء بطيئة في الوصول إليه، ويرجع هذا إلى أن فريق الاتصالات التابع لـMI6 كان يؤخر إصدار الأوامر عمداً، فاستغل الوقت الذي سمح له هذا بالارتجال - فاستخدم اتصالات آل رشيديان والصحفيين الأميركيين للدعاية للفرمانات، وأرسل رسلاً إلى قادة الجيش الموالين للشاه المتمركزين خارج طهران، وحثهم على الزحف نحو العاصمة. ووفقاً لإحدى الروايات، فقد هدد حتى بأنه سيتسبب لعملاء BEDAMN المحليين

جلالي وكيفاني بالقتل إذا هما لم يستمرا في أنشطتهما المناهضة لمصدق.(10)

وانقلبت الأمور لصالح كيم في صباح التاسع عشر من أغسطس، حين تجمع حشد من الناس في سوق طهران، ثم بدأوا في السير نحو وسط المدينة، ملوحين بصور الشاه ومرددين اسمه. وانضمت وحدات من الجيش الموالية للشاه إلى الموكب، الذي بدأ في مهاجمة المباني المرتبطة بحزب توده، وفي وقت مبكر من بعد الظهر، احتلوا أيضا إذاعة طهران. وخرج الجنرال زاهدي من مخبأه القبوي وظهر على الهواء معلناً نفسه الرئيس الشرعي للحكومة. وبعد معركة ضارية قُتل فيها ما لا يقل عن مائتي إيراني، نجحت القوات الموالية للشاه في إخضاع آخر كتيبة من الجيش موالية لمصدق خارج مقر إقامته، الذي نهبه الغوغاء بعد ذلك بينما فر رئيس الوزراء السابق عبر سور الحديقة. وعندما أُبلغ الشاه بهذه التطورات في فندقه في روما، أعلن وهو في حالة ذهول واختناق: "كنت أعلم أنهم يحبونني!"، واستعد على عجل للعودة إلى طهران. وفي الوقت نفسه، كان كيم روزفلت يخطب في حشد مبتهج من ضباط الجيش الموالين للشاه. فقال لهم، وهو قليل الكلام: "أنتم لستم مدينون لي، للولايات المتحدة، وللبريطانيين، بأي شيء على الإطلاق، باستثناء، إذا أردتم، تقديم شكر موجز". وعاد الشاه إلى وطنه منتصرًا في الثاني والعشرين من أغسطس، في نفس الوقت الذي ألقي فيه القبض على مصدق وحُكِم عليه بالإقامة الجبرية، أما الجنرال زاهدي فمنحته وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية خمسة ملايين دولار حتى يتمكن من سداد رواتب نهاية الشهر (وسوف تتبعها إعانات منتظمة في وقت لاحق). وفي اجتماع سري في منتصف الليل في اليوم التالي، رفع الشاه كأسًا تكريمًا لكيم قائلاً: "إنني مدين بعرشي لله، وشعبي، وجيشي ـ ولك!".(11)

وما إذا كان كيم يستحق مثل هذا الشكر الكبير هو أمر مفتوح للتساؤل. وفي وقت لاحق، ادعى المشاركون الغربيون الآخرون في التخطيط لـ "أجاكس" أنهم يستحقون نصيبهم من الفضل. وفي حين كان سخياً للغاية تجاه كيم شخصياً، فإن السيرة الذاتية لمونتي وودهاوس لعام 1982، شيء مغامر، انتقدت وكالة الاستخبارات المركزية ضمناً لإهمالها ذِكر مساهمة جهاز MI6 وتحملها "المسؤولية الكاملة عن التخلص من مصدق [كذا]". وعلى الجانب الأميركي، كان دونالد ويلبر، في مذكراته الحادة النبرة التي نُشرت عام 1986، أقل لطفاً مع كيم، حيث اتهمه باحتكار الفضل في الانقلاب داخل وكالة الاستخبارات المركزية، وأكد أن "الخطة كانت خطتي في الأساس". (اشتكى ويلبر أيضاً من احتفال النصر الذي أقامه كيم لفريق أجاكس بعد عودته من إيران: "غداء حاسب كل منا على ما طلبه فيه، في مطعم صيني في شارع كونيتيكت، والذي لم يقدم الخمور").
ولم يكن مايلز كوبلاند من أولئك الذين يفوتون أبداً فرصة المزاح، فقد انضم مازحاً إلى المنافسة على الفضل في مذكراته "لاعب اللعبة"، حيث أفاد بأن الكلمات التي قالها الشاه لكيم فور الانقلاب كانت في الواقع: "أنا مدين بعرشي لله، وشعبي، وجيشي، ولك، وبالطبع لمساعدك المتخفي الذي لن أذكر اسمه".(12)

وفي الآونة الأخيرة (وبشكل أكثر جدية)، ركز الاهتمام على الدور الذي لعبته مجموعة أخرى من الجهات الفاعلة في انقلاب عام 1953: الإيرانيون أنفسهم.
ووفقاً لكتاب صدر عام 2010 من تأليف دبلوماسي إيراني سابق، لم يكن كيم روزفلت هو الذي يقف وراء الأحداث الحاسمة في التاسع عشر من أغسطس ـ التجمع في الصباح للحشد المؤيد للشاه في البازار وتعبئة وحدات الجيش التي انضمت إلى المظاهرات في وقت لاحق من

اليوم ـ بل كان الضباط الموالين للشاه في حامية طهران ورجال الدين المسلمين، وخاصة آية الله العظمى حسين البُرُوجِرْدي في قم، هم الذين قرروا أن انجراف الأحداث في عهد مصدق يشكل خطراً على الإسلام. وفي هذا السيناريو، كانت تصرفات كيم في الأيام التي أعقبت محاولة الانقلاب الفاشلة في الخامس عشر من أغسطس كانت موجهة أقل نحو محاولة ثانية في التاسع عشر من أغسطس، كما زُعِم لاحقاً، أكثر من كونها حقيقة لأجل إقامة شبكات جاسوسية للبقاء خلف خطوط العدو كجزء من إخلاء وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية المخطط له من البلاد. ولم يكن لهذه التدابير أي تأثير يذكر على أحداث 28 مرداد (19 أغسطس حسب التقويم الإيراني)، ولكنها مكنت كيم بعد ذلك من إعلان مسؤوليته -زيفاً- عن ما حققه ذلك اليوم.(13)

ومن المؤكد أنه من المدهش أن أياً من المصدرين الأميركيين الرئيسيين عن الانقلاب في إيران ـ مذكرات كيم روزفلت، انقلاب مضاد لعام 1979، وتقرير داخلي لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية عن العملية في عام 1954 بقلم دونالد ويلبر والذي تسرب إلى صحيفة نيويورك تايمز في عام 2000 ـ لم يزعم صراحة أن كيم لعب أي دور شخصي في تحريك حشد البازار أو وحدات الجيش الموالين للشاه. ولم تكن الأحداث الفوضوية والدموية في 19 أغسطس تشبه إلى حد كبير الانقلابات الأخرى في الشرق الأوسط التي تورطت فيها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية من قبل في سوريا ومصر. ومن الواضح ظاهرياً أنه، أياً كان الدور الذي لعبه آية الله حسين البُرُوجِرْدي، فإن لاعبين آخرين خلاف كيم روزفلت وزملائه في وكالة الاستخبارات المركزية ساهموا في سقوط مصدق، بما في ذلك رئيس الوزراء الإيراني نفسه، الذي ارتكب سلسلة من الأخطاء الحاسمة في الحكم على الأمور في أحداث 28 مرداد.(14)

ومع ذلك، فإن تصحيح التركيز الحصري السابق على الجهات الغربية في الانقلاب الإيراني من خلال إنكار كل الفضل (أو اللوم، اعتماداً على وجهة نظر المرء) لكيم روزفلت وفريقه في وكالة الاستخبارات المركزية يبدو مبالغاً فيه. ولا شك أن التحريض المستمر للأجواء السياسية في طهران من قِبَل عملاء كيم المحليين جالاني وكيفاني وشبكتهم من العملاء الفرعيين ساعد في زعزعة استقرار حكومة مصدق، ومن الصعب أن نتخيل أحداث التاسع عشر من أغسطس على الإطلاق دون الأزمة الدستورية التي نجمت عن إقالة الشاه لمصدق وفراره اللاحق، وهي الأحداث التي كان لكيم يد لا جدال فيها. وفي نهاية المطاف، ربما كانت أسباب تغيير النظام في إيران عام **1953** مماثلة لأسباب الانقلاب السوري عام **1949**: أي أن الإطاحة بمصدق كانت نتيجة لمجموعة من الإجراءات الإيرانية والأميركية والبريطانية، مع مساعدة التدخل الغربي في إنتاج مجموعة من الظروف السياسية في إيران التي عززت بشكل طفيف، وربما بشكل حاسم في رؤية أخرى، فوز بعض النخب المحلية على حساب أخرى.

ورغم أنه قد لا يكون من الممكن أبداً تحديد التوازن الدقيق للعوامل التي تسببت في سقوط مصدق، فإن عواقب انقلاب **1953** كانت واضحة للغاية. فبدعم من وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (بما في ذلك تكليف ستيف ميد بالعمل في طهران للمساعدة في تدريب الشرطة السرية الإيرانية "السافاك")، نجح الشاه في تأسيس نظام استبدادي نجح من خلال قمع حزب توده والجبهة الوطنية بوحشية في صد التأثيرات الشيوعية المحتملة على حساب توليد تيارات عميقة من المعارضة الداخلية. وفي غياب أي منافذ ديمقراطية، تصاعدت هذه التيارات في نهاية المطاف في نجاح الثورة الإسلامية **1979**، هروب الشاه مجدداً وتأسيس جمهورية إسلامية في إيران تحت زعامة آية الله روح الله الخميني.

والإيرانيون -الحساسون للغاية تجاه التدخل الأجنبي في شؤون بلادهم، وطوال تاريخهم- كانوا في احتياج إلى القليل من التشجيع لكي يعربوا عن استيائهم من الدور الأميركي المشتبه به في انقلاب عام 1953، وفي عام 1979 هتف المتظاهرون في الشوارع بإسم الرئيس مصدق وأحرقوا تماثيل للرئيس الأميركي.
بالنسبة لهؤلاء المحتجين، فإن "خيط الذاكرة كان يقود بوضوح من اللعبة الكبرى إلى الشيطان الأكبر"، على حد تعبير الباحث في جامعة ييل عباس أمانات. وأصبحت إيران الآن أرضاً خصبة لمعاداة أميركا في الشرق الأوسط الأوسع نطاقاً، ودافعاً أيديولوجياً لأعمال العنف الإسلامية الإنطلاق ضد وجود القوات الأميركية في المنطقة من خارج إيران.(15)

ومن عجيب المفارقات أن احتمال وقوع مثل هذه "الضربة الارتدادية" يبدو أنه كان متوقعاً من قِبَل كيم روزفلت نفسه في عام 1949، عندما اختتم بيانه "العرب والنفط والتاريخ" بتحذير مفاده أن "خطر روسيا في مواجهة الولايات المتحدة هو ... الخطر المرئي"، ولكن "خطر الشرق في مواجهة الغرب يبدو غير مرئي حتى الآن؛ وقد يكون مدمراً؛ وقد نستسلم له بسبب عدم الرؤية". وفي ضوء هذا البيان النبوئي، يتعين علينا أن نطرح السؤال التالي: ما الذي كان يفكر فيه كيم روزفلت بالضبط عندما نفذ عملية الانقلاب في إيران في أغسطس 1953؟ (16)

لا شك أن كيم روزفلت كان يشترك في الرأي الأميركي السائد القائل بأن إيران معرضة بشكل خطير إلى النفوذ السوفييتي. ويصور كتاب "العرب والنفط والتاريخ" المؤسسات السياسية في البلاد على أنها مجزأة وضعيفة، كما تصور روايته اللاحقة للأحداث في كتاب "انقلاب

مضاد" الرئيس مصدق (بشكل غير دقيق) على أنه "متحالف ... مع الاتحاد السوفييتي". ومع ذلك فإن أياً من هذين العملين لكيم لا ينقل أبداً الشعور الشرس بالعداء الإيديولوجي للشيوعية الذي يمكن اكتشافه في تصريحات خبراء أميركيين آخرين في الشرق الأوسط منذ بداية الحرب الباردة ـ لوي هندرسون، على سبيل المثال، أو آرتشي روزفلت. ويبدو أن عوامل أخرى، ذات طبيعة ثقافية ونفسية أكثر منها سياسية، كانت أكثر أهمية في تشكيل سلوك كيم تجاه إيران.(17)

بادئ ذي بدء، كان هناك حب روزفلت للإنجليز. وكان هناك شعور ملموس بالهوية الثقافية المشتركة بين الجواسيس البريطانيين من الطبقة العليا الذين خططوا لعملية BOOT وبين الأرستقراطي الأمريكي الذي نفذها في النهاية. وكتب مونتي وودهاوس، رئيس محطة طهران في جهاز الاستخبارات البريطاني MI6، وهو عالم كلاسيكيات تلقى تعليمه في أكسفورد وأصبح بارونا في المستقبل:

"سرعان ما اعتُبِر كيم روزفلت حليفاً مهماً في خططنا. ومثله كمثل جده، ووالده أيضاً، كان لديه ميل طبيعي إلى العمل الجريء والخيالي، فضلاً عن تعاطفه الودي مع البريطانيين". ولا شك أن الروابط العائلية لعبت دورها: فعندما مر كيم عبر لندن، كان يميل إلى الإقامة في مسكن تشيستر سكوير لعائلة هربرت، العائلة البريطانية الأرستقراطية التي تزوجت خالته، شقيقة بيلي، إليزابيث أحدهم. وكانت إحدى صلات بيلي الأخرى عبر الأطلسي هي دوقة ديفونشاير، السيدة ماري أليس جاسكوين سيسيل المقربة جداً من أمه، وكان شقيق هذه المدعو روبرت -الماركيز الخامس لسالزبوري، ومن كبار أعضاء حزب المحافظين- في وقت الانقلاب في إيران يعمل كوزير الخارجية البريطاني القائم بالأعمال في الحكومة الجديدة لتشرشل.

وحدثت هناك بعض التوترات في البعد الاستخباراتي لـ "العلاقة الخاصة": ربما كان كيم روزفلت مدركاً للانكشاف الأخير للجواسيس

السوفييت - الشريكيين الصغيرين للجاسوس الأكبر كيم فيلبي:- جاي بورجيس ودونالد ماكلين - متردداً في الكشف عن هوية عملاء وكالة المخابرات المركزية الرئيسيين BEDAMN في إيران لنظرائه في MI6، في حين لم يتمكن الأخير من إخفاء "ملاحظة خافتة من الحسد ... لأن الوكالة الأمريكية مجهزة بشكل أفضل من حيث الأموال والموظفين والمرافق من جهازهم البريطاني". ولكن في المجمل، كان تعاون الCIA مع جهاز MI6 – "أبناء عمومتنا"، كما أشار كيم إلى البريطانيين في كتابه "انقلاب مضاد" – متناغماً إلى حد كبير، إلى الحد الذي جعله يُنظَر إليه على الفور باعتباره سابقة لعمليات مشتركة في المستقبل. "إن الدرس هنا واضح"، هكذا خلص تقرير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية دونالد ويلبر عن أجاكس، والذي استند إلى حد كبير إلى الإحاطات الإعلامية مع كيم روزفلت. "وكما هو الحال في الصورة العالمية الأوسع، فلابد من تنسيق المصالح والأنشطة الأميركية-البريطانية".(18)

وإذا كانت الثقافة ساعدت كيم على تقبل خطط البريطانيين، فإنها جعلته ضد الإيرانيين. وعلى الرغم من تقاربه مع العالم العربي، فإن كيم -مثله مثل ابن عمه آرتشي في هذا الصدد- كان ينظر إلى بلاد فارس من خلال منظور استشراقي ورثه من البريطانيين. وكان وصفه لمصدق في كتابه "انقلاب مضاد" يمر عبر قائمة من العيوب المزعومة في الشخصية الشرقية: المكر، والتناقض، والعاطفية. وكتب كيم، متجاهلاً الخلفية الأرستقراطية لمصدق وتعليمه الأوروبي، أن رئيس الوزراء "الماكر" "كان مثل فلاح عجوز سيئ المزاج، ... يحكم على كل المشاكل من وجهة نظره العاطفية". "وكانت قوته العظيمة تكمن في قدرته على إبهار الجماهير"، هكذا استمر الوصف. "كانت مبالغاته الجامحة... تدفع مستمعيه إلى حالة من الهستيريا الجنونية تقريباً".

ومن هنا فإن كيم، الذي لم يمض وقت طويل من إشادته بالقومية العربية -متمثلة في ناصر- باعتبارها قوة عفوية وقوية في حد ذاتها، أصبح الآن يرفض نظيرتها الإيرانية باعتبارها غير عقلانية وقابلة للتلاعب - وهي نفس النظرة البريطانية إلى نفس الظاهرة.(19)

(ملاحظة من المترجم :- كما أضفت تعليقاً في الفصل الرابع -إعادة إحياء اللعبة الكبرى- عقب تصريحات آرتشي روزفلت في سيرته الذاتية عن حوادث 1946 و1947 عن رؤيته للإيرانيين كمجرد دمى -دمى لايستحقون التعاطف الأمريكي محب الحرية والديموقراطية!- في اللعبة الكبرى الجديدة بين الأمريكيين والسوفييت،
وهو نفس الوضع العربي:- "الدمى"! لكن القوميين الإيرانيين رآهم الأمريكان خطر، بينما القوميين العرب -على الأقل في زمن كيم وزمرته- محبوبين!
كما هناك، أضيف هنا أيضا ذات التعليق أن هذا هو لبداهة "الطواعية" و "الليونة" الأصيلة في العرب -تحت الأمريكي، ومن قبله البريطاني مع لورنس العرب وزمرته- عن الإيرانيين!
كما أن استنتاج تماثل النظرة "الاستشراقية" بين البريطانيين والأمريكان عن إيران التي يقول بها الكاتب لاتخدعنك، فنفس إدارة أيزنهاور التي شاركت البريطانيين بنشاط في الإطاحة بمصدق في 1953 هي ذاتها نفس الإدارة الأمريكية التي أوقفت البريطانيين -والفرنسيين والإسرائيليين- عند حدهم -وأقل من حدهم!- في مصر في حرب السويس 1956! كما سيلي ذكره)

وكان الاستثناء الرئيسي لهذا التمثيل الاستشراقي للإيرانيين في "انقلاب مضاد" هو تصوير كيم للشاه. فبينما اعتبر العديد من المراقبين الغربيين في الفترة التي سبقت الانقلاب الملك الشاب المتردد

"أرنبًا مسحورًا"، على حد تعبير مونتي وودهاوس، فقد صوره كيم على النقيض من ذلك باعتباره شخصية بطولية إلى حد ما، حيث أحبط في إحدى المناسبات محاولة اغتيال بشجاعة، وفي مناسبة أخرى قاد طائرة معطلة إلى بر الأمان، وهرب من إيران في أغسطس 1953 ليس بدافع الجبن بل في خطوة متعمدة لتحفيز المشاعر الشعبية المناهضة لمصدق. ومع ذلك، يبدو أن هذه الصورة للشاه قد تم بناؤها بعد وقوع الانقلاب. ففي وقت الانقلاب، لم يكن كيم أقل نفاد صبر تجاه الملك من غيره من الغربيين، حيث هدد في وقت ما بالانسحاب من إيران "في اشمئزاز كامل ما لم يتخذ الشاه إجراءً في غضون بضعة أيام". وعلاوة على ذلك، فإن ادعاء كيم في كتابه "انقلاب مضاد" بأن الشاه ترك "انطباعاً دائماً" عليه عندما التقيا لأول مرة أثناء جولته في الشرق الأوسط عام 1947 يتناقض مع حقيقة أن الملك لم يُذكَر إلا بالكاد في كتاب "العرب والنفط والتاريخ" لعام 1949. ومن المثير للاهتمام كيف أن عملية إعادة اختراع الشاه كزعيم أكثر حزماً وقوة وشبهاً بالزعماء الغربيين يبدو أنها بدأت فور انقلاب 19 أغسطس، عندما وصفه لوي هندرسون لواشنطن بأنه أظهر "حيوية وحزماً وتفكيراً واضحاً" جديدين، ووصفه كيم بأنه "رجل جديد".(20)

الحجة هنا ليست أن كيم روزفلت نفذ انقلاب 1953 لأنه يكره الإيرانيين. بل إن الحجة هي أن المواقف الاستشراقية، كما هو الحال بالنسبة للمراقبين الأنجلو-أميركيين الآخرين في ذلك الوقت، قد غيَّمت حكمه على السياسة الفارسية وشجعت ميله إلى النظر إلى إيران باعتبارها مكانًا للمغامرة الشخصية، وملعبًا لألعاب التجسس. وهذا الدافع الأخير، الذي ارتبط بقوة بالنسبة لكيم بهويته كرجل من آل روزفلت، واضح في جميع أنحاء السرد للأحداث في "انقلاب مضاد". مثلا: عندما انطلق كيم من بيروت إلى إيران في يوليو 1953 تذكّر ما

كتبه والده، كيرميت، عن وصوله إلى شرق إفريقيا مع أبيه ثيودور، في عام 1909 في رحلة "مسارات الصيد الأفريقية". "كانت مغامرة عظيمة، وكان العالم كله شابًا!". وقد تعززت المقارنة الضمنية بين TP-AJAX وإحدى رحلات الصيد التي قام بها والده أو جده من خلال "التوديع التقليدي للصيادين الفرنسيين" الذي تلقاه كيم من صديق لبناني. والارتباط بمغامرات روزفلت الأجنبية السابقة لايغيب عن المغامرات المعاصرة. فبعد وقت قصير من الانقلاب، لاحظ رئيس البعثة العسكرية الأميركية إلى إيران، روبرت أ. ماكلور، أن "صبيان فرانك ويزنر قاموا بعمل رائع، وحملوا عصا غليظة".(21)

وتضيف حوادث أخرى موصوفة في كتاب "انقلاب مضاد" إلى الانطباع بأن كيم اعتبر مهمته إلى إيران مغامرة أشبه بمغامرات كيبلينج.

دخل البلاد في يوليو دون أن يكلف نفسه عناء تزييف هويته؛ وأظهر جواز سفره لحارس حدود، الذي سجل عن طريق الخطأ اسمه كواحدة من سماته الجسدية المميزة (سمة مناسبة للشجاعة): "السيد ندبة على الجبهة اليمنى". وفي ال19 من أغسطس، استجاب متأخراً لبرقية والتر بيديل سميث التي أمرته بالعودة إلى الوطن، موضحاً أن المد قد تحول للتو لصالح الشاه، ثم ختم بوقاحة: "مع حبي وقبلاتي من كل الفريق". ويزداد الشعور بالمتعة والتجسس من خلال الإشارات المتكررة إلى الألعاب الفعلية، وخاصة ألعاب الورق، التي تملأ "انقلاب مضاد". حتى "أغنية الموضوع" الخاصة بالعملية، وهي لحن عزفه كيم مراراً وتكراراً في الأسابيع التي سبقت الانقلاب، كانت تدور حول الألعاب: "فليكن الحظ سيدة الليلة"، أغنية القمار من المسرحية الموسيقية "الرجال والدمى".(22)

كلما قرأ المرء رواية كيم عن TP-AJAX في "انقلاب مضاد"، كلما دهش من تشابهها مع رواية مغامرات أو رواية إثارة تجسس. هناك تلميحات إلى كيبلينج، ضمنية وصريحة، كما هو الحال عندما شبه كيم

(روزفلت) بعض رجال القبائل الملتحين المتجولين في شرق إيران بشخصية محبوب علي في كيم (الرواية). ثم هناك الإطار الرئيسي للسرد، رحلة كيم من واشنطن إلى طهران، والتي تبني التشويق وتمكنه من تهيئة المشهد للانقلاب من خلال سرد تجربته السابقة في إيران. رواية كيم، أيضًا، تدور بشكل أساسي حول رحلة تتوج بدور حاسم في اللعبة الكبرى. كما يفكر المرء في رواية جون بوكان "جرينمانتل" ورحلة بطلها ريتشارد هاناي المحفوفة بالموت عبر أوروبا في الحرب العالمية الأولى إلى مشهد المعركة الذروة في الرواية في تركيا.

إذا كان كتاب "انقلاب مضاد" يشبه الرواية، فهذا لم يكن مصادفة: بحلول الوقت الذي كتب فيه كيم الكتاب في السبعينيات، كان يروي قصة عملية أجاكس لسنوات. بدأت عملية التخطيط للأحداث الفوضوية التي وقعت في طهران، وتحويلها إلى قصة متماسكة ليرويها للآخرين، فور الانقلاب، عندما توقف كيم في لندن في طريقه إلى المنزل والتقى بمسؤولي MI6 لإطلاعهم على التفاصيل.

ولقد كان كل من "انقلاب مضاد" وتقرير دونالد ويلبر لعام 1954 عن عملية أجاكس صريحين بشكل مدهش في هذا الصدد. فقد كتب كيم عن اجتماعاته مع الجواسيس البريطانيين، الذين نظروا بوضوح إلى إقالة مصدق باعتبارها فرصة لتحسين مكانتهم لدى وزارة الخارجية البريطانية: "لقد أرادوا القصة كاملة، ... مع التركيز على السمات الساحرة للعملية". ولقد استجاب كيم لطلبهم بسرد حكايته على العشاء في غرفة الشواء بفندق كونوت "بأكبر قدر ممكن من التفصيل والإثارة"، بما في ذلك "جميع أسماء وأرقام اللاعبين، وكل الشكوك والآمال والقلق الذي عرفه". وفي اليوم التالي، زار كيم وزارة الخارجية، حيث أعطى القائم بأعمال وزير الخارجية اللورد سالزبوري (شقيق دوقة ديفونشاير، الصديقة الحميمة لأم كيم)، بناءً على طلب

أصدقائه في MI6، "المعاملة الكاملة": "سرد حي للاضطرابات الأخيرة في إيران"، كما وصفها سالزبوري نفسه بعد الاجتماع. وبحسب تقرير ويلبر عن الانقلاب، فإن سالزبوري "بدا مفتوناً تماماً". وعندما غادر وزارة الخارجية، واجه كيم مسؤولاً من MI6 يحمل "مجلداً مغطى بشرائط حمراء وشمع ختم وأشياء فنية أخرى"، فأخبره بحماس أن القائم بأعمال وزير الخارجية قد أعطى للتو الضوء الأخضر لعملية أخرى لجهاز الاستخبارات السرية كان متردداً في الموافقة عليها من قبل.(23)

ومن وزارة الخارجية، كان الأمر على الموعد الأخير في ذلك اليوم، في مقر رئيس الحكومة. وعندما قاده مساعد عسكري إلى غرفة المعيشة، وجد كيم رئيس الوزراء ونستون تشرشل مستلقياً على سرير، مدعوماً بوسائد. كان قد أصيب مؤخراً بسكتة دماغية وكان في حالة سيئة بشكل واضح. "كان يعاني من صعوبة كبيرة في السمع؛ وصعوبة في النطق من حين لآخر؛ وصعوبة واضحة في الرؤية إلى يساره"، هكذا أفاد كيم بعد الاجتماع. ومع ذلك، اُستقبِل الشاب الأميركي بحماس وأُمر بسحب كرسي على الجانب الأيمن من السرير. وجلس هناك لمدة ساعتين متواصلتين، يروي قصة الانقلاب بينما كان رئيس الوزراء المريض، "يستهلكه الفضول والنعاس بالتناوب"، ينتفض ويستيقظ من النوم. وفي نهاية القصة، ابتسم السير ونستون، وتحرك على وسائده، وخاطب زائره. يتذكر كيم أنه قال: "أيها الشاب، لو كنت أصغر سناً ببضع سنوات فقط، لما أحببت شيئًا أكثر من الخدمة تحت قيادتك في هذه المغامرة العظيمة". أجاب كيم بالشكر، متأثرًا بشدة "بهذا الإطراء الأعظم الذي صدر من هذا الرجل". ولم يكن المشهد الذي لم يشبه شيئاً أكثر من رجل يحكي لطفل قصة قبل النوم أكثر إيلاماً: فقد تمكن كيم من إعادة تمثيل روايته الأخيرة للعبة الكبرى ك"أثر حي" لأيام مجد الإمبراطورية البريطانية.(24)

واستمرت رواية القصة في أميركا، حيث عاد كيم الآن، تاركاً وراءه سحباً من المجد. وخشية إثارة اهتمام الصحافة غير المرغوب فيه بزيارة الرئيس أيزنهاور في منتجعه الصيفي في دنفر، أمضى كيم الأيام الأخيرة من شهر أغسطس مع عائلته في نانتوكيت، واكتفى بكتابة تقرير للرئيس يحتوي على رسائل شخصية من الشاه والجنرال زاهدي ورئيس الوزراء تشرشل. (وكما هي الحال في مصر، فمن السهل أن نتخيل كيم وهو يتلذذ بدور المبعوث الشخصي بين الملوك والرؤساء ورؤساء الوزراء).

وفي الشهر التالي، سنحت له الفرصة أخيراً لإخبار الرئيس بقصته شخصياً، حيث قدم إحاطة عن عملية أجاكس في اجتماع بالبيت الأبيض حضره أيزنهاور، والأخوين دالاس، وغيرهما من كبار الشخصيات.

وكتب في "انقلاب مضاد": "لم يكن جوهر تقريري جديداً؛ بل كان ببساطة مزيجاً من ما أخبرت به حلفائنا البريطانيين والقصة التي نقلتها إلى ونستون تشرشل النائم". ومع ذلك، كان الاستقبال حماسياً. ولاحظ كيم أن جون فوستر دالاس، على وجه الخصوص، "بدا وكأنه يخرخر مثل قطة عملاقة". وقد أعجب الرئيس أيضاً، لكنه لاحظ بذكاء جودة أدبية في التقارير التي تلقاها عن إيران. "لقد بدت هذه القصص وكأنها روايات رخيصة الثمن أكثر من كونها حقائق تاريخية"، كما كتب لاحقًا.(25)

في الواقع، كانت هذه قصة جيدة للغاية بحيث لا يمكن إبقاؤها سرية تمامًا. في خريف العام التالي، وبعد عملية انقلاب ناجحة أخرى لوكالة المخابرات المركزية في غواتيمالا في أمريكا الوسطى (من المترجم:- حيث لايوجد هناك سوفييت ولا غيرهم!)، أذن آلن دالاس بالتعاون بين الوكالة وبين صحيفة "ساترداي إيفيننج بوست" في تقرير من ثلاثة أجزاء كتبه ريتشارد وجلاديس هاركنس بعنوان "الأعمال الغامضة لوكالة المخابرات المركزية". ولقد أولت قصة الترويج هذه، والتي

ظهرت في نفس الوقت تقريباً الذي قدمت فيه لجنة رئاسية مكلفة بمراجعة أداء وكالة الاستخبارات المركزية حتى الآن تقريرها إلى البيت الأبيض، اهتماماً خاصاً "بالظروف الأكثر غرابة من الخيال" التي أدت إلى "إنقاذ الدولة الصغيرة الاستراتيجية إيران من قبضة موسكو".
والواقع أن الجمل المحددة، مثل إصرار المراسلين على أنه على الرغم من الدور الذي لعبته وكالة الاستخبارات المركزية في تمكين إيران، فإن "الإطاحة الفعلية/الفيزيائية بمصدق [هكذا] تم إنجازها من قِبَل الإيرانيين أنفسهم"، تبدو صيغة غريبة مثل صياغة كيم روزفلت ـ الذي ساهم بعدة مقالات في صحيفة "ساترداي إيفنينج بوست" قبل انضمامه إلى الوكالة. وفي الوقت نفسه، كان كيم يتلذذ برواية القصة للضيوف في منزله في واشنطن. وعلى الرغم من أنه عادة ما يكون "شخصاً هادئاً وخاصاً للغاية"، فإنه يتحول، كما يتذكر ابنه جوناثان في وقت لاحق، إلى "ثرثار" للغاية بشأن موضوع إيران.
وعندما نُشرت القصة، بعد إعادة سردها مرات عديدة في وقت لاحق، تحت عنوان "انقلاب مضاد"، أشار المعلق الاستخباراتي توماس باورز إلى "جو الطفولية الفج" الذي ساد الكتاب. وكتب أن القصة كانت "من النوع الذي قد يدونه رجل عجوز لإسعاد أحفاده"، وهو ما يعكس ملاحظة مايلز كوبلاند في كتاب "لاعب اللعبة" بأن الانقلابات كانت مناسبة بشكل خاص لسرد القصص العائلية.(26)

ولقد كتب المؤرخ العربي ألبرت حوراني ذات مرة عن ت. إ. لورنس ومذكراته الأسطورية عن الثورة العربية، "أعمدة الحكمة السبعة"، أن لورنس تصرف عمداً كبطل ملحمي أثناء الحرب العالمية الأولى ثم كتب بعد الحرب كتاباً ملحمياً عن أفعاله. وكان هناك شيء من هذه الصفة الأدبية الدائرية (المسببات تؤدي للنتائج، والعكس بالعكس) في تورط كيم روزفلت في انقلاب إيران. فقد تشكلت أفعاله، جزئياً على الأقل، من

خلال مجموعة من الأفكار والعواطف المستمدة من تراث عائلة روزفلت والأعمال الأدبية السابقة. وبعد ذلك، وحتى قبل أن يعود إلى وطنه من إيران، كان كيم يحول العملية إلى قصة مميزة، أو الانطلاق العسكري الخاص به إلى تل كيتل في كوبا الإسبانية (قصة لمعان سمعة جده في واشنطن) أو مغامرة حقيقية من مغامرات كيبلينج.
وقد شجعه الآخرون في وكالة الاستخبارات المركزية (وجهاز الاستخبارات البريطاني) على هذه العملية لأنها كانت تلائم أغراضهم البيروقراطية، وكانت النتيجة أن دخلت القصة التاريخ الرسمي للوكالة باعتبارها واحدة من النجاحات البارزة لحقبة "العصر الذهبي" لزمن آلن دالاس.(27)

وكما قال اللاما (الكاهن البوذي) للشخصية الخيالية بطلة رواية كيبلينج مشتركة الإسم مع ابن عائلة روزفلت ظابط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية: "لقد أطلقتَ العنان لفعل ما على العالم، وكما لو أُلقي حجر في بركة، فإن العواقب لا يمكنك أن تتخيل مدى انتشارها". (28)

الفصل الثالث عشر:
من ألفا ALPHA ...

كان صباح ربيعي بارد في العاصمة واشنطن، لكن كيم روزفلت كان يتوهج بالفخر. كان برفقته في البيت الأبيض زوجته وأبناؤه ووالدته بيلي، بالإضافة إلى الأخوين دالاس (وزير الخارجية ومدير وكالة الاستخبارات المركزية) ولوي هندرسون. وأعلن دوايت أيزنهاور، وهو يقرأ استشهادًا تم تأليفه قبل ثمانية عشر شهرًا، بعد وقت قصير من الانقلاب في إيران: "في موقف خطير ومهدد لأمننا، أظهر السيد روزفلت أعلى درجات الشجاعة والدهاء والتصميم. إن إنجازه يتماشى مع أعلى تقاليد الخدمة للولايات المتحدة ويستحق امتنان حكومته". بهذه الكلمات، تقدم الرئيس لتثبيت ميدالية الأمن القومي على صدر كيم.(1)

كانت هذه الجائزة، التي تم إنشاؤها في الأيام الأخيرة من إدارة ترومان، شرفًا نادرًا، محجوزًا لقلة مختارة في مجتمع الاستخبارات.

ولم يكن قد حصل على هذه الجائزة قبل كيم إلا ضابطان من ضباط وكالة الاستخبارات المركزية: زميله "باني الأمة" كما يسمي نفسه و"الأميركي الهادئ" إدوارد لانسديل، ورئيس أركان أيزنهاور السابق والتر بيديل سميث. وبالنسبة لكيم، كانت هذه الجائزة هي الأحدث في سلسلة من الانتصارات الشخصية، بما في ذلك عملية TP-AJAX (التي لم تتضح نتائجها الكارثية على المدى الطويل بعد)، ومساهمته في التسوية الأنجلو-مصرية لنزاع السويس، ومؤخراً ترقيته من منصب رئيس عمليات قسم الشرق الأدنى إلى منصب نائب مساعد مدير الخطط، مباشرة بعد فرانك ويزنر في تراتبية القيادة في وكالة الاستخبارات المركزية.
ورغم أن الحفل كان "غير رسمي" في تقويم البيت الأبيض، وبالتالي لم يصاحبه ذلك النوع من الاهتمام الصحفي الذي كان ليحظى به مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي ج. إدغار هوفر عندما نال نفس التكريم في مايو 1955، فإن هذا ربما لم يزعج كيم. فقد اعتاد على الدخول والخروج من مكاتب الرؤساء ورؤساء الوزراء دون أن يلاحظه أحد. في الواقع، كان الافتقار إلى الضجيج مناسبًا إلى حد كبير لسمعته المتنامية كـ"متسلط خفي" éminence grise شاب، وشعوره الغروتوني بمسؤولية النبلاء noblesse oblige.
(2)

ولقد بدا توقيت الاحتفال - الرابع والعشرين من مارس 1955 - ملائماً أيضاً. فمع بدا ساعتها من حل أحد أكبر تهديدين للسلام في الشرق الأوسط، قضية قناة السويس (بفضل كيم إلى حد كبير)، بدأت إدارة أيزنهاور تحول انتباهها إلى التهديد الآخر: الصراع العربي-الإسرائيلي. وكانت العقبات التي تعترض طريق التسوية هائلة بطبيعة الحال، وكانت المشاكل الجديدة تظهر يومياً تقريباً، ولكن كانت هناك بعض الأسباب

التي تدعو إلى التفاؤل الحذر أيضاً. فلم يعد البريطانيون منشغلين بالحفاظ على موقفهم في مصر، بل كانوا على استعداد لإلقاء ثقلهم وراء الدفع نحو السلام. والآن يتمتع ناصر، الذي كان قد أعلن نفسه للتو رئيساً لوزراء مصر، بالاستقرار الداخلي والمكانة الإقليمية اللازمة لتحمل ثقل التسوية التفاوضية في العالم العربي (وهو الأمر الذي لم يكن حسني الزعيم، المرشح السابق لدور "الزعيم الضروري" العربي، ليزعمه قط). ولقد كان الإسرائيليون -في ظل أن الحاجز البريطاني بينهم وبين المصريين على وشك الخروج من قناة السويس- في مزاج متساهل غير عادي. والأمر الأكثر أهمية هو أن إدارة أيزنهاور، بفضل سياستها في الشرق الأوسط القائمة على "الحياد الودي"، بدت في وضع أفضل كثيراً من سابقتها للعب دور الحكم أو الوسيط بين الجانبين. والواقع أن الاهتمام الرئيسي لدى المسؤولين الأميركيين لم يكن مرتبطاً بالقضايا الجوهرية في الصراع بقدر ما كان مرتبطاً بالقيود الزمنية الداخلية. فقد كانت الانتخابات الرئاسية في عام 1956 تلوح في الأفق، الأمر الذي يعني أن الإدارة الأميركية سوف تضطر بعد فترة طويلة إلى تجنب قضية فلسطين المثيرة للجدال، والتي قد تكون مكلفة للغاية من حيث الأصوات المؤيدة لإسرائيل. وإذا كانت الولايات المتحدة راغبة في تأمين تسوية مقبولة في العالم العربي، فسوف يكون لزاماً عليها أن تتحرك بسرعة.

كانت هذه هي الخلفية التي أدت إلى إطلاق مشروع ألفا ALPHA، وهو جهد بريطاني-أميركي مشترك وشامل لحل كل نقاط الخلاف العالقة بين إسرائيل وجيرانها العرب. ولقد بدت مقترحات ألفا، التي صاغها فريق من المفاوضين الأميركيين والبريطانيين في أوائل عام 1955، على الورق أنها عادلة إلى حد مذهل، وخاصة فيما يتصل بالقضيتين الأكثر إثارة للانقسام: اللاجئون الفلسطينيون والحدود الإقليمية.

ووفقاً للخطة، كان من المقرر أن تعيد إسرائيل خمسة وسبعين ألف لاجئ إلى وطنهم وتدفع تعويضات للباقين، الذين كان من المقرر أن تقوم الدول العربية الجارة بإستيعابهم. وفي الوقت نفسه، كانت حدود إسرائيل ستُحدَّد، مع بعض التعديلات الطفيفة، عند خطوط الهدنة لعام 1949، وليس خطوط تقسيم الأمم المتحدة لعام 1947. وكمحفز لكلا الطرفين لقبول هذه الشروط، كانت الولايات المتحدة ستلتزم بمبلغ ضخم قدره 1 مليار دولار من المساعدات للمنطقة على مدى السنوات الخمس المقبلة. ولقد اعتبر بعض خبراء الشرق الأوسط أن خطة ألفا تمثل منذ ذلك الحين لحظة واعدة حقيقية في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي، حيث جاءت قبل التراكم التالي للمظالم الناجمة عن الحروب اللاحقة وظهور قضايا خلافية مثل الأراضي المحتلة في يونيو 1967.

(3)

وبفضل دوره العالمي الجديد كنائب مساعد لمدير التخطيط في وكالة الاستخبارات المركزية، لم يشارك كيم شخصياً في مفاوضات ألفا، التي كانت في كل الأحوال في هذه المرحلة من مسؤولية دبلوماسيي وزارة الخارجية. ومع ذلك، كانت مكانته في واشنطن عالية إلى الحد الذي جعله يحتفظ بسمعته باعتباره "الخبير النهائي لشؤون الشرق الأوسط" لوكالة الاستخبارات المركزية، وكان لا يزال يُستدعى في أي لحظة من قِبَل الأخوين دالاس لتقديم المشورة أو القيام بمهمة خاصة إلى العالم العربي. وفي وقت لاحق من العام، عندما واجهت ألفا صعوبات خطيرة، أُرسِل كيم إلى مصر لإعادة تمثيل دور المبعوث السري الذي أداه بالفعل بفعالية كبيرة في المساعدة على حل النزاع الأنجلو-مصري. وسابقاً لذلك، جاءت أهم مساهماته في خطة السلام في داخل الولايات المتحدة ذاتها، حيث حشدت الشبكة الحكومية-الخاصة التي ساعد في إنشائها

بعد الحرب العالمية الثانية جهودها مرة أخرى لمحاربة الصهيونية الأميركية وكسب بعض الوقت الحاسم لإدارة أيزنهاور قبل انتخابات عام 1956.

(4)

بالنسبة لليهود المناهضين للصهيونية في المجلس الأميركي لليهودية (ACJ) والبروتستانت العروبيين في جمعية الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط (AFME)، فإن العامين اللذين مرا منذ دخول دوايت أيزنهاور إلى البيت الأبيض كانا جيدين، على الأقل بالمقارنة مع خيبات الأمل المتراكمة في عهد ترومان. وكان المجلس الأميركي لليهودية قد لاحظ التغيير في أجواء واشنطن لأول مرة. ففي إبريل 1953، زار كل من رئيس المجلس ليسينج روزنوالد وصديق كيم روزفلت القديم جورج ليفيسون البيت الأبيض للقاء الرئيس الجديد وترك مذكرة لوزير خارجيته تشرح مبادئ المنظمة، بما في ذلك التمييز المهم للغاية بين اليهودية كدين والصهيونية كحركة سياسية. وكان الاجتماع ناجحاً للغاية.

كان أيزنهاور "منتبهاً للغاية وأعطى ... انطباعاً أن ما سمعه كان يتفق عموماً مع آرائه هو" أبلغ ليفيسون -الفرح جداً- المدير التنفيذي للمجلس الأمريكي لليهودية إلمر بيرجر بذلك. وما تلى كان أفضل حتى. فقد وصلت إلى بيرجر ورفاقه رسالة مفادها أن وزير الخارجية دالاس قد أخذ معه مذكرتهم التي قدموها لأيزنهاور في جولته في الشرق الأوسط في مايو 1953. وكان الخطاب الشهير الذي ألقاه دالاس بعد عودته في الأول من يونيو، والذي أعلن فيه عن سياسة أمريكية أكثر إنصافاً في المنطقة، يحتوي على فقرات تشبه إلى حد كبير تصريحات المجلس الأمريكي لليهودية ـ على سبيل المثال، جملة تدعو إسرائيل إلى أن تصبح "جزءاً من مجتمع الشرق الأدنى وأن تكف عن النظر إلى

نفسها... باعتبارها غريبة عن هذا المجتمع". (بعد فترة وجيزة، وبعد أن فقدت AFME بعض تحفظاتها السابقة بشأن الاشتباك مع الصهاينة، أعادت صياغة هذه العبارة بشكل استفزازي، حيث صرح نائب الرئيس جارلاند إيفانز هوبكنز بأن "إسرائيل موجودة في الشرق الأوسط ومن الشرق الأوسط، ويجب أن تتوافق في نهاية المطاف مع هذا النمط، وإلا فلن يكون أمامها بديل آخر سوى أن تنتهي من الوجود").(5)

ومع تخلي إدارة أيزنهاور عن سياسة ترومان في المعاملة التفضيلية لإسرائيل، عزز المجلس الأميركي لليهودية روابطه بالحكومة، سواء الروابط العلنية أو الخفية. وكان هنري بيرود، الرجل الذي حاول كيم روزفلت إزاحته من منصب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى، شخصية مهمة في هذه العملية. وكان بيرود ضابطاً عسكرياً شاباً لامعاً ووسيماً كانت خبرته السابقة في الخدمة الخارجية تكمن في الشرق الأقصى وألمانيا، وكان له خلفية مختلفة عن معظم المستعربين في وزارة الخارجية، لكنه سرعان ما أثبت أنه حليف متحمس بشكل مدهش للمعادين للصهيونية من اليهود.
وطور إلمر بيرجر، الذي أظهر مرة أخرى موهبته في حشد أهل العاصمة واشنطن، علاقة وثيقة بشكل خاص معه، حيث كان الرجلان يخاطبان بعضهما البعض بمودة باسم "هانك" و"الحاخام المجنون". وفي ظل قيادة بيرجر، عمل المجلس الأميركي لليهودية على مساعدة بيرود في كسب الدعم المحلي للسياسة الجديدة في الشرق الأوسط، والترويج لها "لليهود بشكل خاص وللأميركيين بشكل عام"؛ في المقابل، تمتع المجلس بوصول خاص إلى وزارة الخارجية، بما في ذلك معلومات سرية حول المنظمات الصهيونية الأمريكية المشتبه في أنها

تعمل بشكل غير قانوني كواجهات دعائية للحكومة الإسرائيلية. ذات مرة مازح بيرجر ليفيسون بأنه أصبح "نوعًا من FBI يهودي".(6)

وفي الوقت نفسه، حافظ بيرجر على اتصالاته الوثيقة مع "جهاز كيم"، كما أشار بخجل إلى وكالة المخابرات المركزية دون أن يسميها. وعلى الرغم من أن كيم نفسه كان مشغولًا بشكل متزايد بأمور أخرى - "إنه محموم تقريبًا مثلك ومثلي"، كما أخبر بيرجر ليفيسون في مايو 1953، قبل وقت قصير من عملية مصدق في إيران - إلا أنه كان لا يزال يجد الوقت لرؤية بيرجر خلال زيارات الأخير المتكررة إلى واشنطن. وكان بيرجر أيضًا ضيفًا متكررًا على العشاء والليل في منزل عائلة روزفلت في حي ويسلي هايتس.
إن المراسلات الواردة في سجلات المجلس الأميركي لليهودية توضح أن هذه الاتصالات تضمنت مناقشة الدعم المحتمل من قِبَل وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية لمشاريع المجلس الأميركي لليهودية التي كانت منفصلة عن عملية منظمة AFME، وإن كانت التفاصيل قد ظلت غامضة. وكان التعبير العلني الأبرز عن هذا التحالف الناشئ بين الدولة والقطاع الخاص في مايو 1954، عندما ألقى هنري بيرود خطاباً في المؤتمر السنوي للمجلس الأميركي لليهودية في فيلادلفيا، وحث الإسرائيليين على "التخلي عن موقف المحتل" وكرر العبارة المألوفة الآن بأن إسرائيل يجب أن تصالح نفسها مع كونها "دولة شرق أوسطية". وكان الخطاب، الذي صيغ بمساعدة خبير الشؤون العربية المخضرم في وزارة الخارجية إدوين رايت وألقي بمباركة فوستر دالاس، بمثابة لفتة غير مسبوقة من الموافقة الرسمية على برنامج المجلس الأميركي لليهودية المناهض للصهيونية.(7)

كما استفادت منظمة الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط (الواجهة العروبية للسي آى ايه، والممولة أيضا من قطاع النفط الأمريكي) بشكل واضح من النظام الجديد في واشنطن. فقد حظى جارلاند هوبكنز بعدة لقاءات مع وزير الخارجية دالاس ومساعده بيرود، حيث استخدمها كفرصة للضغط على أجندة المنظمة المؤيدة للعرب والمعادية للصهيونية؛ وردت منظمة AFME الجميل بالالتفاف حول إدارة أيزنهاور في مناسبات مثل انتخابات الكونجرس عام 1954، وحثت المرشحين على تجاهل الدعوات الصهيونية لهم برفض سياسة الولايات المتحدة الحالية في الشرق الأوسط.

وقد تجسدت هذه العلاقة في شخص آخر جديد نسبيًا على النضال المنظم المناهض للصهيونية في واشنطن، وهو إدوارد إل. آر. إلسون. تربى في أسرة من والدين مشيخيين متدينين في بنسلفانيا، ورُسم من قبل مجلس المشيخة في لوس أنجلوس، وخدم كقسيس في الجيش أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي لفت انتباه الجنرال أيزنهاور لعمله في ألمانيا بعد الحرب.

وبعد عودته إلى الولايات المتحدة، عُيِّن راعيًا لما أصبح فيما بعد "الكنيسة المشيخية الوطنية في واشنطن العاصمة"، حيث عمّد الرئيس الجديد في عام 1953 (على الرغم من تدينه، لم يكن انضم أيزنهاور رسميًا من قبل إلى أي كنيسة محددة). ومنذ ذلك الحين، كان الرئيس أيزنهاور يحضر عظات القس إلسون بانتظام، إلى جانب أكثر المشيخيين إلتزاماً، وزير الخارجية دالاس.(8)

انضم القس إلسون إلى مجلس إدارة AFME في عام 1954، بعد أن قام في وقت سابق بجولة في الشرق الأوسط بصفته حاملًا لأول محاضرة سنوية للمنظمة، متحدثًا عن موضوعات "الأهمية الروحية للأزمة العالمية" و"الموارد اللازمة للديمقراطية الديناميكية". وأوضح

لاحقًا أن اهتمامه بالمنطقة نما من قراءة الكتاب المقدس في طفولته وجولته في شبه الجزيرة العربية عندما كان شابًا. ولقد تركت هذه التجارب في نفسه إعجاباً عميقاً بالعالم العربي، ومن الواضح أنه كان لديه عداء شديد تجاه "الصهيونية السياسية"، وهي المواقف التي لم يكن يخجل من مشاركتها مع "رعيته" الأقوياء سياسياً. وكانت خطبه، التي اشتهرت بإتقان إلقائها ومزجها بين الكالفينية والوطنية الحماسية، تشير في كثير من الأحيان إلى الشرق الأوسط. كما كتب كثيراً إلى كل من الرئيس ووزير الخارجية، عارضاً عليهما التوجيه الروحي والعملي بشأن تعاملهما مع المنطقة، وحث الأول على مقاومة الضغوط من "شريحة أقلية" من السكان الأميركيين للخضوع لإسرائيل، وحث الثاني على زيارة القاهرة شخصياً حتى يتمكن من تجديد معرفته بناصر. (لقد فعل إلسون نفسه هذا في عام 1957، مرة أخرى برعاية AFME، بعد عودته من اجتماع مع رئيس الوزراء المصري وهو مليء بالثناء على تفكيره وإخلاصه.) وقد أشار القس المشيخي إلى نقطة معينة في مراسلاته مع أيزنهاور هى تعزيز سمعة منظمة AFME، ووصفها بأنها "الأداة الأكثر فعالية لتعزيز الصداقة بين الجانبين". وفي عام 1955، أشار حتى إلى عمل المجلس الأمريكي لليهودية خلال احتفالات عيد الشكر في منزل عائلة أيزنهاور في جيتيسبيرج.(9)

ولكن هذا لا يعني أن المجلس الأميركي لليهودية ومنظمة الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط كانا منشغلين إلى الحد الذي جعلهما يتناسيان تماماً جوانب أخرى من برنامجيهما. فقد أطلق المجلس، على سبيل المثال، برنامجاً ناجحاً للتعليم الديني في أوائل الخمسينيات، فأسس عشر مدارس مخصصة لتدريس مبادئ اليهودية الإصلاحية الكلاسيكية. أما منظمة الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط، فيمكننا أن نستنتج شيئاً من الأهمية التي ما زال يعلقها على مهمته في تعزيز

الحوار الروحي بين الأميركيين والعرب من حقيقة أن ضابط وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية ماثر إليوت كان مكلفاً بوضع "الأساس الإداري" للمؤتمر المسيحي-الإسلامي الذي دعا إليه جارلاند هوبكنز في لبنان عام 1954.
وقد أثبت إدوارد إلسون أنه مناصر متحمس بشكل خاص لهذا البعد من عمل AFME. فقد كتب إلى رعيته الرئيس أيزنهاور: "سوف تفهمنا شعوب الشرق الأوسط إذا تواصلنا معهم بمصطلحات روحية". "إن هذا من شأنه أن يساعدنا في الاعتراف بمديونتنا للشرق الأوسط لمساهمته في العالم في الديانات الثلاث العظيمة ذات الأصول العرقية السامية". (كانت مسودة مبكرة من هذه الرسالة قد أشارت على وجه التحديد إلى "العرب" بدلاً من "شعوب الشرق الأوسط"، ولكن من المفترض أن إلسون قرر أن هذا يخاطر بالظهور وكأنه رجاء سياسي خاص من جانبه وحذف الإشارة). وكان رد أيزنهاور على "المذكرة الرائعة" التي كتبها قسه معبراً أيضاً. فقد كتب: "لقد تأثرت كثيراً بإيمانك بالعلاقات التي ينبغي لنا أن نحافظ عليها مع العرب، كشعوب". وتعكس كلمات الرئيس الأهمية العميقة التي أسندتها إدارته إلى ما أسمته دبلوماسية "بين الشعوب": تنمية التفاهم المتبادل والتعاطف بين المواطنين الأميركيين العاديين ونظرائهم في الخارج، فضلاً عن إيمانه الشخصي بقدرة الإيمان الديني على هزيمة الإلحاد الشيوعي.
وبعبارة أخرى، لم تكن معاداة منظمة AFME للصهيونية هي وحدها التي أثارت وتراً حساساً في البيت الأبيض في عهد أيزنهاور؛ بل كان أيضاً الإهتمام الإيجابي للمنظمة بالصداقة الأميركية-العربية وبالحوار المسيحي-الإسلامي.(10)

ومع ذلك، في هذه المرحلة من وجودها، كان التركيز الأساسي لمنظمة AFME على الجبهة الداخلية ـ في عام 1954 أفادت المنظمة أن

سبعة وعشرين من مشاريعها الحالية كانت مخصصة بشكل أساسي لـ"نشر المعلومات" عن الشرق الأوسط في الولايات المتحدة، مقارنة بأربعة مشاريع فقط معنية بـ"تفسير" أميركا للشرق الأوسط ـ ولم يزد هذا الاتجاه إلا مع تدشين مشروع ألفا ALPHA في شتاء أول عام 1955. ومن الواضح من سجلات وزارة الخارجية التي رفعت عنها السرية أن جون فوستر دالاس اعتبر إدارة الرأي الأميركي المحلي بشأن الصراع العربي-الإسرائيلي مكملاً مهماً لخطته للسلام. "لقد سأل السكرتير كيف تتوقع المجموعة إبقاء الزعماء اليهود في هذا البلد هادئين خلال هذه الفترة من التحضير"، هذا ما جاء في محاضر اجتماع تخطيطي لفريق المفاوضين الأنجلو-أمريكيين التابع لـ ALPHA في يناير 1955. "لقد نجحت الإدارة في تقليص قوة إسرائيل من أجل جعل التسوية المعقولة ممكنة"، هكذا واصل دالاس شرحه. "نتيجة لهذا، أصبح الموقف الإسرائيلي الآن أضعف مما كان عليه في أي وقت مضى، ولكن بحلول عام 1956 كان من المرجح أن يكتسب قوة جديدة".

وكانت هذه النقطة الأخيرة المتعلقة بالانتخابات الرئاسية الوشيكة في خريف 1956، والتي كررها دالاس أمام الممثلة البريطانية الرئيسية، إيفلين شوكبرج، في وقت لاحق من الشهر، تهدف جزئيًا إلى خلق ضغط تكتيكي على العرب لتسوية الأمر بسرعة. لكنها عكست أيضًا قلقًا حقيقيًا بشأن إمكانية قيام الصهاينة الأمريكيين بعرقلة ALPHA. (11)

ولم يكن دالاس وحده المشغول بهذا الشأن. فقد قال كيم روزفلت وهنري بيرود للسفير المصري أحمد حسين خلال اجتماع دام أربع ساعات في واشنطن في ديسمبر 1954: "إن النفوذ الصهيوني في أميركا قوة لا يمكن تجاهلها". وتُظهِر سجلات وزارة الخارجية

المصرية أن كيم التقى حسين بشكل متكرر خلال العام الذي تلا ذلك، وكثيراً ما كان يعبر عن دعم أميركي قوي لنظام ناصر. (اعتاد ناصر نفسه أن يمزح قائلاً إن كيم كان ودوداً للغاية مع حكومته، وأن السفير حسين الذي تلقى تعليمه في الولايات المتحدة كان مؤيداً لأميركا إلى الحد الذي يجعلهما يستطيعان تبادل الوظائف). كما ظهر إدوارد إلسون، الذي عُرِف فقط بأنه راعي الكنيسة التي كان يحضرها الرئيس ووزير الخارجيةِ، في تقارير حسين إلى القاهرة، مؤكداً القس للسفير أن أيزنهاور سوف يتحرر في تعامله مع الصراع العربي-الإسرائيلي بالفوز في انتخابات خريف 1956. وهناك وثيقة من مصدر مصري آخر (أوراق صديق مايلز كوبلاند حسن التهامي)، وهي "رسالة من ك إلى الأخ الأكبر" بتاريخ 23 ديسمبر 1954، وهي أكثر كشفاً. ففي هذه الرسالة، يحذر ك (كيم روزفلت، على الأرجح) الأخ الأكبر (ناصر) من أنه، ناصر، "في خطر الوقوع في بعض الفخاخ الإسرائيلية المدروسة جيداً، ... مع نتائج من شأنها أن تعوق بشكل خطير قدرة أصدقائه في الولايات المتحدة على مواجهة الضغوط الصهيونية هنا". وفي الصيف التالي، أبلغ التهامي ناصر أنه و"جونز" (الاسم المستعار لمايلز في القاهرة) ناقشا "حاجة مصر إلى ... تنظيم دعاية منظمة في أمريكا تهدف إلى معارضة الدعاية اليهودية". وأضاف تهامي أن "هم" (وكالة المخابرات المركزية) "مستعدون تمامًا للعمل معنا في التخطيط لهذا البرنامج"، على أمل أن يرد ناصر الجميل بتخفيف بعض تصريحاته المعادية للغرب.(12)

كتب إلمر بيرجر إلى زميله في ACJ موريس لازارون في أواخر ديسمبر 1954: "لقد شاركت بنفسي بعمق في عدد من الأشياء في واشنطن والتي أتردد في وضعها على الورق". وعلى الرغم من ندرة السجل الوثائقي، فمن الممكن، باستخدام أدلة متناثرة من مجموعة

متنوعة من المصادر، تجميع صورة مفصلة للحملة المحلية التي نفذتها شبكة كيم روزفلت الحكومية-الخاصة لدعم خطة أيزنهاور للسلام. أولاً، كان هناك دعم مجموعة **AFME** لهنري بيرود في مرحلة حاسمة من عملية تخطيط **ALPHA**.

وبدافع من التوقع بأن مساعد وزير الخارجية بيرود، باعتباره رجلاً عسكرياً شاباً، سوف ينسجم بشكل أفضل مع ناصر مقارنة بالدبلوماسي المخضرم جيفرسون كافري، نصح كيم البيت الأبيض بتعيينه سفيراً جديداً في مصر، وهو ما تم بالفعل في ديسمبر. ولكن كما حذر فوستر دالاس أيزنهاور، فمن المؤكد أنه ستكون هناك مقاومة في الكونجرس لتعيين بيرود بسبب سمعة بيرود في الود مع اليهود العروبيين والمناهضين للصهيونية، فضلاً عن الانتقام الشخصي ضده من قبل أحد أعضاء مجلس الشيوخ من ولاية إنديانا مسقط رأسه. وبعد فترة وجيزة، بدأ إدوارد إلسون ودوروثي تومسون العمل، فكتبا إلى السيناتور المعني، ويليام أ. جينر، واجتمعا به. وفي أواخر يناير 1955، وبعد تأكيد مجلس الشيوخ مهمته في مصر، كتب بيرود ممتنًا إلى تومسون: "آمل أن تستمر... في عملك الجيد مع الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط... وإن شاء الله، أن نلتقي في القاهرة".(13)

(إن شاء الله مكتوبة كما تكتب باللاتينية دون ترجمتها كمصطلح إسلامي *inshallah*)

ولأن هذه كانت معركة من أجل الرأي العام الأميركي، فقد كانت وسائل الإعلام المطبوعة هدفًا أساسيًا لنشطاء كل من **AFME** و **ACJ**. وبالإضافة إلى إصدار النشرة الإخبارية والكتيبات الخاصة بهم، عملوا بجد للعثور على ناشرين للكتب التي من شأنها أن تروج للقضية العروبية مناهضة الصهيونية بين جمهور أمريكي أوسع. وكان أحد هذه

الكتب كتاب "الهدنة العنيفة"، وهو كتاب فضح للانتهاكات الإسرائيلية لخطوط الهدنة التي أقرتها الأمم المتحدة عام 1949، كتبه القائد البحري إلمو هتشيسون، الرئيس السابق للجنة الهدنة المشتركة بين إسرائيل والأردن والساخط الآن. وفي نيويورك، روج إلمر بيرجر كتاب هتشيسون مع ديفين-أدير، ناشر كتابه الخاص "التاريخ الحزبي لليهودية"؛ وفي لبنان، كتب بيل إيدي نيابة عن "هتشيسون" وقدم التماساً إلى زميله في شركة أرامكو جيمس تيري ديوس للحصول على منحة لدعم الطبعة الأولى؛ وفي واشنطن، أعلن جارلاند هوبكنز ظهور الكتاب في التقرير السنوي الخامس لAFME. وقد نُشر كتاب "الهدنة العنيفة" في نهاية المطاف في عام 1956، وإن كان ذلك وسط استجابة عامة خافتة.(14)

وكان أبرز ما نشرته شبكة "AFME" في تلك الفترة، على الأقل من وجهة نظر مشروع ألفا، بفضل دار النشر Public Affairs Press في مارس 1955، عندما ساهمت دوروثي تومسون بكتابة مقدمة للطبعة الأولى باللغة الإنجليزية من كتاب جمال ناصر "تحرير مصر". وقد اكتسب هذا العمل، الذي كان عبارة عن بيان موجز ذاتي عن نمط القومية الثورية الذي تبناه عبد الناصر، سمعة تالية في بعض الدوائر الغربية باعتباره نموذجاً لخطاب الديماغوجية في العالم الثالث. ولكن بالنسبة لتومسون، فإن ناصر الذي كشف عنه كتاب "تحرير مصر" كان يفتقر تماماً إلى "الأنانية الشخصية وحب السلطة"؛ وكانت أبرز سماته "البحث المؤلم والمتواضع عن الذات وتحليل الذات... وحتى الآن يظل هذا الرجل نقياً"، كما خلصت إلى ذلك بأسلوب شعري. "نقي، مخلص، وشجاع."(15)

لقد كانت سمعة ناصر في الولايات المتحدة محل اهتمام كبير من جانب دائرة AFME، وبالتالي أصبحت موضع خلاف بين المجموعة وبين

صحيفة نيويورك تايمز. فقد زعمت المنظمة منذ فترة طويلة أن الصحيفة فشلت في تغطية أنشطتها بشكل كافٍ، مما يعني ضمناً أن هذا يرجع إلى توترها إزاء مشاعر قراءها المؤيدين لإسرائيل. وقد أضيفت إلى هذه الشكوى شكوى أخرى الآن: وهي أن التصريحات التحريرية المناهضة لناصر بشكل ثابت من قبل الصحيفة تتعارض مع التقارير الأكثر توازناً التي يقدمها مراسل الصحيفة في القاهرة، كينيت لوف. وفي مذكراته، وصف إلمر بيرجر بمتعة الحرج الواضح الذي شعر به رئيس تحرير صحيفة نيويورك تايمز المتغطرس تيرنر كاتليدج عندما واجهته دوروثي تومبسون التي لا تعرف الرحمة بهذا التناقض. ولكن للأسف لم يكن هناك تحسن ملحوظ في معالجة صحيفة التايمز لموضوع ناصر في افتتاحياتها.(16)

ومن أجل تقديم صورة أكثر إطراء لرئيس الوزراء المصري، كان على تومسون وبيرجر أن يلجآ بدلاً من ذلك إلى مجلة تايم. وكان هنري لوس و سي دي جاكسون قد أعلنا بالفعل عن دعمهما لأجندة AFME، حيث أعلن الأخير ذلك في محادثة مع كيم روزفلت، بينما أعلن الأول ذلك من خلال شرف منصة المؤتمر السنوي الأول للمنظمة في عام 1953. ولعل هذا يعكس ارتباط الرجلين الوثيق بإدارة أيزنهاور؛ ويتساءل المرء أيضاً عما إذا كان لوس، وهو المولود في الصين لأب من المبشرين المشيخيين، لم يتعرف على بعض أرواح متقاربة له في المستعربين في AFME. لقد كانت نظرة مجلة تايم إلى ناصر إيجابية بقدر ما كانت نظرة صحيفة نيويورك تايمز سلبية، حيث منحت المجلة الزعيم المصري شرفًا كبيرًا بأن يكون موضوعًا رئيسيًا في عدد سبتمبر 1955. وقد قدم عدد سبتمبر "مصر: الثوري" تناقضًا صارخًا مع الصورة التي قدمها المستشرقون لـ"الساحر العجوز" الإيراني مصدق والتي ظهرت في صفحات مجلة تايم قبل بضع سنوات. فقد تم تصوير ناصر، "الجندي المخلص الذي يبلغ من العمر 37 عامًا

فقط"، على أنه نوع من الرجل الغربي المثالي لكن في شكل عربي: هادئ، متحكم في نفسه، قوي، "يتمتع برشاقة لاعب الوسط الضخم الوسيم كأحد لاعبي الظهير الخلفي الأبطال في كرة القدم الأمريكية". وقد نجحت صورة الغلاف المصاحبة، والتي صورت رئيس الوزراء المصري مرتديًا زي الضابط الأنيق على خلفية من اللوحات الجدارية على شكل هرم، في ربطه في الوقت نفسه بالماضي العريق المجيد لمصر ووعدها الحالي بالحداثة والديمقراطية. وبعد أن أعلنت دعمها القاطع لناصر، بعد شهرين فقط -في نوفمبر 1955- رسخت مجلة تايم خطها التحريري المعادي للصهيونية بإعادة نشر افتتاحية من النشرة الإخبارية اليهودية المعادية للصهيونية، وهي صحيفة عززتها أيضًا المجلس الأمريكي لليهودية و الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط. وزعمت هذه المقالة أن المواقف الحالية تجاه إسرائيل بين اليهود الأميركيين تتسم بـ "نوع من الهستيريا" التي "صنعها زعماء صهاينة" كجزء من "حملة دعائية لصالح حكومة أجنبية".(17)

وكما هي العادة، كان إلمر بيرجر هو الذي قدم المساهمة الأكثر إبداعًا في الحملة الحكومية-الخاصة وراء خطة السلام ألفا. فقد كان الحاخام المعادي للصهيونية يرغب منذ فترة طويلة في السفر إلى الدول العربية ولكنه لم يتمكن قط من الحصول على التأشيرات اللازمة. وفي ربيع عام 1955، وبعد اتصالات مع مسؤولين في وزارة الخارجية، وقيل أن كيم روزفلت تمكن من تجاوز البيروقراطية بدعمه، وفي مايو، انطلق هو وزوجته روث في جولة لمدة شهرين برعاية AFME إلى مصر والعراق ولبنان وسوريا والأردن وإسرائيل. وكما كان متوقعاً، واجه آل بيرجر نصيبهم من المشاكل، بما في ذلك تشكك بعض العرب في صدق معاداتهم للصهيونية، وكما كتبت روث، "كل الإزعاجات المحتملة والسلوك السيئ" في إسرائيل. ومع ذلك، وبمساعدة الممثلين المحليين

لمنظمة AFME وأنصارها المحليين مثل ماثر إليوت وبيل إيدي، تمكنوا من كسب بعض الجماهير العربية وحتى إقامة صداقات مع أفراد عرب التقوا بهم، بما في ذلك شخصيات بارزة في الحكومة المصرية (وإن لم يكن ناصر نفسه). ولقد كان من الواضح أن المسؤولين الحكوميين الأميركيين الذين كانوا يراقبون أداء آل بيرجر قد اعتبروا أنهم نجحوا في عملهم على نحو مدهش في إعلام العرب بوجود اليهودية الأميركية غير الصهيونية وسياسة الحياد الودية التي انتهجتها إدارة أيزنهاور. ولم تنته جهودهم عند عودتهم إلى ديارهم. فقد جمع إلمر، الذي أصبح أكثر اقتناعاً من أي وقت مضى بأن الدعم الأميركي لإسرائيل يعمل في واقع الأمر ضد مصالح اليهود الأميركيين والإسرائيليين أنفسهم، نسخاً من الرسائل التي كتبها لزملائه في المجلس الأميركي لليهود أثناء الجولة ونشرها للجمهور المحلي باعتبارها نوعاً من مذكرات السفر المثيرة للجدل، تحت عنوان من عناوين ك"لاينبئك مثل خبير!". (18)

ورغم أن أنشطة ACJ و AFME في عام 1955 تشير بقوة إلى حملة منسقة وموجهة، إلا أنه لا يوجد دليل فعلي على أن وكالة المخابرات المركزية أصدرت أوامر صريحة للمنظمتين بالتعبئة لدعم إتفاق السلام ألفا - ولا يوجد دليل قاطع على ذلك. ولكن من منظور أكثر أهمية، فإن هذا لا يهم، لأن العلاقة بين حكومة الولايات المتحدة وهؤلاء اليهود المناهضين للصهيونية والبروتستانت العروبيين لم تكن (على الأقل في هذه المرحلة) علاقة سيطرة بسيطة في إتجاه واحد من أعلى إلى أسفل. وكان من الدلالة أن إلمر بيرجر، بعد عودته من جولته في إسرائيل وجيرانها العرب، استخدم جلسات استجوابه مع آلن دالاس وضباط قسم الشرق الأدنى بوزارة الخارجية ليس لكي يسأل عما يمكنه أن يفعله بعد ذلك من أجل الحكومة، بل "لتوضيح وفضح ... الآثار

الضارة على المصالح الأميركية ... من الجهاز الصهيوني" ولحث المسؤولين للإظهار للعالم العربي أن السياسة الخارجية الأميركية "ليست خاضعة للضغوط الصهيونية بشكل حتمي".
ومثلها كمثل غيرها من جماعات المواطنين الأخرى التي تربطها صلات قوية بوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في الفترة المبكرة من الحرب الباردة (على سبيل المثال، "الأصدقاء الأميركيون لفيتنام"، وهي منظمة أنشئت في عام 1955 لتحفيز الدعم الأميركي للنظام المناهض للشيوعية في جنوب فيتنام) كانت شبكة AFME-ACJ بمثابة واجهة حكومية وجماعة ضغط لها أجندة خاصة بها في نفس الوقت. ولم يكن بيرجر وأصدقاؤه يرون في كيم روزفلت رئيساً لهم؛ بل كان شريكاً لهم يعملون كلهم في قضية مشتركة.(19)

ولم تكن جهود العروبيين والمناهضين للصهيونية من الأمريكيين لدعم سياسة إدارة أيزنهاور في الشرق الأوسط في الداخل لتمر دون مقاومة. فبعد إلقائه خطابه أمام المجلس الأمريكي لليهودية ACJ - وهي المنظمة التي يُقال إنها تُعرف في إسرائيل بأنها "خائنة داخل الأسرة" - أخبر رئيس المؤتمر اليهودي العالمي، ناحوم جولدمان، ملقي الخطاب هنري بيرود أنه لن يشغل وظيفة جيدة مرة أخرى. ومع استبدال بيرود بلوي هندرسون باعتباره الآن الشخصية المكروهة من قبل الصهاينة أكثر من غيرها في خدمة وزارة الخارجية، انتشر مصطلح جديد، وهو "البيروديزم" Byroadism، والذي يعني مزيجاً ساماً من معاداة السامية وحب العرب. ولم يكن حال المواطنين العاديين في دائرة AFME أفضل حالاً. كانت دوروثي تومسون -هي وزوجها النمساوي- هدفًا متكررًا للتنديد الصهيوني، وربما لم يكن ذلك مفاجئًا نظرًا لشهرتها، حساسيتها للنقد الشخصي وعادتها في الإدلاء بتصريحات تغازل معاداة السامية. تعرض القس إدوارد إلسون أيضًا

للهجوم، وخاصة بعد رسالة كتبها إلى ناقد صهيوني، حيث أجرى مقارنة تحريضية بين "الصهيونية السياسية" وبين الرابطة الألمانية الأمريكية النازية باعتبارهما حركتين "غير مناسبتين للحياة الأمريكية"، سقطت في أيدي الصحف الصهيونية والكاتب درو بيرسون. وعندما أعقب هذه الحادثة بعد فترة وجيزة تحرك آخر غير مدروس من جانب إلسون ـ دعوة إدوين رايت، الخبير العربي في وزارة الخارجية، لإلقاء كلمة في الكنيسة المشيخية الوطنية ـ أصبح مدى تأثير القس على البيت الأبيض في عهد أيزنهاور "أحد الأسئلة التي لم تتم الإجابة عليها في واشنطن"، أو على الأقل حرص دعاة الدعاية الصهيونية على التأكد من ذلك.(20)

ومن الواضح أن بعض هذا الهجوم المضاد من الصهاينة ضد شبكة AFME-ACJ كان يتم تنسيقه من إسرائيل. وبمجرد انتخاب أيزنهاور في نوفمبر 1952، أقر ديفيد بن جوريون أول رئيس وزراء إسرائيلي، بالحاجة إلى تكثيف العمل الدعائي أو عمل الهاسبارا في الولايات المتحدة. وكتب بن جوريون في رسالة خاصة: "حتى الآن لم يكن هناك سوى قناة واحدة إلى البيت الأبيض ـ القناة الإسرائيلية؛ ومن الآن فصاعداً، سيكون هناك قناة عربية أيضاً". "إن أيزنهاور يعشق شقيقه الصغير ميلتون الذي كان قريبًا من مجموعة دوروثي تومسون المؤيدة للعرب. ولابد من بذل الجهود للتأثير على ميلتون في اتجاهنا." ولقد بدا أن مثل هذه الأنشطة قد تكثفت في أواخر عام 1954، في نفس الوقت الذي بدأ فيه المسؤولون الأميركيون في صياغة خطة ألفا للسلام العربي-الإسرائيلي، حيث أكد مسؤولو البروباجاندا الهاسبارا في السفارتين الإسرائيليتين في واشنطن ونيويورك على رغبتهما المزدوجة في "محاولة الوصول إلى الجمهور بشكل مباشر، عبر أوسع جبهة ممكنة"، و"التأثير على صانعي الرأي العام في مجالات محددة

مهمة". وشهد العام نفسه بدايات عملية إعادة التنظيم بين الجماعات الصهيونية في الولايات المتحدة والتي شملت تأسيس آي إل "سي" كينين للجنة الصهيونية الأميركية للشؤون العامة، والتي أعيدت تسميتها فيما بعد بلجنة الشؤون العامة الأميركية-الإسرائيلية (إيباك) AIPAC. وبعد بضع سنوات، انتقد كينين في تقريرعن الشرق الأدنى، "رسالة واشنطن حول السياسة الأميركية في الشرق الأدنى"، انتقد بشكل روتيني AFME وشركائها العروبيين والمناهضين للصهيونية في عمود خاص بعنوان "ضغوط البروباجاندا".
ولقد كانت خطوط المعركة الإيديولوجية واضحة للغاية إلى الحد الذي يجعل من المغري أن ننظر إلى المواجهة بين شبكة AFME-ACJ والمنظمات الصهيونية مثل AIPAC باعتبارها جزءاً من حرب سرية بين الحكومتين الإسرائيلية والأميركية للسيطرة على الرأي العام الأميركي بشأن الشرق الأوسط.(21)

كان رد الفعل العدائي من جانب الصهاينة الأميركيين على الحملة المحلية التي شنتها شبكة AFME-ACJ لدعم خطة السلام ALPHA متوقعاً. ولكن الأكثر إثارة للقلق هو الدليل على عزم جديد من جانب الإسرائيليين أنفسهم على مقاومة خطة السلام الأنجلو-أميركية. ولقد ألقى ما يسمى بقضية لافون في صيف عام 1954 بظلاله على المبادرة بالفعل، وهي مؤامرة إسرائيلية لتحريض عملاء يهود من مواليد مصر على مهاجمة أهداف غربية في مصر بهدف تدمير التسوية الأنجلو-مصرية وأي جهود بريطانية-أميركية لاحقة لفرض السلام العربي-الإسرائيلي. ولقد ألقي القبض على المتآمرين، واستمرت المحاكمات المصرية الناتجة عن ذلك حتى يناير 1955، الأمر الذي أحرج حكومة خليفة بن جوريون في منصب رئيس الوزراء، الصهيوني المعتدل نسبياً موشيه شاريت.

ومع ذلك، ظل الإسرائيليون قلقين بشأن مخاطر التسوية التي تفاوض عليها الأميركيون والبريطانيون، وخاصة الاحتمال المروع المتمثل في الاضطرار إلى التخلي عن أراضٍ في النقب حتى تتمكن مصر من الحصول على حدود برية مشتركة مع جارتها العربية الأردن. وكانت هذه هي الخلفية التي أدت إلى عودة ديفيد بن جوريون إلى السلطة في فبراير 1955 والغارة على غزة في 28 فبراير، عندما هاجمت القوات الإسرائيلية بقيادة أرييل شارون قطاع غزة الخاضع للسيطرة المصرية، فدمرت مقره العسكري وقتلت نحو أربعين جندياً. ورغم أن هذه العملية نُفذت ظاهرياً انتقاماً للغارات التي شنها الفدائيون المصريون على إسرائيل في وقت سابق، فإن بعض المراقبين اعتبروا هذه الغارة على غزة كانت خطة مدروسة لإثارة غضب ناصر وخنق خطة السلام الأنجلو-أميركية في مهدها.

ولم تكن إسرائيل هى الطرف الوحيد في التسوية المقترحة الذي تصرف بشكل قد يثير المشاكل. قبل أيام قليلة من غارة غزة، في الخامس والعشرين من فبراير 1955، وقع العراق الملكي الهاشمي معاهدة أمنية مع تركيا (العضو في حلف الناتو الآن)، أطلق عليها اسم "حلف بغداد". وفضلاً عن كونها محاولة واضحة من جانب رئيس الوزراء العراقي المخضرم نوري السعيد للزعامة الإقليمية، كانت المعاهدة بمثابة خطوة مبطنة من جانب البريطانيين لاستعادة مكانتهم في الشرق الأوسط من خلال وكلائهم الهاشميين في بغداد وعمّان. قاوم جون فوستر دالاس الضغوط البريطانية للانضمام إلى عصبة الأمن الجديدة هذه، ولكنه لم يفعل الكثير بخلاف ذلك للإشارة إلى عدم الموافقة الأميركية عليها، لأن هذه المعاهدة كانت تتناسب في الأساس مع رؤيته هو الاستراتيجية المتطورة لـ"الحد الشمالي"، وهي سلسلة من الدول المتحالفة مع الغرب والتي تطوق الحدود الجنوبية للقلب الشيوعي في أوراسيا. (من أفغانستان وإيران شرقاً إلى تركيا غرباً)

وعلى النقيض من ذلك الموقف الأمريكي، شعر ناصر بالفزع من مشهد الهاشميين-البريطانيين الخونة وهم يتعاونون مع العدو العثماني، العدو القديم للعرب؛ وتحول ناصر إلى سوريا والمملكة العربية السعودية في محاولة لإنشاء كتلة قوى موازنة لتلك، وبالتالي انضم إلى صراع داخلي عربي-عربي من أجل الهيمنة في العالم العربي، والذي أشار إليه المؤرخون لاحقًا باسم "الحرب الباردة العربية".(22)

(من المترجم:- سرعان ما ستتغير تحالفات هذه الحرب العربية-العربية الباردة بهلاك الهاشميين في 1958، ثم هلاك الوطني العراقي المتهم بالشيوعية والإلحاد قاسم -كما حرض عليه ناصر وجهازه البروباجاندي "صوت العرب" بجنون- في حوادث عام 1963، وتصبح بغداد بعدها هى الحليف العربي الرئيسي لناصر أثناء حكم الأخوين عارف، ضد كل من السعوديين -الذين انتقلوا لخانة العداء- وهاشميي الأردن،
وفي الأثناء دمّر ناصر كل من العراق واليمن تحديدا وأدخلهما في دوامات سياسية لا تنتهي إلى اليوم! -وهما أهم قوتين بشريتين على حدود المملكة السعودية مباشرة- كما هو أول من أدخل الأمريكان سياسياً بقوة إلي العاصمتين بغداد وصنعاء بحربه العربية-العربية الباردة على النفوذ في عقد الستينات!)

من الواضح أن كل هذا لم يكن خبراً ساراً بالنسبة لخطة ALPHA لعام 1955، حيث كانت الخطة مبنية على فكرة حصول ناصر على دعم عربي سياسي موحد لأجل تسوية سياسية مع إسرائيل كانت لتكون في الغالب تسوية غير شعبية في العالم العربي. ويبدو أن هذا الاعتبار لم يزعج البريطانيين، الذين لم يهتموا كثيرًا بالزعيم المصري المتغطرس. والواقع أن عصابة من أعضاء البرلمان المحافظين من الصفوف

الخلفية -ليسوا في الحكومة ولا في المعارضة- المعروفة باسم "مجموعة السويس" كانت تدعو بالفعل أنتوني إيدن، الذي خلف ونستون تشرشل كرئيس للوزراء في أبريل 1955، إلى "سحق الووج/ الزنجي الأسود" the Wog، كما وصفته اللغة العنصرية في ذلك الوقت في بريطانيا.
وكان إيدن، الذي غطى عليه تشرشل بظله لفترة طويلة، شديد الحساسية للاتهامات بأنه "يُخرب" الإمبراطورية، وكان حريصًا على تأكيد رجولته السياسية في الشرق الأوسط. وكان الزعيم البريطاني الجديد قد بدأ بالفعل مسار تصادم مع ناصر.

ولكن ربما كان الأمر الأكثر إثارة للقلق بالنسبة لمخططي عملية ألفا هو الإشارات الواضحة التي تشير إلى أن ناصر نفسه، البطل العربي الذي علقوا عليه آمالهم في السلام، لم يكن يتصرف وفقاً لنصه المكتوب. فقد كانت غارة غزة وحلف بغداد استفزازات صارخة، وكان من المفهوم أن يكون المصري في مزاج متوتر في أوائل عام 1955. ولكن هناك شيء آخر في سلوكه في ذلك الربيع كان أكثر إزعاجاً: وهو تصميم جديد على صياغة مسار مستقل خاص به.

الفصل الرابع عشر :
دبلوماسية مُشفَّرة

"إنه جيد جدًا في لعبة الشطرنج"، هكذا قال عبد الحكيم عامر، صديق ناصر ورئيس أركان الجيش، لمراسل مجلة تايم في عام 1955. "إذا حاول الفوز، فإنه يفعل. إنه ثعلب. ليس من السهل أبدًا معرفة نواياه".

ومع ترسيخ ناصر لقبضته على السلطة، تم استبدال صور الخطوبة والزواج التي كانت تميز العلاقات الأمريكية-المصرية سابقًا، وخاصة العلاقة بين الضباط الأحرار والمستعربين في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، باستعارات الألعاب. ربما لم يكن هذا مفاجئًا، نظرًا لمدى امتداد السرد الإمبراطوري البريطاني للعبة الكبرى إلى اللقاء الأمريكي مع الشرق الأوسط خلال السنوات الأولى من الحرب الباردة. ومع ذلك، كانت قواعد اللعبة تتغير. ففي حين كان الجواسيس البريطانيون والروس في السابق، وفقًا لمنطق اللعبة الكبرى على الأقل، يواجهون بعضهم البعض عبر رقعة لعبة آسيا الوسطى المكونة من قطع شطرنج

سلبية، فقد أصبحت اللعبة الآن أكثر تعقيدًا وصعوبة، حيث بدأ اللاعبون المحليون في القيام بحركات خاصة بهم.
بطبيعة الحال، كانت الشعوب المستعمرة في آسيا تغذي منذ فترة طويلة تطلعات قومية لها، وقد ثبت في نهاية المطاف أن هذه التطلعات أكثر خطورة على الإمبراطورية البريطانية منها على الإمبريالية الروسية، سواء في تجسيدها القيصري أو البلشفي. لكن هذا لم يكن الدرس الذي علمه كبلينج لقارئيه: ففي رواية كيم، تأتي المؤامرة التي تهدد حكم الراج البريطاني في الهند من الخارج؛ ولا يوجد أي تلميح على الإطلاق إلى المقاومة الهندية للحكم البريطاني.(1)

كانت القضية التي أنهت في نهاية المطاف فترة شهر العسل في علاقة الضباط العروبيين في وكالة الاستخبارات المركزية مع الضباط الأحرار قضية مفاجئة، بالنظر إلى مدى أهمية المساعدات العسكرية التي ستصبح لاحقًا بمثابة اللاصق الأساسي في العلاقات الأميركية-المصرية منذ التطبيع المصري-الإسرائيلي 1978. وعلى الرغم من المحاولات المتكررة، أثبتت واشنطن والقاهرة عجزهما عن الاتفاق على شروط الصفقة التي من شأنها أن تزود ناصر بالأسلحة لحماية الحكومة المصرية الجديدة من التهديدات المحتملة، سواء الداخلية أو الخارجية، وبالتالي ترك الباب مفتوحًا أمام عقد صفقات مع قوى أخرى. وكما حدث من قبل، أثناء النزاع الأنجلو-مصري حول قاعدة السويس، تم استدعاء كيم روزفلت ومساعده مايلز كوبلاند لحل المشكلة باستخدام قنوات وكالة الاستخبارات المركزية الخلفية للتوسط في اتفاق سري. ولكن في هذه الحالة، لم تنجح "الدبلوماسية المشفرة" التي أطلقتها وكالة الاستخبارات المركزية، كما أسماها مايلز. بل إنها أدت إلى تفاقم الموقف، وخلطت الرسائل التي كانت واشنطن ترسلها إلى القاهرة عبر القنوات الدبلوماسية العادية. ومن عجيب المفارقات أن التأثير النهائي

كان تعزيز موقف وسلطة ناصر ـ ولكن ليس بالطريقة التي قصدها العروبيون في السي آى ايه.(2)

كانت التوقعات الأولية لصفقة الأسلحة بين الولايات المتحدة ومصر تبدو مواتية بدرجة كافية. كان ناصر في حاجة ماسة إلى المعدات لقواته المسلحة، ليس فقط للدفاع عن مصر ضد أعدائها الخارجيين ولكن، وهو ما لا يقل أهمية، لتعزيز معنويات الضباط من أجل حماية نفسه ضد المزيد من الانقلابات العسكرية. وعلى الجانب الأميركي، كان جون فوستر دالاس قد ألمح بالفعل إلى إمكانية تقديم المساعدة العسكرية من خلال تقديم زوج من المسدسات إلى الجنرال نجيب عندما زار القاهرة في مايو 1953، كما قام مسؤولون أميركيون آخرون ذكروا الموضوع ملحمين لصفقات بمبالغ مختلفة بالدولار. وكانت المشكلة أن أي مخصصات كبيرة للأسلحة لمصر كانت من المحتم أن تواجه مقاومة في الكونجرس من أنصار إسرائيل من الأميركيين ومن الانعزاليين الاقتصاديين، في حين من المرجح أيضاً أن تثير تلك الصفقة مخاوف البريطانيين من توجيه الأسلحة التي تزودها الولايات المتحدة ضد قاعدة قناة السويس قبل إخلائها النهائي لها في عام 1956 حسب اتفاق 1954 (يقال إن ونستون تشرشل كان غاضباً للغاية من هدية فوستر دالاس إلى نجيب). ومن جانبه، اعترض ناصر بشدة على المتطلبات الواردة في التشريع الأميركي الذي يحكم المساعدات العسكرية الأجنبية، وبرنامج المساعدة المتبادلة، والتي تقتضي منه توقيع اتفاقية أمنية مع الولايات المتحدة والسماح للمستشارين العسكريين الأميركيين بدخول مصر. وبعد تجربتهم مع البريطانيين، لم يعد المصريون يريدون ضباطاً غربيين يرتدون الزي العسكري على أراضيهم مرة أخرى.

وبعد سلسلة من الاجتماعات في القاهرة وواشنطن في أواخر عام 1954، توصل كيم روزفلت إلى خطة. وكمكافأة للتوقيع على معاهدة السويس، كان من المقرر أن تتلقى الحكومة المصرية 40 مليون دولار من المساعدات الاقتصادية لتحسين البنية الأساسية، وهو جزء ضئيل من المبلغ الذي كان من المفترض في الأصل، ولكن مع الوعد الضمني بمزيد من المساعدات في المستقبل. ومن هذا المبلغ، سيكون 5 ملايين دولار من أموال وزارة الدفاع السرية المخصصة لشراء المعدات العسكرية، وبالتالي التحايل على شرط المستشارين. وبالإضافة إلى الهدية العامة البالغة 40 مليون دولار، سيتم دفع مبلغ إضافي غير منسوب بقيمة 3 ملايين دولار من الميزانية التنفيذية للرئيس أيزنهاور مباشرة إلى ناصر نفسه حتى يتمكن من شراء أشياء مثل العناصر التي تبني الروح المعنوية مثل الزي العسكري الجديد، مرة أخرى دون الحاجة إلى أي تدخل أمريكي صريح. ومع ذلك، سيتم إرسال اثنين من المفاوضين من البنتاجون بملابس مدنية إلى القاهرة للاتفاق على كيفية إنفاق ال 5 ملايين دولار من المساعدات العسكرية المخفية. وفي نوفمبر 1954، وصلت بعثة البنتاجون إلى القاهرة، والتقت بزعماء مجلس قيادة الثورة في دار الضيافة التي كان يشغلها حسن التهامي بجوار فيلا كوبلاند في المعادي سابقة الذكر. ورغم أن أجواء هذه الاجتماعات كانت ودية، بل وحتى ودية على نحو صارم وعسكري، سرعان ما اتضح أن خطة كيم فشلت في حل المشاكل الأساسية في العلاقات الأميركية-المصرية. وفي تقريره إلى كيم، قال مايلز: "لقد أوضح العقيد عبد الناصر للمرة الألف... لماذا لا يستطيع قبول المساعدات العسكرية ما لم نتمكن من إخفاء حقيقة أنها مساعدات على سبيل المنح. بينما أوضح مسؤولو البنتاجون بدورهم لماذا لا نستطيع تقديم المساعدات ما لم توافق مصر على شروط دنيا معينة، وأننا سنجد، فضلاً عن ذلك، صعوبة بالغة في إبقاء هذه الحقيقة سرية".

ولقد اتسعت الفجوة بين الجانبين أكثر فأكثر عندما ركزت المحادثة، في منعطف يذكرنا باجتماع مايو 1953 بين فوستر دالاس وناصر، على قضايا الدفاع الإقليمية، مع إصرار ممثلي البنتاجون على الحاجة إلى معاهدات أمنية جماعية لدرء المغامرات السوفييتية، وإشارة المصريين، في حيرة إلى حد ما، إلى أن المصدر الأكثر ترجيحًا للهجوم على بلادهم يأتي من عبر حدودها مع إسرائيل.(3)

ولم تكن هذه هي المصادر الوحيدة لسوء الفهم بين الولايات المتحدة ومصر. لقد اعتبر كيم المنحة المباشرة بقيمة 3 ملايين دولار لناصر لفتة سخية للغاية. وكما أوضح لمايلز، "ليس لدينا أموال لالمساعدات الخارجية في المقام الأول، وفي المقام الثاني، يتم حساب ميزانيتنا على أساس ضيق للغاية". وعلاوة على ذلك، أثبت مجرد توصيل الأموال إلى ناصر أنه بذاته يشكل تحديًا. ولقد تم إصدار هذه الأموال النقدية من قبل مكتب التمويل الإقليمي التابع لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في بيروت، ثم تم تهريبها في الحقيبة الدبلوماسية إلى القاهرة. وهناك تم نقلها إلى حقيبتين بواسطة مايلز، ونقلها على طول الطريق الوعر إلى المعادي، حيث كانت تتدافع مع بعض الأموال المخصصة للبقالة التي كانت لمطبخ الزوجة لورين، وتم عدها بحضور حسن التهامي (10 دولارات مفقودة)، وفي النهاية ينقلها التهامي بسيارته المرسيدس إلى منزل ناصر على الجانب الآخر من النيل.(4)

ولكن ناصر لم يكن مسروراً بكل هذه المتاعب، بل شعر بالإهانة من الهدية، وفسرها على أنها محاولة غربية فظة لرشوة شرقي فاسد. وعندما وصلت كلمة من هذا الرد إلى كيم في واشنطن، جاء دوره للرد بغضب. فكتب إلى مايلز: "لقد بذلنا قصارى جهدنا لفهم الموقف المصري، ولكننا نشك في أنهم يبذلون أي جهد على الإطلاق لفهم

موقفنا. لقد حصلوا منا على بعض الأشياء، ولكننا لم نحصل منهم على أي شيء". وفي غضون ذلك، قرر ناصر ما الذي سيفعله بالرشوة المزعومة. فبدلاً من إنفاق الأموال على المعدات العسكرية، أمر بإنفاقها على نصب تذكاري عام يتسم بالفخامة والذوق المشكوك فيه: برج ضخم من الخرسانة في جزيرة الجزيرة في وسط القاهرة، يرتفع عمودياً في لوم صامت لمفسديه الأميركيين. وكان يُشار إلى برج القاهرة في دائرة ناصر باسم "الواقف روزفلت" أو "مؤسسة روزفلت".
لكن المهرجين في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية اختاروا ترجمة الكلمة العربية إلى "انتصاب روزفلت" وبدأوا في تسميتها "قضيب ناصر".(5)

وكانت اللغة تشير إلى صراع إرادات ذكورية بدأ يتطور بين كيم وبين محميه **protégé** المصري المفترض. ومع ذلك، استمر العروبي في وكالة الاستخبارات المركزية في دعم ناصر في واشنطن، وبدا أن احتمالات إبرام صفقة أسلحة قد تضاءلت لفترة وجيزة مع تحول عام 1954 إلى عام 1955. وواصل مايلز اجتماعاته مع "أنجريليون" /أسد غاضب (الاسم الرمزي لتهامي في السي آى ايه) - "كما قال أنجريليون، يجب ألا نتخلى عن الأمل أبدًا" قال مايلز لكيم - واستغل رحلة إلى الوطن لتقديم وجهة نظر الضباط الأحرار بشأن هذه القضية إلى اجتماع مشترك بين وزارة الخارجية ووكالة الاستخبارات المركزية في مكتب جون فوستر دالاس.
بدا أن إطلاق خطة ألفا للسلام ووصول السفير الأمريكي المتعاطف مع العرب هنري بيرود إلى القاهرة يعد بمرحلة جديدة من التعاون الأمريكي-المصري. والأهم من ذلك، أن الضغوط على ناصر للحصول على الأسلحة زادت فجأة في فبراير 1955 مع الصدمات المزدوجة

المتمثلة في حلف بغداد وغارة غزة. والآن أصبحت المساعدات العسكرية مرغوبة ليس فقط لأسباب نفسية: إذ كان لزاماً على الحكومة المصرية أن تمتلك الوسائل اللازمة للدفاع عن مواطنيها ضد المزيد من الهجمات من إسرائيل ولمجاراة منافسيها العرب. ولقد كانت الطائرات الحربية الإسرائيلية تظهر بانتظام في سماء القاهرة وكأنها تعمل على تعزيز الشعور المصري بالعجز. وفي أثناء جلوسه في الخارج مع مايلز أثناء إحدى الطلعات الجوية الإسرائيلية الصاخبة، اشتكى ناصر قائلاً: "أنا أجلس هنا وأتلقى هذه الإهانات ـ وحكومتك لن تزودني بالسلاح".(6)

وكان التأثير الأكثر أهمية لغارة غزة وتكوين حلف بغداد هو تعزيز الشعور المتزايد بخيبة الأمل في أميركا في دائرة ناصر، من سوء حظ مستعربيي وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية. فلم يكتف الضباط الأحرار بالشك في أن الأميركيين متواطؤون مع الجهود البريطانية لبناء حلف بغداد ("الحد الشمالي" في الإستراتيجية الأمريكية)، بل بدأوا أيضاً يشكون في صدق سياسة الحياد الودية التي انتهجتها إدارة أيزنهاور، بل وتكهنوا حتى بوجود يد أميركية محتملة في الحوادث الحدودية التي استمرت في زعزعة العلاقات المصرية-الإسرائيلية. وبعيداً عن تهدئة مثل هذه المخاوف، فإن اختراق وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية للحكومة المصرية على نطاق واسع لم يخدم الآن سوى في تعزيز هذه الهواجس. وهل كان كيم روزفلت يخطط ربما لتنصيب باشا جديد أكثر طاعة في القاهرة، كما فعل في إيران عام 1953؟

وعلى الرغم من إقامة علاقات شخصية حميمة مع ناصر، إلا أن السفير الجديد هنري بيرود أعاقته هذه الشكوك بشدة، واضطر إلى قضاء قدر كبير من وقته مع الزعيم المصري لطمأنته إلى أن مسؤولي السفارة

الأميركية لا ينشرون الشائعات ضده. ومع اشتداد أجواء نظريات المؤامرة في القاهرة، لم يلق بيرود أي اهتمام عندما حاول، بناءً على تعليمات فوستر دالاس، ربط الوعد بالمساعدة العسكرية الأميركية بالتقدم في محادثات السلام العربية-الإسرائيلية. بل إن هذه الحيلة التفاوضية الفظة بالمساومة -هذا مقابل ذاك- لم تخدم إلا في تحويل المصريين ليكونوا ضد مشروع خطة ألفا للسلام.(7)

كان ناصر يسعى إلى الحصول على دعم الولايات المتحدة في سعيه إلى تخليص بلاده من الإمبرياليين البريطانيين لعدد من الأسباب، من بينها أصول أميركا المعادية للاستعمار، تاريخها غير الإمبراطوري في الشرق الأوسط، الود غير المتكلف الذي أبداه ممثلوها في القاهرة، شباب مثل ويليام لاكلاند ومايلز كوبلاند؛ بل وحتى الجاذبية المغرية لثقافتها الشعبية؛ ولكن ناصر لم يكن على استعداد للموافقة على أي تدابير يرى أنها قد تحول مصر إلى دولة تابعة للولايات المتحدة. أوضح ناصر ذات مرة لمايلز في إشارة إلى رئيس الوزراء العراقي الموالي للغرب: "قد يكون نوري باشا على استعداد لاتخاذ قراراته على أساس ما إذا كانت تتناسب مع استراتيجيتك العالمية أم لا. أما أنا فأعتزم اتخاذ قراراتي على أساس ما هو جيد لمصر فقط". وينطبق نفس الشيء على الدور الإقليمي الذي كان من المتوقع أن يلعبه ناصر الآن بعد أن عزز قاعدته المحلية. "إن مصر القوية المستقلة يمكنها أن تأخذ زمام المبادرة... نحو الوحدة العربية"، هكذا واصل حديثه إلى مايلز، ولكن فقط إذا كانت هذه الوحدة "ذات معنى"، وليس من النوع "الذي يتحدث عنه البريطانيون ووزير الخارجية دالاس فيما يتصل بالتحالفات العسكرية، وبفهم عفا عليه الزمن، مثل فهم لورنس العرب... للعقلية العربية".(8)

وقد تعزز شعور ناصر المتزايد بأهميته كشخصية وطنية وإقليمية من خلال حضوره مؤتمر دول عدم الانحياز الذي عقد في أبريل 1955 في باندونج بإندونيسيا، حيث تم الإشادة به باعتباره زعيماً مستقبلياً عظيماً لعالم ما بعد الاستعمار. وإذا كان المستعربون في وكالة المخابرات المركزية قد أزعجتهم هذه التطورات، فإن جون فوستر دالاس كان مفزوعاً: ففي نظره، فإن أي شيء بخلاف الدعم الكامل للولايات المتحدة في حملتها الصليبية ضد الإلحاد الشيوعي كان بمثابة جريمة ضد الله. ولكن باندونج كان له أهمية لسبب آخر: فقد كانت المناسبة الأولى التي التقطت فيها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية إشارات تفيد بأن ناصر كان يتحدث مع الشيوعيين (في هذه الحالة بالذات، رئيس الوزراء الصيني تشو إن-لاي) بشأن صفقة أسلحة محتملة. والواقع أن الضباط الأحرار مثل حسن التهامي كانوا قد اجتمعوا بالفعل مع المسؤولين السوفييت، في كل من القاهرة وموسكو، لعدة سنوات، حيث كان نجيب أولاً ثم ناصر يستكشفان البدائل للمساعدات العسكرية الغربية. وبحلول وقت باندونج، ومع إغلاق الطريق الأميركي على ما يبدو والاستفزازات الأخيرة في غزة وبغداد، بدأ المصريون في التفاوض بجدية. ووجدوا السوفييت في مزاج متعاون. لقد توفي ستالين في عام 1953، وكان خليفته نيكيتا خروشوف أكثر اهتماماً من ستالين ببناء الموقف السوفييتي في العالم الثالث عموماً، وفي الشرق الأوسط على وجه الخصوص.(9)

"لقد ظللنا في وكالة الاستخبارات المركزية نخبر زملاءنا في وزارة الخارجية أن ناصر كان على وشك القيام بهذه الخطوة، وذلك ببساطة لأننا كلاعبين في اللعبة كان علينا أن نعترف بأن هذه كانت على وجه التحديد الخطوة التي كان أي منا ليقوم بها لو كنا في مكانه"، كما كتب مايلز في وقت لاحق. ومع إصرار الخدمة الخارجية على أن ناصر كان

يخادع، بذل المستعربون في وكالة الاستخبارات المركزية جهداً أخيراً لإنقاذ الموقف بأنفسهم. فقد التقى كيم ووسطاء مثل قس أيزنـهاور، إدوارد إلسون، بالسفير حسين في نيويورك؛ وفي القاهرة، حاول مايلز طمأنة ضابط الاتصال الخاص به، "الأسد الغاضب" تهامي، بشأن النوايا الأميركية (وإذا صدقنا شهادة مايلز اللاحقة، فقد قام بتهريب شبل أسد إلى مصر كهدية له). وفي الصيف، بدا الأمر وكأن الصفقة الأميركية-المصرية عادت إلى الطاولة لفترة وجيزة - حتى أن علي صبري سلّم بيرود "قائمة مشتريات" للأسلحة - ولكن سرعان ما أصبح من الواضح أن ناصر كان أخذ مواقف أكثر تقدماً في صفقة الأسلحة السوفيتية. وعندما رأى السفير بيرود انهيار الموقف الأميركي في القاهرة أمام عينيه، مارس ضغوطاً محمومة على فوستر دالاس.
ورفض وزير الخارجية المثالي -الذي حضر في يوليو قمة غير مسبوقة بين الشرق والغرب في سويسرا- أن يصدق الحديث عن صفقة أسلحة سوفييتية سرية، موضحاً (مع ذكر محتقر إلى حد ما عن كيم روزفلت) أن مثل هذه الخطوة من شأنها أن تتعارض مع "روح جنيف".
وعندما أكد بيرود في الحادي والعشرين من سبتمبر 1955 أن الحكومة المصرية وافقت للتو على استلام شحنة من الأسلحة الروسية، بما في ذلك الطائرات المقاتلة والدبابات والغواصات، أصيب دالاس بالذهول. لقد قفز الشيوعيون فوق الحاجز الواقي للمنطقة الشمالية (الحد الشمالي لحلف بغداد) إلى قلب العالم العربي. وفجأة، بدت آفاق خطة ألفا للسلام هى آخر ما يشغل بال وزير الخارجية.(10)

وقد قرر دالاس الخطوة التالية في محادثة مع وكيل وزارة الخارجية، هربرت هوفر الابن، نجل الرئيس الأميركي السابق، وهو رجل مرعب وسريع الانفعال. وقد جاء في ملاحظات الوزير: "يعتقد هوفر أننا يجب أن نبذل محاولة أخيرة أخرى. ويبدو أن هناك سوء تفاهم وصعوبات

فيما يتصل برجلنا الموجود هناك" ـ وكان هوفر يشير إلى السفير بيرود ـ "ولن يشعر هوفر بالرضا عن أننا بذلنا كل ما في وسعنا ما لم يتمكن كيم من الذهاب بنفسه والتحدث مع ناصر".

ولكن هذه المهمة كانت تنطوي على مخاطر كبيرة: فبرغم أن كيم "كان ليتحرك دون أن يلتقطه أحد"، حسب تقدير هوفر، فقد يكون هناك "انفجار من جانب رجلنا هناك" ـ أو بعبارة أخرى، مواجهة بين ضابط وكالة الاستخبارات المركزية والسفير. ولكن إذا تم استدعاء بيرود إلى واشنطن، فسوف يتم تفسير ذلك على نطاق واسع باعتباره إشارة إلى أن وزارة الخارجية فقدت الثقة فيه. وعلق دالاس قائلاً: "يتعين علينا أن نزن ما يمكن أن يفعله كيم في مقابل تشويه سمعة سفيرنا". وفي النهاية، اتُخِذ القرار "بتركه هناك وإطلاق ولدنا الآخر إلى هناك"، على حد تعبير هوفر ـ بأخذ المخاطرة بإرسال روزفلت دون استدعاء بيرود. واستُدعي كيم من إجازة عائلية في نانتوكيت وأصدر له دالاس تعليمات "بالذهاب وإخبار صديقك ناصر بأن هذا سيكون تصرفاً أحمق". وزعم كيم في وقت لاحق أن كلاً منهما وآلن دالاس اعتبرا المهمة عديمة الجدوى ـ ويقال إن الأخير قال لأخيه: "إذا ذهب، فإنه سيذهب من أجلك، وليس من أجلي" ـ ولكن لا يوجد دليل معاصر على مثل هذا الخلاف.(11)

في يوم الجمعة 23 سبتمبر 1955، وصل كيم روزفلت إلى القاهرة برفقة مساعده مايلز كوبلاند. وكانت تلك هي المرة الأولى التي يعود فيها مايلز إلى مصر منذ شهر يوليو، عندما انتهت "السنة الأجازة" التي أخذها من الوكالة للعمل مع شركة بوز، ألين، وهاملتون وعاد إلى واشنطن للعمل في مقر وكالة المخابرات المركزية. وتم اصطحاب الرجلين من المطار ونقلهما على الفور إلى مقر مجلس قيادة الثورة والغرفة الخاصة لرئيس الوزراء المصري في الطابق الثاني. وكتب

مايلز في وقت لاحق: "كان ناصر في مزاج مزاح، 'لقد أخبرتكم أن هذا سيحدث'، وكان مبتهجًا للغاية ومستعدًا للاستمتاع بسماع إقناع روزفلت الشهير وهو يتصارع مع حججه التي لا تقبل الجدل".
إن المحتوى الدقيق وتسلسل المناقشات التي تلت ذلك ليسا واضحين تمامًا: تختلف روايات صديق ناصر الصحفي حسنين هيكل عن المصادر الأمريكية في زعمها أن روزفلت حاول ثني ناصر عن التعامل مع السوفييت وأن الزعيم المصري رفض طلبات رجل وكالة المخابرات المركزية. ومع ذلك، فإن السجلات الأمريكية الرسمية تدعم ادعاء مايلز كوبلاند بأن كيم، بعد أن قبل الصفقة كأمر واقع، قام بعد ذلك بلعبة ذكية لتخفيف تأثيرها (وإعطاء دفعة لخطة ALPHA) من خلال اقتراح على ناصر أن يعلن أن الأسلحة كانت مخصصة لأغراض دفاعية بحتة وأن مصر، مع تأمين حدودها، ستكون في وضع أفضل للتوصل إلى تسوية سلمية مع إسرائيل. ووفقًا لبرقية أرسلت من السفارة الأمريكية في القاهرة يوم الاثنين 26 سبتمبر، ربما بواسطة كيم ومايلز، فإن ناصر "رسم الخط الفاصل عنده قبل القيام بلفتة تصالحية صريحة مع تل أبيب ... ولكنه وافق على المضي قدماً في اقتراح إصدار بيان عام... يعلن فيه رغبته في مناقشة الخطوات الملموسة التي من شأنها أن تقلل من التوترات العربية-الإسرائيلية مع وزير الخارجية دالاس بشكل مباشر." ورغم أن رئيس الوزراء المصري أراد أن يُفهَم أنه "ليس دمية"، فإنه كان "مستعداً لاتباع نصيحتنا إلى الحد الذي تكون فيه هذه النصيحة منطقية بالنسبة له". (12)

وجاء هذا الاتفاق في سياق اجتماع دام ثلاث ساعات ونصف الساعة في شقة ناصر في مجلس قيادة الثورة، والذي بدا وكأنه ينبئ باستعادة دراماتيكية للموقف الأميركي في القاهرة ـ "عصر جديد جريء من الصداقة والتنمية الاقتصادية"، على حد تعبير مايلز.

وجاءت ذروة المساء عندما رن الهاتف بعد أن أخرج رئيس الوزراء زجاجة الويسكي التي احتفظ بها للزوار الغربيين. فقد علم السفير البريطاني السير همفري تريفليان بصفقة الأسلحة وطلب عقد اجتماع عاجل مع ناصر. وبينما كان المصري ورفاقه الأميركيون يراقبون من النافذة سيارة بنتلي الخاصة بالسفير تريفيليان وهي تخرج من مجمع السفارة البريطانية وتقوم برحلة قصيرة عبر النيل إلى مقر مجلس قيادة الثورة، كانوا يناقشون ما ينبغي أن يقوله له ناصر. ولقد اقترح كيم أن يؤكد على الحقيقة الحرفية المتمثلة في أن الأسلحة لم تكن تُشحن من الاتحاد السوفييتي بل من تشيكوسلوفاكيا، وهي نفس الدولة التي زودت إسرائيل في الماضي بالأسلحة. (ومن المشكوك فيه ما إذا كان هذا يعني أن كيم هو من اخترع مصطلح "صفقة الأسلحة التشيكية"، كما زُعِم لاحقاً: فقد اقترح السفير السوفييتي في مصر هذه الحيلة بالفعل على ناصر قبل كيم). ونزل رئيس الوزراء، الذي ربما يعود بذاكرته إلى تلك اللحظة في عام 1942 عندما أذل سلف تريفليان، السير مايلز لامبسون، الملك فاروق عمداً في قصره، لاستقبال السفير. وفي الوقت نفسه، بقي كيم ومايلز في غرفته الخاصة، يشربان الويسكي. وكان الاجتماع قصيراً، حيث أصدر تريفليان تحذيراً من وزير الخارجية هارولد ماكميلان بأن الصفقة "لا يمكن السماح لها بالاستمرار"، وصرح ناصر ببساطة أنه لم يعد هناك مجال للتراجع عنها ـ وهنا القليل من الأصداء التي تذكرنا بما حدث بين لامبسون وفاروق.

وبعد أن غادر تريفيليان مصاباً بخيبة أمل، وصل زكريا محي الدين، -رفيق قديم لمايلز- مع رئيس الأركان عبد الحكيم عامر ليصطحبا ناصر ورجلي السي آى ايه إلى مأدبة عشاء أقامها صديق كيم السفير حسين، الذي كان في القاهرة في إجازة. وكانت الأجواء آنذاك خفيفة الظل، حيث تصور المصريون كيف سيكون التعبير على وجه تريفيليان إن

كان نزل الأميركيين إلى الطابق السفلي ليطلبوا من ناصر بعض الصودا ليخلطاها بمشروباتهم. وما هي أفضل طريقة لتعزيز التقارب بين الطرفين إلا من خلال السخرية من السفير البريطاني، وفارس من فرسان المملكة؟(13)

ولكن بعد ذلك تغير مزاج المساء بشكل كبير. فقد كان في انتظارهم في مأدبة العشاء ثلاثة أميركيين آخرين - رئيس محطة وكالة الاستخبارات المركزية الدائم في القاهرة جيمس إيشلبرجر، ورجل الأعمال والممثل الرئاسي الخاص إريك أ. جونستون، والسفير هانك بيرود.

وكان السفير الأميركي في حالة سيئة. فمنذ لحظة وصوله إلى القاهرة، كانت مهمته قد تقوضت بسبب سوء التفاهم مع ناصر، والافتقار إلى الدعم من واشنطن، والشكوك حول أنشطة وكالة الاستخبارات المركزية. كما بدأت الشائعات تنتشر حول حياته الشخصية، وأنه كان يعاقر الخمر ويلاحق النساء. وفي وقت سابق من ذلك اليوم، علم بيرود أن أحد أفراد طاقم سفارته، الملحق العمالي، تعرض لضرب وحشي من قبل حشد في الإسماعيلية، ربما لأنه كان مشتبهًا في تجسسه. والآن، بعد أن لم يكن لديه أي تلميح بأن كيم روزفلت كان في مصر، تمتع السفير بمشهد ضابط وكالة الاستخبارات المركزية الكبير وهو يدخل الغرفة ممسكًا بذراع رئيس الوزراء، ويضحك على نكتة خاصة.

ووصف مايلز كوبلاند وحسنين هيكل ما حدث بعد ذلك. وبعد أن تأمل بصمت في الويسكي، انفجر بيرود. قاطع جونستون وهو يروي حكاية طويلة، ثم "بدأ في إلقاء خطاب عن "الدولة البوليسية المصرية"" انتهى بالكلمات التالية: "كنت أظن أننا في بلد متحضر". فأطفأ ناصر سيجارته، والتفت إلى رفاقه المصريين قائلاً: "لنذهب"، ثم غادر المكان.(14)

لقد كان أداء بيرود كارثياً، ولقد ندم على ذلك على الفور، وفي صباح اليوم التالي جند مايلز كوبلاند وهيكل في محاولة لاسترضاء ناصر.

وفي الوقت نفسه، كان كيم، بمساعدة جونستون، ينقل الحادثة برمتها إلى واشنطن، مشيراً إلى أن السفير ربما "كان في حاجة إلى الراحة". وكما أوضح مايلز لإيشيلبرجر، فإن خطاب بيرود هدد بإفشال العمل الجيد الذي قام به كيم في تحويل صفقة الأسلحة إلى مصلحة أميركية من خلال ربطها بقضية السلام العربي-الإسرائيلي.
وعندما علم بيرود أن كيم وجونستون كانا يستخدمان مرافق سفارته لإرسال برقية إلى وزارة الخارجية لحثها على استدعائه، كان اشتعل غضبه تماماً، وصاح في كيم عبر الهاتف: "إذا لم تحضر تلك البرقية اللعينة إلى هنا، فسوف آتي إليك مع حرس البحرية". وقد استمتع المصريون الذين لديهم بعض الوصول إلى هذه الأحداث كثيراً. ويتذكر هيكل قائلاً: "لقد بلغت المؤامرات والمنافسات بين الأميركيين في القاهرة... حداً شبه بيزنطي".(15)

والقصة كانت على وشك أن تصبح أكثر تعقيداً. فقد أصيب دوايت أيزنهاور بنوبة قلبية في الرابع والعشرين من سبتمبر، تاركاً الأخوين دالاس في السلطة الكاملة على السياسة الخارجية الأميركية بينما كان يتعافى.
وفي مدينة نيويورك بعد يومين، لحضور افتتاح الجمعية العامة للأمم المتحدة، التقى وزير الخارجية بنظيره البريطاني، وزير الخارجية ماكميلان، الذي كان غاضباً من وقاحة ناصر المتغطرس. "لقد ازدادت حدة انزعاج دالاس وهارولد ماكميلان من احتمالات إبرام صفقة أسلحة سوفييتية مع مصر مع اقترابهما من الموضوع"، هكذا سجل إيفلين شوكبيرج، المسؤول الرئيسي عن برنامج ألفا في لندن. "يمكننا أن نجعل حياة ناصر مستحيلة وأن نتسبب في سقوطه في نهاية المطاف من خلال ضغوط مختلفة"، هكذا تأمل ماكميلان، وهي المرة الأولى التي تقول فيها بريطانيا الرسمية مثل هذه الإمكانية أمام أميركي.

ولكن مع بقاء شقيقه آلن دالاس والملازم الشرق أوسطي الموثوق به كيم روزفلت داعمين خلف الزعيم المصري ("إن قناعتنا... هي أن ناصر يظل أفضل أمل لنا، إن لم يكن الوحيد، هنا"، هكذا أعلنت برقية وكالة المخابرات المركزية من القاهرة بتاريخ 26 سبتمبر) لم يكن فوستر مستعدًا بعد للتعامل مع مثل هذه المحادثة بجدية. ولكنه اقتنع بضرورة توجيه نوع من التوبيخ، وخاصة بعد الإعلان العلني عن صفقة الأسلحة في السابع والعشرين من سبتمبر دون الإشارة إلى الفقرة الخاصة بالسلام مع الإسرائيليين، الأمر الذي أكد فشل مهمة روزفلت/كوبلاند وأثار موجة من الإثارة القومية في مختلف أنحاء العالم العربي. وتم تكليف جورج ألين، خليفة بيرود في منصب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى، بمهمة كتابة رسالة صارمة إلى ناصر. ولكن الآن واجه وزير الخارجية مشكلة أخرى: كيف يسلم الرسالة نظرًا لأن سفيره في مصر كان، وفقًا لروزفلت وجونستون، شخصًا غير مرغوب فيه لدى الزعيم المصري؟ وقد تم تحديد الحل في محادثة مع هربرت هوفر: سيرسل دالاس جورج ألين إلى القاهرة حتى يتمكن من تسليم الرسالة شخصيًا. وتم وضع مساعد الوزير على متن طائرة شحن حربية تابعة للبنتاغون ووصل إلى مصر صباح يوم الجمعة 30 سبتمبر.(16)

الآن انحدر التعامل الأمريكي مع صفقة الأسلحة السوفيتية-المصرية إلى مهزلة كاملة. فقد ذكرت وكالة أسوشيتد برس أن مسؤولًا أمريكيًا رفيع المستوى كان في طريقه لتسليم إنذار نهائي إلى ناصر. غاضبًا من احتمال معاملته مثل أحد الحكام الدمى أثناء الاستعمار، أخبر ناصر كيم أنه إن ثبت صدق ما نشرته الأخبار، فإنه "سيقرع الجرس على مكتبه، وسيطلب من كبير أمناء الرئاسة إخراج الأميركي". وبعد أن اتصل كيم بواشنطن وأوضح أن "الأمر الأكثر أهمية هو عدم وضع ناصر في موقف خزي عام"، سارع أيضا إلى تحذير ألين نفسه من

الاشتباك مع الزعيم المصري. وبينما كان مسؤول وزارة الخارجية يستعد للخروج من طائرته، اندفع هنري بيرود عبر حشد من الصحفيين المنتظرين وقفز على درجات الطائرة. وحذر ألين قائلاً: "إذا قلت أي شيء عن الإنذار النهائي، فارحل بمؤخرتك من هنا الآن". ثم بينما كان الأميركيان يستعدان للنزول معًا، ظهر رسول مصري (حسن تهامي، وفقًا لمايلز كوبلاند) ومعه ملاحظة تنص على: "انصحك بالحذر الشديد في كل ما تقوله. كيم". وبحلول ذلك الوقت، كان ألين قد استوعب الرسالة على الأرجح.(17)

وبعد أن واجه حشود المراسلين والمحتجين الذين كانوا يرددون شعارات معادية لأميركا، وصل ألين إلى السفارة الأميركية، حيث ناقش في اجتماع عُقد على عجل خطوته التالية مع كيم ومايلز وجونستون وبيروود. وعلى افتراض أنه تمكن من مقابلة ناصر - وهو أمر غير مؤكد على الإطلاق، حيث كان الزعيم المصري يرفض في ذلك الوقت تحديد موعد له - فماذا كان ليفعل برسالة دالاس، التي قد تتسبب إذا ما اطلع عليها ناصر في قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة؟ ربما كان بوسعه ببساطة أن يمزقها، كما اقترح جونستون.

كلا، قال ألين، كان قد تلقّى الأوامر. وفي نهاية المطاف، وبعد مناقشة يتذكرها مايلز كوبلاند بأنها كانت "هديراً مرتبكاً"، تقرر أنه بدلاً من تسليمها، سيقرأ ألين الرسالة بصوت عالٍ لناصر، وربما يتمتم الكلام أثناء أكثر المقاطع إثارة للاعتراض. كيم، الذي كان الآن يشعر بالاشمئزاز الشديد من الأمر برمته، غادر للعب التنس.(18)

ولكن ناصر تراجع في اليوم التالي ووافق على مقابلة ألين وبيرووود، وكان هذا هو أول لقاء بالأخير منذ حفل العشاء المشؤوم (ولاحقاً ادعى كيم الفضل في هندسة الاجتماع). وابتسم رئيس الوزراء للسفير مبدياً تسامحه، وتلا ألين الرسالة، مخفياً حقيقة أنها كانت رسالة شخصية

من الوزير دالاس، واستغل ناصر الفرصة لسرد التاريخ المؤسف لجهود مصر للحصول على الأسلحة الأميركية، وخلص إلى أنه "صراحة كان لديه قناعة بأن حكومة الولايات المتحدة تحاول إبقاء مصر ضعيفة، وأن هذا كان نتيجة للنفوذ اليهودي في الولايات المتحدة". وفي المجمل كان الاجتماع ودياً بشكل مدهش ـ كان تقرير ألين إلى واشنطن متعاطفاً بشكل ملحوظ مع الزعيم المصري، مما يشير إلى أن زائراً أميركياً آخر كان قد وقع تحت تأثيره ـ وغادر المبعوث الخاص القاهرة بعد بضعة أيام بعد أن نجح على الأقل في تجنب الانهيار الكامل في العلاقات الأميركية-المصرية. ولكن من وجهة النظر الأميركية، لم يكن هناك الكثير مما يمكن إظهاره للعلن عن "عطلة نهاية الأسبوع الضائعة التي قضاها ألين"، كما اعتاد مايلز كوبلاند أن يسميها.(19)

ومع لجوء جون فوستر دالاس بشكل روتيني إلى القنوات السرية التي يوفرها شقيقه آلن، أصبحت الدبلوماسية المشفرة هي الأسلوب المفضل لإدارة أيزنهاور للتعامل مع زعماء الشرق الأوسط، وكيم روزفلت هو الدبلوماسي المشفر الرئيسي. وأوضح مايلز كوبلاند في وقت لاحق: "عندما كان على شخص ما أن يستقل طائرة ويذهب إلى إيران أو مصر أو الأردن أو المملكة العربية السعودية للتحدث إلى الشاه أو ناصر أو الملك حسين أو الملك سعود، كان الأخوان دالاس يفكران إما في كيم أو فيّ، أحيانًا معًا، وأحيانًا بمفردهما، وأحيانًا بصحبة بعض الشخصيات الVIP المحترفة. وطوال فترة وزير الخارجية دالاس، كان السفير الأمريكي يعيش في خوف من أن يواجه ذات صباح، بين مقر إقامته ومقر المستشارية، ... دبلوماسي مشفر VIP يركب في الاتجاه المعاكس، في سيارة كاديلاك خاصة، في طريقه إلى القصر."(20)

والدبلوماسية المشفرة كانت لها مزاياها لا شك، ليس أقلها أنها أتاحت لقادة الشرق الأوسط الفرصة لإجراء محادثات خاصة لم يكن بوسعهم إجراؤها علناً، مما أدى إلى اختراقات تفاوضية مثل اتفاقية قاعدة السويس بين إنجلترا ومصر في عام 1954. ولكنها انطوت أيضاً على عدد من المخاطر:

التشابك غير البناء مع محترفي الخدمة الخارجية، الذين استاءوا بشكل مفهوم من استخدام وزير الخارجية دالاس المستمر للقنوات غير الدبلوماسية؛ وتشتيت انتباه محترفي الاستخبارات عن مهمتهم الأساسية، وهي جمع وتقييم الاستخبارات الأجنبية؛ وزرع الارتباك والشك في أذهان رؤساء الدول الأجنبية. وعندما لجأ دالاس إلى الدبلوماسية المشفرة لحل مشكلة الأسلحة إلى مصر، لم يقوض فعالية السفير هنري بيرود فحسب، بل أحرج في نهاية المطاف كيم روزفلت نفسه.

إذا كان من الواضح أن الدبلوماسية المشفرة الأميركية أفادت أي شخص في عام 1955، فهو جمال ناصر. لقد كان المصري "مسروراً بالأمر برمته"، كما يتذكر مايلز: "بصفقة الأسلحة نفسها، وبردود فعل شعبه عليها، وبالحديث عن "إنذار نهائي" من جانبنا، وبأدائه في الاستجابة للإنذار، وبردود فعل شعبه على استجابته، وبحقيقة أنه في النهاية لم يكن هناك إنذار نهائي. لم يقم فقط بتقديم مسرحية رفعت من مكانته في العالم العربي ... بل تمكن من إضفاء طابع درامي عليها بأكثر الطرق فائدة ممكنة ـ وبمساعدتنا".(21)

لقد وجدت اللعبة الكبرى في الشرق الأوسط لاعبها الأكثر مهارة ـ ولم يكن بريطانياً أو روسياً أو حتى أميركياً ـ بل كان عربياً.

الفصل الخامس عشر:
صانعو السلام

في مملكة الخضراء العربية الصحراوية، كان رئيس الوزراء، العميد مصطفى بن مبروك، يخوض مفاوضات سرية مع الاتحاد السوفييتي. وعندما علم بذلك، غضب كالفين هامبشاير، وزير الخارجية الأميركي، لأن مبروك يعرّض رؤيته الاستراتيجية الكبرى المتمثلة في إقامة حلقة دفاعية تحيط بالكتلة الشيوعية للخطر. وتجاهل هامبشاير سفيره في الخضراء ـ الخبير العربي المخضرم في الخدمة الخارجية شون فيتزجيبون ـ فأرسل في طلب زميله في جامعة هارفارد بول بولموتور، وهو خبير غامض ولكنه يتمتع بنفوذ كبير في حل مشاكل الحرب الباردة. وبمساعدة مساعده، كورنيليوس ماكفليكر، وهو خبير متعدد اللغات ولد في الجنوب، شرع بولموتور في تنظيم انتفاضة قبلية بدوية للإطاحة بمبروك.

هذه هي حبكة رواية مسلية للغاية صدرت عام 1964 بعنوان مملكة الوهم، للصحفي الأميركي إدوارد ر. ف. شيهان. استناداً إلى تجارب

شيهان في العمل كمسؤول صحفي في السفارة الأميركية في القاهرة في أواخر الخمسينيات، فضلاً عن محادثات لاحقة مع مايلز كوبلاند حول صفقة الأسلحة التي أبرمها جمال عبد الناصر مع الكتلة السوفييتية عام 1955، فإن رواية مملكة الوهم تزخر بالتفاصيل المستمدة من الملاحظات الساخرة لشخصيات حقيقية. شخصية عبد الناصر، مصطفى بن مبروك المولود لعائلة من العامة، هو جندي شاب لامع ولكنه ساخر، "بورجي" Borgian (على النقيض من الماكيافيلية) كآل بورجيا، يدير الخضراء "بالطريقة الوحيدة التي يعرفها: ... من خلال التآمر". ويحاول مبروك أن ينسجم مع وزير الخارجية المثالي هامبشاير (فوستر دالاس)، لكن الرجلين يفشلان في "إيجاد لغة مشتركة"، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى أن "إدراك هامبشاير القوي بحقيقة المشاكل الأوروبية لم يمتد دائماً إلى تعقيدات العالم خارج أوروبا". ولكن بدلاً من ذلك، فإن بول بولموتور الطموح والقاسي (لاعب التنس، غير الناطق بالعربية ـ كيم روزفلت، بعبارة أخرى) هو الذي يفهم مبروك حقاً، والعكس صحيح. والواقع أن الرجلين صديقان حميمان، فقد ساعد بولموتور في وقت سابق مبروك في دعم ثورته القومية ضد الحكم الاستعماري البريطاني، وعرّفه على "أحدث هراء الحكومة التقدمية" و"أحدث أساليب كشف التجسس". وحتى بعد أن تشاجرا وبدأ الأميركي في التآمر ضد تلميذه السابق (بمساعدة كورنيليوس ماكفليكر ـ مايلز المتنكر)، فإن الصلة القوية بينهما تظل قائمة. فمبروك، الذي لا يحب شيئاً أكثر من "لعب ألعاب الحظ"، يستمتع حقاً باحتمال مواجهة صديقه القديم وزميله البورجي. ويعلن: "التآمر ضد بولموتور هو أسمى متعة في حياتي". أما بالنسبة لبولموتور نفسه، فإن "الإطاحة بالحكومات كانت لعبة، واللعبة الجيدة كانت دائمًا مضحكة جدًا جدًا جدًا".(1)

إن الفارق الرئيسي بين أحداث خريف عام 1955 وتقديمها الخيالي في مملكة الوهم هو أن صفقة الأسلحة مع الكتلة السوفييتية لم تتبعها في الواقع خطوة حاسمة من جانب الولايات المتحدة للتخلص من ناصر على النحو الذي تم به إزاحة مصدق قبل عامين.

من المؤكد أن جون فوستر دالاس كان غاضباً، وكان البريطانيون قد بدأوا في الضغط من أجل اتخاذ تدابير صارمة ضد مصر، ولكن واشنطن كانت لا تزال لديها الكثير من الاستثمار في ناصر بحيث لا يمكنها التخلي عنه بسهولة. والواقع أن صفقة الأسلحة، من خلال تعزيز هيبة مصر الإقليمية وزيادة الضغوط على إسرائيل لحملها على الرضوخ للمطالب الغربية، كانت سبباً في تعزيز الآمال الأميركية في التوصل إلى تسوية عربية-إسرائيلية يكون فيها الزعيم المصري لاعباً رئيسياً.
وعلى هذا فإن ما حدث بعد ذلك لم يكن انقلاباً آخر على غرار انقلاب TP-AJAX في إيران 1953 ، بل كان محاولة أخيرة لإنقاذ مشروع ألفا ALPHA، مع ظهور دبلوماسيي التشفير التابعين لوكالة المخابرات المركزية الأميركية كيم روزفلت ومايلز كوبلاند في الهيئة غير المحتملة لهم ك"صانعي سلام" محتملين. وفي نظرة إلى الوراء من مكاننا الآن، ربما تبدو هذه الجهود الرامية إلى إنقاذ ألفا محكوماً عليها بالفشل منذ البداية، وذلك لأن العقبات التي اعترضت طريقها كانت كثيرة وهائلة. ولكن في ذلك الوقت، بدا الأمر وكأن المشروع يحتوي على لحظاته الواعدة، ويستحق على الأقل أن يُدرَج في أي حساب تاريخي لعروبيي وكالة المخابرات المركزية، إلى جانب الانقلابات وألعاب التجسس التي ترتبط بها أسماؤهم على نحو أكثر شيوعاً.

عملية جاما *GAMMA* -كما أُطلِق هذا الاسم الرمزي على النسخة من خطة أيزنهاور للسلام العربي-الإسرائيلي ما بعد صفقة الأسلحة السوفيتية 1955- قد اختلفت عن خطة ألفا السابقة للسلام العربي-الإسرائيلي في جانبين مهمين. فمع عدم قدرة الولايات المتحدة على تقديم الأسلحة كحافز للتعاون المصري، أصبح هناك شكل آخر من أشكال المساعدة الأميركية. وكان بناء سد في أسوان مفتاحاً لخطط ناصر لتحويل مصر إلى اقتصاد حديث، وهو مشروع هندسي عملاق من شأنه أن يوفر التحكم في الفيضانات، الري، والطاقة الكهرومائية لوادي النيل في منطقة الصعيد المصرية. وكانت التكلفة المتوقعة لبناء السد فلكية، إذ تجاوزت المليار دولار، واضطرت الحكومة المصرية الفقيرة إلى اقتراض قروض أجنبية بقيمة 400 مليون دولار.

في ديسمبر 1955، وافق البنك الدولي في واشنطن على إقراض مصر نصف هذا المبلغ، مع تعهد حكومتي الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بتوفير الباقي، على أساس تفاهم ضمني بأن ناصر لن يسعى إلى الحصول على المزيد من المساعدات من الشيوعيين وأنه سيعمل على تعزيز قضية السلام العربي-الإسرائيلي. وكان هناك تحلية أخرى لرئيس الوزراء المصري ناصر. فقد كان الصهاينة يدعون إدارة أيزنهاور إلى مواجهة "صفقة الأسلحة التشيكية" من خلال بيع كمية مماثلة من الأسلحة للإسرائيليين. ومع تحذير مايلز كوبلاند من القاهرة من أن مثل هذه الخطوة من شأنها أن تدفع مصر إلى مزيد من التقارب مع الشيوعيين، أعلن فوستر دالاس أن الولايات المتحدة لن تسلح إسرائيل في الوقت الراهن، حتى ولو كان ذلك يعني إثارة استياء الناخبين الأميركيين اليهود في الانتخابات المقبلة.

أما الاختلاف الرئيسي الثاني هو أنه في حين كانت خطة ألفا مشروعاً بريطانيا-أميركيا مشتركاً، فإن الأميركيين هذه المرة كانوا يقومون بذلك بمفردهم. ولم يتغلب البريطانيون قط على استيائهم من تصميم الولايات

المتحدة الواضح على استبدالهم في مصر، وكانوا يشتبهون في أن الحكومة الأميركية، على الرغم من كل إعلاناتها عن الحياد المزعوم، فهي لا تزال تميل إلى معاملة إسرائيل بشكل تفضيلي. ومن جانبهم، كان الأميركيون منزعجين من طموح المملكة المتحدة الواضح إلى الاحتفاظ بهيمنتها في العالم العربي من خلال توسيع حلف بغداد. ولم تكن هذه الاستراتيجية تثير عداوة ناصر فحسب، وبالتالي تضر بآفاق السلام العربي-الإسرائيلي الذي يريده الأمريكان، بل كانت أيضًا محفزة لعدم الاستقرار في بلدان مثل الأردن، حيث كان العملاء الناصريون يحرضون اضطرابات قومية ضد النظام الملكي الهاشمي المدعوم من بريطانيا. وإضافة إلى هذه التوترات، كانت القوتين الناطقتين باللغة الإنجليزية على حدي خلاف في شبه الجزيرة العربية ذاتها، حيث كان السعوديون، الذين يُزعم أنهم ممولون من شركة أرامكو الأمريكية ومن وكالة المخابرات المركزية الأميركية (مثل ناصر)، يتقاتلون مع المشيخات المتعددة المدعومة من بريطانيا المطلة على الخليج الفارسي حول ملكية "واحة البريمي" ذات القيمة الاستراتيجية.

(من المترجم :- هذه الواحة هى اليوم مقتسمة بين سلطنة عُمان وبين الإمارات المتحدة، حيث الجزء الإماراتي من الواحة هو مدينة "العين" التابعة لإمارة أبو ظبي، وساعة هذه الخلافات والمناوشات الحدودية السعودية-البريطانية في عقد الخمسينات لم تكن هناك حدود مرسمة في صحراء الربع الخالي الشاسعة والمهجورة)

وعلى الرغم من، أو ربما بسبب مؤهلاته كشخص محب لبريطانيا، أصبح كيم روزفلت محوراً خاصاً للاتهامات البريطانية بشأن كل من مصر والخليج. ووفقاً لإحدى الشائعات، كان كيم يحاول رشوة شيوخ في البريمي بسيارات كاديلاك مكيفة الهواء.(2)

كانت عملية جاما عملية أميركية خالصة - وبشكل أكثر تحديداً، عملية تابعة لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية. ورغم أنه لم يشارك من قبل في مفاوضات ألفا بحد ذاتها، إلا بمعنى أن شبكته من المواطنين العروبيين والمناهضين للصهيونية حاولت حماية الجناح المحلي لإدارة أيزنهاور أثناء طرح خطة السلام في الشرق الأوسط، فقد شارك كيم روزفلت في وقت سابق في جهد أميركي آخر سابق لتسوية النزاع العربي-الإسرائيلي.
ففي أواخر عام 1954، أطلقت عملية الحرباء Chameleon (المعروفة أيضاً باسم ميراج/السراب أو كاميلوت)، والتي تصورت لقاء ناصر سراً بـ "ممثل إسرائيلي معاكس" (كما قال "ك." لـ "الأخ الأكبر") لمناقشة تسوية محتملة، بحضور "ممثل أميركي" (كيم نفسه) أيضاً لضمان "عدم لجوء الممثل الإسرائيلي إلى الحيل". كانت المعرفة بالاجتماع محصورة في دائرة صغيرة من كبار المسؤولين في مصر وإسرائيل والولايات المتحدة، وفي الحالة الأخيرة تتألف من (كما أوضح كيم أيضًا) "أنا والرئيس ووزير الخارجية وشقيقه". وعلى الرغم من أن الخطة تقدمت كثيرًا لدرجة أن رئيس الأركان الإسرائيلي السابق، ييجال يادين، تم اختياره لدور "الممثل المعاكس"، إلا أن كاميليون أجهضت في نهاية المطاف بسبب قضية لافون عام 1954 (مؤامرة إسرائيل التي تضمنت هجمات على الغربيين في مصر)، وفشلت محاولة إحياءها في أوائل صيف عام 1955.

ومع ذلك، كانت خطوط الاتصال التابعة لوكالة المخابرات المركزية التي سهلت الاتصالات السرية السابقة لا تزال قائمة عندما تم اتخاذ القرار في أعقاب صفقة الأسلحة مع الكتلة السوفييتية لإعادة إطلاق عملية السلام ألفا.

لقد مثلت عملية جاما اندماج عملية ألفا -التي كانت تتم حتى ذلك الحين من خلال قنوات الخدمة الخارجية العلنية- مع دبلوماسية التشفير التابعة لوكالة المخابرات المركزية.(3)

ومع توجه كيم روزفلت لتغطية الجانب المصري من عملية جاما، تم اختيار ضابط آخر من وكالة المخابرات المركزية يتمتع بمكانة مساوية إن لم تكن أعظم من كيم للتعامل مع الإسرائيليين. جيمس جيسوس أنجليتون معروف في التاريخ بأنه رئيس مكافحة التجسس الذي قاد وكالة المخابرات المركزية في عملية مطاردة جاسوسية متزايدة الهوس، وقد يقول البعض إنها مطاردة مجنونة بجنون الإرتياب، للجواسيس السوفييت المنغمسين في السي آي ايه وغيرها من وكالات الاستخبارات الحليفة حتى أُجبر في النهاية على التقاعد في عام 1975.
وكان الجانب الأقل شهرة في مسيرة أنجليتون الاستخباراتية هو ملكيته الطويلة لـ "الحساب الإسرائيلي"، ترتيبات تبادل المعلومات الاستخباراتية الذي أنشأته وكالة المخابرات المركزية الأميركية مع جهاز المخابرات الإسرائيلي، الموساد، والتي ترجع إلى سلسلة من الاجتماعات رفيعة المستوى في واشنطن وتل أبيب في عام 1951.
ومن غير الواضح لماذا تم فصل مكتب إسرائيل في الوكالة عن قسم الشرق الأدنى -الذي يقوده كيم- بهذه الطريقة.
وفقاً لبعض الروايات، كان مستعربو قسم الشرق الأدنى يخشون احتمال قيام المتعاطفين مع الصهيونية بينهم بنقل الأسرار إلى السفارة الإسرائيلية. ويشير آخرون إلى العكس: حيث لم يرغب المسؤولون الإسرائيليون في تعريض العلاقة بين وكالة المخابرات المركزية والموساد للخطر من قبل المستعربين في قسم الشرق الأدنى، وأن رؤساء الوكالة، مثل آلن دالاس، امتثلوا لرغباتهم لأن إسرائيل، مع

سكانها المهاجرين من الكتلة السوفييتية، كانت مصدراً قيماً للغاية للمعلومات الاستخباراتية عن العالم الشيوعي في فترة الحرب الباردة. وبغض النظر عن أصول الفصل، فقد أدى هذا الانقسام إلى انقسام غريب في عمليات الوكالة في الشرق الأوسط، حيث كان جيمس أنجليتون -الذي كان مؤيدًا للصهيونية بقدر ما كان كيم روزفلت مناهضًا لها- يحمي مصادره وأصوله الإسرائيلية من عروبيي السي آى ايه. وبالتالي، كانت خطة جاما، التي كان من المقرر أن يؤدي فيها أنجليتون دورًا داعمًا في إسرائيل مماثلًا لما سيلعبه كيم في مصر، لحظة نادرة من التعاون المهني بين أسطورتي وكالة المخابرات المركزية.(4)

راجعاً ذلك جزئيًا إلى هذا الانقسام المؤسسي بين مكاتب وكالة المخابرات المركزية العربية والإسرائيلية، ولكن بشكل رئيسي لأن ناصر شعر أنه لا يستطيع المخاطرة بفضح اجتماع مباشر مع ممثلين إسرائيليين، تضمنت خطة جاما طرفًا أمريكيًا ثالثًا إلى جانب روزفلت وأنجليتون: ممثل رئاسي خاص يعمل كوسيط سري بين القاهرة وتل أبيب، ويتحرك ذهابًا وإيابًا حتى يتم التوصل إلى اتفاق بطريقة سبقت "الدبلوماسية المكوكية" التي قام بها هنري كيسنجر في السبعينيات. ولقد تم اقتراح العديد من المرشحين لهذا الدور، بما في ذلك شقيق الرئيس ميلتون أيزنهاور وإريك جونستون، الدبلوماسي المشفر الVIP الذي كان موجوداً في القاهرة أثناء مهمة ألين الفاشلة، ولكن الاختيار استقر في النهاية على وافد جديد تماماً على مشهد الشرق الأوسط: وزير البحرية السابق ووكيل وزارة الدفاع، رجل الأعمال من تكساس روبرت ب. أندرسون، والذي كان بالفعل صديقاً مقرباً للرئيس أيزنهاور.

في ديسمبر 1955، بينما كان أندرسون يسافر إلى لندن ليستطلع الموقف البريطاني، كان ضباط وكالة المخابرات المركزية الذين يعملون مع القادة الإسرائيليين والمصريين (أو "الشماليين" و"الجنوبيين"، كما أشار إليهم فوستر وآلن دالاس في محادثات هاتفية) يعدون العدة على الأرض لسلسلة من الاجتماعات التي كان من المقرر أن تعقد في القاهرة وتل أبيب في يناير 1956. ولم يتم إخطار هنري بيرود، الذي كان لا يزال سفيراً للولايات المتحدة في مصر بكل ذلك.(5)

وكانت القطعة الأخيرة في أحجية عملية جاما هي شبكة كيم روزفلت الحكومية-الخاصة المحلية. ويبدو أن تدهور موقف الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وخاصة صفقة الأسلحة التي أبرمت في سبتمبر 1955، قد أثارت نوبة من التأمل الذاتي في أوساط الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط AFME (الممولة من كل من السي آى ايه وقطاع شركات النفط الأمريكية، بزعامة أرامكو).
حيث أعلن التقرير السنوي للمنظمة لعام 1955 - 1956: "إن منظمة AFME تتخذ نظرة جديدة"، وهو ما يعكس العبارة الشهيرة التي تبنتها إدارة أيزنهاور لوصف استراتيجيتها عالية التقنية ومنخفضة التكلفة لشن الحرب الباردة.
وتساءل التقرير، الذي يلخص الخيارات السياسية التي تواجه المنظمة الآن: "هل ينبغي لنا أن نستمر على نفس المنوال من قبل، معتقدين أن برنامج العلاقات الإنسانية الذي بنيناه على مدى أربع سنوات من شأنه أن يلبي الاحتياجات التي نرغب في خدمتها في الأمد البعيد؟". أم "هل ينبغي لنا أن نلغي برنامجنا الأساسي وننفق كل طاقاتنا في هجوم مباشر على أولئك الذين يعملون على تقويض مصالح أميركا في الشرق الأوسط؟". وفي النهاية، قرر مجلس إدارة AFME التخفيف من حدة مهمتها الدبلوماسية الثقافية العربية في الشرق الأوسط في الوقت

الراهن، في مقابل تبني "نهج أكثر إيجابية" في التعامل مع مهمة "مكافحة دعاية المصالح الخاصة" - أو بعبارة أخرى، تكثيف حملتها المعادية للصهيونية داخل حدود الولايات المتحدة.(6)

وقد وجد هذا التوجه الجهادي البروباجاندي الجديد -الذي تزامن على وجه التحديد مع تولي وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية المسؤولية عن تنفيذ خطة أيزنهاور للسلام "جاما"- أكثر ممثليه صراحة في جارلاند إيفانز هوبكنز. فبعد عودته إلى وطنه من جولة في الشرق الأوسط دامت ثلاثة أشهر ونصف الشهر في أكتوبر 1955، قال هوبكنز في مؤتمر صحفي في نيويورك إن "انتقاد مصر لشرائها أسلحة شيوعية بينما لا نقول شيئاً عن المشتريات المزعومة لإسرائيل من الأسلحة من كل من الدول الغربية ودول الستار الحديدي على السواء كان بمثابة "قمة السخرية". ولقد تنبأ هوبكنز "بموجة من معاداة السامية في هذا البلد" إذا استمرت الضغوط الصهيونية في تعريض "أفضل مصالح أميركا" في الشرق الأوسط للخطر.
وعلى غرار هوبكنز، عقد ماثر إليوت، الذي عاد لتوه من سوريا لحضور مشاوراته السنوية في مقر AFME، مؤتمراً صحفياً آخر في أوائل يناير 1956، وتناول على وجه التحديد احتمالات التوصل إلى تسوية عربية-إسرائيلية، وذكر اعتقاده "بأن أي فرص للسلام في الشرق الأدنى لابد وأن تستند إلى تنازلات جوهرية من جانب إسرائيل".
ومثل إلمر بيرجر من قبلهما، حرص هوبكنز وإليوت أيضاً على السعي إلى عقد اجتماعات مع مسؤولي وزارة الخارجية، ظاهرياً لنقل انطباعاتهم المباشرة عن الشرق الأوسط، ولكن في الواقع لحث الولايات المتحدة على تبني سياسة خارجية أكثر تأييداً للعرب وأكثر معاداة للصهيونية.

كان إليوت (لا يجب أن ننسى أن إليوت هذا لم يكن مجرد عضو في شبكة كيم روزفلت الحكومية-الخاصة، بل كان هو نفسه ضابطًا في وكالة المخابرات المركزية) "في واشنطن لمدة أسبوع، يمارس الضغط على أعضاء الكونجرس، ومسؤولي العمل، ورجال الصحف وغيرهم". باختصار، تشير كل الأدلة إلى أن "المظهر الجديد" الذي تبنته AFME في شتاء 1955-1956 كان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بمبادرة السلام الجديدة GAMMA في الشرق الأوسط.(7)

ومع توفر العناصر الرئيسية لـ GAMMA بحلول العام الجديد، كان كل ما كان على اللاعبين الرئيسيين في العملية فعله الآن هو الانتظار. وأخيرًا تم إبلاغ هانك بيرود بـ GAMMA في 6 يناير. ("بدا أنه أخذ الأمر على ما يرام"، كما قال فوستر لألين دالاس).
وفي 11 يناير، التقى روبرت أندرسون وفوستر دالاس بالرئيس، الذي أوضح ثقته المطلقة في مبعوثه الخاص. وكتب أيزنهاور في مذكراته تلك الليلة: "إنه أحد أكثر الرجال كفاءة الذين أعرفهم". وبعد تأخير قصير بسبب تعديل وزاري في القاهرة، جاء يوم المغادرة أخيرًا. في 15 يناير 1956، صعد فريق جاما على متن طائرة متجهة إلى القاهرة، وانضم إلى مجموعة متنامية من المتفائلين من صانعي السلام الأميركيين في الشرق الأوسط.(8)

وبدأت المشاكل تقريبًا بمجرد هبوط الطائرة في مصر. فنظرًا لمصير الملك الأردني عبد الله الأول -الذي اغتيل برصاص فلسطيني في عام 1951 خشية أن يكون الملك على وشك خيانة القضية العربية للإسرائيليين- طالب ناصر بأن تتم المحادثات في سرية تامة. وكان فريق جاما قد اتخذ بالفعل خطوات لإخفاء مهمته، حيث خطط لنقل أندرسون بين القاهرة وتل أبيب عبر روما أو أثينا في رحلات جوية

مقنَّعة والتواصل مع واشنطن عن طريق رسائل مشفرة باستخدام قنوات الإرسال التابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية. ومن جانبه، أصر ناصر على الاجتماع ليلًا فقط، حتى يتمكن الناس من رؤيته أثناء النهار وهو يؤدي واجباته العادية، ولم يستخدم أي موظفين مساعدين على الإطلاق - وهي ظروف غير مثالية للمفاوضات التفصيلية. وكان المصريان الوحيدان الآخران اللذان شاركا في المحادثات هما وزير الداخلية زكريا محيي الدين ومدير مكتب رئيس الوزراء علي صبري.

وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات، حدثت ثغرات أمنية. وعندما ظهرت أسماء اثنين من أعضاء فريق جاما -من غير العاملين في وكالة الاستخبارات المركزية، ولكن من الخبراء في شؤون فلسطين من وزارة الخارجية- من على قائمة ركاب طائرة شركة بان آم القادمة من روما، طُلب منهما عدم ركوب الطائرة وانتظار أوامر أخرى. وفي مناسبة أخرى، أبلغت مصادر داخلية في نيويورك وواشنطن بعض الصحف في القاهرة أن الولايات المتحدة ومصر تعملان على التوصل إلى تسوية مع إسرائيل. واستشاط ناصر غضباً.(9)

وبالإضافة إلى المشاكل الأمنية التي واجهتها جاما، سرعان ما أصبح من الواضح أن روبرت أندرسون، على الرغم من ثقة رئيسه فيه، لم يكن مناسباً بشكل خاص لدور الوسيط بين العرب وإسرائيل. وقد عقد أول لقاء بينه وبين ناصر في مساء يوم الثلاثاء 17 يناير في شقة زكريا محيي الدين في الزمالك. وكما جرت العادة في مثل هذه المناسبات، كان الجو ودياً، حيث أومأ الزعيم المصري برأسه بشكل ودي بينما وصف المبعوث الأميركي آماله في التوصل إلى تسوية. ولكن عندما انتهى الاجتماع، وتحدث كيم روزفلت بمفرده مع ناصر، اتضح أن ناصر كان أومأ برأسه في حيرة بدلاً من الموافقة. وأوضح

كيم في وقت لاحق أن "لهجة أندرسون التكساسية كانت كثيفة لدرجة أن ناصر لم يستطع فهم أي شيء مما قاله".(10)

وفي الاجتماعات اللاحقة بين أندرسون وناصر، عمل كيم كمترجم، "ترجم" أقوال التكساسي للمصري (كانت لهجة روزفلت أقرب إلى النغمات الإنجليزية للطبقة العليا التي اعتاد ناصر سماعها). وكشفت المناقشات الناتجة، جنبًا إلى جنب مع محادثات أندرسون الافتتاحية في الأسبوع التالي في تل أبيب، عن الهوة الحقيقية التي لا تزال تفصل العرب والإسرائيليين. أراد ناصر العودة إلى خطوط التقسيم التي وضعتها الأمم المتحدة، والعرض على اللاجئين الفلسطينيين خيارًا بين العودة إلى أراضيهم أو تعويضهم؛ وبينما كان الإسرائيليون على استعداد لتقديم بعض التعويضات، لكنهم رفضوا الاعتراف بحق العودة للفلسطينيين ورفضوا الحديث عن التنازلات الإقليمية باستثناء بعض التعديلات الطفيفة على الحدود من الجانبين. وكما هي الحال دائمًا، كانت نقطة الخلاف الرئيسية هي النقب، المنطقة الصحراوية المتنازع عليها بين مصر وإسرائيل والتي أدى استيلاء الإسرائيليين عليها في أعقاب حرب 1948 إلى قطع الاتصال البري بين العرب الأفارقة والعرب الآسيويين. ووفقًا لهيكل، رفض ناصر بازدراء المقترحات الأمريكية لحل المشكلة من خلال بناء طريق سريع من مستويين يربط مصر بالأردن. وسأل رئيس الوزراء المصري، ماذا لو قرر عربي على الجسر العلوي قضاء حاجته على حركة المرور الإسرائيلية في المستوى الأدنى؟ ألا يؤدي هذا إلى الحرب؟ اكتشف أندرسون أن الجانبين لم يتمكنا حتى من الاتفاق على الشكل الذي يجب أن تتخذه المفاوضات، حيث طالب الإسرائيليون بوعد بإجراء محادثات وجهاً لوجه، وجادل ناصر بأنه سيكون من الانتحاري بالنسبة له أن يقوم

بمثل هذا التعهد. كان الميثودي من تكساس قد بدأ في تعلم حدود حسن النية الأميركية.(11)

ولكن كانت هناك بعض بصيصات الأمل، بما في ذلك اقتراح من ناصر بأنه بدلاً من مجرد "العمل مع ممثل رئاسي لبضعة أيام"، فإنه يقود جهداً لإنشاء "لجنة سرية من المصريين والأميركيين" لمناقشة الصراع الفلسطيني وغيره من المشاكل التي تؤثر على الشرق الأوسط على مدى فترة زمنية أطول. وقد أيد كاتب برقية وكالة الاستخبارات المركزية التي أورد فيها هذا الاقتراح - على الأرجح كيم روزفلت، استناداً إلى معرفته الواضحة بالزعيم المصري - ونبرته الواثقة الحازمة - هذا الاقتراح بحماس. "إننا نملك فرصة لحل المشكلة الفلسطينية بشرط أن نتمكن من منح ناصر القدرة على القيام بذلك"، هكذا قال لواشنطن. و"إذا لم نتمكن من العمل على هذا الأساس، فلن يتم حل المشكلة الفلسطينية لسنوات عديدة قادمة".
ونظراً لاقتراب موعد الانتخابات الأميركية، وخشية أن تحاول إسرائيل شن هجوم استباقي على مصر قبل أن يتمكن جيش ناصر من امتصاص الأسلحة السوفييتية، فقد رفض جون فوستر دالاس طلب الوقت الإضافي.
ومع ذلك، عند عودته إلى القاهرة في نهاية يناير، أنشأ أندرسون شيئًا يشبه إلى حد كبير اللجنة السرية التي طالب بها ناصر: مجموعة عمل تتكون من شركائه في وكالة المخابرات المركزية وعلي صبري، مكلفة بالاتفاق على حزمة من نقاط التفاوض لعرضها على الإسرائيليين. (12)

وفي الوقت نفسه في الولايات المتحدة، كانت AFME تستعد لأجرأ لفتة لها حتى الآن لدعم سياسة إدارة أيزنهاور في الشرق الأوسط.

ففي أكتوبر السابق، تحدث فوستر دالاس مع كبار المسؤولين عن رغبته في التعامل مع الصراع العربي الإسرائيلي "على أساس ثنائي الحزبية" و "إبعاد الأمر عن السياسة ... أثناء الحملة القادمة".
وفي 25 يناير 1956، نشرت جمعية AFME "رسالة مفتوحة إلى كل مواطن أمريكي" في صحيفة نيويورك تايمز والعديد من الصحف الرائدة الأخرى، مطالبة ب"إخراج الشرق الأوسط من السياسة الداخلية!" وفي اليوم التالي لظهور البيان، افتتح المؤتمر السنوي للمنظمة في فندق ديلمونيكو في نيويورك. وكان البرنامج قد تم تعديله في اللحظة الأخيرة لمعالجة الجدل الدائر حول قضية صفقة الأسلحة المحتملة مع إسرائيل، وحث العديد من المتحدثين المرشحين للمناصب السياسية على الارتقاء فوق الصراع الحزبي. وأعلنت دوروثي تومسون: "إن ما نحتاج إليه في هذه القضية، كما في جميع القضايا الأخرى، هو سياسة خارجية أميركية غير مهتمة".(13)

وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه منظمة "AFME" تجهز مظهرها الجديد، كان كيم روزفلت يكافح حريقًا آخر في القاهرة. فقد تعثرت المحادثات بين ناصر وبين رئيس البنك الدولي، يوجين ر. بلاك، حول شروط قرض سد أسوان. وقد شعر فوستر دالاس وهربرت هوفر الابن بالفزع إزاء هذا الخبر، لأنه هدد بإزالة الحافز الرئيسي للتعاون المصري مع خطتهما للسلام، وفي الحادي والثلاثين من يناير، أرسلا برقية إلى بلاك، يحثانه فيها على عدم تقديم "اقتراح إما أن تقبله أو تتركه". وبعد فترة وجيزة، تم استدعاء كيم إلى القاهرة من أثينا، حيث كان قد انسحب مع أندرسون، مع تعليمات بإعادة مفاوضات السد إلى مسارها الصحيح. "لقد فرضت المهمة ضغطًا كبيرًا على قواي الإقناعية"، كما تذكر لاحقًا، ولكن في الثاني من فبراير، تمكن من الإبلاغ عن أن "محادثات السد اتخذت منعطفًا نحو الأفضل، حيث تنازل

كلا الجانبين". تم الانتهاء من صفقة القرض بسرعة، وأعلن عنها في 9 فبراير. (14)

بعد إخماد حريق واحد، عاد دبلوماسيو وكالة المخابرات المركزية المشفرون الآن إلى انتباههم لإخماد الصراع العربي-الإسرائيلي.
وبفضل وصول كبير المفاوضين الأمريكيين في مشروع ألفا، فرانسيس راسل، من أثينا، شرعت لجنة العمل السرية بين وكالة المخابرات المركزية وبين مصر في مهمتها. وفي ظل عدم وجود تسريبات حديثة تقلق ناصر، وظهور علي صبري "مهتمًا ومتعاونًا بشكل غير عادي"، بدت البشائر مبشرة للمرة الأولى. وبحلول الثامن من فبراير، كان كيم ومايلز قد أعدا مذكرة مطولة تحدد أسباب التوترات العربية-الإسرائيلية ، وتقترح تدابير لبناء الثقة المتبادلة (بما في ذلك تحسين "السيطرة على الحدود" و"تدابير بروباجاندا إيجابية")، وتقترح جدولاً زمنياً من ثماني خطوات تنتهي باجتماعات بين رؤساء الدول والإعلان عن تسوية.
كانت الخطة طموحة ولكنها عملية ـ بل وحتى عنيدة ـ كما يليق بالمكيافيلية التي يعلنها رجال وكالة الاستخبارات المركزية عن أنفسهم. وجاء في الوثيقة: "يبدو من المؤكد تقريباً أن أي صيغة للتغيير لن تأتي أبداً نتيجة لحل مشكلة الشعور بالذنب والمسؤولية عن الماضي. والبديل هو الحل على أساس المصلحة الذاتية والملاءمة".
ورغم أن صبري كان "متشائماً" بشأن احتمالات عناصر محددة من الخطة، فإن المذكرة كانت بمثابة الأساس لجميع المناقشات اللاحقة التي أجرتها مجموعة العمل.
وفي العشرين من فبراير، وفي "اجتماع كاجتماعات رجال الأعمال"، أشار المصري إلى موافقته على التدابير الرامية إلى تخفيف التوتر العربي-الإسرائيلي والحد من الاحتكاكات في المنطقة عموماً ـ أو بعبارة

أخرى، على الخطوات الثلاث الأولى من خطة كيم ومايلز. وبدا الأمر وكأن الأمور قد أخذت المنعطف الآخر.(15)

ولكن كما هي الحال دائماً، كانت الأحداث في أماكن أخرى تتآمر ضد عروبيي وكالات الاستخبارات المركزية الأميركية. ففي الولايات المتحدة، كانت الدعوات العامة إلى الحكومة لتزويد إسرائيل بالأسلحة تكتسب حجماً متزايداً، ويرجع هذا جزئياً إلى أن الرئيس كان قد رفع للتو الحظر على شحنة من الدبابات إلى المملكة العربية السعودية. وفي أكثر تدخلاتهم السياسية وضوحاً حتى الآن، حاول ممثلو AFME بشجاعة الدفاع عن قرار أيزنهاور، حيث أشارت دوروثي تومسون إلى الأهمية الاستراتيجية لشبه الجزيرة العربية، وأصر جارلاند هوبكنز على أن انتقاد الشحنة أظهر "المدى الذي قد يذهب إليه أنصار إسرائيل في هذا البلد في وضع مصالح إسرائيل قبل مصالح أميركا والعالم الحر". "وفي الوقت نفسه، كان ضابط وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية ماثر إليوت يواصل حملته للتأثير على الرأي العام الأميركي، محققاً تقديم تومسون إلى العديد من الناشرين والمحررين، وقدم مقالاً إلى مجلة كريستيان سينتشري/ القرن المسيحي بعنوان "السلام العربي-الإسرائيلي لا يزال ممكناً"، حيث دعا الحكومة الأميركية إلى "الضغط على إسرائيل لحملها على التوصل إلى تسوية معقولة" أو "المخاطرة بتسليم العالم الإسلامي والعالم ما بعد الاستعمار إلى الفلك الروسي".
ورغم هذه الجهود الرامية إلى تخفيف الضغوط الصهيونية على إدارة أيزنهاور، بدأ فوستر دالاس يتراجع، فسأل فريقه في القاهرة ما إذا كانت GAMMA قادرة على الصمود في مواجهة العواقب المترتبة على صفقة الأسلحة الأميركية مع إسرائيل.(16)

وكان رد مصر واضحاً لا لبس فيه. فقد وصلت أخبار إلى ناصر مفادها أن الصفقة الأميركية مع إسرائيل باتت وشيكة، وخلال اجتماع مع فريق وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية ووزير الداخلية محيي الدين بتاريخ الحادي والعشرين من فبراير، انفجر ناصر في وجههم. ولقد صاح قائلاً: "إن مثل هذه الخطوة من شأنها أن تضع نهاية ليس فقط لعملية أندرسون بل و"لكل شيء". ولم يسبق لمؤلف تقرير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية عن الاجتماع، وهو كيم روزفلت على الأرجح، أن رأى ناصر وزكريا منزعجين إلى هذا الحد من أي شيء". وتوقع أن "تؤدي منحة الأسلحة لإسرائيل إلى رد فعل مخيف" من المستحيل "تجنبه أو تخفيفه".
وفي نهاية الاجتماع، وبينما كان رجل وكالة الاستخبارات المركزية يستعد للمغادرة، أمسك الزعيم المصري بكمه، متوسلاً إليه أن يمنع وقوع "كارثة" من شأنها أن "تحطم كل الأمل الذي كنا نحمله على عاتقنا على مدى السنوات الثلاث الماضية".(17)

وكان هناك شعور متزايد بأن المشروع العروبي الذي يصور ناصر في دور "الزعيم الضروري" للعرب كلهم يمر بأزمة حرجة. ولقد أعقب مايلز كوبلاند تقرير كيم برسالة تفيد بأن "الرأي الإجماعي" لفريق القاهرة بأن المساعدة العسكرية لإسرائيل من شأنها أن تؤدي إلى إنهاء فوري لمهمة أندرسون، وتعليق قرض سد أسوان، وعلى الأرجح، عقد صفقة أسلحة مصرية أخرى مع الكتلة الشيوعية.
ثم في الثالث والعشرين من الشهر، أرسل هنري بيرود، الذي كان قد أرسل بالفعل برقية شديدة اللهجة إلى هربرت هوفر بشأن هذا الموضوع، رسالة شخصية عاطفية إلى فوستر دالاس، يحثه فيها على "أخذ زمام المبادرة على المستوى المحلي" و"كسر ظهر الصهيونية كقوة سياسية". واختتم السفير بملاحظة مؤثرة من سيرته: "كل هذا

يأتي من صبي مزرعة سابق من ولاية إنديانا لم يكن لديه أدنى مشاعر تجاه العرق أو العقيدة - ومع ذلك يُوصَم الآن بأنه معادٍ للسامية.
صدقني، إنني أقدم هذه التوصيات في إطار ما أعتبره المصلحة الفضلى للولايات المتحدة - وفي ظل قناعتي الراسخة بأنها تصب في المصلحة الفضلى لإسرائيل ذاتها على المدى البعيد - سواء اتفق الإسرائيليون معي أم لا.(18)

إن كان هناك أي أمل متبقي في إنقاذ كل من جاما والآمال الأكبر لعروبيي السي آى ايه، فقد كان على وشك أن يتلقى رصاصة الرحمة، حيث كانت الضربة قادمة من جهة يمكن التنبؤ بها.
كان البريطانيون دائمًا مترددين في التزامهم تجاه عملية السلام ألفا، حيث كانوا منشغلين بحلف بغداد ومظالمهم ضد الأميركيين والمصريين. وكان رئيس الوزراء أنتوني إيدن، على وجه الخصوص، يحمل كراهية شخصية متقيحة لناصر. وقد زعمت التقارير الصادرة من مخبر في MI6 في مصر، تحت اسم LUCKY BREAK، أن رئيس الوزراء المصري ناصر كان يقترب أكثر فأكثر من السوفييت بينما كان يخطط في نفس الوقت للإطاحة بزعماء عرب آخرين.
في ديسمبر 1955، حدث تعديل وزاري داخلي في حكومة حزب المحافظين، بموجبه تولي هارولد ماكميلان منصب مستشار الخزانة، تاركًا وزارة الخارجية في أيدي المحامي الويلزي سلوين لويد عديم الخبرة نسبيًا، الأمر الذي حفز ميل إيدن إلى التدخل في الشؤون الخارجية، تمامًا كما فعل سلفه ونستون تشرشل عندما كان إيدن وزيرًا للخارجية. والأمر الأكثر إثارة للقلق هو تدهور صحة رئيس الوزراء، من نتائج عملية جراحية فاشلة في المرارة، وكان أكثر عرضة لنوبات الغضب العنيف.

بلغت الأحداث ذروتها في الأول من مارس 1956، عندما أقال خليفة عبد الله كملك للأردن، حفيده الحسين، رئيس أركانه البريطاني، الفريق أول السير جون باجوت جلوب.

كان "غلوب باشا"، الذي جاء أولاً إلى المملكة الهاشمية الصغيرة عندما تأسست بعد الحرب العالمية الأولى، شخصية أسطورية، ونموذجاً للخادم القديم -على طراز كيبلنج- للملكية البريطانية المنتدب إلى حاكم أقل شأناً، على حد تعبير أحد المؤرخين. وبدا طرده، الذي اعتبره البريطانيون في لندن أنه حدث نتيجة لتدخل ناصر، بمثابة إخطار نهائي بطرد البريطانيين من الشرق الأوسط، وكان إيدن خارجاً عن نفسه من شدة الغضب.

ولم يكن من المهم أن يكون تصرف حسين مقصوداً إلى حد كبير لاسترضاء القوميين الأردنيين الغاضبين من الجهود البريطانية الرامية إلى إجبار بلادهم على الانضمام إلى حلف بغداد، ولا أن الملك الشاب، خريج أكاديمية ساندهيرست الملكية البريطانية، كان يتخيل نفسه في دور قائد الفيلق العربي، جيش غلوب الأردني. كما كان إيدن، الذي كان غاضباً أيضاً من تجاهل متخيل لوزير خارجيته سلوين لويد أثناء رحلة قام بها مؤخراً إلى القاهرة، يلوم ناصر شخصياً.

في العشاء مع إيفلين شوكبيرج في تشيكرز، المقر الريفي لرئيس الوزراء، قارن إيدن، الذي اشتهر بمعارضته لاسترضاء النازيين قبل الحرب العالمية الثانية، المصري بموسوليني، "وظهرت في عينيه نظرة تشبه نظرة عام 1940".

أدرك شوكبيرج على الفور ما يعنيه هذا: لن تكون هناك جهود أخرى لاسترضاء ما سيكون هتلر العربي، ولن تكون هناك "معاهدة ميونيخ على النيل".(19)

ولم يكن جون فوستر دالاس منزعجًا من الأحداث في الأردن مثل إنزعاج إيدن (من المترجم : الملك الشاب الحسين هو في حقيقة الأمر "جمال عبد الناصر الأردني" الذي أخرج الأردن من هيمنة لندن إلى هيمنة واشنطن، هذه كلها أحداث كانت تختمر في الأردن طوال عقد الخمسينات، من ساعة اغتيال مؤسسها في 1951، ورأى الشاب الحسين هو ومستشاريه -كما كان رأى عبد الناصر- البريطانيين "رايحين" و الأمريكان "بازغين") ؛
بل إن كيم روزفلت كان يشك في أن وزير الخارجية الأمريكي كان يستمتع بالانزعاج الذي أصاب البريطانيين.

ولكن مع مواجهة GAMMA للمشاكل بالفعل، لم يكن دالاس متقبلاً للشكاوى البريطانية بشأن ناصر. وإدراكاً منه لهذا، لم يفوت إيدن فرصة قط عندما كان برفقة أميركيين لتشويه سمعة ذلك "الرجل الرهيب"، وحرص على نقل تقارير مخبره في القاهرة LUCKY BREAK بشكل روتيني إلى واشنطن. وقد ساعد في ذلك أن التوترات الأنجلو-أميركية بشأن شبه الجزيرة العربية كانت تنخفض حدتها، وأن الولايات المتحدة كانت تبدي اهتماماً أكبر بدعم المحور العراقي-الأردني البريطاني.
وكما حدث في إيران قبل ثلاث سنوات، كان الأميركيون يتحركون ببطء ولكن بثبات نحو الموقف البريطاني من ناصر.(20)

في الثالث من مارس، سافر روبرت أندرسون المحبط إلى القاهرة فيما ثبت لاحقاً أنه كان آخر مرة. وخلال اجتماع عقد في السادس من مارس، قتل ناصر فعلياً جاما (كما أبلغ أندرسون واشنطن) بإعلانه أنه لا توجد إمكانية لاجتماعه مع الإسرائيليين لأسباب أمنية (أشار إلى مصير الملك عبد الله أربع مرات)؛ ولعدم رغبته في وضع جدول زمني

لمناقشاته مع الأميركيين؛ وأخيراً، وفي تطور "جديد ومحبط تماماً"، لم يكن مستعداً لتولي دور قيادي في الترويج لأي تسوية سلمية مع إسرائيل في العالم العربي الأوسع.
وبما أن هذه الفكرة الأخيرة كانت من الفرضيات الأساسية للاستراتيجية التفاوضية الأميركية في ألفا وجاما، فقد بدا أن بقاء أندرسون في مصر لا معنى له، فغادر بعد بضعة أيام، بعد أن ألغى آخر اجتماع له مع ناصر.(21)

إن كان هناك يوم واحد يمثل نهاية أحلام كيم روزفلت العروبية في ناصر، فهو يوم الخميس، الثامن من مارس 1956، عندما وصلت برقيات أندرسون الأخيرة إلى واشنطن مع تقارير تفيد بأن الحكومة المصرية كانت تسعى للحصول على المزيد من الأسلحة الشيوعية وتستعد لشن هجوم على إسرائيل.
وقد سجل إيفلين شوكبرج في مذكراته: "اليوم، فقدنا نحن والأميركيون الأمل في ناصر وبدأنا نبحث عن وسائل لتدميره". (22)

الجزء الرابع

الخسارة ، 1956 - 1958

الفصل السادس عشر:
... إلى أوميجا OMEGA

بعد سنوات عديدة قضاها في مراقبة السياسة في الشرق الأوسط والولايات المتحدة، طرح مايلز كوبلاند نظرية عامة للسلوك السياسي.

وكتب في سيرته الذاتية: "يلعب كل من القادة والفاعلين في مجتمع معين ثلاث ألعاب في نفس الوقت: اللعبة الشخصية، اللعبة المحلية، واللعبة الدولية ـ وأحياناً لعبة رابعة، وهي البيروقراطية".(1)

ووفقاً لمخطط مايلز، فقد كان أداء رئيسه القديم كيم روزفلت جيداً بشكل ملحوظ خلال النصف الأول من العقد الأول من عمله كضابط في وكالة الاستخبارات المركزية. وعلى المستوى الشخصي، فقد نال ذلك النوع من الشرف المتوقع من شخص من عائلته وخلفيته التعليمية، فحقق مكانة أسطورية داخل وكالة الاستخبارات المركزية. وعلى

المستوى المحلي، حقق انتصاراً كبيراً على الصهيونية بإطلاقه مبادرة "الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط"، وبالتالي تحقيق عنصر مهم من الأجندة العروبية التي ورثها عن الجيل الأول من جواسيس مكتب الخدمات الاستراتيجية في الشرق الأوسط. وعلى المستوى الدولي، نجح في تحقيق نجاح مذهل في العمليات السرية في إيران، في حين عمل بهدوء على بناء الموقف الأميركي في معقل بريطانيا التقليدي في مصر، وعقد صداقة شخصية مع الزعيم الأكثر أهمية في العالم العربي، جمال ناصر. وعلى المستوى البيروقراطي، كانت مكانته العالية للغاية لدى الأخوين دالاس، إلى جانب الأجواء العامة من الامتياز التنفيذي التي سادت في واشنطن في الخمسينيات، تعني أنه كان قادراً إلى حد كبير على فعل ما يشاء.

ولكن بحلول منتصف العقد، كانت بيئة اللعبة، ومعها أداء كيم، تتدهور. ففي الداخل، كان الصهاينة، بدعم من أنصارهم في السلطة التشريعية للحكومة وكذلك من الخارج من جانب إسرائيل، يقاومون. وفي الشرق الأوسط، كان البريطانيون أيضًا يخططون للعودة، حيث يمزجون بين الإمبريالية المتشددة وبين الذكاء التكتيكي المولود من سنوات من الخبرة في المنطقة والاستعداد للجوء إلى تدابير صارمة إذا ما استدعت الظروف ذلك. وفي الوقت نفسه، أثبت العرب عدم تعاونهم بشكل مدهش، ولا سيما ناصر نفسه، الذي برز كلاعب ذكي للغاية في اللعبة، مما أدى إلى إحباط خطط كيم الموضوعة بعناية للسلام العربي-الإسرائيلي.
ولقد ترجمت هذه النكسات إلى بعض الانتصارات الشيوعية المهمة التي، وإن لم تزعج كيم بشكل خاص، إلا أنها أرعبت جون فوستر دالاس، الذي بدأ الآن في العمل ضد أجندة العروبيين من خلال تعامله الشخصي للغاية مع السياسة الخارجية الأميركية، وميله البيروقراطي

إلى استخدام وكالة الاستخبارات المركزية كأداة للدبلوماسية المشفرة. وأخيراً، كان هناك دائماً خطر تقويض أغراض كيم الأكبر من خلال شخصيته، وخاصة رغبته في المغامرة ـ ممارسة الألعاب بالمعنى القديم الذي وضعه كيبلنج.

بالإضافة إلى مفهومه للألعاب المتعددة المتداخلة، فإن تجربة مايلز كوبلاند في الخدمة تحت قيادة كيم روزفلت في الشرق الأوسط قادته إلى استنتاج عام آخر. فقد كتب: "إن الشخص الذكي، أو الوكالة الذكية ، أو الحزب السياسي الذكي ، أو حتى الأمة الذكية قد تنشغل بالتفاعل في اللعبة، إلى الحد الذي يجعلها عالقة في مسار عمل يؤدي حتماً إلى الكارثة". وهذا ما أثبتته تجربة عروبيي السي آى ايه، حيث انتقلت اللعبة إلى مرحلة جديدة، تضم بعض اللاعبين المألوفين وبعض اللاعبين الجدد أيضاً.(2)

في وقت مبكر من صباح يوم الأربعاء الموافق 28 مارس 1956، قرع جيمس آيشلبرجر، رجل الدعاية والإعلانات الذي تحول إلى الرئيس الدائم لمحطة وكالة المخابرات المركزية في القاهرة، باب جناح في فندق كونوت الفاخر في مايفير بلندن. كان آيش قد أُمر بالذهاب إلى إنجلترا في أعقاب انهيار مبادرة أيزنهاور للسلام كجزء من برنامج أنجلو-أمريكي جديد في الشرق الأوسط، أوميجا OMEGA. وفي حين منح برنامج ألفا ناصر دورًا قياديًا في العالم العربي، سعى أوميجا إلى الحد من نفوذ المصريين لصالح زعماء أكثر تأييدًا للغرب في المنطقة. كانت مهمة آيش إعداد تقدير استخباراتي مشترك لآفاق هذا المخطط مع جهاز المخابرات البريطاني MI6، وتمهيد الطريق لوصول آلن دالاس نفسه وكيم روزفلت إلى لندن في الأول من أبريل، حيث ستنتقل المناقشات عند هذه النقطة إلى المستوى الوزاري. في طريقه للقاء

ضابط الاتصال في جهاز الاستخبارات البريطاني دان ديباردليبن في مكان سري في ويست إند، توقف إيشيلبرجر عند كونوت لاصطحاب شريكه الأميركي في المحادثات، ويلبر كرين إيفلاند.

من بين المغامرين الأميركيين الذين انجذبوا إلى الشرق الأوسط في السنوات الأولى من الحرب الباردة، سافر ويلبر إيفلاند إلى أبعد مدى، حرفياً ومجازياً. ولد بيل في عام 1918 لعائلة فقيرة من رواد الاستيطان في الغرب في سبوكين، بولاية واشنطن، وسرعان ما سئم من وجوده المنعزل والمحدود. وفي منتصف الثلاثينيات، في أعماق الكساد الأعظم، تجول في أنحاء أميركا، مثل المشردين، حتى وصل في نهاية المطاف إلى بوسطن في شتاء عام 1940. وكان يتجول في الشوارع بحثاً عن عمل أثناء النهار، وينام ليلاً في محطة ساوث، وكان يحضر بعض الدورات الدراسية الجامعية في حرم جامعة هارفارد (ستزعم سيرته الذاتية لاحقاً أنه حضرها بدوام كامل) ثم التحق بالجيش الأميركي. وكما بالنسبة للعديد من الرجال من جيله، فقد أثبتت الحرب العالمية الثانية أنها نقطة التحول. ففي وقت قصير، أكسبته ذكاء إيفلاند الفطري وقدرته على التقرب من كبار الضباط ترقيته إلى رتبة رقيب ثم تجنيده في فيلق مكافحة الاستخبارات CIC التابع للجيش، وهو نفس الطريق إلى أعمال التجسس في زمن الحرب الذي سلكه الجاسوس الذي صنع نفسه بنفسه هو الآخر، مايلز كوبلاند.(3)

وباستثناء فترة قصيرة بعد الحرب قضاها في العمل في شركة استيراد وتصدير في نيويورك، ظل إيفلاند في الجيش حتى منتصف الخمسينيات، فشغل منصب مساعد الملحق العسكري في العراق (وهو المنصب الذي شغله في وقت سابق آرتشي روزفلت) وممثل وزارة الدفاع في مجلس تنسيق العمليات، وحدة التخطيط السرية للحرب الباردة. وخلال هذه الفترة، اكتسب سمات المستعرب، بما في ذلك اللغة العربية الممتازة والتعاطف مع القضية الفلسطينية، وهو الموقف الذي

ادعى لاحقًا أنه تعزز بسبب شعوره القوي بالتماهي مع قريبه البعيد، تشارلز كرين المعروف بتأييده للعرب ومعاداته للصهيونية. (في الواقع، ليس من الواضح ما إذا كان هناك أي ارتباط بين الرجلين بخلاف الاسم المشترك.) وفي الوقت نفسه، طور إيفلاند أيضًا ذوقًا للفنادق الباهظة الثمن، كما يتضح من اختياره لفندق كونوت في لندن لإقامته، والملابس الراقية على الطراز الإنجليزي، وهي حقيقة لاحظها آيشلبرجر وكوبلاند عندما التقيا به لأول مرة في مطار القاهرة عام 1954. "قال آيش،" يا يسوع ، إنه يرتدي ملابس تنكرية! "بينما نزل إيفلاند الطويل النحيف درجات الطائرة، مرتديًا، وفقًا لتذكر مايلز لاحقًا، "بنطلونًا مخططًا وسترة أكسفورد رمادية مصممة خصيصًا من النوع الذي يرتديه المرء في الجنازات الدبلوماسية، و قبعة هومبورغ". لقد أثار هذا "الشبح" عدم ثقة آيشلبرجر على الفور، ولكن كوبلاند اعتاد أن يرحب بإيفلاند باعتباره "مهرج" kibbitzer بعد أن سمعه يذكر اسم فوستر عرضًا في محادثة حول وزير الخارجية.(4)

كان الأميركيون الذين يتمتعون بمعرفة إيفلاند باللغة العربية وبراعته في تنمية الاتصالات رفيعة المستوى نادرين في بداية الحرب الباردة، لذلك وعلى الرغم من غرائبه، فقد اختاره كيم روزفلت شخصيًا في يونيو 1955 للقيام بمهمة حساسة بشكل خاص إلى سوريا. في وقت مبكر من العام السابق، كانت المستعمرة الفرنسية السابقة قد تخلصت من الدكتاتورية العسكرية لصديق مايلز القديم، قائد الدبابة أديب شيشكلي. والآن، مع اكتساب حزب البعث القومي والاشتراكي المزيد من النفوذ، واكتساب الحزب الشيوعي المحلي سمعة باعتباره الأكثر نشاطًا خارج الكتلة الشرقية، كانت البلاد تنجرف بسرعة نحو اليسار، مما أثار مخاوف أميركية من استيلاء السوفييت على السلطة على غرار تلك التي سبقت انقلاب إيران عام 1953. ولم يكن من المفيد أن

الرئيس الجديد لم يكن سوى شكري القوتلي، السياسي ضعيف الإرادة الذي أطاح به حسني الزعيم في مارس 1949. ومن المؤسف أن السفير الأميركي في دمشق، المستعرب المخضرم جيمس إس. مووس، كان يواجه صعوبة في مواكبة وتيرة التطورات السياسية ـ فقد كان "في وضع لا يطاق"، على حد تعبير كيم ـ في حين فشل رئيس محطة وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية حتى الآن في تجنيد أي عملاء من بين النخب السياسية الجديدة في سوريا. وكانت مهمة إيفلاند، التي أطلق عليها اسم "ويكفول" WAKEFUL (حيث "وا" WA هي بادئة وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية لوصف سوريا)، تتلخص في استخدام اتصالاته العربية، على حد تعبيره في وقت لاحق، "لتوسيع آفاق سفارة دمشق لبضعة أشهر" ثم العودة إلى مكتبه في مجلس تنسيق العمليات. وبإقامته في لبنان المجاور، نجح إيفلاند سريعاً في إقامة روابط مع المتآمرين السوريين اليمينيين الذين كانوا يتآمرون ضد الحكومة اليسارية في بلادهم. ورغم أنه لم ينضم قط إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، فقد كان يقدم تقاريره مباشرة إلى آلن دالاس، فأصبح في الواقع الرجل الرئيسي لدالاس في سوريا، الأمر الذي أضاف طبقة أخرى من التعقيد إلى مناورات الدبلوماسية المشفرة التي تقوم بها الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. وفي هذا الدور سافر إيفلاند إلى لندن في مارس 1956، وكان حضوره في المحادثات الأنجلو-أميركية إلى جانب إيشيلبرجر سبباً في ضمان حصول سوريا على نفس القدر من الاهتمام الذي تحظى به مصر.(5)

وبعد جلسة إحاطة مع دان ديبارديليبن، واصل إيفلاند وإيشيلبرجر رحلتهما بالمترو إلى محطة سانت جيمس بارك، ثم مشيا مسافة قصيرة إلى مقر جهاز الاستخبارات البريطاني MI6 في مبنى برودواي رقم 54. وهناك فاجأتهما مفاجأتان.

الأولى كانت الحالة المزعجة والمتكدسة التي كانت عليها أماكن الإقامة في وكالة التجسس الشهيرة. وبعد ركوب مصعد قديم متهالك إلى الطابق العلوي، خرج الأميركيان إلى غرفة مؤتمرات كئيبة أظهرت جدرانها علامات واضحة على التلف الناجم عن الأمطار. وجلس حول طاولة ستة ضباط من جهاز الاستخبارات البريطاني MI6 يرتدون بدلات متطابقة مبعثرة وملطخة بالبقع، الأمر الذي جعلهم يبدون ليسوا وكأنهم خريجو جامعتي أكسفورد وكامبريدج من الطبقة الأرستقراطية، ولكن كموظفين متواضعين. وتذكر إيفلاند في وقت لاحق، وقد بدا عليه خيبة الأمل: "لم يكن هناك جيمس بوند في المجموعة".(6)

وكانت المفاجأة الأخرى بالنسبة للأميركيين هي الطبيعة اللاذعة لاستقبالهم. كان نائب مدير جهاز الMI6 جورج كينيدي يونج، وهو اسكتلندي ضخم البنية، اشتهر بنشاطه الجريء في فترة الحرب الباردة. وفي سيل من اللوم الذي تذكره إيفلاند في وقت لاحق، اتهم يونج كيم روزفلت الغائب بـ "التفاخر بإعادة شاه إيران إلى السلطة"، وخلق "وحش في ناصر"، ونقل معلومات استخباراتية عن مصر كانت "هراءً محضًا". وبينما كان إيفلاند وإيشيلبرجر يستمعان بذهول متزايد، شرع يونج بعد ذلك في وضع الخطوط العريضة لخطة من ثلاث مراحل لمنع انتشار الحياد الناصري والشيوعية في الشرق الأوسط. كانت المرحلة الأولى، التي كانت ملحة للغاية لدرجة أن المملكة المتحدة كانت مستعدة للقيام بها بمفردها في غضون شهر، "تغييرًا كاملاً لحكومة سوريا". وعلى الرغم من أن يونج أخفى عمدًا التفاصيل التشغيلية للانقلاب المخطط له، فقد كان من الواضح أن الحليف العربي الرئيسي لبريطانيا، العراق، سيلعب دورًا رئيسيًا، بما في ذلك شن غزو محتمل. وثانياً، أراد جهاز الاستخبارات الخارجية البريطانية "مناقشة الإمكانات السياسية التي تمتلكها السي آى ايه" ضد العناصر الناصرية

في المملكة العربية السعودية؛ ومرة أخرى، إذا لم يكن الأميركيون مستعدين لمرافقتهم، فقد يحشد البريطانيون العراقيين فضلاً عن أعداء السعوديين في المشيخات الواقعة على طول الخليج الفارسي. وأخيراً، وبعد إبعاد أصدقاء ناصر في سوريا والمملكة العربية السعودية عن الصورة، فإن الوقت قد حان "لإسقاط الحكومة المصرية نفسها، إذا لزم الأمر بالقوة (البريطانية والإسرائيلية)". وكأن هذا السيناريو من الفوضى المستحثة سراً لم يكن مزعجاً بما فيه الكفاية، فقد رش يونج عرضه بسخاء بإشارات استعمارية إلى "الووغ"/الزنوج و"الغجر".
(من المترجم:- هى مصطلحات سباب شوارع بريطانية لعموم العرب -بل لعموم من استعمروهم في آسيا وافريقيا- ، وخصيصا للمصريين تحديداً، خصيصا المصطلح التاني Gyppos الذي استخدمه العسكر البريطاني لوصف المصريين بالتحديد)
وهمس ضابط آخر من جهاز الاستخبارات الخارجية البريطانية لإيفلاند:
"لا تنزعج أيها الولد العجوز، لقد نفد صبر جورج إزاء الموقف اللامبالي الذي اتخذتموه تجاه موقف يعني بالنسبة لنا الحياة أو الموت".
وبعد اجتماعهما الأخير، في صباح الأول من أبريل، وقف يونج مهددًا فوق رأس إيفلاند بينما كان يكتب برقية إلى واشنطن تلخص المحادثات. ولم يعترض يونج على الوصف الصريح الذي قدمه الأميركيون للموقف البريطاني، بل طالب بإدخال عبارات كوارثية مثل "مهما كانت التكلفة فإننا سننتصر"، وحتى الأكثر شؤماً هو أن "بريطانيا أصبحت الآن مستعدة لخوض معركتها الأخيرة".(7)

كان هناك شيء فاسد في وايت هول. ولم تكن هذه مجرد حالة من وعكة للمستعمر القديم في عالم ما بعد الاستعمار، أو الكآبة السوداوية "الخافتة المحيطة" التي اكتشفها ضابط اتصال آخر في وكالة

الاستخبارات المركزية الأميركية، تشيستر إل. كوبر، عند وصوله إلى لندن في الصيف السابق. فقد بدا البريطانيون غاضبين، انتقاميين، وغير عقلانيين.
وادعى جيم إيشيلبرجر أنه سمع يونج يقول إن جهاز الاستخبارات البريطاني (إم آي 6) كان يخطط لمحاولة اغتيال ناصر. "لقد تحدث صراحة عن اغتيال ناصر، بدلاً حتى من استخدام تعبير مهذب مثل التصفية" حسبما أفاد رجل وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية بعد عودته إلى القاهرة. وبعد سنوات، كشف ضابط الاستخبارات البريطاني السابق المنشق بيتر رايت في مذكراته "صائد الجواسيس" تفاصيل خطط جهاز الاستخبارات البريطاني (إم آي 6) لوضع عبوات غاز الأعصاب داخل أنظمة التهوية في مقر الزعيم المصري؛ وعندما فشلت تلك المؤامرة، ناقش الجواسيس استخدام علبة سجائر تحتوي على سهام مُحمَّلة بالسم. ومع استيلاء الكراهية القاتلة على رئيس الوزراء أنتوني إيدن لناصر، وعدم إشراف وزارة الخارجية البريطانية على جهاز الاستخبارات البريطاني (إم آي 6)، بدا الأمر وكأن خيالات جواسيس مبنى برودواي لا حدود لها. وليس من المستغرب أن تكثر صور الألعاب، على الرغم من وجود شعور متزايد بأن القواعد القديمة لم تعد مهمة، مما أفسحت المجال لنوع من الحس العدمي بالفوضى الشاملة. وكتب مايلز كوبلاند في وقت لاحق: "ما أزعجنا أكثر من أي شيء آخر هو حقيقة أن البريطانيين لم يتفاعلوا على الإطلاق مثل اللاعبين المتمرسين ذوي الدم البارد... كان الأمر وكأن أحد أساتذة الشطرنج الكبار، الذي شعر بالحرج من تفوق خصم له -يعتبره أدنى منه- عليه، فأراد أن يركل طاولة اللعب."(8)

ومع ذلك، كانت هناك عدة عناصر في المقترحات البريطانية التي كانت واردة أيضاً في الخطط الأميركية بشأن أوميجا، والتي عرضها فوستر

دالاس على الرئيس خلال اجتماع في البيت الأبيض في 28 مارس 1956. ورغم الألم الذي لحق عن طريق صفقة الأسلحة التشيكية وفشل مشروع ألفا، فقد اتفق الأميركيون على ضرورة إخضاع ناصر، أو على الأقل إظهار أنه لا يستطيع الاستمرار في التعامل مع السوفييت ويتوقع "معاملة الدولة الأكثر رعاية من الولايات المتحدة". وفي الوقت نفسه، كانت الولايات المتحدة تساعد بريطانيا في بناء دول حلف بغداد كقوة موازنة للنفوذ الناصري والشيوعي في المنطقة؛ وكان أحد المقترحات يدعو إلى تقديم المساعدة الأميركية للإذاعة العراقية حتى يتسنى لها الرد بالمثل على الإذاعات المصرية التي تندد برئيس الوزراء الموالي للغرب، نوري السعيد. وكان الأمر الأكثر أهمية هو قبول الولايات المتحدة للحاجة إلى التخطيط المشترك السري مع البريطانيين لتحقيق "تغيير محتمل للحكومة في سوريا إلى حكومة أكثر صداقة للعراق والغرب". وكان من المفيد أن المتغطرس جورج يونج لم يكن الصوت البريطاني الوحيد الذي حث على اتخاذ إجراء ضد إدارة أيزنهاور. فقد انضم رئيس الوزراء إيدن، ووزير الخارجية لويد، والسفير روجر ماكينز إلى ما وصفته وكيلة وزارة الخارجية إيفون كيركباتريك باستخفاف بأنه "عملية تعليمية من خلال قنوات مختلفة". وكما حدث في إيران قبل ثلاث سنوات، لاحظ البريطانيون أن "الانشغال الرئيسي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط كان التهديد الذي يشكله التوسع الروسي" وعدلوا رسالتهم وفقاً لذلك.(9)

ومع ذلك، وعلى الرغم من كل هذه القواسم المشتركة، كانت هناك عدة اختلافات مهمة بين النسختين الأميركية والبريطانية من أوميجا. كان التفضيل الأميركي لسوريا هو تغيير النظام من قِبَل جماعات المعارضة الداخلية من النوع الذي كان بيل إيفلاند يزرعه في خطة WAKEFUL، وليس بعض التدخل العسكري المباشر من قِبَل قوة

مجاورة معادية مثل العراق أو تركيا أو إسرائيل، والتي قد تخدم المصالح البريطانية ولكنها من المؤكد أنها ستثير عداوة بقية العالم العربي.

وكانت دعوة يونج إلى عملية مشتركة ضد المملكة العربية السعودية مرفوضة بشكل قاطع. صحيح أن السعوديين كانوا حلفاء أقل جاذبية منذ وفاة ابن سعود في عام 1953 (كان خليفة الملك القديم، ابنه سعود، يفتقر إلى هيبة وقدرات والده، وكان يثبت أنه متساهل للغاية تجاه مصر ناصر) ولكن مع حقولها النفطية وقواعدها العسكرية الأميركية، ظلت المملكة الصحراوية، التي وصفها آلن دالاس خلال أحد اجتماعات مجلس الأمن القومي بأنها "من ألف ليلة وليلة، مع إضافة سيارات الكاديلاك"، تشكل أهمية بالغة بالنسبة للاستراتيجية الأميركية في المنطقة؛ وكان دوايت أيزنهاور على وجه الخصوص يأمل أن يتحول سعود إلى زعيم روحي عظيم قادر على تحدي ناصر على زعامة العالم العربي.

أما بالنسبة لمصر، فقد كان تركيز إدارة أيزنهاور أقل على التخلص من ناصر ـ وإن لم يكن من المستبعد اتخاذ مثل هذا الإجراء في الأمد البعيد ـ بل كان يركز أكثر على ممارسة الضغوط الخفية عليه، من خلال حجب المساعدات وفرض العقوبات على سبيل المثال، حتى يتسنى له في نهاية المطاف أن يقتنع بإصلاح سلوكه. وقد أوضح فوستر دالاس للرئيس: "إننا نريد في الوقت الراهن أن نتجنب أي قطيعة مفتوحة، وأن نترك لناصر جسراً للعودة إلى العلاقات الطيبة مع الغرب إذا رغب في ذلك". وكما كان متوقعاً، لم يبال البريطانيون بهذا الاستعراض للفكر الأميركي المستقل. فعندما كتب لويد إلى إيدن مذكرة يصف فيها "عدم رغبة الولايات المتحدة في الاعتراف بأن لدينا سياسة مشتركة"، سجل رئيس الوزراء رداً من كلمة واحدة في الهامش: "حماقة".(10)

ولكن أين كان موقف وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية من هذه الأسئلة؟ من الواضح أن البريطانيين، ربما وهم يتذكرون العملية الأنجلو-أميركية في إيران عام 1953، كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون الاعتماد على جواسيس واشنطن لدعم مخططاتهم الأخيرة داخل إدارة أيزنهاور. وكتب سلوين لويد إلى روجر ماكينز: "سيكون من الأسهل أن نوفق بين الرئيس وفوستر دالاس في سياسة جديدة تجاه الشرق الأوسط إذا نجحنا أولاً في إقناع آلن دالاس وتأمين تعاونه في التدابير العملية التي قد تكون ضرورية". ولا توجد سجلات للاجتماعات بين جهاز MI6 وبين كيم روزفلت التي جرت في لندن خلال الأسبوع الأول من إبريل 1956 (قرر آلن دالاس البقاء في منزله، مدعياً أنه يعاني من النقرس، ولو أن هذا ربما كان ذريعة لتجنب تعريض نفسه للضغوط البريطانية غير المرغوب فيها؛ وذكر ماكينز أن دالاس "كان متردداً للغاية في الذهاب"). ولكن من الواضح من مصادر مختلفة أن كيم خيب آمال البريطانيين، وصب الماء البارد على خطة "ستراجل" STRAGGLE، الإسم الرمزي لخطة يونج لانقلاب في سوريا بمساعدة العراق. وفي أوائل شهر مايو، أخبر لويد فوستر دالاس، "على أساس المحادثات التي أجراها خلال زيارة كيرميت روزفلت إلى لندن"، أن "وكالة المخابرات المركزية كانت أكثر تشككا من البريطانيين... في إمكانية تنفيذ العملية". وأوضح آلن دالاس لشقيقه بعد بضعة أيام، بعد أن استشهد فوستر بعملية إيران TP-AJAX كسابقة محتملة، "لا تبدو خططهم لنا واقعية تمامًا، ومن غير المرجح أن تحقق النتائج المرجوة. فالوضع لا يلائم نفس النوع من العمليات التي فعلت في إيران".(11)

ولم يكن تردد كيم بشأن خطة "ستراجل" ظاهرة معزولة. ولم يكن مضى وقت طويل بعد عملية TP-AJAX حتى دعا فوستر دالاس كيم

مرة أخرى إلى تولي قيادة عملية PB-SUCCESS، وهي عملية شبه عسكرية للإطاحة بجاكوبو أربينز جوزمان، الرئيس المنتخب ديمقراطياً لغواتيمالا، والذي كان يزعج واشنطن بجهوده القومية -المستوحاة زعماً من الشيوعية- لمصادرة الأراضي المملوكة لشركة "يونايتد فروت" الأميركية. ورفض كيم. فقد اعتقد أن عملية أجاكس نجحت، وذلك في المقام الأول لأن أهداف وكالة المخابرات المركزية كانت مشتركة بين أعداد كبيرة من الإيرانيين، وكان من الواضح أن نفس الوضع لم يتوفر بين الغواتيماليين. واستمرت العملية دون كيم، واستقال أربينز في يونيو 1954، وذلك في المقام الأول لأن العلامات الصارخة للعداء الأميركي لحكومته أرعبته وأقنعته بأن غزوًا عسكرياً أميركياً كاملاً بات وشيكاً ما دام في السلطة. وعلق كيم في وقت لاحق قائلاً: "لقد تحققت إرادتنا في غواتيمالا، لكن ذلك لم يتحقق حقاً بوسائل سرية".(12)

ولعل هناك لمحة من التعزيز الذاتي في المقارنات غير المحببة التي أجراها كيم بين أجاكس وساكسس، ولكن اعتراضاته على الجوانب الأكثر تدخلاً في العملية الغواتيمالية تبدو صادقة بما فيه الكفاية وتساعد في تفسير إحجامه عن التجمع وراء الخطط البريطانية لـ STRAGGLE. ومن الممكن أن نكتشف حذراً مماثلاً في رد المستعرب على اقتراح آخر من قِبَل جهاز الاستخبارات البريطاني MI6: الاطاحة بناصر.

ووفقاً لنائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية آنذاك، روبرت أموري، "كان كيم مرعوباً تماماً من فكرة ... الترتيب للإطاحة بناصر بدعم من الجيش المصري" لأنه "كان يعرف شيئاً عن أساليب التعذيب التي يستخدمونها". وسواء كان كيم قد دفعه إلى القيام بذلك أم لا، ولكن بعد عودته إلى القاهرة من لندن، سرب جيم إيشيلبرجر بعض خطط جهاز

الاستخبارات البريطاني إلى اتصالاته المصرية، محذراً إياهم من أن البريطانيين "عازمون على القيام بـ"عملية مصدق مع ناصر".
وكما المتوقع منه، ذهب مايلز كوبلاند إلى أبعد من ذلك. فوفقاً لروايته اللاحقة، والتي لا شك أنها كانت مزخرفة ولكنها ربما لا تزال تحتوي على ذرة من الحقيقة، أرسل الأخوان دالاس مايلز إلى مصر للتحقيق في إمكانية اغتيال ناصر على أساس تفاهم ضمني بأنه سيتوصل إلى تقييم سلبي وبالتالي، كما كان من المأمول، أن يثبط عزيمة أي محاولة بريطانية. وبمجرد وصوله إلى القاهرة، اعترف مايلز على الفور بمهمته لناصر، وعندها بدأ الأصدقاء القدامى في لعب الألعاب بالتخطيط لمؤامرات اغتيال محتملة. فسأل الأمريكي المصري: "ماذا عن السم؟". "لنفترض أنني انتظر فقط حتى تدير رأسك ثم أضع حبة في قهوتك؟" فأجاب ناصر: "حسناً، ها هو حسن يقف هناك". "لو لم أرك، فإن حسن سيراك." "ولكن ربما نستطيع رشوة خادم لتسميم القهوة قبل إحضارها؟" "القهوة لن تقتل إلا المتذوق." وهكذا استمر الحديث - على الأقل في ذاكرة مايلز.(13)

حتى الخطط المناهضة لناصر من أفراد إدارة أيزنهاور (البيت الابيض وحكومة فوستر دالاس) والتي كانت مقيدة نسبياً لم تجد استحساناً كبيراً لدى المستعربين في وكالة المخابرات المركزية. وفي رد فعله على ورقة التخطيط التي أصدرتها وزارة الخارجية في الثامن والعشرين من مارس تحت عنوان "أوميجا"، اشتكى كيم من فشلها في السماح باستئناف المحادثات المباشرة مع ناصر إذا أظهر علامات الإصلاح أو في توضيح أن "التدخل المباشر" لم يكن في هذه المرحلة سوى واحد من عدة مسارات عمل ممكنة. وبعد عودته من اجتماعه في لندن مع جهاز الاستخبارات الخارجية البريطاني، بدأ كيم في حضور اجتماعات مجموعة تخطيط سياسة الشرق الأوسط، وهي لجنة رفيعة

المستوى بين الوكالات تشكلت في الأصل لمناقشة خطة السلام ألفا ولكنها الآن مخصصة لأوميجا. لقد قضت المجموعة نفس القدر من الوقت في دراسة المقترحات الإيجابية لتحسين موقف الغرب في العالم العربي، بما في ذلك فكرة آلن دالاس بشأن "مؤسسة تنمية الشرق الأدنى"، كما فعلت في التدابير العقابية. ولقد بدا أن فكرة خطة مارشال الشرق أوسطية، التي اقترحها كيم في كتابه "العرب والنفط والتاريخ"، لم تمت بعد بالكامل.(14)

وفي الوقت نفسه، وبعيداً عن "الضغط على ناصر"، كما أمرت أوميجا، بدا أن محطة وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في القاهرة تفعل العكس وتقترب أكثر من أعضاء الدائرة المحيطة بالزعيم المصري، وخاصة علي صبري وزكريا محيي الدين. وإلى حد ما، كانت هذه الاتصالات تهدف إلى تعريض المصريين للحجج الأميركية ضد الحياد في الحرب الباردة وبالتالي توليد بعض "التأمل الذاتي" الناصري. (وكانت مثل هذه التبادلات، التي كانت في كثير من الأحيان "حماسية، ولكنها ودية دائماً"، وفقاً لبرقية صادرة عن وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية من القاهرة، تنتهي عادة بتقديم زكريا النصيحة بسعادة بأن الولايات المتحدة "لا ينبغي لها أن تقلق كثيراً بشأن الموقف"). وفي مناسبات أخرى، بدا أن الجواسيس يتصرفون في مخالفة مباشرة لأوميجا، كما حدث عندما ألقوا باللوم في "سوء الفهم" الأخير بين مصر والولايات المتحدة على التدخل الصهيوني والبريطاني، وليس على ناصر نفسه.
وكان التعبير الأكثر بروزاً عن المعارضة للخط الجديد لإدارة أيزنهاور من قِبَل جيم إيشلبرجر في برقية مؤرخة 2 مايو 1956. حيث حذر الرئيس الدائم لمحطة وكالة الاستخبارات المركزية في القاهرة من أن الولايات المتحدة سوف ترتكب خطأً فادحاً إذا انخرطت في "قتال مباشر

مع القومية العربية"، لأن مثل هذا المسار من العمل من شأنه أن "يؤدي على الأرجح إلى هزيمة المصالح الغربية في هذه المنطقة".
وفيما يتصل بالتدابير المحددة التي تفكر فيها واشنطن، زعم آيشلبرجر أن الدعاية المعادية للسوفييت من غير المرجح أن يكون لها تأثير كبير على الرأي العام في الشرق الأوسط؛ ومن المرجح أن تدفع العقوبات المفروضة على مصر نظام ناصر، وربما حكومات قومية عربية أخرى، إلى قبول المزيد من المساعدات من الكتلة الشرقية؛ وأن "العمل السياسي السري، وخاصة ذلك الذي ينطوي على استخدام القوة، من شأنه أن ينطوي على درجة أكبر من الخطر المعتاد المتمثل في ارتداد النتيجة، حتى لو نجح في البداية".
وفي بعض الأماكن، تبدو برقية آيشلبرجر أقرب إلى نقد السياسة الخارجية الأميركية في الخمسينيات من قِبَل أكاديمي ليبرالي معاصر في زماننا أكثر من كونها رسالة تحذيرية من وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في تلك الحقبة ذاتها. وعلى هذا فقد وجدت هذه البرقية صدى قوياً في التقارير التي أرسلها السفير الأميركي في القاهرة، حليف العروبيين القديم هنري بيرود، إلى واشنطن، والذي أصبح طوال النصف الأول من عام 1956 أكثر حدة في انتقاداته لسياسات جون فوستر دالاس تجاه مصر. وفي بعض الأحيان، كانت سفارة القاهرة في حالة تمرد شبه علني ضد واشنطن.(15)

ولعل التأثير الرئيسي للرسائل المختلطة التي كانت الولايات المتحدة ترسلها إلى ناصر كان إرباكه بشأن النوايا الأميركية، ولكنها على الأقل أشارت إلى أن أميركا لم تتخل بعد في بعض الأوساط عن تعاطفها التقليدي مع القومية العربية. فضلاً عن ذلك فإن معارضة كيم لخطط جهاز الاستخبارات البريطاني MI6 في سوريا ومصر أظهرت أن غرائزه المولعة ببريطانيا وبالمغامرة كانت محدودة: فهو لم يكن لينضم

إلى البريطانيين في حملتهم المتهورة على نحو متزايد لاستعادة مكانتهم الإمبراطورية في الشرق الأوسط. والواقع أن كيم بدا حذراً ومحافظاً بشكل واضح إلى جانب الجعجاع الهجّاص جورج يونج، الذي وصف الجواسيس ذات يوم بأنهم "الحراس الرئيسيون للنزاهة الفكرية" في المجتمع الحديث. وهناك حادث آخر وصفه بيل إيفلاند في مذكراته كان كاشفاً. ففي أثناء مروره بلندن مرة أخرى في مايو 1956، سجل إيفلاند تسجيلاً سرياً لمحادثة مع يونج لتسليمها إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية. ولكن كيم لم يرحب بمبادرة إيفلاند، بل أعلن أن حيلته "غادرة": فقد "انتهك كل قواعد التجسس بين الحلفاء". ومن الواضح أن الخريج القديم من مدرسة جروتون ما زال يؤمن باللعب وفقاً لقواعد اللعبة، حتى ولو لم يؤمن بها ضباط جهاز الاستخبارات البريطاني من خريجي المدارس العامة.(16)

ولكن كيرميت روزفلت لم يستطع مقاومة الدعوة إلى خوض مغامرة شبيهة بمغامرة بطله الروائي كيم بشكل تام. فمع انشغال كل ضباط وكالة الاستخبارات المركزية تقريباً على مستوى نائب المدير أو ما فوق بتحدي من تحديات الحرب الباردة ـ على سبيل المثال، فرانك ويزنر، بتحرير أوروبا الشرقية ـ كان كيم يتمتع بحرية التصرف تقريباً في الشرق الأوسط سواء أراد ذلك أم لم يرد. وقد حولته عملية أجاكس الإيرانية إلى "سيد الفعل السياسي" في الوكالة، وأحد أوائل الأشخاص الذين يتم استشارتهم إذا ما اعتُبر زعيم من زعماء العالم الثالث في حاجة إلى استبداله، سواء في إيران أو غواتيمالا أو إندونيسيا. وكانت صورة من صور مغامرات كيبلينج تلاحقه، وكأنها سحابة غير مرئية. وكتبت الدبلوماسية البريطانية إيفلين شوكبورج في مذكراتها في يناير 1956 بحماس: "كيم روزفلت في اللعبة"، بعد أن علمت أن الأميركيين يتولوا مفاوضات ألفا في مصر. ولقد خلق اسمه نفسه، الذي

كان يستحضر كلاً من اللعبة الكبرى والرئيس "الفارس العنيف" جده ثيودور، توقعات معينة منه.(17)

ثم ظهر مساعد كيم، مايلز كوبلاند. وبحلول عام 1956، كان مايلز قد أخذ اللعب إلى مستوى جديد تماماً. فعندما لم يكن يتبادل المزاح مع ناصر في القاهرة، كان مايلز يساعد في إدارة وحدة من خمسة أعضاء تابعة لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية تحت قيادة كيم المباشرة، وهي هيئة العمل السياسي، التي امتدت مهمتها - التفكير في مشاريع جديدة لمواجهة الحرب السياسية والنفسية السوفييتية - إلى ما هو أبعد من الشرق الأوسط لتغطية جميع مسارح العالم الثالث في الحرب الباردة. وبمساعدة ضابط الاستخبارات البحرية السابق روبرت س. ماندلستام، استكشف مايلز احتمالات واعدة مثل برنامج "السحر والشعوذة في الأماكن العليا للسلطة" OHP، وهي خطة لزرع المنجمين والسحرة "وغيرهم من مفسري السحر" على زعماء العالم الثالث الخرافيين بهدف التأثير على أفعالهم في اتجاه مؤيد للغرب. وفقًا ل"لاعب اللعبة"، فإن مشروع OHP الخاص بماندلستام شمل عددًا من المستشارين الأميركيين الخاصين المهتمين بالغيبيات، بما في ذلك مؤسس "السيانتولوجيا" إل رون هوبارد (الدين الأمريكي من أديان العالم الجديد).
وإذا بدت هذه الادعاءات خيالية، فإنها تتلقى بعض التأكيد المستقل في مذكرات دونالد ويلبر، عالم الآثار الفارسي الذي ساعد في التخطيط لمشروع TP-AJAX، والتي لم تُقرأ على نطاق واسع. يتذكر ويلبر خدمته في "مجموعة كيم الخاصة" خلال الخمسينيات، إلى جانب مايلز كوبلاند "الأكثر تحفيزًا". ومن بين "الأساليب الجديدة للعمل السياسي والحرب النفسية" التي استكشفتها المجموعة الاستخدام المحتمل للتنويم المغناطيسي في إلقاء الخطاب السياسي، والذي حقق فيه ويلبر

بعمق بمساعدة منوم مغناطيسي أمريكي بارز. وعلى الرغم من رفض الفكرة في النهاية باعتبارها غير عملية من الناحية العملية، فقد تعلم ويلبر على الأقل كيفية تنويم ضيوف حفل عشاء عنده باستخدام الإشارة "نسج السجاد في إيران".(18)

ولكن مايلز لم يكن يلعب الألعاب مجازيًا فحسب؛ كان مايلز يقوم بذلك حرفياً. فبعد فترة وجيزة من استدعائه من القاهرة إلى واشنطن في عام 1955، أصبح ضابط وكالة المخابرات المركزية ضيفاً منتظماً في مكتب وزارة الخارجية في الطابق الثاني عشر المطل على شارع كونيتيكت، حيث، وفقاً لكتاب "لعبة الأمم"، "قامت مجموعة مختارة بعناية من الخبراء الخارقين "بلعبة" الاتجاهات والأزمات الدولية للتنبؤ بنتائجها".
في تمرين نموذجي في "مركز الألعاب"، قامت فرق تمثل دولاً معينة بتقييم استجاباتها لسيناريو خيالي على أساس معلومات حقيقية يتم إرسالها إليهم كل ساعة عن طريق التلغراف من قبل مصادر استخباراتية أمريكية مختلفة ثم قاموا بتجميع تقرير تم إدخاله إما في جهاز كمبيوتر أو تمريره إلى مكاتب البلدان ذات الصلة في الإدارات المهتمة. كانت مهمة مايلز في هذه الألعاب هي نفسها دائمًا. لقد لعب دور جمال عبد الناصر، وهو الدور الذي كان يُطلَب منه أيضًا القيام به في اجتماعات التخطيط الاستراتيجي في مكاتب جون فوستر دالاس وهربرت هوفر الابن. وكان "تمثيله لدور عبد الناصر" مقنعًا إلى الحد الذي جعل كبار المسؤولين ينسون أحيانًا أنه كان يتظاهر فقط. وخلال إحدى الأزمات في العلاقات الأمريكية-المصرية، قال له آلن دالاس بغضب: "إذا دفعنا هذا العقيد حبيبك بعيدًا جدًا، فسوف نكسره إلى نصفين!". (19)

ولقد بحث مؤرخو "ألعاب الحرب" التي كانت تديرها الحكومة الأميركية عبثاً عن سجلات توثق مركز مايلز للألعاب. ورغم ذلك فإن وجود مثل هذا المركز في منتصف خمسينيات القرن العشرين يبدو مرجحاً بدرجة كافية. فقد بدأت ألعاب الحرب التي طورتها مؤسسة راند RAND، وهي مؤسسة بحثية استراتيجية بدأت في فترة الحرب الباردة، و كانت تتبع صيغة تشبه إلى حد كبير الصيغة التي وصفها كتاب "لعبة الأمم"، في الانتشار في مراكز البحوث النخبوية على الساحل الشرقي والتي ترتبط بوكالة الاستخبارات المركزية ووزارة الخارجية والبنتاغون. وكان مايلز خياراً واضحاً للمشاركة في مثل هذه التدريبات. فبالإضافة إلى معرفته غير العادية بناصر، كان مهتماً بشكل جوهري بنظرية الألعاب، وهو النظام المعقد من الفكر الرياضي والاجتماعي الذي استندت إليه تصاميم الألعاب الأصلية التي أعدتها مؤسسة راند.

والواقع أن مفاهيم نظرية الألعاب المهمة مثل "النتيجة المثلى" ـ نتيجة اللعبة التي لا يمكن تحسينها بأكثر منها من دون الإضرار بلاعب واحد على الأقل ـ كانت مستمدة من كتابات فيلفريدو باريتو، المفكر الإيطالي الذي أثر على معلم مايلز الفكري، جيمس بيرنهام.

إن فكرة العلاقات الدولية باعتبارها لعبة قائمة بذاتها وتحكمها قواعد عقلانية، تعكس المفهوم الباريتوسي للمجتمع باعتباره نظاماً أو كائناً مغلقاً يسعى بطبيعته إلى تحقيق التوازن. وبعبارة أخرى، فإن رواية مايلز عن المشاركة في ألعاب الحرب التي أجرتها وزارة الخارجية بهدف التنبؤ بسلوك ناصر تحمل في طياتها قدراً من الحقيقة (حتى ولو لم يكن ادعاؤه المصاحب بأنه كتب "كتاباً مدرسياً ضخماً لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، بعنوان "ألعاب غير رياضية لضباط استخبارات غير قادرين على العد" صحيحاً). وكأن اللعبة الكبرى قد

أعيد اختراعها من أجل الحرب الباردة، لكن في غلاف علمي-اجتماعي أميركي لامع.(20)

ومع ذلك، وكما أشار مايلز والمؤرخون اللاحقون، كان هناك دائماً توتر في لعبة الحرب التي تخوضها الحكومة الأميركية بين النظرية والتجربة المعاشة، وبين العقلانية العلمية والسلوك غير العقلاني في كثير من الأحيان للجهات الفاعلة التاريخية الحقيقية. ولقد كان العداء الشخصي المتزايد الذي أصبح يكنه جون فوستر دالاس لناصر، والذي كان يغذيه مزيج من الكالفينية والاستشراق والاستفزاز البريطاني الذكي له، من الأمثلة الواضحة على ذلك. ويتذكر حسنين هيكل: "كنا نسمع عبارة "الوزير مجنون". لقد سمعناها مرات عديدة حتى بدأ ناصر يعتقد في نهاية المطاف أنه مجنون حقاً".
وجاءت نقطة التحول في السادس عشر من مايو، عندما اعترفت الحكومة المصرية رسمياً بالصين الشيوعية كممثل للشعب الصيني، في خطوة تعادل ما كان يعنيه إقالة غلوب باشا بالنسبة لأنتوني إيدن. ومن عجيب المفارقات أن هذه الخطوة كانت مدفوعة جزئياً برغبة ناصر في استغلال الانقسام الصيني-السوفييتي البازغ في بداياته ساعتها لتحقيق ميزة تكتيكية لمصر على السوفييت، ولكن يبدو أن مثل هذا الاحتمال لم يخطر ببال وزير الخارجية، الذي لم ير في هذه الخطوة سوى دليل إضافي على أن ناصر كان يربط عربته لقيادة الحركة الشيوعية العالمية. وعندما استدعى السفير حسين إلى وزارة الخارجية لتوبيخه، ثار فوستر دالاس، الذي بدا أكثر فأكثر وكأنه إيدن، قائلاً: "لقد عقد ناصر صفقة مع الشيطان على أمل ... إقامة إمبراطورية تمتد من الخليج الفارسي إلى المحيط الأطلسي".(21)

وفي الأسبوع التالي، في الثالث والعشرين من مايو، جاء دور كيم روزفلت ليتم استدعاؤه إلى مكتب الوزير لحضور مؤتمر مع خبراء وزارة الخارجية في الشرق الأوسط لمناقشة "توسيع برنامج أوميجا". ومن بين التدابير المدرجة على جدول الأعمال التي يتعين النظر فيها في هذا الاجتماع الحاسم التوزيع السري لـ"المواد الإعلامية التي تشير إلى تطابق ناصر مع الشيوعيين"، و"الجهود المبذولة في المملكة العربية السعودية لاستغلال عدم الثقة الكامن لدى الملك سعود في المصريين"، والأهم من ذلك، التخطيط مع البريطانيين "لعمل سري محتمل" في سوريا "لإحضار حكومة موالية للغرب إلى السلطة والحفاظ عليها".

ولقد تم حذف مساهمات كيم في المناقشة من السجلات الرسمية، وإن كان من السهل أن نتخيل أن معنوياته قد هبطت بينما كان يتأمل المزيد من التدهور في العلاقات الأميركية مع مصر ناصر والاندفاع إلى العمل مع البريطانيين في سوريا. وبعد وقت قصير من الاجتماع، وافق فوستر دالاس على "عملية استقصائية" تتضمن اتصالات مع سوريين وعراقيين مختارين لتحديد مدى القوة المؤيدة للغرب التي يمكن حشدها في سوريا". ثم استدعى ريموند أ. هير، نائب مدير وزارة الخارجية والسفير السابق في المملكة العربية السعودية، بيل إيفلاند إلى مكتبه. وقال هير لإيفلاند: "عليك أن تكون "المحقق".(22)

وبعد فترة وجيزة، استقال إيفلاند من وظيفته في هيئة تنسيق العمليات (OCB) وغادر واشنطن في تذكرة ذهاب بلا عودة إلى بيروت، واتخذ من بيروت مقراً دائماً للإقامة في المدينة التي أصبحت، مع تزايد حظر الوصول إلى القاهرة بالنسبة للجواسيس الأميركيين، قمرة القيادة لجهود التجسس الأميركية في الشرق الأوسط. وفي مذكراته التي تكشف الكثير من الحقائق تحت عنوان "حبال الرمال" والتي نشرت

عام **1980**، حاول إيفلاند أن يصور نفسه على أنه أحد المنتقدين المعاصرين للعمليات السرية الأميركية في الحرب الباردة، والذي كاد أن يُخدع ليصبح الرجل الرئيسي الذي اختاره آلن دالاس في سوريا. ولكن القراءة المتأنية لهذا العمل (الذي يبدو موثوقاً إلى حد كبير بخلاف ذلك)، إلى جانب الأدلة الوثائقية من تلك الحقبة ذاتها، تشير إلى العكس ـ أن إيفلاند انتهز الفرصة للانتقال إلى بيروت للعمل مع آلن دالاس.

كتب في "حبال الرمال" "لقد تعاملت الآن مع رؤساء الدول والسياسات الدولية. وباتت فكرة العودة إلى الحياة الروتينية للناس العاديين أقل جاذبية كل يوم".(23)

ولقد كان هناك عامل شخصي آخر. فقد كان إيفلاند متزوجاً من مارغوري، وهي ممرضة من كانساس لم تشاركه حبه للسفر الدولي الساحر، وفضلت البقاء في الولايات المتحدة لتربية ابنهما المتبنى كرين. وفي عام **1954**، أثناء رحلة إلى القاهرة، وقع إيفلاند في غرام مضيفة طيران تابعة لشركة بان آم، تدعى ميموزا "ميمي" جيوردانو، والتي كانت مقيمة في بيروت. وقبل وقت قصير من مغادرته إلى "عملية التحقيق" في سوريا، أعلن بيل إيفلاند عن نيته في الطلاق من مارجوي والزواج من ميمي. واعترف في وقت لاحق قائلاً: "لقد كان الجو الذي كنت أعيش فيه مليئاً بالنشوة، وكانت سوائلي تتدفق". وبالنسبة لجاسوس أميركي ذكر أثناء خمسينيات القرن ال**20**، كان الشرق الأوسط بمثابة ملعب لأكثر من سبب واحد.(24)

إن التحول في سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط من ألفا إلى أوميجا ربما خلق فرصاً جديدة للمغامرة الذكورية، ولكنه كان أيضاً بمثابة بداية النهاية لمشروع أنصار العرب في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية لدعم ناصر باعتباره البطل القومي للعالم العربي.

وسرعان ما أصبحت العواقب الوخيمة لأوميغا واضحة ليس فقط في الشرق الأوسط نفسه، حيث كانت هناك تزايد لموجة من العمليات السرية للوكالة التي كانت تهدف إلى مكافحة القومية العربية بدلاً من دعمها، بل وأيضاً في الولايات المتحدة، حيث تم تطهير شبكة كيم روزفلت الحكومية-الخاصة من العروبيين والمناهضين للصهيونية من أكثر مؤيدي ناصر صراحةً.

(من المترجم :- سينتقل الدعم "العروبي" الأمريكي من كل من السي آى ايه وشركة أرامكو الأمريكية -وواجهتهم منظمة AFME- الى عواصم عربية أخرى لتقود هى "المشروع العروبي-الأمريكي" بدلا من ناصر!)

ولكن أولاً، جاءت اللعبة الأكثر جرأة حتى الآن: تأميم ناصر لقناة السويس.

الفصل السابع عشر:
أصبحت بشكل متزايد وسيلة لأجل غايتك

في التاسع عشر من يوليو 1956، وبعد أشهر من الخلاف المتزايد بين مصر والولايات المتحدة بسبب صفقات الأسلحة التشيكية، وانهيار محادثات السلام في إطار مجموعة جاما، واعتراف القاهرة بالصين الشيوعية، أبلغ جون فوستر دالاس السفير أحمد حسين أن الولايات المتحدة تسحب عرضها للمساعدة في تمويل السد العالي في أسوان، وبالتالي تعلن فعلياً انتهاء مغازلة إدارة أيزنهاور للحكومة القومية المصرية التي استمرت ثلاث سنوات.

وقد سبقت هذه الخطوة عدة إشارات واضحة إلى أن الانفصال الحاسم بات وشيكاً، وكان أبرزها نقل السفير العروبي هنري بيرود من القاهرة إلى جنوب أفريقيا. (وكان أحد آخر أعمال بيرود في مصر هو إهداء ناصر نسخة من فيلم فرانك كابرا "إنها حياة رائعة"، وكانت الهدية بمثابة تذكير مفعم بالشفقة بحب الزعيم المصري للثقافة الشعبية الأميركية العاطفية والديمقراطية.)

ومع ذلك، فإن الإعلان القاسي الصادر عن وزارة الخارجية الأميركية المصاحب لإلغاء القرض، والذي فسر القرار من حيث عدم ثقة الولايات المتحدة في قدرة المصريين على إكمال بناء السد، كان بمثابة مفاجأة. فقد قال ناصر في غضب لصديقه الصحافي محمد حسنين هيكل: "هذا ليس انسحاباً. بل هو هجوم على النظام ودعوة للشعب المصري لإسقاطه". (1)

ولم يكن عروبيو الاستخبارات المركزية الأميركية أقل ذهولاً من ناصر. ففي واشنطن لحضور اجتماع حول سوريا، التقى بيل إيفلاند بمايلز كوبلاند الذي كان يمشي جيئة وذهاباً في ممر وزارة الخارجية. وأخبر مايلز إيفلاند قائلاً: "لقد جن وزير الخارجية!"، وذكر أنه سمع من أحمد حسين أن "دالاس أهان ناصر، السفير المصري، العرب، والقومية العربية". وبعد بضعة أيام، اكتشف إلمر بيرجر، اليهودي المعادي للصهيونية، الذي كان موجوداً أيضاً في العاصمة لحضور اجتماعات، (كما أخبر صديقاً يهودياً آخر لكيم روزفلت، جورج ليفيسون) حالة من "الارتباك الشديد والذهول" في الدوائر الحكومية. "لم أتمكن من العثور على أي ضابط عامل ... على استعداد للقول إنه يوافق على الطريقة التي تم بها اتخاذ القرار والإعلان عنه". (كانت وجهة نظر بيرجر الشخصية، التي كانت ثاقبة كما كانت دائماً، هي أن الإدارة كانت تلعب "كمخلب القط لصالح البريطانيين"، الذين كانوا "يستميتون على فرصة العودة إلى مصر بالقوة"). (2)

ولكن خارج الدوائر العروبية والمعادية للصهيونية، تم الترحيب بالخطوة باعتبارها لعبة دبلوماسية بارعة. وفي اليوم التالي للإعلان، تناول دالاس الغداء مع الموالين لأيزنهاور في الإعلام هنري لوس و سي دي جاكسون. وكان وزير الخارجية الذي كان عادة ذي وجه

جرانيتي يبدو الآن متوتراً للغاية، حيث أخبر المسؤولين التنفيذيين في تايم-لايف أن قرار السد كان "أكبر خطوة شطرنجية قامت بها الدبلوماسية الأميركية منذ فترة طويلة" وأن ناصر أصبح الآن "في موقف حرج للغاية". وقد تبنت مجلة تايم المؤيدة لناصر -سابقا الآن- في عددها التالي استعارة مباراة الشطرنج بين دالاس وناصر، والتي منحت الزعيم المصري على الأقل مكانة لاعب حقيقي وليس قطعة شطرنج غير حية في اللعبة الكبرى.

"لقد تحركت الولايات المتحدة على رقعة الشطرنج العريضة للدبلوماسية الدولية بشكل حاسم الأسبوع الماضي في مناورة أبهرت المحترفين بسبب جرأتها"، هكذا أعلنت المجلة، التي صورت وزير الخارجية، في ضوء براق غير عادي، على أنه هادئ وماهر ورجولي. واختتمت تايم قائلة: "كان من المحتمل جدًا أن يكون سيد الشطرنج دالاس قد نجح بالفعل في وضع خصومه في موضع كش ملك".(3)

ولم يتوقع أحد، ولا حتى مستعربي وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، التحرك المضاد الذي اتخذه ناصر. ففي السادس والعشرين من يوليو، وهو اليوم الذي شهد ذروة الاحتفالات بالذكرى الرابعة لثورة 1952، أخبر الرئيس المصري، كما أصبح منصبه الآن، حشدًا من حوالي 250 ألف شخص في الإسكندرية أن حكومته ستؤمم شركة قناة السويس، التي كانت مملوكة إلى حد كبير حتى ذلك الحين لمساهمين بريطانيين وفرنسيين، وستستخدم عائدات تشغيل القناة لتمويل بناء السد العالي. لقد نجح ناصر بضربة واحدة في التوصل إلى حل بسيط ورائع للمشاكل المالية التي تعاني منها بلاده، كما نجح في تقديم لفتة مثيرة للتحدي ضد الهيمنة الغربية. ولإضافة المزيد من الجاز إلى النار، ففي مقطع أقل شهرة من خطابه الذي استغرق ساعتين ونصف الساعة والذي روى فيه تاريخ "الجهود الإمبريالية لإحباط

استقلال مصر"، أشار ناصر بخبث إلى الأحداث التي أعقبت مباشرة صفقة الأسلحة التشيكية في العام السابق، بما في ذلك "مقابلته الخاصة" مع "مسؤول أميركي" لم يذكر اسمه، والذي أخبره بتجاهل "الملاحظة القوية" التي كان حملها مساعد وزير الخارجية جورج ألين إلى القاهرة. ووفقاً لذكريات ألين اللاحقة، فقد أثار هذا الكشف موجة من التكهنات في واشنطن حول هوية "الخائن الحقير"، والتي تفاقمت عندما أخبر ألين صحيفة واشنطن بوست أن المسؤول المعني كان "موظفاً في وكالة المخابرات المركزية الأميركية" وله "اهتمام طويل الأمد بالعالم العربي". ولقد كشف ألين كذلك أن ضابط وكالة الاستخبارات المركزية ـ ومن الواضح أن المعني هو كيم روزفلت طبقاً لمن يمتلك أي علم بحقيقة الأمور ـ قد "وُبِّخ" لأنه "أخذ على عاتقه أن يصبح دبلوماسياً" وبالتالي ارتكب "خدمة سيئة للغاية للدولة". ولم يتم تسجيل ما إذا كان ناصر قد استمتع بالإحراج الذي لحق بصديقه القديم وخصمه كيم (الذي وصف تصرف ألين فيما بعد بأنه "مشاغب للغاية")، ولكن من الواضح أنه استمتع برد الفعل الغاضب من جانب وزير الخارجية دالاس، الذي بدا الآن أحمقاً كما كان بدا ذكياً قبل أسبوع. كش ملك.(4)

إن العواقب الزلزالية التي ترتبت على تأميم قناة السويس في الشرق الأوسط نفسه ـ التواطؤ البريطاني السري مع الفرنسيين والإسرائيليين لاستعادة القناة، وغزوهم المشترك، وانسحابهم المهين في نهاية المطاف ـ تشكل أحداثاً مشهورة على مستوى العالم. ولكن أقل شهرة بكثير هي تداعيات أزمة يوليو 1956 داخل الولايات المتحدة ذاتها، حيث شهدت مجموعة المواطنين العروبيين من الأمريكيين التي أسسها كيم روزفلت، والمعروفة باسم "الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط"، سلسلة من الاضطرابات التي غيرت طابعها إلى الأبد، من كونها تحالف

بين الدولة والقطاع الخاص ـ إلى شيء أشبه بأداة بسيطة غير عاقلة من أدوات السياسة الخارجية الأميركية.(5)

بالنسبة لأولئك الذين يهتمون بالبحث، كانت هناك بالفعل علامات على المتاعب التي تختمر حول AFME، ليس فقط بين أعدائها القدامى في الحركة الصهيونية ولكن، وهو الأمر الأكثر إثارة للقلق، داخل معسكرها. في مارس 1954، على سبيل المثال، ثم مرة أخرى في مايو 1955، تعرضت المنظمة للهجوم من قبل رجل الأعمال المتقاعد بنيامين هـ. فريدمان، الذي تحول من اليهودية إلى الكاثوليكية الرومانية والمتعصب المناهض للصهيونية ومنكر للهولوكست النازي. عرض فريدمان على نائب رئيس AFME جارلاند إيفانز هوبكنز تبرعًا بقيمة 100 ألف دولار، ثم عندما رفض هوبكنز العرض، قرر المعتوه أن هذه هى بلا شك منظمة واجهة للصهيونية ماكرة مصممة لإغراء العرب والمسلمين "إلى موقف معادٍ لمصالحهم الفضلى". وتبع ذلك منطقيًا أن مؤسسة ديربورن (التي تبين لاحقًا، بالطبع، أنها قناة تمويل أنشأتها وكالة المخابرات المركزية) لا بد أن تكون سياجًا لبعض المصالح الخفية المؤيدة لإسرائيل.
كان دعاة الدعاية والصحف الصهيونية قد بدأوا بالفعل في طرح أسئلة محرجة حول حقيقة الترتيبات المالية لجمعية الصحافة AFME - في أبريل 1953، طالب أحد المساهمين في صحيفة الصهيوني الأمريكي، جيمس إتش شيلدون، بمعرفة "من كان يمول" "آلة الدعاية المعقدة" هذه ـ لذا فإن مزاعم فريدمان، على الرغم من أنها بعيدة عن الصواب، كانت غير مرغوب فيها بالنسبة للمنظمة على الرغم من ذلك.(6)

وبينما كان فريدمان شخصية سيئة السمعة إلى حد ما، كان من الصعب رفض ناقد آخر مناهض للصهيونية لجمعية AFME، ألفريد أ. ليلينتال.

كان ليلينتال، وهو من نسل عائلة يهودية إصلاحية بارزة ومحامٍ في وزارة الخارجية، قد خدم في القاهرة مع جورج ليفيسون أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي أواخر الأربعينيات ساعد في إدارة برنامج الاتصال الطارئ في الأراضي المقدسة (HELP)، وريثة لجنة كيم روزفلت من أجل العدالة والسلام في الأراضي المقدسة (CJP). وبعد ذلك، بدأ مسيرته المهنية كصحفي مستقل مناهض للصهيونية، وفي عام 1953 كتب كتاب "ما ثمن إسرائيل؟" الذي نال مراجعات واسعة النطاق، وهو كتاب متعمد التطرف، والذي أسس سمعته باعتباره الناقد اليهودي الأبرز للصهيونية بعد إلمر بيرجر. كما أصبح بمثابة ذبابة مزعجة بالنسبة لـ AFME، حيث كان يوبخها باستمرار لكونها متحفظة ومهذبة للغاية في معاداتها للصهيونية.

وفي تقرير صدر له في يناير 1955، زعم أن "الأمور غير المهمة لا تزال تُنجز بضجة كبيرة، بينما يتم تجاهل الأمور الأساسية في صمت تام"، وألقى باللوم في "الرقابة الذاتية" المزمنة للمنظمة على "شروط بعض المساهمات للبقاء على الحياد في الولايات المتحدة".

وكانت شكوى أخرى من ليلينتال هي أن AFME منظمة غير ديمقراطية، وهي عبارة عن عصابة منتخبة ذاتيًا، وكانت ثروتها وعلاقاتها تعمل على خنق المعارضة العضوية الحقيقية للصهيونية. في أكثر من مناسبة، حاول الشاب المتعصب إصلاح المجموعة الأساسية من المناهضين للصهيونية الذين شكلوا CJP و HELP وتحويلها إلى منظمة جديدة أكثر "ديمقراطية" و"رجولة" من شأنها أن تدفع المعركة حقًا في وجه أنصار إسرائيل في الولايات المتحدة.(7)

وفي الوقت نفسه، أصبحت همهمات الاستياء مسموعة في الجمهور الرئيسي الآخر لـ AFME إلى جانب اليهود المناهضين للصهيونية، البروتستانت العروبيين.
وقد استاء موظفي معهد الشرق الأوسط، وهو مؤسسة بحثية وتدريبية مستقلة تأسست في واشنطن العاصمة عام 1946 (وأحد المتلقين للدعم من أرامكو)، من الإيحاء الضمني في بعض المواد الدعائية التي أنتجتها AFME بأنها المنظمة الوحيدة التي تفسر العالم العربي للشعب الأميركي، واحتجوا عندما أنشأت AFME فرعًا لها في واشنطن دون استشارتهم أولاً. وكان هناك أيضًا قلق في الدوائر العروبية بشأن مؤتمر إسلامي-مسيحي عقده جارلاند هوبكنز عام 1954 في لبنان، والذي اعتبره البعض عضوًا غريبًا على التقاليد التبشيرية الأميركية في المنطقة. ولقد عارض ألفورد كارلتون، رئيس كلية حلب، بشدة هذه المغامرة، التي خشي أن تثير التوترات الطائفية في بلاد الشام بدلاً من تخفيفها، بينما كان قسم البعثات الخارجية في المجلس الوطني للكنائس يحقق في مؤسسة ديربورن بسرية.
أما بالنسبة لبعض اليهود المناهضين للصهيونية، فقد كان هناك شعور مزعج بأن AFME، بمواردها الهائلة ولكن الغامضة، كانت تستعمر ببطء مجالاً لم يكن يشغله في السابق سوى متطوعين من ذوي الخبرة يتصرفون بأوضح وأنقى النوايا.(8)

ولم تقتصر مثل هذه المخاوف على الجهات الفاعلة غير الحكومية: فقد كانت الخلفية الغامضة لـ AFME ورسالتها تسبب أيضًا في مخاوف في وزارة الخارجية ذاتها. في فبراير 1953، اكتشف ريتشارد هـ. سانجر، المسؤول عن الشرق الأوسط، أثناء مراقبته للمؤتمر السنوي الأول للمنظمة، "تيارًا خفيًا من الشعور بأن AFME لم تكن تعرف تمامًا إلى أين تتجه، وينبغي لها إعادة النظر في دورها في الولايات

المتحدة، وإعادة تقييم قيمة أنشطتها في الخارج". ولعل موظفي الخدمة الخارجية كانوا غير متأكدين من مدى ما ينبغي للوكالات الحكومية الأميركية القيام به للترويج لهذه المجموعة في الشرق الأوسط، وذلك لأنهم شعروا بأن المجموعة تخفي تحتها أكبر مما يبدو على السطح. وقد صرح ضابط المعلومات في الشرق الأدنى جي إتش دامون قائلاً: "هذه أسئلة دقيقة ومعقدة".

وبحلول فبراير 1954، تحول قلق وزارة الخارجية إزاء المجموعة التي تمولها وكالة الاستخبارات المركزية إلى استنكار واضح. ورأى سانجر أن AFME كانت في خطر أن تصبح "مجرد بوق للمشاعر المؤيدة للعرب والمعادية لإسرائيل". وأضاف: "نخطط لمناقشة هذه المشكلة مع . . . شركة أرامكو وبعض الداعمين الماليين الآخرين لـ AFME الذين أعربوا أيضًا عن استيائهم". (9)

كما يشير بيان سانجر الأخير، فإنه حتى الداعمين القدامى لـ AFME في شركة أرامكو كانوا يشعرون بالاستياء من AFME. بالنسبة لبيل إيدي ـ الضابط السابق في مكتب الخدمات الاستراتيجية والذي يعمل الآن لصالح شركة أرامكو ـ لم تكن المشكلة في صراحة المنظمة بشأن النزاع العربي-الإسرائيلي؛ بل على العكس، المشكلة كانت في اعتقاده أن منظمة AFME لم تبذل ما يكفي من الجهد لمواجهة الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة. وباعتباره مراسلاً قديماً للخطابات مع ألفريد ليلينتال، حث إيدي جارلاند هوبكنز على العمل على زيادة مبيعات كتاب "أي ثمن لإسرائيل؟". وفي الوقت نفسه، يبدو أنه شكك في فعالية جهود الدبلوماسية الثقافية التي تبذلها منظمة AFME في الخارج، حيث شارك المبشرين مخاوفهم بشأن الوافدين الجدد إلى الشرق الأوسط الذين يتسللون إلى أراض كانت في السابق حكراً حصرياً على المتطوعين من القطاع الخاص. "هذه مجرد واحدة من العديد من

الشكاوى" و"سبب آخر يجعلني أشك في أن أرامكو يجب أن تستمر في أي دعم سخي لهذه المنظمة"، كتب إيدي إلى دوروثي تومسون في فبراير 1954، وهو الشهر نفسه الذي اقترح فيه سانجر مناقشة AFME معه.(10)

وعلى نحو متزايد، ركزت الانتقادات الموجهة إلى AFME على شخص واحد: جارلاند هوبكنز. وكان جزء من المشكلة هو أسلوب الإدارة المتسلط الذي يتبناه هوبكنز، والذي يبدو أنه أثار استياء عدد من موظفي AFME. كانت علاقته بكاي سيستو، مدير مكتب أخبار "فينيكس نيوز" في المنظمة، سيئة بشكل خاص - "لم تسفر اجتماعاتنا التحريرية الأسبوعية حتى الآن عن أكثر من سلسلة من التصريحات التي يطلقها السيد هوبكنز"، اشتكى سيستو إلى تومسون - وساهم في إيقاف الخدمة في ديسمبر 1954. ويبدو أيضًا أن هناك عنصرًا شخصيًا في التوترات بين AFME والناشطين العروبيين الآخرين والمناهضين للصهيونية، وخاصة ألفريد ليلينتال، الذي انتقد هوبكنز مرارًا وتكرارًا في انتقاده للمنظمة، واتهمه بإهدار الأموال الكبيرة المتاحة له على الاستعراض الأناني. ومن الإنصاف لهوبكنز، فإن التوترات حول الحرية التحريرية واستياء الجماعات المنافسة ذات الموارد الأكثر ندرة كانت بعيدة كل البعد عن أن تكون غير عادية في شؤون مجموعات الواجهة التابعة لوكالة المخابرات المركزية. ومع ذلك، يبدو أن الرئيس التنفيذي لـ AFME كان "شخصية مثيرة للجدل" بشكل استثنائي، كما قال ريتشارد سانجر في يناير 1955. وتابع سانجر: "إن AFME فكرة جيدة، ولكن يبدو أنها لم تنجح بشكل جيد مؤخرًا، ويرجع ذلك جزئيًا إلى شخصية هوبكنز وصفاته الشخصية". (11)

ظل هوبكنز مسؤولاً عن AFME في الوقت الحالي، ولكن كانت هناك تغييرات جارية من شأنها أن تنهي حكمه كنائب رئيس تنفيذي في نهاية المطاف. وقد تم الإعلان عن هذه التغييرات في أواخر عام 1954، عندما علقت أرامكو إعاناتها للمنظمة. الظروف الدقيقة غير واضحة، على الرغم من أنه يبدو من المرجح أن استياء بيل إيدي المتزايد من سجل AFME المناهض للصهيونية على المستوى المحلي لعب دورًا. ولكن هذا لم يكن السبب الوحيد على الأرجح. فمع الميل المتزايد للزعماء في الشرق الأوسط إلى تأميم الأصول الأساسية لبلدانهم، بدأ بعض المسؤولين التنفيذيين في شركات النفط الأميركية يشعرون بالتوتر إزاء التهديد المحتمل لمصالحهم من قِبَل القومية العربية. ولعل دعم مؤسسة AFME لجمال ناصر، إلى جانب السجل السابق لغارلاند هوبكنز في الدفاع عن محمد مصدق في مواجهته مع شركة النفط الأنجلو-إيرانية، قد بدأ في التأثير على المنظمة. وفي كل الأحوال، وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه شركة أرامكو الأمريكية التي تتخذ من المملكة السعودية مقراً لها تنسحب من الصورة، ظهرت أسماء مانحين جدد لمؤسسات مرتبطة بصناعة النفط في تكساس في الحسابات السنوية لمؤسسة AFME. وأصبح "صندوق سان جاسينتو"، الذي أنشأه رجل النفط في هيوستن جون دبليو ميكوم في مارس 1954، ثاني أكثر رعاة المجموعة سخاءً بعد مؤسسة ديربورن.

وفي عام 1967، وهو العام الذي كُشف فيه عن فضيحة صحيفة رامبارتس، تم تحديد صندوق سان جاسينتو باعتبارها قناة لوكالة المخابرات المركزية، إلى جانب العديد من المؤسسات الأخرى التي تتخذ من هيوستن مقراً لها.(12)

وكانت هذه الأحداث بمثابة الخلفية لعملية تطهير كبرى في منظمة AFME بدءاً في يوليو 1956، في نفس الوقت الذي قرر فيه جون فوستر دالاس التخلص من صلاته بناصر نهائياً.
وفي البداية جاءت مراجعة للسياسة بدأها مجلس الإدارة "في ضوء التغيرات السياسية الكبرى التي حدثت مؤخراً في العالم العربي" و"بافتراض أنه من غير المرجح أن تتلقى مؤسسة AFME مساهمات كبيرة من مصادر أخرى غير المؤسسة". وكانت الاستنتاجات الرئيسية التي توصل إليها المجلس، كما أبلغها أمين الخزانة كورنيليوس فان إنجرت إلى دوروثي تمسون، هي أن المؤسسة يجب أن تتجنب من الآن فصاعداً "أي أنشطة تنضح بالبروباجاندا وقد تعتبر استفزازية"؛ ولقد كان من بين التوصيات التي قدمتها اللجنة تقليص برنامجها المحلي إلى المناهض للصهيونية الي "الحد الأدنى المطلوب لدعم جهودها الخارجية"؛ وفصل نفسها تماماً عن مشاريع محددة مثل لجنة هوبكنز المستمرة للتعاون الإسلامي-المسيحي.
وفي حال كانت تومسون تشك في السلطة لهذه التوصيات، فقد أوضح إنجرت أن المجلس قد قدمها "مع العلم بالتفضيلات التي عبر عنها مراراً وتكراراً" "المؤسسة أو المؤسستان" اللتان كانتا "الداعمتين الرئيسيتين" لـ AFME. وبعبارة أخرى، كانت هذه أوامر مباشرة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.(13)

وقد حدث تدخل أكثر وضوحاً في شؤون AFME في صباح يوم الثلاثاء 16 سبتمبر. خلال اجتماع مع "هارولد يو ستوبارت" - وهو اسم مستعار لضابط في وكالة المخابرات المركزية، ومن المرجح أنه كيم روزفلت نفسه - طُلب من جارلاند هوبكنز الاستقالة. وبعد التفكير في رده لبضعة أيام، كتب هوبكنز المنهك إلى "هارولد" رسالة مريرة بشكل ملحوظ عبر فيها عن "شعوره العميق بالأذى بسبب الطريقة

الموجزة التي اقترحت بها أن أترك AFME"، مطالبًا ستوبارت بمواصلة تمويل اللجنة المستمرة للتعاون الإسلامي-المسيحي "طالما لم يتم المساس بالطبيعة الدينية الأساسية لهذه المنظمة"، واحتج على أن معاملته تنتهك "المفهوم القديم للطبيعة المزدوجة لعمل المنظمة ... لقد تغير مفهوم AFME بشكل كبير منذ إطلاقه في عام 1951. لقد أصبحت على نحو متزايد مجرد أداة لا غير لأغراضك".

من الواضح أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لابد وأن استجابت لطلب هوبكنز بشأن اللجنة المستمرة للتعاون الإسلامي-المسيحي، حيث استقال من منصب نائب رئيس AFME في يناير 1957 ظاهريًا "من أجل تكريس المزيد من الوقت لعمله مع اللجنة المستمرة للتعاون الإسلامي-المسيحي"، وتلقى مقابل ذلك هدية وداع عبارة عن طبق من الفضة قدمه له القس المشيخي لأيزنهاور وفوستر دالاس إدوارد إلسون.(14)

وحدثت الاضطرابات النهائية في قيادة AFME خلال ما وصفه تقرير المنظمة لعام 1956 - 1957 بأنه "عام من الاختبار" في أبريل 1957، عندما تنحت دوروثي تومسون عن منصبها كرئيسة للمنظمة. وعلى عكس هوبكنز، لم تُرغم تومسون على الاستقالة (على الرغم من أنها تشاورت مع بيل إيدي قبل اتخاذ الخطوة الأخيرة). ولكن قرارها، الذي جاء في خضم جولة في الشرق الأوسط برعاية AFME -بعد وقت قصير من إجرائها مقابلة صحفية استمرت ثلاث ساعات مع الرئيس ناصر- عكس يأسها المتزايد إزاء الهجمات الصهيونية عليها وعلى زوجها النمساوي الأصل، والضغوط من جانب خدمة النشر التي تولت توزيع أعمدتها الصحفية في الولايات المتحدة لاختيار إما دور المراسلة الصحفية أو المتحدثة باسم العرب.

ومع شعورها المتزايد بالعزلة والغضب والإرهاق، كانت الفتاة المُذهَّبة السابقة للصحافة الأميركية تفكر بيأس في التكاليف الشخصية المترتبة على التزامها بالقضية المناهضة للصهيونية. "لقد كفلتني فقدان آلاف المعجبين السابقين وعشرات الأصدقاء الشخصيين... لقد حشدَتْ ضدي واحدة من أقوى المجموعات المنظمة والمتعصبة في الحياة العامة الأميركية... ولقد ملأ هذا الأمر قلبي بالدموع في كثير من الأحيان".(15)

ورغم أن استقالة تومسون لم تكن مفروضة من الخارج، فإنها كانت فرصة مناسبة لأولئك الذين يسعون إلى اتجاه جديد لجمعية AFME. فبالإضافة إلى رحيل السكرتير التنفيذي ويليام آرتشر رايت إلى منصب قس في فرجينيا، فقد كانت الاستقالة بمثابة تطهير كامل للقيادة التنفيذية منذ العام السابق. وكانت المنظمة التي نشأت من الأزمة الطويلة التي شهدتها الفترة 1956-1957 مختلفة عن منظمة AFME في أوائل الخمسينيات. فبعد فترة فاصلة عاد خلالها المدير المحبوب لمكتب إيران الميداني، تشارلز هولاك (الذي وصفه هوبكنز ذات مرة بشكل مشفر لـ "ستوبارت"/كيم روزفلت بأنه "قريب منك" - أو بعبارة أخرى، ضابط سري في وكالة المخابرات المركزية)، إلى الولايات المتحدة لإدارة المقر الوطني، تولى السفير السابق في لبنان هارولد ب. ماينور الرئاسة في يناير 1958. وأعيد ترتيب مجلس الإدارة وإعادة هيكلة الإدارات لتعكس الأولويات "البناءة" التي أبلغها إنجرت إلى تومسون. وتم افتتاح ثلاثة مكاتب ميدانية جديدة في عمّان، الأردن؛ القدس العربية/الشرقية تحت الأردن؛ وكراتشي، باكستان. وفي خريف عام 1958، انتقل المقر الرئيسي لجمعية AFME، "بيت الشرق الأوسط" كما يسمون أنفسهم، من مدينة نيويورك إلى مبنى

جميل من الحجر البني مكون من أربعة طوابق في شارع نيو هامبشاير في واشنطن العاصمة ذاتها.(16)

ومن المعقول أن نفترض أن هذه التغييرات كانت تهدف، جزئياً على الأقل، إلى جعل جمعية AFME أكثر خضوعاً لتوجيهات الحكومة.
ومن المؤكد أن وزارة الخارجية كانت تفضل القيادة الجديدة للمنظمة على القيادة القديمة: فقد أشار أحد المراقبين الرسميين للمؤتمر السنوي للجمعية لعام 1957 إلى "الموقف الذكي والمتواضع الذي تبناه تشارلز هولاك بشأن الدور المستقبلي لجمعية الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط" و"الجهد الواضح الذي بذل للابتعاد عن التركيز على النزاع العربي-الإسرائيلي".
وفي وقت لاحق من نفس العام، أظهر الرئيس ماينور مرونة لا تشبه هوبكنز عندما اعترض المساعد الجديد لوزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى، ويليام م. رونتري (الذي تولى المنصب في أغسطس 1956) على التوجه المؤيد لناصر في بيان أعده للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ. "أشار السيد رونتري إلى أن فائدة منظمة AFME ... قد تتضرر إلى حد كبير... إذا اتخذ السفير مينور موقفاً أكثر حزبية للرئيس ناصر مما نعتبره حكيماً"، حسبما ورد في المحاضر الرسمية للمحادثة. "وأقر مينور بصحة هذه النقطة وأشار إلى أنه سيبذل جهداً لتعديل أو تغيير ملاحظاته".(17)

وكانت التغييرات التي طرأت على قيادة وهيكل وموقع مقر AFME مصحوبة بتحول خفي ولكنه واضح في برنامج المنظمة. فبينما استمرت المنظمة في الانخراط في بعض أنشطة التبادل الثقافي (في الواقع، شهد ربيع عام 1959 تقديم عملية البصيرة، وهي "تجربة في الديمقراطية المدنية" تتضمن جولة جماعية منتظمة في الدول العربية

من قبل ثلاثين أو نحو ذلك من القادة المدنيين الأميركيين) أكدت المنظمة بشكل متزايد على ما أشارت إليه تقاريرها السنوية باسم "الخدمات الفنية"، أي وضع الطلاب من الشرق الأوسط في الجامعات الأميركية والتدريب الصناعي لهم في المنطقة نفسها. وقد عكس هذا التركيز الجديد قلقاً متزايداً من أن الافتقار إلى قاعدة اقتصادية حديثة في معظم أنحاء العالم العربي كان يجعل برامج تبادل الطلاب عديمة الفائدة، إن لم تكن ضارة بالفعل، كما أيضا كان لها التأثير غير المقصود المتمثل في خلق مجموعة من "الشرق الأوسطيين المتعلمين بشكل مفرط والعاطلين عن العمل"، وهو وضع ناضج للاستغلال من قبل الشيوعيين.

وبعد مناقشات مع إتش بن سميث من "المؤسسة" the foundation، لجأت منظمة AFME إلى شركة ترانسوورلد للإدارة (ترامانكور) (Tramancor)، وهي شركة استشارية مقرها في لونج بيتش، كاليفورنيا، ولديها اتصالات واسعة النطاق في الشرق الأوسط (من بينهم الشيخ محمد بن عوض بن لادن من المملكة العربية السعودية، والد أسامة، الذي مثله رئيس شركة Tramancor ويليام ت. دودسون شخصيًا في الولايات المتحدة). وبعد إكمال مخطط تجريبي ناجح في إيران، قامت AFME-Tramancor بشن سلسلة من المشاريع الفنية المماثلة في مصر والأردن وليبيا وأفغانستان.

كانت المنظمة فخورة بشكل خاص بدورها في تدريب المهندسين المصريين الذين تولوا إدارة قناة السويس، وقد تم نقل بعضهم جواً إلى بنما - أقرب معادل أمريكي للممر المائي قناة السويس- لأجل هذا الغرض.(18)

وهذا لا يعني أن AFME تخلت تمامًا عن مناصرتها المؤيدة للعرب والمعادية للصهيونية، كما ظهر من اختيارها لإلمو هتشيسون، صديق بيل إيدي والناقد لإسرائيل، لخلافة ضابط وكالة المخابرات المركزية ماثر إليوت في دور مدير الشرق الأوسط. بعد مناقشة "الحاجة إلى فرقة مكافحة الشغب لإطلاق النار على المطالبات الإسرائيلية والصهيونية"، في أغسطس 1956، أنشأ هتشيسون الصاخب متجرًا في القاهرة، وكسب بسرعة قدرًا كبيرًا من حسن النية بين القوميين العرب، بما في ذلك ناصر نفسه.

وعلى نحو مماثل، لم يكن يحظى بشعبية كبيرة بين الصهاينة الأميركيين، وبلغت سمعته أدنى مستوياتها في عام 1962، عندما أعلن خلال مؤتمر صحافي أن "إسرائيل بن جوريون، الجيش المحارب للصهيونية العالمية، ليست هنا لتبقى". وفي الوقت نفسه، واصل بعض المشاهير مثل إلمر بيرجر وإدوارد إلسون إطلاق النار بشكل متقطع على أنصار إسرائيل في الولايات المتحدة، فكسبوا في المقابل تنديدات في منصات صهيونية مثل نير إيست ريبورت، التقرير عن الشرق الأدنى. ولكن هذا لم يردع الحاخام والقس عن الاستمرار في أداء الخدمة السرية من حين لآخر للحكومة عندما تتطلب القضية المناهضة للصهيونية ذلك.

وعندما طلب وزير الخارجية دالاس في فبراير 1957 (تاليا لحرب السويس/حرب العدوان الثلاثي مباشرة) من راعي كنيسته تقديم "بعض الدعم من خلال عظة يوم الأحد" للمبادرة الأحدث لإدارة أيزنهاور في الشرق الأوسط، والتي اجتذبت انتقادات "من المواطنين اليهود"، قال إلسون "إنه كان يعظ حول موضوع العهد القديم ويعتقد أنه يستطيع أن يفعل شيئًا حيال ذلك".

وبعد ست سنوات، كان بيرجر حاضراً ليعرض على ج. ويليام فولبرايت خبرته بشأن جهود الضغط الممولة من إسرائيل في الولايات المتحدة

عندما ترأس السيناتور عن ولاية أركنساس تحقيقاً للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ في تسجيل العملاء الأجانب في الولايات المتحدة.(19)

ولكن حتى إصدار التقرير عن الشرق الأدنى الصهيوني ذاته كان مستعداً للاعتراف بأن التركيز الرئيسي لـ AFME قد "انحرف بعيداً عن المراكز المتفجرة والمثيرة للجدل إلى واحات بعيدة وهامشية وخلابة". ولم يعد التركيز الرئيسي على الترويج للعروبية ومعاداة الصهيونية بين الجماهير الأميركية؛ بل أصبح الهدفان الرئيسيان للمنظمة الآن التنمية والتدريب الفني في الشرق الأوسط نفسه ـ أو بعبارة أخرى، تقديم الدعم المحلي لاستراتيجية الحكومة الأميركية العالمية والمتطورة لأجل الفوز بالحرب الباردة من خلال التحديث. وكانت AFME تنسحب فعلياً من المعركة المحلية، وتسلم الرأي العام الأميركي إلى "اللوبي الإسرائيلي" البازغ.(20)

انتهت المعركة؛ وخسرت شبكة كيم روزفلت العروبية والمعادية للصهيونية.
(من المترجم :- كما هو متوقع ، فمعركة "عروبيو السي آى ايه" تُربح فقط في الدول العربية!! وتخدع فقط الدول العربية!! أما المعركة الداخلية في واشنطن فهذه مجرد "عَرْض جانبي" لأجل المعركة الكبرى على النفوذ الأمريكي الخارجي، ولخداع الحمقى العرب!)

وفي ديسمبر 1958، صاغت منظمة AFME كتيباً بعنوان "قصة الغرض"، والذي عبر ببلاغة عن القيم المؤسسة للمجموعة: "التعاطف مع القومية العربية" و"الدفع نحو الوحدة العربية"، ورفض "آخر آثار الاستعمار والإمبريالية"، والاعتقاد بأن "القضية الفلسطينية هي جوهر

المشكلة في الشرق الأوسط"، مما يتطلب سياسة أميركية "من الحياد الودي والمتعاطف". وفوق كل ذلك، صورت قصة هدف منظمة AFME باعتبارها "عملية للدبلوماسية الشعبية"، ومحاولة لإعطاء شكل تنظيمي لتقليد التفاعل الشخصي بين الأميركيين والعرب على أساس التسامح والتفاهم و"المصلحة المتبادلة الدائمة" التي كانت "بعيدة عن اعتبارات الحكومة".

وكان الكتيب حازماً للغاية في هذه النقطة: "لقد تم وضع أسس مثل هذه السياسة بعناية من خلال قرن ونصف من الجهود الأميركية الخاصة في هذا الجزء من العالم".

إن تدخل الحكومة الأميركية في العالم العربي على مدى العقد الماضي لم يكن ليبني على هذا التقليد، بل كان سبباً في تآكله: "إن المنح المالية لم تخف فشلنا في التصرف، بشكل شخصي، وفقاً للمُثُل الأميركية في الماضي... لقد شعرنا بالفعل أن الفشل الكبير الذي مني به الغرب في الشرق الأوسط في العقد الماضي كان نابعاً من استبدال عناصر القوة، مثل الضغوط، والمواثيق، وبرامج المساعدات، والعقائد، بالعنصر البسيط المتمثل في الفهم الإنساني".(21)

إن ما فشل كتاب "قصة الغرض" في ذكره كان جانباً آخر من جوانب التدخل الجديد للحكومة الأميركية في العالم العربي: الاستخدام المتزايد من جانب المسؤولين الحكوميين للتقاليد الأمريكية السابقة المتمثلة في التفاعل الشخصي الخاص كأداة للسياسة الرسمية. كان أحد الأمثلة على ذلك اهتمام إدارة أيزنهاور بتسخير قوة الإيمان الديني لصالح جهود الحرب الباردة الأميركية في الشرق الأوسط، وخاصة بعد عام 1956، عندما خسر ناصر مكانته كرئيس الدولة العربية الأكثر تفضيلاً لدى الولايات المتحدة لصالح الملك سعود آل سعود، المرشح الشخصي لأيزنهاور لدور الزعيم الإسلامي.

وفي ربيع عام 1957، قامت مجموعة عمل تابعة لمجلس تنسيق العمليات، ضمت خبير الشؤون الإيرانية وموظف وكالة الاستخبارات المركزية بدوام جزئي دونالد ويلبر، بتجميع قائمة بالمجموعات الحكومية والخاصة الأميركية التي لها روابط بالمنظمات الإسلامية "كجانب من العمليات الخارجية". وأوصى تقرير مجموعة العمل بزيادة الدعم الحكومي للمنظمات الخاصة "التي تعمل على تعزيز التعاون بين المسلمين والمسيحيين" و"مجتمع المبادئ الذي يتقاسمه الإسلام والدول الإسلامية مع الولايات المتحدة".

ولقد ترددت أصداء آمال دائرة AFME في إقامة تحالف بين الأديان ضد الشيوعية الملحدة، ولكن هذا التحالف لم يكن موجهاً نحو التبادل اللاهوتي المتبادل بقدر ما كان موجهاً نحو الحرب السياسية، الأمر الذي جعله يذكرنا أكثر بالجهود البريطانية السابقة لتعبئة الجماعات الإسلامية ضد اليسار العربي العلماني.(22)

وكان أكثر هذه الأمثلة وضوحاً وفجاجة على تسليح التقليد التبشيري الأميركي في فترة الحرب الباردة هو ما حدث في الجامعة الأميركية في بيروت. ففي خريف عام 1956، شعر المسؤولون في واشنطن بالقلق إزاء بقاء رئاسة الجامعة ـ "أداة مهمة لتعزيز المصالح الأميركية ونفوذها في الشرق الأوسط" ـ شاغرة منذ وفاة ستيفن بينروز قبل بضع سنوات. وكان من بين المشاركين في المناقشات حول الخلفاء المحتملين لبنروز زميله في مكتب الخدمات الاستراتيجية هارولد هوسكينز، وكلا الشقيقين دالاس، ووزير الخارجية اللبناني المؤيد للغرب شارل حبيب مالك. كان أحد الاقتراحات التي تم النظر فيها بجدية باعتبارها "مصلحة للعالم الحر" هو تعيين مالك "كمجرد واجهة في لبنان والولايات المتحدة" بينما يتولى الأمريكي نائب الرئيس "إدارة الجامعة" حقاً. ومن الصعب أن نتخيل أن تحظى هذه الفكرة الماكيافيلية

بموافقة مؤسس الجامعة الأمريكية في بيروت، المبشر المثالي الصارم من نيو إنجلاند دانيال بليس.(23)

إن المفارقة هنا هي أن منظمة الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط، بتمويلها الخفي من قِبَل وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، كانت بمثابة مثال آخر على استعمار المجال الخاص من قِبَل المسؤولين الحكوميين. (من المترجم :- تقليد سيترسخ أكثر بدءاً من زمن أواخر الحرب الباردة مع ابتداع مفهوم وممارسة الNGOs)
ففي البداية، كانت "الطبيعة المزدوجة للمنظمة" تعمل بنجاح، كما قال جارلاند هوبكنز، حيث كانت عناصر المنظمة الحكومية وغير الحكومية تعمل معًا بانسجام، متحدة في قيم وأهداف مشتركة. ولكن مع انحراف سياسة إدارة أيزنهاور تدريجيًا عن الأجندة العروبية المناهضة للصهيونية التي تبنتها شبكة كيم روزفلت الحكومية الخاصة، أصبحت هذه الثنائية مشكلة.
وكان المناهضون للصهيونية والعروبيون الآخرون هم أول من لاحظوا أن هناك شيئًا غريبًا في هذه المنظمة، وهو اصطناع في أفعالها وتصريحاتها يوحي بأنها لابد وأن تعمل في ظل بعض القيود الخفية.
وفي نهاية المطاف، وفي تطور مماثل للأحداث التي شهدتها العديد من جماعات الواجهة التابعة لوكالة الاستخبارات المركزية من "اليسار غير الشيوعي" (التي تستهدف أوروبا بشكل أخص، شرقييها وغربييها) أثناء الحرب الباردة ، تخلى رعاة AFME السريون في الحكومة عن التظاهر بالإجماع والتوافق وأكدوا سيطرتهم على المحفظة المالية، وأمليوا التغييرات في سياسة المنظمة وقيادتها.

ومن كونها تحالفًا بين الدولة والقطاع الخاص، أصبحت AFME، على حد تعبير هوبكنز، أداة في المقام الأول لأغراض وكالة الاستخبارات المركزية.

لقد ألقى كيم روزفلت بحبل النجاة للعروبية الأمريكية في شكل إعانات سرية من وكالة الاستخبارات المركزية إلى AFME، ولكنه في الوقت نفسه أفسدها بشكل قاتل.

الفصل الثامن عشر:
دور آرتشي: سوريا، 1956

كبح جماح أنصار ناصر في الولايات المتحدة في جمعية الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط كان جزءًا من رد إدارة أيزنـهاور على تأميم قناة السويس، لكن الشاغل الأكثر إلحاحًا كان ما يجب فعله بشأن الرجل نفسه. وجاء الجواب في شكل وثيقة تخطيطية سرية للغاية تم صياغتـها بعد سلسلة من الاجتماعات الطارئـة بين وزارة الخارجية والبنتاغون ومسؤولي وكالة المخابرات المركزية (ومن بينـهم آلن دالاس، وكيم روزفلت، ومايلز كوبلاند) في منزل جون فوستر دالاس في جورج تاون. وفي الرابع من أغسطس 1956، اقترحت وثيقة "السياسات الأميركية تجاه ناصر" التي ألفها مساعد دالاس الخاص فرانسيس راسل (ومن عجيب المفارقات أنـه كان كبير المفاوضين الأميركيين في محادثات السلام السابقة في إطار مبادرة ألفا)، سياسات مختلفة "مصممة لتقليص، وإذا أمكن، القضاء على ناصر كقوة في الشرق الأوسط وأفريقيا".

ولقد شملت هذه الخطط مناقشة مع المملكة المتحدة حول "خطوات سرية قد تؤدي إلى استبدال ناصر بنظام يميل إلى التعاون مع الغرب"؛ واستخدام "كل الفرص المناسبة، العلنية والسرية، لزرع الشكوك والمخاوف من المصريين بين الدول العربية الأخرى"، وكان الهدف هو إنتاج تحالف مناهض لناصر "بين الملك سعود وبين بيوتات الحكم الهاشمي في العراق والأردن"؛ وأخيراً، التحضير "لخطوات جذرية لإحداث حكومة معتدلة في سوريا" (والسوريون يُنظَر إليهم الآن على أنهم ناصريون يسيرون في نفس السبيل المصري).
وباختصار، كانت الولايات المتحدة تغير مواقفها في ما يسمى بالحرب الباردة العربية، من دعم القوميين من الأفندية الشباب إلى دعم الطبقات الحاكمة القديمة من عصر الاستعمار البريطاني.(1)

وكان هذا البرنامج رجعيًا وفي نفس الوقت طموحًا بشكل غير عادي في نطاقه، حيث تطلب كل الخبرة السرية المتاحة للحكومة الأمريكية.
وللمساعدة في تنفيذ هذه الخطة، استدعت واشنطن أحد أكثر المستعربين خبرة في وكالة الاستخبارات المركزية.

"كما تعلم، آرتشي، نحن قلقون للغاية بشأن ما يجري في سوريا - وخاصة الطريقة التي يبدو أن الشيوعيين والقوميين يتجمعون من أجل نوع ما من العمل هناك"، قال فوستر دالاس.
استدعى وزير الخارجية ضابط المخابرات المركزية الشاب إلى منزله وجلس خلف أكوام الأوراق التي تغطي مكتبه، متحدثًا بطريقته الخجولة المعتادة. "أود منك أن تطير إلى دمشق على الفور، وتتحدث إلى سفيرنا، وترى ... ما يمكن فعله حيال ذلك".(2)

في السنوات التي تلت أول مناصبه في الشرق الأوسط، انحرف آرتشي روزفلت عن "الطريق إلى سمرقند" - سعيه للحصول على المعرفة والفهم للعالمين العربي والإسلامي. لقد أعقب فترة عمله مع إذاعة صوت أميركا بتعيينه في عام 1951 رئيساً لمحطة وكالة الاستخبارات المركزية في إسطنبول، ثم عندما انتهت جولته في تركيا في عام 1953، عاد إلى واشنطن للعمل كرئيس فرع ورئيس عمليات في القسم السوفييتي للوكالة. كانت حياته الجديدة مليئة بالعزاء، ومن بينها زوجته اللبنانية الأميركية الشابة سلوى ("لاكي")، التي برعت في دور زوجة وكالة الاستخبارات المركزية في إسطنبول، حيث قامت بأداء الواجبات الدبلوماسية التي تتطلبها وزارة الخارجية التي يعمل بها آرتشي -كغطاء رسمي لحقيقة جهة عمله- ببراعة كبيرة. والآن، بعد عودتها إلى الولايات المتحدة، كانت تسحر أقارب زوجها المتشككين في البداية بينما كانت تشق طريقها إلى مهنة واعدة في حد ذاتها كصحفية في واشنطن. ومع ذلك، فقد افتقد آرتشي الشرق الأوسط وما اعتبره المهمة الأساسية لضابط وكالة الاستخبارات المركزية: جمع المعلومات الاستخبارية في الميدان. وعلى النقيض من ابن عمه كيم، لم يكن لاعباً عظيماً في لعبة السياسة في واشنطن.(3)

وفي أوائل عام 1956، ومع معاناة الولايات المتحدة من نكسة تلو الأخرى في أرضها القديمة، تحول آرتشي تدريجياً إلى شؤون الشرق الأوسط. وفي أبريل، بعد انهيار برنامج ألفا، أصبح نائب رئيس قسم الشرق الأدنى في وكالة الاستخبارات المركزية، فساعد أولاً روجر جويران، ثم خلفه المحامي نورمان إس بول، الذي تلقى تعليمه في جامعة ييل، في تنفيذ البرنامج الأمريكي الجديد أوميجا. ومع تدهور الأوضاع في سوريا بسرعة خاصة (حيث استضافت الحكومة التي يهيمن عليها حزب البعث زيارة من وزير الخارجية السوفييتي في

يونيو ثم اعترفت بالصين الشيوعية) تولى آرتشي مسؤولية محددة عن عملية "ويكفول" WAKEFUL، العملية التي كانت تهدف إلى إحداث تغيير في النظام في دمشق، فأصبح، كما قال لاحقاً، "الرجل الرئيسي للوكالة في سوريا". ثم جاءت الاستدعاءات إلى جورج تاون وتعليمات وزير الخارجية بالذهاب إلى الشام.(4)

وفي الأول من يوليو، وصل آرتشي، أو "فيلس" FELS، وهو الاسم الرمزي الذي يستخدمه في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، إلى بيروت برفقة "نيرمان" NEARMAN، نائب المدير المساعد في وكالة الاستخبارات المركزية، و"سيد الشرق الأوسط" كيم روزفلت، كما يلقبه الأخوان دالاس.
وكانت العاصمة اللبنانية بمثابة نقطة انطلاق لأبناء العم في جولة تستغرق ثلاثة أسابيع في المنطقة المحيطة، حيث كانا سيقيّمان احتمالات العمل السري في سوريا ويحاولان حشد المعارضة العربية ضد ناصر. ولم تقلل السنوات الاثنتي عشرة التي انقضت منذ أن سافر آل روزفلت لأول مرة إلى الشرق الأوسط معًا من التشابه العائلي بينهما. فقد أصبح كلاهما الآن أكثر سمكًا قليلاً عند الخصر، ولكن الإطار الصغير، والجبين المرتفع، والمظهر الأكاديمي كانت متشابهة، مما أعطاهما مظهر "الديدان ذات النظارات"، على حد تعبير جو ألسوب. ومع ذلك، فقد اكتسب آل روزفلت عادات سفر مختلفة، كما لاحظ ويلبر "بيل" إيفلاند -مصلح المشاكل الذي يعمل لدى آلن دالاس شخصيا، لكن دون صفة رسمية له في الوكالة- الذي استقبلهم بعد وقت قصير من وصولهم إلى بيروت.
كتب إيفلاند في وقت لاحق: "كان كيم ينام متأخرًا، ولا يستيقظ إلا بعد الظهر؛ ثم يتم شحنه لمواصلة الرحلة بعد منتصف الليل وكان بعد العشاء أفضل وقت للتحدث معه بجدية". بينما "تبع آرتشي شروق

الشمس بالإفطار وكان في أفضل حالاته أثناء النهار؛ حتى العشاء الرسمي كان يجده نائمًا وكان هز رأسه غالبًا ما يهدد بالاصطدام بحسائه".(5)

ومع تقدم إيفلاند عليهم بيوم حتى لا يثير شكوك السوريين، قاد آل روزفلت سيارتهم عبر الجبال إلى دمشق. وبعد أن أعلنوا عن أنفسهم في السفارة الأميركية ـ ولحسن الحظ، كان آرتشي يعرف جيمي مووس منذ أيامه في بغداد، وكان السفير، الذي كان عدواً للناصرية لفترة طويلة، متقبلاً للغاية لمقترحات رجال وكالة المخابرات المركزية الأميركية للقيام بعمل سري في منطقته ـ ذهب آرتشي لزيارة رئيس أركان الجيش السوري -المولود في لبنان- شوكت شقير.
كان آرتشي يعلق آمالا كبيرة على هذا الاجتماع: كان شقير ابن عم بعيد لزوجته الدرزية اللبنانية الأصل لاكي وعضوا بارزا في طبقة الضباط القوميين التي كانت تلعب الآن دورا مهما في السياسة السورية. ولكن شقير أثبت خيبة أمله في الواقع: فهو بيروقراطي رمادي اللون يردد الخط الناصري النموذجي. وفي كل الأحوال، تمت الإطاحة به من منصبه القيادي بعد أيام قليلة من اللقاء.(6)

وكان الاتصال الآخر الذي رتب له بيل إيفلاند أكثر وعدا. فقد كان ميخائيل إليان، وهو مالك أرض مسيحي ثري من حلب وسياسي محافظ قوي، قد أنفق مبلغا كبيرا من ماله الخاص في التآمر ضد حكومة شكري القوتلي الدمشقي (الذي كان في وقت سابق ضحية لمؤامرة انقلاب حسني الزعيم). وعلى هذا النحو، بدا أنه يتناسب تماما مع استراتيجية الولايات المتحدة في تشجيع اليمين السوري الداخلي على وقف الانجراف نحو اليسار في البلاد، على النقيض من استراتيجية التدخل العسكري الخارجي البريطانية-العراقية.

من جانبه، كان إليان حريصاً على لقاء آل روزفلت، وربما يرجع ذلك جزئياً إلى الانطباع الذي كان لديه بأنهم أبناء فرانكلين روزفلت. ولم يحاول إيفلاند إزالة هذه الفكرة الخاطئة عنده. بل اقترح عليه بدلاً من ذلك لقاء آرتشي في جناح إليان في فندق أميّة الجديد.(7)
وبينما كان إليان جالساً يحرك مسبحته، وصل آرتشي بسرعة إلى النقطة الأساسية. فسأله باللغة العربية: "ما الذي يحتاج إليه المحافظون السوريون لمنع الشيوعيين والمتعاطفين معهم من الاستيلاء على البلاد؟". ورد إليان، كما يتذكر إيفلاند في وقت لاحق، "بذكر الأسماء والأماكن: محطات الراديو في دمشق وحلب؛ وعدد قليل من كبار الضباط؛ وما يكفي من المال لشراء الصحف التي أصبحت الآن في أيدي المصريين والسعوديين".
وكان إيفلاند في حالة ذهول - "كان إليان يتحدث عن انقلاب عسكري" - لكن آرتشي بدا غير منزعج. "سأل إيليان: هل يمكن إنجاز هذه الأمور باستخدام أموال وأصول الولايات المتحدة وحدها، دون مشاركة أي دولة أخرى من الغرب أو الشرق الأدنى؟" أجاب إيليان: "بلا شك". ومن الواضح أن آرتشي كان راضياً عما سمعه، فغادر بعد ذلك بوقت قصير، تاركاً إيفلاند "مع سوري يبتسم مثل القط الذي ابتلع الكناري للتو".(8)

وبعد المزيد من الرحلات إلى الأردن والمملكة العربية السعودية لحشد المعارضة ضد ناصر، عاد أبناء عمومة روزفلت إلى واشنطن، حيث أبلغوا عن ثقتهم في قدرة المحافظين السوريين - بمساعدة مناسبة من الولايات المتحدة - على منع تحويل بلادهم إلى دولة تابعة. ومع إشارة وزير الخارجية إلى الموافقة الرئاسية، وجه كيم إيفلاند للحصول من إيليان على تقدير دقيق - لمقدار المساعدة الأميركية التي سيحتاج إليها، وإطار زمني للعمل الذي كان يقترحه. وكان المبلغ المحدد نصف مليون

ليرة سورية، وحدد الحادي والثلاثين من أغسطس موعداً لتجمع العناصر اليمينية ضد الحكومة الحالية. وعاد آرتشي إلى اللعبة.(9)

للوهلة الأولى، يبدو الدور القيادي الذي لعبه آرتشي روزفلت في عملية انقلاب ضد حكومة قومية عربية أكثر حيرة من قيادة ابن عمه كيم للمؤامرة التي أطاحت بالرئيس الإيراني محمد مصدق في عام 1953. فخلال الحرب العالمية الثانية، دافع آرتشي عن قضية القومية العربية ضد الإمبريالية الأوروبية. وفي وقت لاحق، أصبح يشارك ابن عمه كيم حماسه تجاه جمال عبد الناصر. وخلص إلى القول بعد لقائه بالمصري في عام 1953: "هذا رجل يمكننا العمل معه. قد يكون هذا هو الزعيم الذي يستطيع توحيد العالم العربي في السعي إلى إيجاد حلول لمشاكل المنطقة". ولذلك كان آرتشي يشك في مسيرة جون فوستر دالاس نحو المواجهة مع ناصر وفي الافتراض الأساسي بأن القومية العربية معرضة بشكل خطير للشيوعية. كان يعتقد أن السوفييت ربما حاولوا "استغلال القوى التي أطلقها ناصر، لكنهم لم يتمكنوا من السيطرة عليها أبدًا".
في مذكراته بعد تقاعده، بدا آرتشي متشككًا حتى في التهديد المتصور للاستيلاء الشيوعي على سوريا في عام 1956: نعم، كانت هناك جبهة يسارية من القوميين العرب و"مجموعة صغيرة من الماركسيين الحقيقيين بما في ذلك الحزب الشيوعي الضئيل، بدعم من السوفييت"، ولكن في الحقيقة، "كانت أهداف الشيوعيين والقوميين العرب متعارضة تمامًا". (10)

ثم كانت هناك المحافظة الأساسية لآرتشي كجاسوس، وتفضيله لجمع المعلومات الاستخباراتية على المؤامرات السياسية. بعد عدة سنوات، تذكرت سلوى لاكي روزفلت كيف أصبح زوجها "منزعجًا بشدة" أثناء

فترة عمله كرئيس محطة في تركيا، وهو الدور الذي تضمن الإشراف على العمليات السرية في البلقان، بشأن مهام التسلل التي كانت الوكالة تديرها خلف الستار الحديدي. "لقد كان يؤمن بالعمل الاستخباراتي الدؤوب، والمعد بعناية"، تذكرت. وفي المقابل، كانت وكالة المخابرات المركزية تسقط عملاء مهاجرين بدون أي تدريب تقريبًا في أراضي العدو، حيث يتم جمعهم بسهولة ولا يسمع عنهم أحد مرة أخرى.
اشتكى آرتشي بصوت عالٍ إلى المقر الرئيسي (لم يكن بإمكانه أن يعرف في ذلك الوقت أن العديد من هذه العمليات ربما تم اختراقها من قبل العميل السوفيتي-البريطاني المزدوج كيم فيلبي).
وفي وقت لاحق، أبدى آرتشي اعتراضه أيضاً على قيام الوكالة بشن "عمليات شبه عسكرية عملاقة في أجزاء متنازع عليها من العالم الثالث"، مثل غزو كوبا في عملية خليج الخنازير الفاشلة عام 1961، مرددا انتقادات كانتقادات كيم روزفلت لعملية غواتيمالا في عام 1954. وكتب: "إن القوى المحلية تحكم في الأساس الأنظمة السياسية لهذه الدول، ولا يمكننا التأثير على مسار الأحداث إلا عن طريق تقديم دعمنا لقوة قوية بما يكفي لتحقيق النصر".
ورغم أنه ذكر عملية أجاكس الإيرانية كمثال لعملية نجحت في تسخير مثل هذه القوات، إلا أن آرتشي أبدى في السر تحفظاته بشأن مغامرة ابن عمه كيم في إيران. وتتذكر لاكي: "لا أعتقد أنه قال أو فعل أي شيء لإحراج أو تقويض كيرميت في ذلك الوقت، لكنه أخبرني أنه يعتقد أن ذلك كان خطأً كبيراً". إن مذكرات آرتشي تحتوي حتى على انتقاد ضمني لجهود الدبلوماسية المشفرة التي بذلها كيم ومايلز لحل النزاع العربي الإسرائيلي. وحذر آرتشي قائلاً: "إن ضباط الاستخبارات ملزمون بتوفير فهم للطبيعة المتغيرة باستمرار للمشكلة. ويجب على الدبلوماسيين أن يتولوا الأمر من هناك".(11)

كيف إذن نفسر قيادة آرتشي للعملية التي جرت عام 1956 لإسقاط الحكومة السورية، وهي الخطة التي "تفوح منها رائحة التلاعب من القرن التاسع عشر"، على حد تعبير الكاتب البريطاني توم باور؟

تشير القرائن المتناثرة إلى بعض الإجابات المحتملة. فبادئ ذي بدء، وعلى الرغم من احتجاجاته على عمليات إسقاط العملاء الهواة في البلقان، لم يعترض ضابط الاستخبارات المركزية الشاب على العمليات السرية في حد ذاتها. في الواقع، كان آرتشي من أشد المؤيدين لجهود أخرى لاختراق الستار الحديدي ودحر الشيوعية: من خلال استغلال المشاعر المعادية لروسيا لدى المسلمين وغيرهم من الأقليات على الجناح الجنوبي للاتحاد السوفييتي، "الجانب البطني السفلي" للشيوعية "the communist "underbelly .
ووفقًا لمايلز كوبلاند، بينما كان آرتشي متمركزًا في لبنان خلال أواخر الأربعينيات، فقد أدار عمليات في أذربيجان وأرمينيا وجورجيا السوفييتية، بما في ذلك جولة شخصية في المنطقة سيرًا على الأقدام وعلى ظهور الخيل. هذا الادعاء له بعض المصداقية في ضوء مهام آرتشي اللاحقة في إذاعة صوت أمريكا وتركيا وقسم وكالة المخابرات المركزية السوفييتية. هناك أيضًا أدلة على أن آرتشي عمل مع اللجنة الأمريكية للتحرير (AMCOMLIB)، وهي منظمة واجهة لوكالة المخابرات المركزية بمهمة تنظيم المهاجرين من الكتلة السوفييتية، بما في ذلك المسلمين الأتراك، في قوة سرية قادرة على قيادة تحرير أوطانهم. ولقد عكست هذه الأنشطة المتنوعة لآرتشي قبل عملية سوريا التنبؤ الذي أطلقه عندما كان يخدم خلال الحرب العالمية الثانية في شمال أفريقيا بأن الإسلام سوف يكون قوة لا يستهان بها في عالم ما بعد الحرب ـ إلا أنه الآن، في خضم الحرب الباردة، كان آرتشي يحول اهتمامه المتعاطف بالمسلمين إلى أغراض حربية سياسية.

وبعد ذلك بوقت طويل، وبعد انتهاء الحرب الباردة، عادت العمليات السرية التي نفذتها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية والتي شملت إسلاميين مناهضين للسوفييت لتطارد الولايات المتحدة في أفغانستان وأماكن أخرى، ولكن آرتشي، الذي كان مناهضاً للشيوعية منذ شبابه، يبدو أنه لم يكن ليتوقع مثل هذه الانتكاسة العكسية.(12)

ولم يكن آرتشي محارباً مخلصاً للحرب الباردة فحسب، ومستعداً للجوء إلى تدابير مناهضة للشيوعية تبدو في نظره غير حكيمة؛ بل كان أيضاً موظفاً عاماً مخلصاً، لا يميل إلى التشكيك في الأوامر المباشرة الصادرة من وزير الخارجية.
وفي مذكراته، شرح المبادئ التي وجهته كضابط استخبارات. لقد كان "الفضول الطبيعي في البحث عن طرق القبائل العديدة من البشر" و"الفهم العميق" للثقافات المختلفة: هذه صفات رائعة في حد ذاتها ومتطلبات أساسية أيضًا للعمل الاستخباراتي، كما أوضح. ولكن يجب على الجاسوس أيضًا "أن يؤمن بمجتمعه وبلده وشكل حكومته". وإذا لم يفعل ذلك، فإنه يخاطر بالكلبية كالشخصيات في روايات البريطاني جون لو-كاريه، "الذين يجدون أن جانبهم لا يقل انعدامًا للأخلاق عن الجانب الآخر" وينتهي بهم الأمر إلى أن يصبحوا خونة لبلدهم. ولكي يتجنب ضابط الاستخبارات هذا الفخ، فلا ينبغي له أن يعرف فقط إلى أي جانب ينتمي، بل يتعين عليه أيضاً أن يكون على قناعة راسخة بأن هذا الجانب هو الصحيح - حتى ولو كان ذلك يعني، كما في حالة المستعرب آرتشي، أن يخضع تعاطفه مع القومية العربية تحت واجبه الوطني في خدمة حكومته.(13)
وبالتالي من الممكن تفسير التناقض الواضح بين عروبية آرتشي من ناحية وبين أفعاله في صيف عام 1956 من ناحية أخرى بنشاطه في الحرب الباردة ووطنيته.

وربما تضاف إلى هذه الدوافع دوافع أخرى كانت واضحة في وقت سابق من حياته المهنية - الميل إلى الخضوع للبريطانيين في "إمبراطوريتهم السرية" في الشرق الأوسط، والشهية الروزفلتية للمغامرة في عالم التجسس في العالم العربي - فضلاً عن بعض الاعتبارات الشخصية والنفسية المحتملة. فبعد سنوات عديدة من مشاهدة ابن عمه كيم وهو ينجح في واشنطن بينما كان هو نفسه يؤدي خدمة مشرفة ولكنها أقل إثارة على مستوى الفرقة أو في الميدان، كان آرتشي يستمتع بالعودة إلى مركز الأحداث.

وفي مذكراته، كتب بلذة واضحة عن لقاءاته المتكررة في عام 1956 مع صديق عائلته القديم، مدير وكالة الاستخبارات المركزية آلن دالاس، واستماعه إلى "آلن" وهو يتحدث على الهاتف مع "فوستر" أو الرئيس.

وبينما كيم كان إلى حد كبير مديناً بسمعته الأسطورية لنجاحه في إيران؛ فالآن ربما قدمت سوريا للعروبي الآخر من آل روزفلت فرصة مماثلة للشهرة: فرصة أن يكون قادراً على إخبار الأجيال القادمة بقصة انقلابه في الشرق الأوسط.(14)

ولكن لسوء حظ آرتشي، فقد استنفد كيم نصيب أبناء عمومته من الحظ في عام 1953. فقد كان من شأن مجموعة من العوامل المعاكسة ـ المقاومة العربية، الازدواجية البريطانية، والتناقضات المتأصلة في الاستراتيجية الأميركية ذاتها ـ أن تحبط ليس فقط خطط وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية للقيام بانقلاب في سوريا، بل وأيضاً الأهداف الأخرى التي حددها فرانسيس راسل في ورقة حاسمة في الرابع من أغسطس 1956: تشكيل جبهة عربية ضد مصر الثورية والقضاء على ناصر كقوة في السياسة في الشرق الأوسط.

في البداية، بدت احتمالات تحقيق أحد هذه الأهداف ـ تحالف المملكتين الهاشمية والسعودية ضد ناصر ـ جيدة للغاية. ففي الأردن الهاشمي، نجحت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في إنشاء قناة اتصال بالملك الحسين البالغ من العمر واحد وعشرين عاماً من خلال ضابط استخبارات شاب، جون دايتون، في المحطة الصغيرة في عمّان.

كان حسين يتمتع بسمعة زير نساء، وكان دايتون، وفقاً للصحافي البريطاني ريتشارد بيستون، "متبادلاً للزوجات" وله "زوجة جنوبية شابة وجميلة للغاية، والتي قال عنها المتشككون الحاسدون إنها اختيرت لجذب انتباه الملك".

بعد سنوات من الاعتماد على البريطانيين، افتقر العرش الهاشمي إلى جهاز استخبارات مستقل، لذا رتب دايتون مبلغاً شهرياً قدره 5000 دينار أردني (حوالي 15000 دولار) لتمكين حسين من إدارة حلقة تجسس صغيرة من قصره، وكانت الأموال تصل إلى المكتب الملكي في مظروف مانيلا البني. وبعد أن أدرك حسين فوائد الرعاية الأميركية، طلب مقابلة بيل إيفلاند عندما زار الملك بيروت لحضور سباق سيارات رياضية، وألمح إلى أنه سيرحب بتولي الولايات المتحدة المسؤولية من بريطانيا كمصدر رئيسي للدعم الغربي للأردن. ورغم أن كيم روزفلت منع أي اتصال آخر بين إيفلاند وحسين، فإنه أعطى موافقته على الإعانات الشهرية التي تقدمها وكالة المخابرات المركزية، والتي اكتسبت الاسم الرمزي نو بيف NO-BEEF (حيث NO هي البادئة القُطْريّة للأردن في الوكالة).

وحتى مع السماح بالمبالغة بأثر رجعي، فمن الواضح أن آرتشي كان مسروراً بالملك الشاب ("نورمان" "NORMAN" كما يسميه آرتشي) عندما التقى به لأول مرة خلال جولته في المنطقة في يوليو 1956، وكتب في وقت لاحق أن حسين أثار إعجابه باعتباره "أفضل زعيم وأكثر الزعماء تحفيزاً في العالم العربي".

وهنا أخيراً، بدا الأمر وكأنه مرشح محتمل إلى جانب ناصر لدور "الزعيم الضروري" القومي العربي.(15)

وإذا كانت العلامات في الأردن مشجعة بشكل مدهش، فإن الصورة كانت أقل إشراقاً في المملكة العربية السعودية، التي يُفترض أنها المحور الرئيسي للاستراتيجية الأميركية الجديدة في الحرب الباردة العربية. وكما أوضح آرتشي في مذكراته، فإن خليفة الملك ابن سعود، ابنه سعود، "اتخذ الطريق السهل بالتعاون مع ناصر في هجماته على الغرب". ولم يقتصر الأمر على ذلك، فبالمقارنة بأبيه المحارب القوي، كان سعود "ضعيفاً ـ جسدياً وعقلياً وأخلاقياً" ـ أو هكذا قرر آرتشي بعد لقائه به خلال جولته في يوليو 1956.
وفي محاولة لتعطيل التعاون المصري-السعودي الناشئ (وتهريب بعض الخمور إلى صديق قديم، السفير الأميركي جورج وادزورث)، قام آرتشي بعدة رحلات عودة إلى المملكة العربية السعودية في وقت لاحق من العام، وتوجت هذه الزيارات بلقاء آخر مع سعود في قصره الفخم ذي الطراز الغربي في الرياض. (لقد شعر آرتشي، العروبي الرومانسي دوماً، بالانزعاج من علامات تغلغل "الأمركة" في الثقافة العربية).
وكان اللقاء "أمراً غير سار". وعندما سلم آرتشي سعود قائمة بالشكاوى الأميركية بشأن تواطؤ السعودية في حملة ناصر الدعائية المناهضة للغرب، "استجاب الملك ببعض الغضب، وقرأ بعض البنود بتعليق ساخر". وبعد أن لم يحقق أي شيء "باستثناء إثارة الغضب الملكي"، غادر آرتشي خالي الوفاض.
ويبدو أن ابن العم كيم حاول أيضًا أن يجادل شخصيًا مع الملك سعود خلال رحلة منفصلة في أواخر صيف عام 1956، على الرغم من أن نتائج زياراته إلى الرياض أقل وضوحًا.(16)

وهناك توثيق أفضل لمهمة سرية أمريكية أخرى إلى المملكة العربية السعودية تضم وجهين مألوفين: بيل إيفلاند وروبرت أندرسون، الزعيم التكساسي لمحادثات السلام جاما GAMMA غير الناجحة في القاهرة. وقد تم تحديد أهداف هذه العملية، التي يبدو أن المدير التنفيذي للنفط هوارد بيج اقترحها أولاً على الرئيس أيزنهاور، ثم نفذها كيم روزفلت، في برقية من وكالة المخابرات المركزية تم رفع السرية عنها مؤخرًا وأُرسلت إلى إيفلاند في روما في 22 أغسطس 1956.
وكان أندرسون، ممثلاً لصديقه الرئيس أيزنهاور، سيلتقي بالملك سعود ويشرح له باحترام سبب عدم خدمة المصالح السعودية من خلال سياسته الحالية للتعاون مع ناصر. حيث قد كشفت تصرفات الزعيم المصري الأخيرة وخطاباته عن "طموحه إلى الهيمنة على العالم الإسلامي من المغرب إلى إندونيسيا"؛ كما أن "قدرته المتزايدة على خلق الفوضى"، والتي تستهدف الغرب حالياً، يمكن أن تتحول بسهولة إلى حكومات عربية منافسة؛ وكانت "صورة ناصر، وليس صورة سعود"، هي التي يتم التلويح بها في المظاهرات المناهضة للغرب في مختلف أنحاء العالم العربي.
وإذا لم تنجح هذه المناشدة لغرور سعود، فقد لجأ أندرسون إلى تهديد ضمني، قائلاً للملك إن عدم الاستقرار الإقليمي الناجم عن تصرفات ناصر، وخاصة استيلائه على قناة السويس، كان يدفع القوى الغربية إلى البحث عن مصادر طاقة أخرى غير النفط العربي، بما في ذلك "الجهود الأميركية المتزايدة على نطاق جهود مشروع مانهاتن" لزيادة "الاستخدام الصناعي للطاقة الذرية".
إن هذا التأكيد الأخير، الذي كان كاذباً، كان بمثابة صدى للمناقشات الجارية في إدارة أيزنهاور حول الأساليب المحتملة لخداع الدول منتجة النفط في الشرق الأوسط عمداً بشأن المدى الحقيقي للاعتماد الغربي على المنطقة. كما يعطي بعض المصداقية للادعاء اللاحق الذي قدمه

مايلز كوبلاند بأن مجموعة تخطيط سياسة الشرق الأوسط كانت تدرس إطلاق برنامج خداع الطاقة، عملية قوس قزح Operation Rainbow، والذي يتضمن بناء منشأة تجريبية وهمية في مكان ما في الغرب الأميركي، "مجهزة بأضواء كليج وكلاب حراسة على غرار تلك المصانع التي نراها في أفلام جيمس بوند". وكما كانت الحال في كثير من الأحيان مع حكايات كوبلاند، فإن طبقة أساسية من الحقيقة تكمن تحت التفاصيل الخيالية.(17)

ولكن الخدعة لم تنجح. فقد وصلت بعثة أندرسون إلى الظهران في 23 أغسطس ثم انتقلت إلى القصر الملكي المضاء بالنيون في الرياض لعقد سلسلة من اللقاءات مع سعود وشقيقه الأمير فيصل. وعندما أصبح من الواضح أن السعوديين غير مستعدين للمجازفة باستفزاز الرأي العام العربي بالخروج ضد ناصر، لعب أندرسون بورقة الطاقة النووية. وجاء الرد السعودي في وقت مبكر من صباح اليوم التالي في مذكرة مكتوبة بخط اليد من سعود، والتي ترجمها بيل إيفلاند من العربية لصالح بقية المجموعة. "يبدو أن الأمير فيصل قد قرأ الكثير عن موضوع الطاقة النووية ورفض تأكيدات أندرسون بأننا قادرون على توفير بديل للبترول لأوروبا الغربية باعتبارها مستحيلة". انتهت المهمة فجأة، وغادرت البعثة الرياض في نفس الصباح دون أن تظهر أي شيء بناء لجهودها. وبينما كانت الطائرة ترتفع عبر سماء شبه الجزيرة العربية، فكر إيفلاند في عدم ارتياح في كيف أن "هؤلاء الناس البسطاء من الصحراء قد كشفوا خدعتنا".(18)

وإذا كانت الجهود الرامية إلى حشد ملوك المنطقة ضد ناصر قد تعثرت في المملكة العربية السعودية، فإن خطط تغيير النظام في سوريا كانت متعثرة أيضًا.

كان جزء من المشكلة هو المؤامرات العراقية والبريطانية وراء الكواليس، والتي هددت باستمرار بإلغاء الخطة الأمريكية لهندسة انقلاب من داخل سوريا.

كان المرشح البريطاني-العراقي لخلافة القوتلي هو الدكتاتور العسكري السابق المنفي خارج سوريا أديب الشيشكلي، الذي أعلن عن اهتمامه بالعودة إلى السلطة بظهوره في بيروت في يوليو. وقد أثار هذا التطور قلق المراقبين الأميركيين ـ ففي نظرهم كان الشيشكلي "انتهازياً سياسياً" و"مدمناً على الخمر" وقد تجاوز عمره الإفتراضي في صنعة الأنقلابات كثيراً ـ ولذلك فقد شعروا بالارتياح عندما بدا وكأنه يعيد النظر في قراره، فيعود إلى أوروبا بحصة من الأموال العراقية المخصصة لتمويل الانقلاب. لقد ترك هذا المجال مفتوحاً أمام المرشح المفضل للولايات المتحدة، ميخائيل إليان، ولكن مشاكل الأميركيين لم تنته بعد.

فقد كان إليان نفسه مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالعائلة الهاشمية الحاكمة في العراق، وكان يتقاضى أجراً من العراق. فضلاً عن ذلك، ورغم ما كان إليان يتمتع به من قدرة وحيوية، فإن مسيحيته كانت تشكل عقبة كبيرة أمامه في مجتمع أغلبية مسلمة. وكان هذا الأمر مؤسفاً للغاية لأن الجالية السورية المنفية في بيروت كانت تغلي بالانقسامات والخلافات الداخلية، تماماً مثل الجالية السوفييتية المهاجرة التي كانت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية تحاول تنظيمها من خلال منظمة AMCOMLIB، الأمر الذي جعل أي نوع من التخطيط المتفق عليه هناك صعباً إن لم يكن مستحيلاً.(19)

وفي الوقت نفسه، كانت الظروف في سوريا نفسها تتزايد بشكل مطرد أقل ملاءمة للعمل السري الأميركي. فقد أدى تأميم قناة السويس إلى زيادة المشاعر المؤيدة لناصر بين السوريين العاديين، وكانت العناصر القومية المعادية للغرب تعمل على تعزيز سيطرتها على الحكومة.

وكان الأمر المقلق بشكل خاص من وجهة نظر أميركية هو القوة المتنامية لرئيس جهاز الأمن السوري عبد الحميد السراج.
كان السراج شابًا هادئًا ومتحفظًا اشتهر بأنه "ذئب منفرد"، وقد تم تعيينه في البداية كضابط صغير في الجيش من قبل زميله الكردي حسني زعيم، الذي وضعه بعد انقلاب عام 1949 في الاستخبارات العسكرية السورية. وبعد أن نجا من العديد من التغييرات الحكومية في أوائل الخمسينيات، جزئيًا بفضل قبول تعيينه كمساعد ملحق عسكري في باريس، تم تعيين السراج رئيسًا للمكتب الثاني Deuxième Bureau في مارس 1955 من قبل ابن عم لاكي روزفلت شوكت شقير.
ولقد تميز منذ ذلك الحين بكونه كاشفاً ماهراً للمؤامرات الغربية، وعلى حد تعبير السفارة الأميركية في دمشق، كان "العائق الأبرز أمام الجهود الرامية إلى تقليص نفوذ الجماعات المؤيدة لناصر والمؤيدة للسوفييت في سوريا".(20)

ومن المؤسف بالنسبة لأرتشي روزفلت أن الأصول الأميركية في سوريا لم تكن نداً للسراج. فقد كان مكتب وكالة الاستخبارات المركزية في دمشق، الذي كان مكتظاً بالموظفين، يعاني من نقص في الموظفين ـ فقد أحصى بيل إيفلاند خمسة ضباط فقط، على النقيض من "الإمبراطورية" التي بناها كيم روزفلت في القاهرة خلف ناصر ـ وكان معنوياته منخفضة. ولم يكن حتى الزيارة العرضية التي قام بها مايلز كوبلاند ـ الذي حاول إحياء اتصالاته القديمة في الجيش السوري، والذي قيل إنه قام ذات مرة بتهريب مخبر محلي خارج البلاد في صندوق سيارة تابعة لوكالة الاستخبارات المركزية ـ كافياً لرفع حالة الكآبة المتراكمة. وكان التراخي الأمني المحيط بخطة WAKEFUL في بيروت سبباً في جعل مهمة آرتشي في سوريا أكثر صعوبة. فقد

كانت العاصمة اللبنانية المقر غير الرسمي لسلك الصحافة الغربية في بلاد الشام، وكان ظهور ابني عم آل روزفلت هناك في يوليو 1956 ـ ليس واحداً بل اثنين من أحفاد ثيودور روزفلت ـ سبباً في إثارة قدر كبير من الإثارة حتى أن التقارير عن ذلك وجدت طريقها إلى صفحات صحيفة نيويورك تايمز.

حتى أن رئيس مكتب وكالة المخابرات المركزية في بيروت، الأميركي من أصل لبناني غصن زغبي، أقام حفل كوكتيل لعائلة روزفلت حضره مراسلون أميركيون، الأمر الذي أثار غضب بيل إيفلاند، الذي عاش في خوف من الكشف عنه باعتباره موظفاً متعاقداً مع وكالة المخابرات المركزية. "عندما يأتي يوم انقلابك، هل ستبيع التذاكر؟" سأل السفير المصري في لبنان مايلز كوبلاند بخبث وهو يراه يمر من أمامه (21)

مع المشاكل التي رافقت محادثات التخطيط، قرر المخططون تأجيل موعد الانقلاب المخطط له من 31 أغسطس إلى 25 أكتوبر. وفي سبتمبر، جمع إيفلاند من محطة وكالة المخابرات المركزية في بيروت نصف مليون ليرة سورية كان قد وعد بها إليان وانطلق إلى دمشق وكان المال قد وضع في حقيبة في صندوق سيارته. وفي لقاء مع السوري في بهو فندق أمية الجديد، تم إطلاع إيفلاند على أحدث خطط الانقلاب. وأوضح إليان أن العقداء المحافظين في الجيش السوري سيستولون على دمشق وغيرها من المدن الكبرى، بينما تغلق الوحدات المدرعة الحدود مع الأردن والعراق ولبنان؛ وبمجرد إخضاع البلاد للسيطرة الكاملة، سيسلم الجيش السلطة إلى حكومة مدنية يرأسها إليان نفسه. (لقد أغفل هذا التفسير العديد من التفاصيل الرئيسية للمؤامرة التي كانت تفوح منها رائحة التواطؤ الأنجلو-عراقي، بما في ذلك الانتفاضات القبلية المنسقة في جنوب وغرب سوريا، والغزوات التي ستشنها قوات شبه عسكرية من المنفيين المسلحين العراقيين،

والتي كان من المقرر أن يدخل أحدها دمشق متنكراً في زي الشرطة ويغتال ضباطاً وسياسيين يساريين رئيسيين.) وبعد يوم انتظار مرهق عصبياً، التقى إيفلاند بإليان مرة أخرى في كازينو فرنسي مهجور في الجبال المطلة على دمشق وسلمه المال. لم يعد أمامه الآن ما يفعله سوى العودة إلى بيروت والهدوء.(22)

وهذا ترك تحدياً ثالثاً لمحاربي الحرب الباردة السريين في واشنطن: ماذا يفعلون بشأن ناصر؟
وكالعادة، كانت المواقف الأميركية تجاه الرئيس المصري متناقضة إلى حد كبير. ورغم رغبة فوستر دالاس في التخلص من ناصر، إلا أنه كان متردداً في دعم الحلول المتطرفة التي اقترحها البريطانيون، والتي تضمنت مؤامرات اغتيال أكثر تعقيداً من قِبَل جهاز الاستخبارات البريطاني MI6، مثل خطة لحقن السم في شوكولاته. وكان دالاس يخشى أن يؤدي مثل هذا الإجراء إلى مزيد من تشويه سمعة القوى الغربية في الشرق الأوسط وفي مسارح العالم الثالث الأخرى في الحرب الباردة، وفي كل الأحوال، كان الرئيس أيزنهاور نفسه قد أبدى عدم موافقته على خطط الإغتيال.(23)

وفي محاولة لصد البريطانيين، لجأ وزير الخارجية مرة أخرى إلى الدبلوماسية المشفرة لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية. فبعد وصوله إلى لندن في أواخر أغسطس 1956 في أول محطة من جولة عالمية لمحطات وكالة الاستخبارات المركزية، حاول آلن دالاس تهدئة حماس البريطانيين، ولكنه فشل في ذلك، فأبلغ واشنطن أنهم "كانوا أكثر تصميماً من أي وقت مضى على المضي قدماً على خط معين".
وفي الشهر التالي، تم تجنيد مايلز كوبلاند وجيمس إيشيلبرجر في مبادرة أخرى من مبادرات وزير الخارجية، وهي جمعية مستخدمي قناة

السويس (Suez Canal Users' Association (SCUA)، وهي مبادرة أمريكية لوضع السيطرة على الممر المائي المتنازع عليه في أيدي هيئة دولية تمثل القوى الغربية التي تستخدمه أكثر من غيرها. وعلى الرغم من رفض ناصر لهذا المشروع بازدراء، وأشار إلى أن المهندسين المصريين، على عكس التوقعات الأوروبية، كانوا يقومون بعمل جيد للغاية في تشغيل القناة بأنفسهم، إلا أن مشروع SCUA وفر لمايلز وإيتش فرصة للتسلية، كما وفر لهم، كما اتضح لاحقًا، فرصة عمل جديدة واعدة.

والأمر الأكثر أهمية هو أن مستعربي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانوا، حتى في هذه المرحلة المتأخرة من أزمة العلاقات المصرية مع الغرب، يبقون قنواتهم الخاصة مفتوحة مع دائرة ناصر، حيث التقى كيم روزفلت بعلي صبري وحسنين هيكل في نيويورك (مع الافتتاحية السنوية للجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر) لمناقشة إمكانية التوصل إلى تسوية تفاوضية للنزاع حول قناة السويس. فهل لا يزال كيم قادرًا على القيام بنفس السحر الذي قام به في تأمين الاتفاقية البريطانية-المصرية لعام 1954؟ (24)

وحتى لو كان ناصر متسامحًا، فقد كانت هناك عوامل كثيرة تعمل ضد مثل هذه النتيجة، بما في ذلك الضغط المستمر من أجل اتخاذ تدابير أكثر صرامة من قبل البريطانيين. في حين كان رئيس الوزراء إيدن ووزير الخارجية لويد يقطران كلمات معادية للشيوعية في أذن فوستر دالاس، كان رئيس جهاز الاستخبارات الخارجية البريطاني في الشرق الأوسط جورج يونج يوبخ زملائه في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بسبب فشلهم في دعم خطط لندن "لإذلال الغجر" (Gyppos الاسم السبابي الذي يطلقه العسكر البريطاني على المصريين)، محذراً الدبلوماسي تشيستر كوبر في حفل كوكتيل في

مايفير: "من الأفضل لأصدقائك في الوطن أن يأتوا بشيء بنّاء في أقرب وقت ممكن".
ويمكن لمثل هذا الضغط أن يتخذ أشكالاً أكثر دهاءً. فكثيراً ما كان المراسلون الأميركيون في الشرق الأوسط يعتمدون بشكل كبير على المصادر البريطانية، وكانت هناك تلميحات إلى أن الحكومة البريطانية في وايتهول كانت تستخدم هذه القنوات عمداً لتشكيل تغطية وسائل الإعلام الأميركية -المؤيدة لإسرائيل من الأساس- لنزاع السويس. وقد شملت هذه الأسباب ميلاً أميركياً متزايداً إلى تقليد الممارسة البريطانية المتمثلة في تشبيه الرئيس المصري بأدولف هتلر، على الرغم من الاختلافات العديدة بين الرجلين التي أشار إليها تقرير صادر عن وزارة الخارجية الأميركية حول هذا الموضوع، مثل حقيقة مفادها أنه في حين كان "هتلر معروفاً بالغضب والانفعال تجاه الزوار، فإن ناصر يميل إلى اتخاذ موقف هادئ وعقلاني".
وبعد أن صدرت الأوامر إلى جمعية الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط بالتوقف عن حملتهم المناهضة للصهيونية في صيف عام 1956، بدأت جهود الدعاية الإسرائيلية (الهاسبارا) في الولايات المتحدة، التي لم تلق آنذاك معارضة كبيرة، في التحرك بقوة، الأمر الذي أدى إلى زيادة تأثير الرأي العام الأميركي ضد ناصر. وحتى داخل وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية نفسها، كان الدعم يتراجع عن العرب. فقد أبلغ تشارلز "تشيب" بوهلين، السفير الأميركي لدى الاتحاد السوفييتي، نظيره المصري في واشنطن، السفير حسين، أن "جيمس أنجليتون، الذي أراد الاستفادة من إسرائيل، كان يمارس نفوذاً أكبر من كيرميت روزفلت". وقال أحد معارف مايلز كوبلاند بفخر له: "أعتقد أننا تمكنا أخيراً من جعل عشاق ناصر يهربون".(25)

ولم تكن هذه التناقضات أكثر وضوحاً في أي مكان آخر من عملية "القناع" MASK، وهو برنامج بريطاني-أميركي مشترك "لإحداث إزاحة الرئيس ناصر بالطرق السلمية في أسرع وقت ممكن" (كما وصفها المساعد الجديد -الذى أتى كنتاج لفشل مشروع جاما للسلام- لوزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا وأفريقيا ويليام رونتري).
وقد تم اقتراح هذا المقترح في الأصل في العشرين من سبتمبر 1956، عندما كان فوستر دالاس يتناول العشاء في لندن مع إيدن، ثم تم تطوير مشروع القناع في أوائل أكتوبر أثناء المناقشات في واشنطن بين وفد بريطاني ضم جورج يونج وفريق أميركي يتألف من مسؤولين في وزارة الخارجية الأميركية في شؤون الشرق الأوسط وممثلين اثنين غير محددين من وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، أحدهما كان على الأرجح كيم روزفلت والآخر على الأرجح مايلز كوبلاند.
وقد كتب مايلز في وقت لاحق عن مشاركته في المحادثات الأنجلو-أميركية حول إزاحة ناصر قبل وقت قصير من الهجوم الأنجلو-فرنسي على السويس، وعن دهشته المسلية عندما قدم البريطانيون مخططاً مزعوم كونه سرياً للغاية لجهاز المخابرات العامة المصرية، وأدرك مايلز مباشرة أن المخطط من صنع يديه هو من مهمته السابقة في القاهرة تحت غطاء كونه مسؤولاً تنفيذياً في شركة بووز ألين في عام 1953.(26)

وكانت وجهات النظر المختلفة الممثلة في مجموعة العمل الأميركية البريطانية حول مصر واضحة منذ البداية. ففي حين حث المسؤولون البريطانيون على تبني تدابير اقتصادية وسياسية ونفسية عدوانية "لتخليص أنفسنا من ناصر"، أصر الأميركيون على اتباع نهج أكثر

حذراً، ورفضوا بشكل خاص الاقتراح بالموافقة على تاريخ نهائي للإطاحة بالزعيم المصري.
وعلى الرغم من أن مجموعة العمل أصدرت تقريراً مشتركاً في الثالث من أكتوبر، إلا أن فوستر دالاس، الذي سمع للتو رئيسه أيزنهاور يكرر استنكاره للعمليات التي تستهدف شخص ناصر، كان متردداً في التوقيع عليه. واعترض بشكل خاص على الفقرتين الأوليين عن ناصر، اللتين ذكرتا صراحة "ضرورة التعاون بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة للقضاء على التهديد الذي يشكله"،
وفجأة تذكر دالاس أنه "من غير المعتاد السعي إلى الحصول على موافقة مكتوبة على أعلى مستوى سياسي لعمليات من هذا النوع"؛ وعادة ما يكون "التفاهم الشفوي العام" كافياً. (من المترجم :- تذكر -كما سبق ذكره في الفصل الثاني عشر "تأليف انقلاب"- أن الموافقة الكتابية من أيزنهاور كانت ضرورية للشروع في عملية أجاكس الإيرانية ضد مصدق)
من الواضح أن الأميركيين كانوا يشككون في النوايا البريطانية؛ فقد أشار تقرير لاحق لوكالة المخابرات المركزية الأميركية عن هذه الفترة إلى أن "القطيعة" بين الجانبين "أصبحت حادة بشكل خطير". ولم يتم حل مسألة تقرير MASK حتى نهاية أكتوبر، عندما أصبح التقرير، كما قال ويليام رونتري في مذكرة إلى دالاس، "أكاديميًا" بسبب "التطورات الحالية".(27)

كان رونتري يشير إلى الحرب في مصر التي اندلعت في 29 أكتوبر، مما أدى إلى ما يسمى بأزمة السويس. وقد تم التخطيط للعدوان الثلاثي، كما كان معروفًا في العالم العربي، في الأسابيع التي أعقبت تأميم ناصر لقناة السويس، وكان يتضمن تواطؤًا سريًا بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل. وكانت الخطة أن يهاجم الإسرائيليون مصر في

سيناء ويزحفون نحو منطقة القناة؛ كان من المفترض أن تتدخل القوتين الأوروبيتين بحجة استعادة السلام وإعادة تأكيد سيطرتهما على القناة، وفي هذه العملية يتم الإطاحة بناصر.

ومن الناحية العسكرية، سارت العملية كما هو مخطط لها، حيث استسلم الجيش المصري (كلا من القوات البرية والقوات الجوية) بسرعة لقوات متفوقة بشكل كبير. ولكن من الناحية السياسية، كان العدوان الثلاثي بمثابة كارثة للغزاة، وخاصة الفرنسيين والبريطانيين، الذين أجبروا في مواجهة الإدانة الأمريكية الغاضبة على قبول وقف إطلاق النار من قبل الأمم المتحدة في 7 نوفمبر.
وبدلاً من أن يُطرد من مكانه، استغل ناصر بمهارة الفرصة للتظاهر بأنه بطل العالم العربي وتعزيز قاعدة قوته، سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي.

وكانت هناك عدة أسباب وراء اعتراض واشنطن بشدة على أزمة السويس:-
*عواقبها الكارثية المحتملة على الموقف الغربي في الشرق الأوسط وبقية دول العالم الثالث؛
**وحقيقة أنها صرفت الانتباه الدولي عن القمع الذي مارسه السوفييت للانتفاضة المجرية المدعومة من السي آى ايه، والتي كانت تتكشف في نفس الوقت تمامًا لأزمة السويس؛ ولقد كان هذا التوقيت مؤسفاً للغاية، إذ جاء عشية الانتخابات الرئاسية الأميركية.
ولعل أعمق ما أثار حفيظة الأميركيين حقاً هو عنصر الخداع الذي ينطوي عليه الأمر. فقد كان البريطانيون يخططون لهذه العملية سراً لأسابيع، في حين كانوا يتحدثون إلى أبناء عمومتهم الأميركيين حول تدابير أخرى للتعامل مع ناصر. وهذا هو حال "العلاقة الخاصة".

والواقع أن مسؤولين بريطانيين فرديين، ممزقين على ما يبدو بين مطالب الولاء لحكومتهم والصداقة الشخصية، ألمحوا إلى نظرائهم الأميركيين إلى أن عملية كبرى كانت قيد الإعداد. فقد أبلغ جون بروس لوكهارت من جهاز MI6 آل أولمر من وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية: "سوف أضطر إلى ارتداء زيي العسكري."

وخلال نزهة عائلية متوترة، أخبر باتريك دين، رئيس فريق العمل البريطاني في MASK، الدبلوماسي الأمريكي تشيستر كوبر، "لا يمكننا أن نترك قناة السويس، فأنت تدرك أنها شريان الحياة لإمبراطوريتنا"."أنت وأنا في ورطة كبيرة، ولن يكون ذلك بسبب المجر".

وأثناء تقديم تقريره إلى فوستر دالاس خلال اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، التقى كيم روزفلت بصديق قديم في وزارة الخارجية البريطانية وأخبر: "تحدث بمشاعر عظيمة، وقال ... إن البريطانيين والفرنسيين على وشك القيام بشيء أحمق للغاية"، كتب كيم لاحقًا. وعندما كرر ضابط وكالة المخابرات المركزية ما سمعه للتو لوزير الخارجية في جناحه في فندق والدورف أستوريا، "مضيفًا أن التنبؤات القاتمة للبريطاني كانت مدعومة بشكل كافٍ بتقارير الاستخبارات الأمريكية"، استقبله عرض مفاجئ من اللامبالاة. سأل فوستر وهو ينظر من النافذة "هل هذا كل شيء؟" وعندما أشار كيم إلى ذلك، قال الوزير ببساطة: "شكرًا لك".(28)

وهذه الحكاية، التي رواها كيم تالياً للعديد من المحاورين، تحتوي على عنصر قوي من التبرئة الذاتية، حيث تشير إلى أن فوستر دالاس تلقى معلومات استخباراتية جيدة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية حول الخطط البريطانية قبل حدوثها ومع ذلك اختار تجاهلها. وأشار أحد المحاورين إلى أن كيم بدا "غاضباً" بشأن الإدعاء التالي من فوستر دالاس بأن السويس فاجأته تمامًا.

ومع ذلك، عند الجمع بين هذه الرواية من كيم وبين الأدلة الأخرى على "الثرثرة" البريطانية قبل 29 أكتوبر، تبدو القصة معقولة بما فيه الكفاية وتثير التساؤل حول سبب تجاهل دالاس ومسؤولين أمريكيين آخرين "للتلسكوب أمام عيونهم العمياء" على حد تعبير كيم.
وكان أحد الأسباب المحتملة هو أن واشنطن حسبت أن الأردن كان هدفًا أكثر احتمالًا للهجوم الإسرائيلي من مصر، وتم تفسير أدلة التعبئة الإسرائيلية في ضوء ذلك.
كان هناك سبب آخر، وهو أن جيمس جيسوس أنجليتون، بناءً على تأكيدات من السفارة الإسرائيلية في واشنطن، نصح آلن دالاس بأن نوايا إسرائيل سلمية (مما دفع نائب المدير روبرت أموري إلى النطق بالادعاء الذي يُستشهد به كثيرًا بأن أنجليتون كان "عميلًا إسرائيليًا متعاونًا").
والاحتمال الثالث، الذي ربما يفسر عادة كيم في إلقاء اللوم على فوستر دالاس عن كل النكسات الأميركية في المنطقة، هو أن خبراء وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في الشرق الأوسط كانوا في هذه المرحلة منشغلة بالعمل السري إلى الحد الذي جعلها تتجاهل واجباتها في جمع المعلومات الاستخباراتية.(29)

وهذا يقودنا أخيرًا إلى سبب آخر أقل شهرة للغضب الأميركي إزاء الهجوم الأنجلو-فرنسي-إسرائيلي على مصر: تأثيره على الوضع في سوريا.
فقبل بضعة أيام، في الثامن عشر من أكتوبر، علم بيل إيفلاند أن موعد انقلاب ميخائيل إليان قد تم تأجيله مرة أخرى، من 25 أكتوبر إلى 29 أكتوبر، لأسباب لم تكن واضحة تمامًا. وفي وقت لاحق، وبعد أن تبين أن هذا هو نفس يوم الغزو الإسرائيلي لمصر، بدأ إيفلاند يشك في أن البريطانيين "استخدموا العراقيين لتدبير هذا الأمر"، وخططوا لاستغلال

الارتباك الذي أحدثته أزمة السويس لانتزاع السيطرة على سوريا و"ترك الولايات المتحدة وإليان كبش فداء في حالة فشل الانقلاب".

وسواء كان تحليل إيفلاند للأمور صحيحًا أم لا - لم تتحقق مثل هذه العملية البريطانية على سوريا بعد الهجوم على مصر - فإن عواقب التزامن بين خطة آرتشي روزفلت في عملية TP-AJAX ثانية في سوريا مع الغزو الثلاثي لمصر كانت كارثية.
اعتقادًا منه أنه يتم إعداده ليكون كبش فداء، فر إليان من سوريا ووصل إلى شقة إيفلاند في بيروت في اليوم التالي، مليئًا بالاتهامات المريرة. وفي الوقت نفسه، بدأ رئيس المخابرات السورية السراج، الذي ربما كان على علم بالمؤامرة منذ البداية، في القبض على المتآمرين الذين تركهم إليان وراءه. وكان الأخوان دالاس يراقبان العملية من واشنطن، فقررا على مضض التخلي عن سوريا لمصيرها، على الأقل في الوقت الراهن. (من المترجم :- نفس ما حدث مع "الثورة المجرية" المدعومة من السي آى ايه في 1956، حيث تركت السي آى ايه عملائها المحليين ليتلقوا مصيرهم)

وفي محاولة لفهم هذه الفوضى، لم يستطع بيل إيفلاند أن يتوصل إلا إلى استنتاج واحد حاسم: "لم يكن آرتشي روزفلت يعرف عن تنظيم الانقلابات أكثر مما كنت أنا أعرفه ـ أي لا شيء على الإطلاق".(30)

وبالنسبة لآرتشي -المحب لإنجلترا والخبير الاستخباراتي الملتزم- كان الأمر بمثابة حبة مريرة يصعب بلعها؛ فبعد عقود من الزمان، أجرى آرتشي مقابلة صحفية حول سوريا، وما زال لم يسامح البريطانيين على خيانتهم.

ومع ذلك، لم ينتهِ عروبيو وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية من ممارسة الألعاب بعد، كما أثبتت الأحداث في العام التالي مباشرة. (31)

الفصل التاسع عشر:
حَمِيَت اللعبة:- الأردن، لبنان، سوريا، 1957

وفقاً للمظاهر الخارجية، كانت أزمة السويس بمثابة نهاية مفاجئة للادعاءات الإمبراطورية البريطانية في الشرق الأوسط. فبعد الرحيل المخزي لأنتوني إيدن من داونينج ستريت في يناير 1957، بدا أن خليفته هارولد ماكميلان قد تبنى نهجاً منضبطاً تجاه المنطقة، فشرع في سن سياسات تعكس بشكل أكثر دقة الظروف المتدهورة التي كانت تعيشها بريطانيا في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وفي الوقت نفسه، استجابت الولايات المتحدة، التي كان رفضها لدعم المغامرة الأنجلو-فرنسية-إسرائيلية الفاشلة في الخريف السابق قد أكسبها قدراً كبيراً من حسن النية بين العرب، تماماً كما استجابت واشنطن لانسحاب بريطانيا من اليونان وتركيا قبل ذلك بعشر سنوات، حيث أعلنت في نفس الشهر الذي استقال فيه إيدن "عقيدة أيزنهاور"، وهو التزام جديد بالدفاع عن دول الشرق الأوسط المهددة بالتوسع السوفييتي.

وبدا الأمر وكأن أيام الإمبراطورية البريطانية والمغامرات على الطريقة الإمبراطورية قد ولت أخيراً.(1)

أو هل ولت حقاً؟
خلف الكواليس، كان المسؤولون الأميركيون والبريطانيون يتصرفون على نحو يتناقض مع سمعة السويس باعتبارها نقطة تحول في العلاقات الغربية مع الشرق الأوسط، بل إنهم كانوا في الواقع يصعدون حملتهم المشتركة ضد القومية العربية المتطرفة، وهي القوة التي أصبحت الآن أكثر قوة بفضل المحاولة البريطانية الفاشلة لإزاحة ناصر.
وعلى الجانب الأميركي، سرعان ما ابتلع أيزنهاور غضبه الشخصي على البريطانيين، بل وفكر حتى في إعادة بناء موقفهم في المنطقة كجزء من استراتيجية أميركية أوسع نطاقاً لدعم الحكومات العربية المحافظة والموالية للغرب ضد الثوار القوميين. وبهذا المعنى، كانت عقيدة أيزنهاور بمثابة إعلان عام عن المبادئ التي تم نشرها في العام السابق في إطار مشروع أوميجا السري. ومن غير المستغرب أن ينسجم البريطانيون مع هذه السياسة، في تدليك للمخاوف الأميركية من التخريب الشيوعي في الشرق الأوسط، وهي التقنية التي تستخدمها أيضاً الأنظمة العربية المحافظة نفسها. كان هارولد ماكميلان يفتخر بتعامله البارع مع أبناء عمومته عبر الأطلسي، حيث كان يدفعهم بحذر بعيدًا عن معاداتهم الساذجة للإمبريالية في وقت سابق نحو فهم أكثر "واقعية" لمسؤولياتهم الجديدة في عصر ما بعد الاستعمار.(2)

وكانت أجهزة الاستخبارات السرية هي التي ساعدت في ترسيخ هذا التقارب الهادئ بين بريطانيا وأميركا. ففي أعقاب أزمة السويس مباشرة، تسببت المشاعر المجروحة على الجانبين في تعليق مؤقت

للاتصال الرسمي بين وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية وجهاز الاستخبارات البريطاني. واشتكى جورج يونج الناري من أن "الولايات المتحدة لم تكن مستعدة لتحريك إصبع عندما حانت اللحظة".

جاء في نص محادثة بين رئيس الاستخبارات وشقيقه وزير الخارجية: "إن آلن دالاس يشك في أبناء عمومتنا. وإذا كانوا يريدون شيئًا، فهو يعتقد أننا يجب أن ننظر إليه بجدية".
ولعل من المتوقع أن تفشل المحاولة الأولى لإعادة فتح القنوات الرسمية ـ وهي مهمة حسن النية التي قام بها كيم روزفلت إلى لندن بعد وقت قصير من الأزمة ـ حيث استقبلت الحكومة البريطانية كيم استقبالاً أقل حماساً. ولكن عندما قام ضابط آخر من ضباط وكالة الاستخبارات المركزية، الخريج آخر من مدرسة جروتون تريسي بارنز، بنفس الرحلة في ديسمبر 1956، كان الترحيب أكثر دفئاً. وفي أوائل عام 1957، جاء دور البريطانيين لمحاولة إذابة الجليد في العلاقات، فسافر رئيس جهاز الاستخبارات الخارجية الجديد ديك وايت إلى واشنطن من أجل مقابلة نظيره الأميركي. وكان وايت، الذي شارك هارولد ماكميلان اهتمامه القوي بتنمية العلاقات مع الأميركيين، مسروراً عندما أخذه آلن دالاس إلى ناديه المفضل في واشنطن، نادي "أليبي". بل وكان أكثر سعادة عندما لعب دالاس معه مقلباً عملياً، فدعاه إلى الجلوس على كرسي مكتبه المريح قبل أن يضغط على مفتاح تدليك مخفي. كان وايت متأكدًا من أن مثل هذه المقالب كانت مخصصة فقط لأصدقاء العائلة.(3)

لقد تم إعداد المسرح لموجة جديدة من النشاط السري من قبل عروبيي وكالة المخابرات المركزية. وبحلول ذلك الوقت، تحول التركيز من مصر، بعد أن تخلى كيم روزفلت أخيرًا عن رؤيته للترويج لصديقه

جمال ناصر باعتباره زعيمًا للشرق الأوسط الحديث والتقدمي والمؤيد لأميركا. ولكن على عكس البريطانيين، يبدو أن كيم لم يصبح مهووسًا بفكرة التخلص من ناصر. ومن المسلم به أن الأدلة هنا غامضة: تشهد العديد من المصادر، بما في ذلك مذكرات بيل إيفلاند، على تكثيف الأساليب المناهضة لناصر التي تم التفكير فيها في محادثات MASK في الخريف السابق، ومن الواضح أن البريطانيين، على الرغم من أن ماكميلان وديك وايت قد كبحوا العناصر الأكثر جرأة في MI6، فقد استمروا في الواقع في التخطيط لاغتيال الزعيم المصري. ومع ذلك، تشير الأدلة في المحصلة النهائية إلى أن تصرفات وكالة المخابرات المركزية تتبع نمطًا مشابهًا لنمط عام 1956؛ إن هذا يعني أن عروبيي الوكالة لعبوا جنباً إلى جنب مع الحلول المتطرفة التي اقترحها البريطانيون، ولكن الوكالة رفضت في نهاية المطاف الضغط على الزناد وإغتيال ناصر مباشرة.

إن خاتمة رواية إدوارد شيهان "مملكة الوهم" تلتقط هذا التناقض الأساسي بشكل أفضل من أي رواية تاريخية موجودة.

حيث في الرواية:- بمساعدة من تابعه المقرب كورنيليوس ماكفليكر، يحاول بول بولموتور، الذي يشبه شخصية كيم، في نهاية المطاف القيام بانقلاب ضد صديقه القديم، رئيس وزراء الخضراء، مصطفى بن مبروك. وعندما يحبط مبروك المؤامرة ويسخر من بولموتور بإرسال فرقة موسيقية للجيش لعزف "أي شيء يمكنك فعله، يمكنني أن أفعله بشكل أفضل" تحت نافذة فندقه، يشعر الأمريكي بسعادة سراً. في الواقع، بينما كان يستعد لمغادرة الخضراء للمرة الأخيرة، ويدرك أنه ربما لن يرى مبروك مرة أخرى، شعر ذو المزاج الكلبي بولموتور فجأة بمشاعر لم يشعر بها من قبل: الندم.(4)

وبدلاً من مصر نفسها، ركزت وكالة الاستخبارات المركزية جهودها على احتواء انتشار الناصرية إلى دول عربية أخرى - وهو تحدٍ ضخم، بالنظر إلى الشعبية الهائلة التي تمتع بها ناصر في جميع أنحاء العالم العربي نتيجة لحرب السويس. كانت بعض البلدان أقل في قائمة الأهداف العملياتية من غيرها.
وفي مواجهة المد المتصاعد من القومية العربية الثورية المناهضة للغرب، كانت المملكة السعودية تفكر بشكل أفضل في قرارها السابق بمغازلة القاهرة وبدأت في توحيد الصفوف مع المملكتين الهاشميتين الأردن والعراق. وقد أدت الزيارة الرسمية الناجحة التي قام بها الملك سعود إلى الولايات المتحدة في يناير 1957، والتي نظمت بمساعدة عروبيو وكالة الاستخبارات المركزية وبيل إيفلاند، إلى التعجيل بهذا التطور.
أما بالنسبة للعراق، الذي كان ولي عهده (الوصي على العرش سابقا) عبد الإله في واشنطن في نفس الوقت الذي كان فيه سعود، فقد بدت حكومته الموالية لبريطانيا أيضاً آمنة داخل المعسكر الغربي، ولو أن الولايات المتحدة لم تترك أي شيء هنا أيضاً للصدفة، حيث قدمت التدريب وغيره من أشكال الدعم لقوات الأمن الداخلي العراقية.(5)

ومع اصطفاف العراق خلف الغرب، وتحرك المملكة العربية السعودية في نفس الاتجاه، ومصر أصبحت لا يمكن إنقاذها، وجهت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية أنظارها بدلاً من ذلك إلى الدول الثلاث الأكثر عرضة للخطر المتمثل في الاستسلام للقومية العربية الثورية، وبالتالي -وفقاً لمنطق الحرب الباردة الذي تبناه جون فوستر دالاس- عرضة للنفوذ الشيوعي: الأردن ولبنان وسوريا.

وهذه الدول/الدويلات بائسة الحظ، التي خرجت كل منها للتو من ظل الإمبريالية الأوروبية، سوف تشكل ساحة اللعب لأكثر مراحل اللعبة جنوناً التي تلعبها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية حتى الآن.

في ربيع عام 1957، كانت الأردن لا تزال "الدولة الصغيرة المصطنعة والفقيرة" التي وصفها كيم روزفلت قبل ما يقرب من عقد من الزمان في كتابه "العرب والنفط والتاريخ"، وهي دولة من صنع الإمبرياليين البريطانيين ومضطرة إلى الاعتماد على الحقن النقدية المنتظمة من أجل بقائهم.
ولكن الآن، كانت تواجه مجموعة من التحديات الأعظم. فقد انسحب البريطانيون في أعقاب السويس، آخذين معهم أموالهم. وعلى الرغم من إلحاح جهات مختلفة، بما في ذلك الملك الحسين الشاب، والحكومة في وايتهول، وحتى السفير الأميركي في عمان ليستر مالوري، بدا أن واشنطن مترددة في الالتزام -على الأقل علناً- بتولي رعاية وتدبير ما هو واضح أنه دولة عميلة بشكل واضح ـ "سحب مكسرات الكستناء البريطانية من النار"، كما قال العديد من المسؤولين.(6)

وفي الوقت نفسه، وبتشجيع من القاهرة ودمشق، كانت المعارضة القومية للملكية الهاشمية تنمو داخل الأردن، وخاصة بين السكان الفلسطينيين النازحين الذين يشكلون نسبة كبيرة من السكان. وبدا رئيس الوزراء الذكي وإن كان غير فعّال سليمان النابلسي راضياً بالتعاون مع العناصر اليسارية والجمهورية.
والأمر الأكثر إثارة للقلق من وجهة نظر القصر، أن ضباط الجيش مثل رئيس الأركان علي أبو نوار، الخليفة اللطيف والانتهازي لغلوب باشا في قيادة الفيلق العربي، بدأوا يشككون في السلطة الشخصية للحسين.

ولقد استنتج العديد من المراقبين الغربيين بأسف أن أيام الملك الشاب، مثله كمثل الملك فاروق المصري من قبله، أصبحت معدودة.
وبلغ الصراع بين القصر وعناصر المعارضة ذروته في إبريل. فقد صاحب المواجهة بين الحسين ورئيس الوزراء النابلسي سلسلة من المناورات العسكرية المشؤومة التي يقال إن أبو نوار هو الذي دبرها.

وفي مساء الثالث عشر من إبريل، اندلع قتال في قاعدة الزرقاء العسكرية شمال عمان بين الضباط الأحرار الصغار وبين الجنود البدو الموالين للعرش. وأجبر أبو نوار على الذهاب مع الأحداث، فاندفع الحسين إلى مكان الحادث وخاض المعركة، فحشد القوات الموالية للملك لصالحه، التي احتشدت حوله وقبّلته.
وكان أبو نوار يرتعد في سيارة الأركان، وتوسل إلى ملكه أن يسامحه، وفي اليوم التالي سُمح له بالتسلل إلى المنفى في سوريا. وكان الشيء الوحيد الذي أحبط مؤامرة الانقلاب هو شجاعة الشاب حسين.(7)
(من المترجم :- كما في حالة "ناصر" كما يسميه الأمريكان، فالأمريكان أيضا يسمون ملك الاردن بمجرد "حسين" بدلا من الحسين، وهكذا سأكتبه تاليا)

أو هكذا كانت الرواية الأردنية الرسمية -التي تروج للداخل الأردني- لحقيقة الأحداث التي حدثت في قاعدة الزرقاء.

وفي غضون أيام قليلة، بدأ تفسير بديل في الانتشار، وهو التفسير الذي صور الأزمة على أنها صنعت بتعمد من قبل المسؤولين الملكيين في الحكومة وفي الجيش وبالتعاون مع السفارة الأميركية بهدف تشويه سمعة القيادة الوطنية وتوفير ذريعة لاستعادة حكم القصر ـ أو بعبارة أخرى، انقلاب مضاد على غرار ما حدث في إيران.

ولعل من غير المستغرب أن يصر النابلسي وأبو نوار والعديد من المخططين الآخرين المزعومين على دقة هذه الرواية الثانية. ولكن الأمر الذي لم يكن متوقعاً هو أن العديد من المصادر الغربية، بما في ذلك مجلة تايم الموالية لإدارة أيزنهاور، قد أكدت ذلك أيضاً.
ففي أواخر شهر إبريل، نشرت الصحيفة تقريراً بعنوان "الطريق إلى الزرقاء" (وصفته بأنه "قصة جامحة جمعت بين اندفاعة انقلاب عسكري في أميركا اللاتينية وحيلة مغامرة من مغامرات ألف ليلة وليلة")، زاعمة أن ما بدا من الخارج وكأنه "تمرد مستوحى من القومية" كان في الواقع "مخططاً له بعناية" من قبل الملك.(8)

ولا تزال الحقيقة بشأن موقعة الزرقاء، وهي لحظة محورية في التاريخ الأردني، موضع نزاع ساخن حتى اليوم.
(من المترجم :- مثل محورية لحظة "معركة الكرامة" 1968 المزعومة والمفبركة تماما هى الأخرى!، المعركة المفبركة تماما من ساسها لراسها! لم تحدث من الأساس!!)

ومما لا شك فيه أن سلوك الملك الشخصي في الظلام والارتباك في القاعدة العسكرية كان مثيراً للإعجاب، ومن المؤكد أن جواً عاماً من التمرد كان سائداً في الجيش الأردني في ربيع عام 1957. ومع ذلك، فإن فكرة وجود مؤامرة مدبرة للتخلص من الملك ربما كانت ترجع إلى الخيال الملكي أكثر من كونها حقيقة. كانت الأدلة التي استخدمت لاحقاً لإدانة الضباط الأحرار المتهمين بالتآمر ضد حسين واهية في أحسن الأحوال، وكانت المعاملة المتساهلة التي تلقاها أبو نوار وغيره من زعماء المؤامرة المزعومين بمثابة اعتراف ضمني من جانب القصر بأن التهم الموجهة إليهم كانت غير مكتملة.(9)

ماذا عن ادعاء أبو نوار وغيره بأن المسؤولين الأميركيين ساعدوا حسين في تصنيع الأزمة؟

للمرة الأولى، لم يقل مايلز كوبلاند الكثير عن الزرقاء، مما يشير إلى أنه، على الأقل، لم يلعب أي دور فيها. ومع ذلك، هناك مصادر أخرى تلقي بعض الضوء على هذه المسألة.

تشير تقارير السفارة البريطانية إلى لندن إلى أنه، مثل حسني الزعيم قبل انقلابه في سوريا عام 1949، أرسل حسين بنواياه إلى القوى الغربية قبل اتخاذه خطوته. وبحسب أحد المسؤولين البريطانيين، "يبدو أن الأميركيين كانوا على اتصال وثيق بالملك حسين بشأن كل هذا أكثر مما كنا عليه نحن".

وكما لاحظ ابني العم لآل روزفلت أثناء زيارتهم للأردن في عام 1956، فإن محطة وكالة الاستخبارات المركزية في عمان كانت على اتصال منتظم بالملك، حيث كانت تمرر له الأموال لتمويل بناء جهاز استخبارات شخصي وتعرض عليه وسيلة للاتصال السري مع واشنطن. ومن البديهي أن المقر الإقليمي الجديد للوكالة في لبنان وفر قناة خلفية ثانية لقصر حسين.

في مذكراته عن المجيء والذهاب في بار فندق سان جورج، الملاذ المفضل لوسائل الإعلام الدولية في بيروت، وصف الصحفي الفلسطيني سعيد خليل أبو الريش ضابطاً محلياً في وكالة الاستخبارات المركزية، جيمس باراكس، وهو يتواصل بانتظام مع الملحق العسكري الأردني في لبنان، العقيد راضي عبد الله، في الفترة التي سبقت معركة الزرقاء.

في رواية أبو ريش، قام والده، وهو المراسل المرموق لمجلة التايم أبو سعيد، بإتباع باراكس والعقيد عبد الله إلى عمّان وشهد إقامتهما معًا في القصر الملكي. كان هذا هو الأساس لقصة التايم في أواخر أبريل التي صورت الزرقاء على أنها تتويج لمؤامرة ملكية.

والأمر الأكثر إثارة للاهتمام هو أن أوراق جون فوستر دالاس تحتوي على تلميح مثير للاهتمام بأن كيم روزفلت كان في الأردن في الوقت الذي بلغ فيه الصراع على السلطة ذروته.
في حديثه عن الأردن مع شقيقه آلن في 21 أبريل، "سأل الوزير ما إذا كان كيرميت روزفلت لا يزال هناك".
هل كان كيم في عمّان يحرض على انقلاب ملكي مضاد ضد رئيس وزراء قومي، تمامًا كما فعل في طهران عام 1953؟
تقدم لعبة الأمم لمايلز كوبلاند حقيقة واحدة عن الزرقاء. ولقد زعم مايلز أن ناصر كان يعتقد أن كيم قد نقل "معلومات مضللة" إلى النابلسي وأبو نوار "لخداعهما وإيهامهما بأنهما قادران على تنفيذ انقلاب ضد حسين، وبالتالي دفعهما إلى فخ حسين".(10)

ومهما كانت المساهمة الأميركية في انقلاب القصر coup de palais الذي صنعه حسين، فإن الزرقاء كانت بمثابة نقطة تحول في العلاقات الأميركية مع الأردن. فقد اختفى التردد السابق بشأن إنقاذ الكستناء البريطانية. فعندما استخدم حسين في 24 أبريل 1957، في مواجهة ردة فعل يسارية مزعومة ضد إستعادته سلطاته الملكية الكاملة، قنوات وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية لإخطار واشنطن بأنه ينوي تعليق الدستور الأردني وفرض الأحكام العرفية، أصدر البيت الأبيض بياناً عاماً بالدعم، وحذر إسرائيل من التدخل، وأمر الأسطول السادس بالتوجه إلى الساحل اللبناني. ومن الجدير بالذكر أن اللغة التي استخدمها المسؤولون الأميركيون لوصف حسين خضعت أيضاً لعملية تحول: فقد تحول الملك الشاب من "زير نساء" playboy أو "طالب في السنة الثانية من الجامعة" Sophomore إلى "رجل وملك في صفنا".

وفي التاسع والعشرين من إبريل، منحت الولايات المتحدة الأردن 10 ملايين دولار من المساعدات، تلاها 10 ملايين دولار أخرى في مايو.

وفي الشهر نفسه، أعلن أيزنهاور، بعد أن علم أن السوريين كانوا يدبرون مؤامرات ضد حسين في دمشق، "أن هذا هو الوقت المناسب لكي تتسلل وكالة المخابرات المركزية الأميركية وتحاول... مواجهة هذه التحركات". "وقد عززت الوكالة علاقاتها الأمنية مع القصر الأردني، فأرسلت في العام التالي ضابط استخبارات شاباً، هو جاك أوكونيل، لإحباط مؤامرة مصرية مشتبه بها ضد حسين؛ وأصبح أوكونيل فيما بعد أحد أقرب مستشاري الملك.
وبحلول عام 1958، بلغ الدعم المالي الأميركي السنوي للأردن نحو 40 مليون دولار. وكانت أميركا قد ورثت فعلياً الدور الوصائي الذي كانت تلعبه بريطانيا في المملكة العربية الضئيلة: فقد تولت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية المسؤولية من غلوب باشا.(11)

ولم يكن هذا التدخل الأميركي السري الوحيد في الحرب الباردة العربية-العربية خلال ربيع عام 1957. ففي لبنان، كان الرئيس الماروني ذي الثقافة الفرانكفونية كميل شمعون يواجه تمرداً قومياً عربياً ناشئاً. وكما حدث في الأردن، راوغت واشنطن قبل أن تتورط إلى جانب شمعون؛
ألم تدعم الأجيال السابقة من الأميركيين في بلاد الشام القوميين العرب ضد الموارنة المسيحيين الموالين لفرنسا؟ ولكن جولة حاسمة من الانتخابات في لبنان كانت تلوح في الأفق في شهر يونيو، ومع تدخل مصر وسوريا بشكل واضح في الحملة الانتخابية، استسلمت إدارة أيزنهاور تدريجياً لتوسلات بريطانيا وفرنسا وشمعون نفسه، الذي لعب

بمهارة، مثله كمثل غيره من زعماء الشرق الأوسط قبله، بورقة الشيوعية.
وساعدت المدفوعات السرية، بما في ذلك الحقائب المحشوة بالجنيهات اللبنانية التي سلمها بيل إيفلاند شخصياً إلى القصر الرئاسي، في ترجيح كفة الانتخابات لصالح مرشحي شمعون الموالين للغرب.
والواقع أن التدخل الأميركي، كما اعترف آلن دالاس نفسه، ربما كان أكثر فعالية من اللازم، حيث "تم القضاء على المعارضة للنظام الحالي بالكامل تقريباً، وكانت المعارضة تضم بعض الرجال الجيدين الموالين لنا".(12)

وفي أوائل صيف عام 1957، وبعد إنقاذ لبنان من استيلاء الناصريين، وإن كان ذلك بشروط قوضت شرعية حكومة الرئيس شمعون، كان من الممكن أن نغفر لمخططي الحرب الباردة في واشنطن أن يهنئوا أنفسهم. لقد بدأت الأنظمة المحافظة في العالم العربي تتجمع في مواجهة القوميين المتطرفين، كما تصور مبدأ أيزنهاور.
وفيما يتصل بالصراع الشخصي بين كيم روزفلت وجمال عبد الناصر، بدا أن الأميركي قد فاز أخيراً؛ أما ناصر فقد كان "مؤهل لتتساوى رأسه برأس الأردن"، على حد تعبير آلن دالاس لأخيه فوستر.
والآن، وبعد أن تم إنجاز مهمة واحدة على ما يبدو، تحول انتباه الأميركيين إلى مهمة متبقية من العام السابق: الإطاحة بالحكومة اليسارية المؤيدة لناصر في سوريا.(13)

لقد أدى انهيار مؤامرة انقلاب آرتشي روزفلت في أعقاب حرب السويس إلى تدمير الموقف الأميركي في سوريا. فقد اضطر أصدقاء أميركا مثل ميخائيل إليان إلى الفرار من البلاد، في حين استغل عبد الحميد السراج، رئيس جهاز الاستخبارات السوري اليساري، المكتب

الثاني، اكتشافه الناجح للمؤامرة لتأكيد موقفه كقوة مهيمنة في السياسة السورية. ومع النظر إلى الأميركيين الآن باعتبارهم متآمرين إمبراطوريين على غرار البريطانيين والفرنسيين، اكتسب الشيوعيون المحليون المزيد من الاحترام، وبدأ المستشارون السوفييت في الظهور في دمشق. ولم يثر إعلان مبدأ أيزنهاور في ظل هذه الظروف سوى الشكوك والازدراء.

ومع ذلك، لم تتخل واشنطن عن سوريا تمامًا. وبدا أن أمثلة إيران وغواتيمالا تعلمنا أنه من الممكن تغيير الأنظمة "دون أي عمل عسكري على الإطلاق من جانب الولايات المتحدة"، أو على الأقل هذا ما خلص إليه فوستر دالاس.

في نوفمبر 1956، قدم آلن دالاس تقريراً إلى وزارة الخارجية عن قدرات وكالة الاستخبارات المركزية في سوريا بعد حل شبكة الانقلاب. وجاء في تقريره الذي رفعت عنه السرية مؤخراً والذي لا يزال محذوفاً جزئياً: "نحن نركز على بناء أصولنا الاستخباراتية. كما نعيد دراسة ...شيء محذوف من النص... بشكل مكثف بهدف إعادة تنشيطه".

ويبدو أن المسؤولية الخاصة عن سوريا ظلت في أيدي آرتشي روزفلت، الذي تولى في يناير 1957 منصب القائم بأعمال رئيس قسم الشرق الأدنى في الوكالة. وبعد فترة وجيزة، التقى آرتشي بميخائيل إليان ووافق على تمويل محاولة أخرى للإطاحة بالحكومة السورية.

وفي مارس، حاول المحافظون السوريون الإطاحة بالسراج من المكتب الثاني. في ظهيرة السابع عشر من إبريل، اليوم الوطني السوري، قال آلن دالاس لأخيه فوستر: "إنهم يعقدون أصابعهم آملين بشأن سوريا اليوم".(14)

وكما حدث من قبل، لم تسفر مؤامرة آرتشي وإليان عن شيء. فلم ينجو السراج من الجهود الرامية إلى عزله فحسب، بل قلب الطاولة

على الأميركيين باستخدام الأصول السورية لزعزعة استقرار الحكومات الموالية للغرب في الأردن ولبنان المجاورتين.
ثم، في أعقاب الانتصارات اليسارية المدوية في الانتخابات الفرعية في مايو، تحرك رئيس الاستخبارات لإنشاء مجلس قيادة الثورة، وهو النسخة السورية من مجلس قيادة الثورة التابع للضباط الأحرار المصريين. وخلص مراقبو وزارة الخارجية إلى أن الحكومة الأميركية لم تعد تمتلك "أي نفوذ كبير في سوريا" وبالتالي فهي غير قادرة على "التأثير بشكل مباشر على مسار الأحداث في ذلك البلد".
ومع ذلك، ألقى آلن دالاس باللوم في الموقف على الافتقار إلى القيادة المحافظة ـ "لا أحد هناك لديه الشجاعة أو الجرأة" ـ وأصر على أنه "يتعين علينا أن نبدأ في التخطيط من جديد. "إن الوضع ليس ميؤوساً منه".(15)

لقد حان الوقت لابن عم روزفلت الآخر، بطل طهران، أن يتولى المسؤولية. وعند وصوله إلى بيروت، عقد كيم سلسلة من اجتماعات التخطيط مع ضابط كبير في جهاز الاستخبارات الخارجية البريطاني، فرانك ستالوود، وممثلين عن الحكومات اللبنانية والعراقية والأردنية (في الحالة الأخيرة، راضي عبد الله، الملحق العسكري المشتبه في مساعدته في التخطيط للانقلاب المضاد للملك حسين). وبحلول ذلك الوقت، كان الأميركيون يائسين بما يكفي للنظر في دور قيادي لأديب الشيشكلي، الرئيس السابق سيئ السمعة. لكن المحادثات لم تسفر عن أي شيء.
ووفقاً لبيل إيفلاند، الذي حل محل كيم عندما غادر في رحلة جانبية إلى المملكة العربية السعودية، فإن مساهمة فرانك ستالوود كانت مشوهة بسبب "ولعه بحانات بيروت"؛ وعلاوة على ذلك، فإن اختيار مكان الاجتماع ـ الشقة المخفية بشكل سيئ لرئيس محطة وكالة الاستخبارات

المركزية الأميركية في بيروت، غصن زغبي ـ يعني أن ذهاب وإياب الممثلين المختلفين كان تحت المراقبة المستمرة. "لقد كانت تحركاتهم "السرية" واضحة للغاية"، كما زعم إيفلاند لاحقًا، "حتى أن السفير المصري في لبنان كان يراهن على متى وأين سيحدث الانقلاب الأمريكي التالي".(16)

وفي الوقت نفسه الذي ظهر فيه كيم روزفلت في بيروت، ظهر وجه جديد لوكالة المخابرات المركزية في دمشق. لم يتمتع هوارد إي. "روكي" ستون، ابن ملاكم هاوي من سينسيناتي، نشأ في فقر، وهو أصم جزئيًا، بأي من مزايا مجموعة خريجي جروتونيان التابعة للوكالة. ومع ذلك، فقد شق طريقه إلى وكالة المخابرات المركزية، حيث خدم بتميز في فريق TP-AJAX الإيراني التابع لكيم روزفلت، وكسب لنفسه سمعة كخبير في العمليات السرية في سن الثامنة والعشرين. وبعد وصوله إلى دمشق تحت غطاء رسمي كسكرتير ثانٍ في السفارة، شرع ستون المحبوب والجاد في العمل على الفور لتطبيق الدروس المستفادة من إيران على سوريا، محاولاً تسخير قوى المعارضة المحلية ـ "لإشعال عود ثقاب"، كما قال لاحقًا. وكانت ترافقه في هذه المهمة زوجته الشجاعة، أليس ماري ستون، التي ساعدت أثناء عملية طهران السابقة في حراسة أردشير زاهدي (نجل الجنرال فضل الله زاهدي الذي حل محل مصدق، وهو ذاته سيصبح وزير خارجية وآخر سفير للشاه إلى واشنطن قبل الثورة الإسلامية) وكانت تحرسه وهي تخفي مسدسًا شخصياً تحت أدواتها للحياكة.(17)
ولم يمض وقت طويل قبل أن يدرك ستون أنه لا توجد معارضة محلية قابلة للتطبيق في سوريا. وبشجاعة، بدأ يبحث عن متآمرين محتملين بين الضباط الصغار في الجيش السوري، وهو البحث الذي قاده إلى قائد دبابة شاب كاريزمي، النقيب عبد الله عطية.

وبحسب شهادة عطية اللاحقة، فقد التقى هو وستون في وقت متأخر من إحدى الليالي في أوائل أغسطس في شقة مسؤولة في السفارة الأميركية (ربما إليزابيث سودماير أو بولي كيرتس، اللتين تم التعرف عليهما فيما بعد باعتبارهما عضوين في محطة وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في دمشق من قبل بيل إيفلاند). وقد أمضى ستون، الذي انضم إليه في الاجتماع نائبه فرانسيس جيتون، عدة ساعات في شرح الأسباب التي تدفع الشاب السوري إلى معارضة الشيوعية في بلاده، ثم مضى في توضيح الخطة التشغيلية للانقلاب المقترح، والتي تضمنت تأمين الدبابات لمدينة قطنا القريبة من دمشق واحتلال مواقع رئيسية في دمشق. وردًا على ذلك، طالب عطية بعقد اجتماع شخصي مع قادة الانقلاب السوريين قبل أن يعدهم بالتعاون. وانتهت المحادثات في السادسة من صباح اليوم التالي بالاتفاق على ترك حزمة "وفيرة" من المال في المقصورة الأمامية لسيارة فورد غير مقفلة متوقفة في شارع قريب ليأخذها شريك مدني لعطية.(18)

ووقعت مهمة ترتيب الاجتماع الذي طالب به عطية على عاتق ضابط آخر في وكالة الاستخبارات المركزية في دمشق، آرثر سي كلوز، وهو شاب مستعرب من أصل تبشيري كان على علاقة وثيقة بالرئيس السابق الشيشكلي ورئيس استخباراته السابق، والملحق العسكري الحالي في روما، العقيد إبراهيم الحسيني.

وطبقًا لإيفلاند، كانت الخطة تتلخص في تهريب الحسيني ("الرجل الضخم") من بيروت إلى دمشق في صندوق سيارة كلوز. وفي الوقت نفسه، كان من المقرر أن يذهب عطية إلى مقهى في موعد متفق عليه مسبقًا وينتظر إشارة: حيث ستتوقف زوجة روكي في سيارة تحمل علامات دبلوماسية، وتخرج منها، وتكتب على ورقة.

وكادت الخطة أن تفشل عندما أبلغ صبي صغير شرطيًا قريبًا أن "هذه السيدة قد تكون جاسوسة تحاول رسم شيء ما". لكنها نجت من القبض عليها،
وتم عقد الاجتماع بين عطية وحسيني، الذي كان مزينًا بلحية وشارب مزيفين، في غرفة مغلقة في منزل آمن آخر تابع لوكالة المخابرات المركزية. وعلى الرغم من التنكر، تعرف الرجلان على بعضهما البعض فقد خدم عطية ذات يوم تحت قيادة حسيني، وتعهد الضابط الشاب بالولاء لقيادة الانقلاب المخطط له.
وبعد أن أقسم الحسيني على السرية على نسخة من القرآن الكريم كان يحتفظ بها في جيبه، أوضح أنه كان يتآمر مع الأميركيين فقط، أو "الحمير" كما أشار إليهم، لأن القيام بذلك كان يقدم إمكانية استعادة سوريا إلى عظمتها السابقة. وقال لعطية: "لن نهتم بهم"، ولكن "إنهم يعطون كل شيء"، و"يتعين علينا ... أن نكسب منهم ما نستطيع".
ووافق المتآمرون على "بدء التحرك" وربطوا عقدة في سلسلة مسبحة عطية، للإشارة إلى تاريخ لاحق في شهر أغسطس؛ ثم دخل فرانسيس جيتون الغرفة، وقام الرجال بمزامنة ساعاتهم. وبدا كل شيء على ما يرام.(19)

كانت المشكلة الوحيدة هي أن عطية كان مخبراً للحكومة.
وعندما اتصل به الأميركيون للمرة الأولى، أبلغ قائده على الفور، الذي أرسله بدوره لتنبيه "رجل مسؤول" في دمشق، حيث سلم الأموال التي تلقاها من ستون إلى المكتب الثاني للسراج. ولقد تم إبلاغ السلطات بلقاءات مماثلة مع عدد من الضباط الصغار الآخرين، حيث تم دفع مبالغ مالية تصل إلى 3 ملايين دولار. ويبدو أن السراج سمح للمؤامرات بالاستمرار حتى يتمكن من رؤية إلى أين ستؤدي. ومن المفارقات أنه في هذه اللحظة بالذات، في أوائل أغسطس 1957،

تسبب الإعلان عن اتفاقية تجارية مع موسكو في حدوث انقسام في التحالف اليساري الحاكم في سوريا بين الشيوعيين والبعثيين، حيث كان البعثيون مستائين من النفوذ السوفييتي المتزايد على السياسة السورية.
وقد قدم هذا الانقسام السياسي الحقيقي لإدارة أيزنـهاور فرصة أكثر وعدًا لوقف انزلاق سوريا نحو اليسار من أي انقلاب عسكري مدبر.(20)

على أية حال، يبدو أن زيارة الحسيني السرية إلى دمشق أقنعت السراج بأن الأمور قد وصلت إلى حد كافٍ. في الثاني عشر من أغسطس، أعلنت الحكومة السورية أنـها اكتشفت "مؤامرة أميركية"، وألقت القبض على المتآمرين السوريين الرئيسيين (ولكن ليس الحسيني، الذي عاد إلى روما)، وحاصرت السفارة الأميركية بثلاثين شرطياً مسلحاً. وفي اليوم التالي، أُمر كل من ستون وجيتون بمغادرة البلاد في غضون أربع وعشرين ساعة، إلى جانب الملحق العسكري الأميركي، روبرت دبليو مولوي، وهو رجل متعجرف ومتمرد، ورغم أنه ربما لم يكن متورطاً في التخطيط للانقلاب، إلا أنه كان له سجل حافل بإزعاج السلطات السورية.
وردت الحكومة الأميركية بالمثل، فأعلنت السفير السوري في واشنطن شخصاً غير مرغوب فيه. وفي حين أنكرت الحكومة الأميركية بشكل قاطع وجود أي حقيقة في الاتهامات السورية، فقد اعترف المسؤولون الأميركيون سراً بأن وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية كانت تخطط بالفعل لانقلاب. وتم نقل ستون، الذي صورته التقارير الصحفية على أنه مسؤول في السفارة مرتبك ويرتدي سماعة أذن، جواً إلى واشنطن. وفي لفتة أخيرة من التحدي تعبر عن العجز، عمد الضابط

مولوي إلى إخراج سائق الدراجة النارية السوري الذي كان يرافقه إلى لبنان عن الطريق قبل الحدود مباشرة.(21)

وكان كيم وأرتشي روزفلت مغرمين بالتحذير من أن تغيير النظام بوسائل سرية أمر مستحيل من دون التعاون الطوعي من قِبَل عناصر داخلية كبيرة في البلد المعني. ولم يستمعا هما أنفسهما إلى نصيحتهما تلك فيما يتعلق سوريا.

ولقد أضاف فشل خطة انقلاب كيم في عام 1957 إلى الضرر الذي أحدثته عملية آرتشي الفاشلة في العام السابق: فقد تم تطهير المزيد من المحافظين السوريين، واستفادت سمعة السراج من الكشف عن مؤامرة غربية أخرى، وانتشر النفوذ السوفييتي بشكل أكبر، حيث أرسلت المخابرات السوفييتية ضابطًا كبيرًا لإعادة تنظيم المكتب الثاني.

وبينما استغل السوفييت إخفاقات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في سوريا لتحقيق نصر طفيف في الحرب الباردة، كان المنتصر بلا شك من حيث السياسة العربية الداخلية، الحرب الباردة العربية، هو جمال ناصر. استغل المصريون الكشف عن "المؤامرة الأمريكية" لجلب دمشق، التي كانت تعتبر لفترة طويلة المفتاح الاستراتيجي لتحقيق التفوق الإقليمي، أقرب إلى مدار مصر وبعيدًا عن العراق الهاشمي. كان صعود المحافظين العرب في أوائل الصيف يتلاشى، مما كشف عن حدود عقيدة أيزنهاور.
وفي السفارة الأميركية المحاصرة في دمشق، كانت هناك نكتة شائعة تعبر عن الشعور الأميركي المتزايد بالعجز في مواجهة القومية العربية المتفشية: "يا سراج، يا سراج؛ مهما كان، فسوف يكون".(22)
ولكن حتى الآن لم تستطع واشنطن مقاومة الرغبة في التدخل.

والواقع أن إدارة أيزنهاور بدأت، بعد أن استبعدت الآن إمكانية تغيير النظام داخلياً، في التفكير في حلول أكثر جذرية لـ"الأزمة" السورية. وفي إعادة تدوير الاسم الرمزي لمهمة أندرسون للسلام في أوائل عام 1956، والتي لابد وأنها بدت في هذه المرحلة وكأنها منذ زمن بعيد للغاية، دعا فوستر دالاس في الحادي والعشرين من أغسطس إلى تشكيل GAMMA، قوة مهام سرية للغاية تضم ممثلين من وزارتي الخارجية والدفاع ووكالة الاستخبارات المركزية (وكان آخرها فرانك ويزنر وأرتشي روزفلت) مكلفة بالعمل "على مدار الساعة... لصياغة برنامج موصى به لمزيد من الإجراءات".
كان الإسهام الرئيسي الذي قدمته مجموعة جاما هو الموافقة على اقتراح بإرسال المخضرم البارز في الخدمة الخارجية لوي هندرسون في جولة في الشرق الأوسط بدا أنها تهدف إلى تحريض جيرانها العرب (العراق والأردن) على العدوان العسكري ضد سوريا.
وفي تقريره إلى واشنطن في السابع من سبتمبر، قال هندرسون في اجتماع عقد في البيت الأبيض إنه اكتشف شعوراً عميقاً بالقلق إزاء سوريا في المنطقة، ولكن مع القليل من الإرادة المتفق عليها للتحرك؛ فقط تركيا، عضوة حلف شمال الأطلسي الناتو، أظهرت رغبة كبيرة في التدخل، وتشجيع الأتراك كان من شأنه أن يخاطر بتنفير الدول العربية الأخرى، وربما حتى استفزاز الاتحاد السوفييتي. ومع ذلك، كان فوستر دالاس عازماً على المضي قدماً. وقال في اجتماع البيت الأبيض إنه إذا فشلت الولايات المتحدة في منع تحويل سوريا إلى دولة تابعة للسوفييت، فإن "النجاح سوف يذهب إلى رأس خروشوف"، وقد يجد الغرب نفسه "مع سلسلة من الحوادث مثل التجربة مع هتلر".(23)
ولم يكن من قبيل المصادفة أن يستخدم وزير الخارجية الأمريكي تشبيهاً كان يستخدمه في السابق المراقبون البريطانيون للشرق الأوسط؛ فكما أبلغ فوستر دالاس اجتماع السابع من سبتمبر 1957،

كان هو وموظفوه على "اتصال وثيق بالمملكة المتحدة" طيلة الأسابيع السابقة. وكان هارولد ماكميلان هو الذي يستطيع أن يزعم أن له الفضل الأكبر فيما وصفه دالاس، على نحو مبالغ فيه، بأنه "تعاون حقيقي وحميم وفعال".

بعد وقت قصير من بدء الأزمة في أغسطس، كان كتب رئيس الوزراء البريطاني إلى "فوستر"، معرباً عن امتنانه "للثقة الصريحة التي توجد بوضوح بيننا"، وقناعته بأن "الموقف برمته قد ينهار ما لم يتم القيام بشيء ما لوقف التسلل الشيوعي". وكانت الخطوة التالية التي اتخذها ماكميلان هي إرسال سكرتيره الخاص المحترم، فريدريك بيشوب، إلى واشنطن لمناقشة إمكانية إنشاء لجنة سرية أميركية-بريطانية للنظر في النهج المشترك في التعامل مع المشكلة. ولقد ساعد بيشوب في مهمته السفير البريطاني الجديد لدى الولايات المتحدة، هارولد كاشيا، الذي شارك رئيس وزرائه اهتمامه بإغراء الأميركيين إلى التورط عميقاً في الشرق الأوسط. (وكتب إلى وزارة الخارجية: "أقترح أن يكون هدفنا الأول استغلال الفرصة التي أتاحتها لنا التحركات الشيوعية الأخيرة في سوريا. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى الشراكة في الشرق الأوسط التي كنا نسعى إليها لسنوات".)

وفي أوائل سبتمبر تم تشكيل مجموعة عمل أنجلو-أميركية بشأن سوريا، حيث مثل كيم روزفلت وكالة الاستخبارات المركزية، وقدمت تقريرها في الثامن عشر من سبتمبر. وكان كاشيا مسروراً للغاية. وكتب: "كما حدث في الحروب الساخنة في عامي 1916 و1941، لم يأت الأميركيون إلا على مضض ومتأخرين"، وربما كان هذا ينم عن مرارة بريطانية متبقية إزاء الاستجابة الأميركية لأزمة السويس. ولكن هناك الآن احتمال في الشرق الأوسط لم يكن موجوداً من قبل قط".(24)

وكان تقرير مجموعة العمل في الواقع مزيجاً من المقترحات الأميركية والبريطانية السابقة للقيام بعمل سري ضد سوريا: تحفيز المقاومة الداخلية للحكومة، بما في ذلك القضاء على شخصيات رئيسية مثل السراج؛ وإثارة حوادث حدودية من شأنها أن تكون ذريعة للتدخل من جانب العراق، وربما الأردن؛ وإثارة التمردات القبلية داخل سوريا نفسها.

ولم يقتنع فوستر دالاس. فقد اشتكى خلال اجتماع مع وزير الخارجية البريطاني سلوين لويد في الحادي والعشرين من سبتمبر من الافتقار إلى "التقييم الحقيقي لما يمكن القيام به على أساس تخريبي في سوريا". وعلاوة على ذلك، فقد أصبح الآن مقتنعاً "بأن العراق والأردن وحدهما لن يتمكنا أبداً من تنفيذ العملية". وكما أظهرت جولة هندرسون، فإن القوة الإقليمية الوحيدة التي تمتلك الإرادة والقدرة على فعل أي شيء بشأن سوريا كانت تركيا، وكان وزير الخارجية قد بدأ في تبني وجهة نظر مفادها أنه مهما كانت المخاطر المترتبة على التدخل التركي ـ إثارة الرأي العام العربي وإثارة الانتقام السوفييتي، وهو ما كان لزاماً على الولايات المتحدة أن تستجيب له ـ فإن هذا التدخل أفضل من البديل، الذي يسمح بظهور دولة تابعة للاتحاد السوفييتي في قلب العالم العربي.

وبعبارة أخرى، كان فوستر دالاس يفكر في إمكانية المواجهة المسلحة مع الاتحاد السوفييتي بشأن الشرق الأوسط.

ومن الممكن أن نستشعر شيئاً من الانفعال العاطفي الذي انتاب دالاس في ذلك الوقت من خلال تعليماته لأولئك الذين حضروا اجتماعه مع لويد "بأن أي شخص يمتلك التقرير السري للغاية للمجموعة العاملة الأنجلو-أميركية يجب أن يحميه بحياته إذا لزم الأمر".(25)

وبحلول ذلك الوقت، بدأ البريطانيون أنفسهم يندمون على استراتيجيتهم المتمثلة في التأجيج العمدي لنيران معاداة الشيوعية في قلب الولايات المتحدة المذعورة. ولقد كان الأميركيون يتصرفون بتهور، ويبدو أنهم على استعداد للمقامرة بكل شيء في أخطر المغامرات.
ولقد كتب ماكميلان في مذكراته الخاصة: "إن سوريا كانت على وشك أن تتحول إلى ما يشبه "السويس المعكوس". ولو لم تكن خطيرة... لكانت مضحكة إلى حد ما".
ومن عجيب المفارقات هنا أن لندن كانت في الأزمات السابقة هي التي دعت إلى التدخل الخارجي في دولة عربية أو أخرى، في حين كانت واشنطن تدافع بدلاً من ذلك عن التدابير الداخلية، أما الآن فقد انعكست المواقف، حيث حثت حكومة وايت-هول على مزايا "الخطة المفضلة" التي اقترحتها مجموعة العمل على "البديل التركي" الذي يريده فوستر دالاس وحكومته.
ومن حسن حظ البريطانيين ـ بل ولجميع الأطراف المعنية ـ أن الأحداث في الشرق الأوسط نفسه دفعت الولايات المتحدة في نهاية المطاف إلى مسار عمل أكثر اعتدالاً. ومع تأجيج الدعاية المصرية لنيران القومية في مختلف أنحاء العالم العربي، اختارت الأنظمة الأكثر محافظة في المنطقة تخفيف دعواتها إلى التحرك ضد سوريا وشجعت الأميركيين على القيام بنفس الشيء. ولقد دفعت هذه التطورات، إلى جانب الضغوط السرية من جانب ماكميلان والتلميحات من جانب موسكو بأن الغزو التركي لسوريا سوف يقابل برد عسكري سوفييتي، دالاس إلى إعادة التفكير. ففي السادس عشر من أكتوبر أبلغ كاشيا لندن بأن فوستر دالاس "أصبح الآن يعارض بشدة العمل التركي الأحادي الجانب، بل وأقنع نفسه بأن هذا كان حاله دائماً".
ورد ماكميلان قائلاً: "لم تكن هناك حاجة إلى إثارة هذا الموضوع المحرج. بل دعونا نجعل فوستر يفكر في المرحلة التالية".(26)

وقد جاءت "المرحلة التالية" في وقت قريب بما فيه الكفاية في أوائل نوفمبر، عندما أصدر الوزيرين دالاس ولويد تعليماتهما إلى مجموعة العمل الأنجلو-أميركية بشأن سوريا ببدء التخطيط المشترك للتدخل العسكري المشترك في الأردن ولبنان في حالة تعرض حكومة أي من البلدين مرة أخرى للتهديد بانقلاب (وهو سيناريو معقول، كما تحولت الأحداث في العام التالي). وفي الوقت نفسه، وفي ظل أجواء من الثقة الأميركية المتزعزعة بشكل خطير بسبب إطلاق الاتحاد السوفييتي للقمر الصناعي الأول سبوتنيك، اقتربت واشنطن من لندن، فأنشأت سلسلة من اللجان الأنجلو-أميركية السرية للغاية على غرار مجموعة العمل الخاصة بسوريا لتنسيق التخطيط في مجموعة متنوعة من مناطق الحرب الباردة الأخرى، وهي أول آليات رسمية من هذا القبيل للحوار بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية.

وفي نهاية عام 1957، أشار ماكميلان بسرور إلى أن روح الخلاف التي خلقتها أزمة السويس قد تبددت أخيرًا.

ولم تنحرف المصالحة بين "أبناء العمومة" التي بدأت في أجهزة الاستخبارات عن مسارها بسبب الفشل في سوريا. والواقع أن أجواء الأزمة التي نشأت بعد الكشف عن "المؤامرة الأميركية" ساعدت في ترسيخ العلاقات.

لقد نجحت التكتيكات البريطانية المتمثلة في استخدام القنوات الخلفية السرية لتأمين الدعم المادي الأميركي للمصالح الإمبراطورية التقليدية في الشرق الأوسط. وربما كان اللاعبون مختلفين بعد أزمة السويس، لكن قواعد اللعبة ظلت هي نفسها.(27)

لقد جاء كيم روزفلت وعروبييه إلى الشرق الأوسط في أول الحرب الباردة على أمل ليس فقط منع الروس من الاستيلاء عليه بل وأيضاً

مساعدة العرب على التخلص من الهيمنة الاستعمارية الفرنسية والبريطانية.

وبدا أن أزمة السويس كانت بمثابة لحظة تاريخية من الفرص للرؤية العروبية، مع ظهور الولايات المتحدة لفترة وجيزة كبطلة لاستقلال العرب عن الإمبريالية الأوروبية. ولكن الأمر لم يستغرق أكثر من عام حتى تبخر هذا الوعد.

وبفضل مزيج من النظرة العالمية الجامدة لفوستر دالاس والضغوط الخفية من جانب كل من القادة البريطانيين وزعماء العرب المحافظين، انحازت إدارة أيزنهاور بشكل حاسم إلى جانب النظام الإمبراطوري القديم، وللمفارقة، فإن وكالة المخابرات المركزية أصبحت الأداة الرئيسية للسياسة الجديدة المعادية للقومية العربية الثورية.

ولم يكن لدى عروبيي السي آى ايه حتى العزاء في القيام بانقلاب مذهل، كما فعلوا في عام 1953 في إيران. والواقع أن التأثير الرئيسي للمحاولات المتكررة لتغيير النظام في سوريا كان دفع ذلك البلد إلى أحضان الشيوعيين.

وبالنسبة لعروبيي وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، كان جاذبية القضية العربية شخصية بقدر ما كانت سياسية. وكان الانبهار بالشرق منذ الطفولة، والشعور القوي بالواجب الوطني، وفرصة المغامرة الشخصية: كل هذه كانت الأسباب التي اجتذبت كيم وغيره إلى العالم العربي في المقام الأول. وهذا ما أثبته في النهاية، عندما دخلت العروبية في وكالة الاستخبارات المركزية أزمتها النهائية. حيث لم تكن الأسباب التي دفعت عروبيي السي آى ايه إلى الانسحاب من اللعبة سياسية فحسب؛ بل كانت شخصية أيضاً.

الفصل العشرون:
انتهت اللعبة

في عدة شتاءات من سنوات منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، ومع حلول فصل الشتاء على العاصمة واشنطن، سافر كيم وبولي روزفلت جنوبًا للإقامة في مقر إقامة تشارلز ب. رايتسمان، أحد كبار رجال النفط في فلوريدا. وقد زُين قصره الواقع في بالم بيتش وتم تأثيثه بتكاليف باهظة من قِبَل زوجة رايتسمان، جامعة الأعمال الفنية جين، وكان يضم مسبحًا ضخمًا مملوءًا بمياه البحر الساخنة وملاعب تنس حيث كان الضيوف يستطيعون اللعب ضد محترفين من أحد النوادي القريبة. وبعد الاستيقاظ متأخرين، كانت بولي تسبح بينما يلعب كيم التنس قبل الانضمام إلى مضيفيهما لتناول عشاء من أربعة أطباق، وفي بعض الأحيان، الرقص برفقة موسيقيين تم جلبهم جواً من نيويورك.

وفي يناير 1955، كان من بين الضيوف الآخرين لذلك القصر مع عائلة روزفلت، آلن دالاس، وشاه إيران محمد رضا وملكة إيران الشابة

رائعة الجمال والنصف-ألمانية ثريا إسفندياري، (الزوجة الثانية للشاه بعد زوجته الأولى المصرية، وطلقها هي الأخرى تاليا لأنها لم تنجب له) اللذان اصطحباهما للتزلج على الماء والتسوق لشراء "الحلي الثمينة" في كارتييه والمتاجر الأخرى في شارع وورث في بالم بيتش.
وفي اليوم الأخير من زيارتهما، قاد الزوجان الملكيان الشابان سيارتهما الرولز رويس الزرقاء إلى ميامي، وكان الشاه يجلس خلف عجلة القيادة ويناقش الشؤون الإيرانية مع كيم، بينما كانت الملكة ثريا تداعب كلبها الصغير. وفي ذلك المساء تناول الأربعة العشاء في مطعم ماكسيم واستمعوا إلى لويس أرمسترونج في ملهى بيتشكومبر الليلي.(1)

بعد هذه الفواصل الزمنية الساحرة، وجدت الزوجة بولي صعوبة في العودة إلى "عالم العمل اليومي" في واشنطن.
فحتى بعد عدة زيادات إلى رتبة GS-18 على سلم رواتب وكالة السي آى ايه، لم يكن راتب كيم الحكومي البالغ 18 ألف دولار كافياً لتغطية رسوم هارفارد ومدرسة جروتون للأبناء كيرميت وجوناثان، اللذين انضم إليهما مؤخراً شقيقان جديدان، مارك وآنا، ناهيك عن صيانة منزل صيفي في نانتوكيت. وفي يوليو 1955، وبعد أشهر قليلة من حصول كيم على ميدالية الأمن القومي في البيت الأبيض، وجدت بولي نفسها (كما اعترفت لحماتها بيلي) مضطرة إلى اقتراض المال من مربية أطفالها لدفع فواتير المنزل. لم يتفاخر آل روزفلت قط بمكانتهم، لكن هذا كان أشبه بالإقتراب كثيراً من كارثة أسرية محتملة.(2)

ولم يكن الفقر النسبي هو التحدي الوحيد الذي واجهته أسر ضباط الاستخبارات. فقد كانت بولي، التي كانت بمفردها في المنزل لشهور في كل مرة بينما كان كيم يسافر إلى الخارج، تشعر بالقلق المستمر

بشأن سلامة زوجها. فقد قالت لحماتها عشية إحدى رحلات كيم الاستكشافية: "إنني أكره وأكره وأكره فكرة هذه الرحلة. كل شيء عن طريق الجو، والظروف شبه الحربية في البلدان التي يتعين عليه أن يذهب إليها، وحقيقة أنه يسافر حول العالم، والوحدة التي أتوقعها، وعدم جدوى وجودي بدونه".

ورغم أن زوجة آرتشي روزفلت، سلوى لاكي، كانت تتمتع بمهنة مستقلة ككاتبة عمود في إحدى صحف واشنطن، فإنها هي أيضاً عانت من الضغوط والتوترات العاطفية الناجمة عن زواجها من عميل في الخارج. وكتبت في مذكراتها: "بدا أن أعمال الشغب والثورات تلاحقه؛ فقد طار في طائرات خطيرة - مُلصّمة معا بالحظ وبالله". كان هناك أيضًا عبء إضافي يتمثل في السرية الرسمية، وهو ما يعني إخفاء سبب مثل هذه الرحلات عن الأصدقاء والأقارب. كتبت لاكي ذات مرة إلى زوجها: "كما تعلم، أصبح من المحرج بعض الشيء أن تخبر الناس أنك بعيد طوال الوقت - يجب أن يعتقد الناس أننا نتشاجر أو شيء من هذا القبيل". كان من الصعب أيضًا ألا تشعر بالحسد عندما بدأ المعاصرون الذين اختاروا مهنًا أكثر تقليدية في حصد مثل هذه التكريمات العامة مثل السفراء والدعوات للانضمام إلى مجالس الإدارة. تتذكر لاكي: "ها هو، هذا الرجل اللامع الذي يعرف العديد من اللغات. لماذا لم يكن سفيرًا؟ كان ذلك صعبًا جدًا بالنسبة له أيضًا، لأنه لم يكن يحب أن يبدو وكأنه فاشل".(3)

كانت أخلاق جروتون للخدمة العامة غير الأنانية لا تزال تشكل تأثيرًا قويًا على نظرة إبني العم لآل روزفلت، لكنها كانت تتعرض لضغوط متزايدة. ولم يكن من المفيد أن يشعر المستعربون في وكالة المخابرات المركزية، بحلول النصف الثاني من عام 1957، بخيبة أمل شديدة إزاء تعامل إدارة أيزنهاور مع سياسة الشرق الأوسط. ووفقاً لسيرته

الذاتية، فإن شكوك آرتشي بشأن نهج أسياده السياسيين تجاه العالم العربي ـ خلطهم بين القومية والشيوعية، وميلهم إلى المبالغة في تقدير القدرة الأميركية على التأثير على التطورات المحلية، وفشلهم في الالتفات إلى نصيحة خبراء المنطقة ـ بلغت ذروتها في اجتماع لجنة جاما، وهي المجموعة المشتركة بين الإدارات التي انعقدت في أواخر أغسطس للنظر في الخطوة التالية بعد الكشف عن "المؤامرة الأميركية" في سوريا التي أعلنها السراج.

وعندما تحول النقاش إلى اقتراح فوستر دالاس بإرسال لوي هندرسون في جولة لحشد الحكومات العربية الأخرى ضد النظام السوري ـ وهي خطة خاطئة بشكل واضح ومن المرجح أن تزيد المشاعر القومية في مختلف أنحاء المنطقة بدلاً من أن تقللها ـ أرسل آرتشي مذكرة إلى رئيسه في وكالة الاستخبارات المركزية، نائب المدير تشارلز بي.

كابيل، قال فيها: "أود أن أعرب عن معارضتي الشديدة للآراء الواردة هنا".

ورد كابيل:- "الجندي يؤدي التحية العسكرية عندما يعطيه القائد أوامره. ليس من حقنا أن نبدي آراءنا بشأن مسائل السياسة".

ونتيجة لذلك، عندما استطلع دالاس رأي الاجتماع، أبقى آرتشي "عينيه على الطاولة وظل صامتًا". وفي صباح اليوم التالي، عاجزًا عن احتواء انزعاجه، حاول آرتشي تعقب هندرسون، لكن الدبلوماسي الكبير كان قد غادر بالفعل في مهمته غير المدروسة. وبعد ذلك بوقت طويل، زعم آرتشي أن هندرسون أخبره: "سمعت أنك تحاول الوصول إلي، وأنا أعرف السبب. كان القرار خاطئًا."(4)

وقد شاركه ابن العم روزفلت الآخر هذه المشاعر. في مقابلة مع مؤرخ مكتب الخدمات الاستراتيجية آر هاريس سميث، زعم كيم أنه اشتكى بالفعل إلى آلن دالاس من تبني وزارة الخارجية والبيت الأبيض

"لسياسة سيئة" ثم عندما تفشل، يطلبون من وكالة المخابرات المركزية:-"أرجوك أطيح بهذه الحكومة نيابة عنا."
وأوضح كيم أن عملية TP-AJAX لم تنجح إلا بسبب وجود قوة محلية، الجيش الإيراني، التي دعمت الشاه ضد مصدق. وعلى هذا فإن العملية كانت تمثل "وضعاً خاصاً للغاية، وهو وضع لا يمكن تكراره مراراً وتكراراً". وكانت "سياسة المغامرة" التي انتهجتها إدارة أيزنهاور "غير محتملة... لا يمكنك أن تتجول وتطيح بأي حكومة". ويتذكر كيم أن آلن دالاس "تعاطف مع الأمر، لكنه قال إنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً حيال ذلك".(5)

وكانت هناك إشارة قوية في هذه التعليقات اللاحقة إلى إدعائهما الحكمة بأثر رجعي: فقد كان كل من ابني العم، في حقيقة الأمر، متورطين في جهود سرية للإطاحة بحكومات مختلفة في الشرق الأوسط، ومن الواضح أنهما استمتعا بالفرص التي توفرها مثل هذه العمليات، بما في ذلك فرصة الهروب المؤقت من الظروف غير السعيدة أو الروتينية التي قد تسود حياتهما العائلية.
ولكن أيضا توجد بعض الأدلة المعاصرة التي تشير إلى أن إبني العم لآل روزفلت حاولا بالفعل كبح جماح فوستر دالاس. ففي سبتمبر 1957، على سبيل المثال، عندما كان وزير الخارجية يفكر بحماس في دعم أميركا لغزو تركي كحل محتمل "للأزمة السورية"، أبلغ كيم مجموعة العمل الأنجلو-أميركية السرية المعنية بسوريا أن وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل أعرب له شخصياً عن "قلقه من أن تشجع الولايات المتحدة الأتراك على مهاجمة سوريا". وفي الشهر التالي، وبعد أن قبل دالاس الذي أصبح أكثر هدوءاً إلى حد ما استنتاج مجموعة العمل "بأن التدخل العسكري التركي الأحادي الجانب في هذا الوقت سيكون غير مرغوب فيه"، تحول الاهتمام إلى التخطيط الطارئ

لإحتواء انقلابات قومية محتملة ضد الحكومات العربية الموالية للغرب على حدود سوريا. وفي التاسع من نوفمبر، أعلنت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية اعتقادها الراسخ، وربما من خلال ممثلها كيم، "أن عيوب التدخل العسكري المباشر في حالة الأردن ستكون أعظم حتى من عيوب التقاعس عن العمل. "... إن الرأي العام العربي سوف يتحد ضدنا بقوة؛ وإذا تم إنقاذ حسين من خلال مثل هذا التدخل فقط، فسوف يُنظَر إليه باعتباره دمية كاملة؛ وسوف ينهار نظامه بمجرد انسحاب قوات المملكة المتحدة والولايات المتحدة".

بعبارة أخرى، لم يتخل كيم بعد عن الشكوك التي أعرب عنها قبل سنوات في كتابه "العرب والنفط والتاريخ" حول جدوى النظام الملكي العميل في الأردن. ولم يكن هناك حماس كبير هنا لاستخراج حبة الكستناء البريطانية من النار.(6)

كما يبدو أن كيم لم يتخل تمامًا عن طموحه العروبي الرئيسي الآخر في الشرق الأوسط - إلى جانب استبدال أنظمة العصر الإمبراطوري الأوروبي بأنظمة قومية - وهو تأمين حل عادل للصراع الفلسطيني. "إن حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة تتفقان على أن المشكلة العربية-الإسرائيلية غير المحلولة تشكل عقبة خطيرة أمام التنمية السلمية والمزدهرة لشعوب الشرق الأوسط، وأن الهدوء لن يأتي إلى المنطقة أبدًا دون تسوية عادلة لهذه المشكلة"، هذا ما جاء في مسودة بيان قُدِّم إلى مجموعة العمل الأنجلو-أمريكية في أكتوبر 1957. وتابع النص قائلاً: "يجب أن تتضمن أي تسوية العناصر الأساسية الثلاثة للأزمة:- اللاجئين، الأمن، والحدود"، مع اتفاقيات إقليمية تمثل "شكلًا من أشكال التسوية والحل الوسط بين خطوط الهدنة الحالية والحدود المقترحة في قرار الأمم المتحدة لعام 1947".

ويقال إن أعضاء وكالة المخابرات المركزية في مجموعة العمل كانوا "حريصين جدًا" على اعتماد هذا البيان، لكن ممثلي وزارة الخارجية منعوا هذه الخطوة. في هذا الصدد، كان النقاش يعكس نزاعاً وقع في ديسمبر الفائت (تاليا لأزمة السويس مباشرة)، عندما فشل ممثلو وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في مجموعة عمل مجلس تنسيق العمليات المعنية بسياسة الشرق الأوسط في إقناع أعضائها الآخرين بتضمين بيان في تقريرهم مفاده أن "مصالح الولايات المتحدة وحل المشاكل في الشرق الأدنى يعتمدان على تسوية فورية للنزاع العربي-الإسرائيلي".
وحتى الآن، يبدو أن كيم وزملاءه العروبيين في الوكالة لم يكونوا مستعدين تماماً للتخلي عن حلم السلام "العادل" الذي حرك خطة ألفا للسلام في عام 1955. (7)

ولكن هذه الآمال المتبقية لم تعني شيئاً. فكما نجح البريطانيون بسرعة في استعادة مكانتهم في الولايات المتحدة مباشرة بعد أزمة السويس، سارع الإسرائيليون إلى إعادة تأهيل سمعتهم، فبرزوا ك"جزيرة مؤيدة للغرب في بحر من القومية العربية الثورية".
وفي مراجعة للنكسات الأخيرة في سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، سأل آلن دالاس بيل إيفلاند، "أعتقد أن هذا يجعل جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الجهاز الوحيد الذي يمكننا الاعتماد عليه، أليس كذلك؟" وابتداءً من عام 1958، كان هناك توسع كبير في "الرابط"، التحالف غير الرسمي بين وكالة الاستخبارات المركزية والموساد.
قدمت الولايات المتحدة الأموال بينما أنشأ الإسرائيليون برامج تعاونية مع أجهزة سرية غير عربية أخرى في المنطقة - في تركيا وإيران -

وبدأوا في التفرع إلى إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، حيث ساعدوا الأميركيين في مكافحة الاختراق من قبل المخابرات السوفيتية.
كان التنافس بين قسمي الشرق الأدنى وإسرائيل في وكالة الاستخبارات المركزية، والذي يبلغ عمره تقريبًا عمر الوكالة نفسها، قد تم حسمه لصالح الأخيرة؛ فقد تفوق جيمس جيسوس أنجليتون على كيم روزفلت.

كانت هذه هزيمة أخرى للعروبيين تُضاف إلى قائمة تضم بالفعل الفشل في السيطرة على ناصر، انهيار خطة ألفا للسلام، و"الفقدان" المزعوم Loss of لسوريا.(8)

(من المترجم :- فضلاً عن بديهية الانتصار الحتمي لوجهة نظر حلفاء إسرائيل في السي آى ايه على "العروبيين" المزعومين في الوكالة، فإن تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية تاليا للحرب العالمية الثانية يحفل بحكاية Loss of هذه ، بدءا من أكبرهم جديدا :- فقدان الصين! Loss of China! الحدث المركزي في بدء الحرب الباردة، وكأن هذه الأقاليم ورثتها واشنطن أبا عن جد ههههههه)

ولم يكن عروبيو وكالة الاستخبارات المركزية وحدهم في استيائهم من إدارة جون فوستر دالاس للسياسة الخارجية الأميركية: فقد بدأ عدد متزايد من العاملين في شؤون الشرق الأوسط داخل وزارة الخارجية نفسها في التشكيك في حكمة عقيدة أيزنهاور يناير 1957 لملء الفراغ في الشرق الأوسط.
ومن المفارقات أن هذا المزاج المنشق، والشعور الزاحف بالإحباط الذي صاحبه، كان يميل إلى التركيز على الدبلوماسيين المشفرين في

وكالة الاستخبارات المركزية المكلفين بتنفيذ أوامر فوستر دالاس على الأرض في الشرق الأوسط أكثر من التركيز عليه هو نفسه.
في سوريا، على سبيل المثال، حيث تم تقليص السلك الدبلوماسي الأميركي إلى حد كبير نتيجة لمحاولة الانقلاب الفاشلة في أغسطس 1957 ـ بالإضافة إلى طرد عملاء روكي ستون، وإصدار تعليمات إلى السفير جيمي مووس، الذي كان في إجازة وقت اكتشاف المؤامرة، بعدم العودة إلى دمشق ـ كان هناك بوضوح قدر كبير من المشاعر السيئة عند دبلوماسيي وزارة الخارجية تجاه وكالة الاستخبارات المركزية.
وعند وصوله إلى دمشق في عام 1958، شرع السفير الجديد تشارلز دبليو يوست في محاولة إعادة بناء العلاقات الأميركية مع السوريين من خلال وضع خط تحت أحداث السنوات القليلة السابقة، عندما قال في وقت لاحق: "كنا نحاول بشكل أخرق إلى حد ما التدخل في بعض شؤونهم الداخلية". كانت هناك أصداء هنا للمشاكل السابقة في سفارة هنري بيرود في القاهرة والتي سببتها الدبلوماسية المشفرة لكيم روزفلت ومايلز كوبلاند، "هذا الميل إلى الرجوع إلى القناة المخيفة، إذا جاز التعبير، بدلاً من القيام بذلك من خلال القناة الدبلوماسية الرسمية"، كما وصفها المسؤول في سفارة القاهرة ويليام لاكلاند.
ويتذكر هاريسون إم سيمز، مسؤول الشرق الأوسط بوزارة الخارجية: "كنا نتدخل بنشاط - بطرق متهورة للغاية في بعض الحالات - في جميع أنحاء المشهد". "لقد أطلق آلن دالاس العنان لأشخاص، كان العديد منهم عملاء جيدين للغاية ... ولكن كان هناك بعض الناس هناك أيضاً الذين كانوا بلا مبادئ على الإطلاق".(9)

ولم يكن النقد من قِبَل زملاء في الخدمة الخارجية بالأمر الجديد، ولكن المستعربين في وكالة المخابرات المركزية كانوا أيضاً مستهدفين من

جهات أخرى. ففي سياق جلسات الاستماع التي عقدتها لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ حول عقيدة أيزنهاور في أوائل عام 1957، أشار أعضاء مجلس الشيوخ بشكل غير محتشم إلى مسؤولين من "وكالة حكومية أخرى" قوضوا مهمة المبعوث جورج ألين في القاهرة بل وتآمروا مع ناصر ضد نجيب.

والأمر الأكثر إثارة للدهشة هو أن اللجنة التي عينها البيت الأبيض في عهد أيزنهاور في عام 1956 للبحث في العمليات السرية الأميركية والتي كانت تتألف من اثنين من أعمدة مؤسسة السياسة الخارجية، ديفيد ك. إي. بروس وروبرت أ. لوفيت، عادت بتقرير سلبي مذهل أدان "التدخل المتزايد في الشؤون الداخلية للدول الأخرى من قبل الشباب الأذكياء والذين يجب أن يفعلوا شيئاً ما طوال الوقت لتبرير سبب وجودهم".

وواصل التقرير بإعلان يمكن تفسيره بسهولة على أنه هجوم شخصي على كيم روزفلت: "إن وكالة الاستخبارات المركزية، المشغولة، المزودة بالمال وبالامتياز، تحب مسؤوليتها في "صنع الملوك""

ويضيف التقرير :- إن هذه المؤامرة رائعة - حيث هناك كم هائل من الرضا عن الذات، الذي يصاحبه التصفيق أحيانًا، ينبع من "النجاحات" - بينما لا يتم توجيه أي تهمة عن "الإخفاقات" - والعمل برمته أبسط كثيرًا من جمع المعلومات الاستخباراتية السرية عن الاتحاد السوفييتي من خلال أساليب وكالة الاستخبارات المركزية المعتادة!

لا شك أن المستعربين تجاهلوا ببساطة بعض الانتقادات اللاذعة التي وجهت إليهم. ومع ذلك، بالنسبة للرجال الذين نشأوا وتعلموا على تقدير الشرف فوق المكافآت المادية، فلا بد أن هذه الانتقادات كانت مؤلمة بعض الشيء.(10)

ومع ذلك، فإن أول مستعرب في وكالة الاستخبارات المركزية تخلى عن الخدمة العامة لم يكن من خريجي مدرسة جروتون النخبوية.
شارك مايلز كوبلاند إبني العم لآل روزفلت الشعور العميق بالإحباط إزاء عقيدة أيزنهاور.
"لقد كنا جميعاً على استعداد تام للاعتقاد بأن الخطة ربما كانت لتجد معنى في سياق سياسي محلي دقيق ودقيق يتجاوز حدود معرفتنا نحن "الناس الميدانيين"، ولكن في ضوء المعلومات الاستخباراتية المتوفرة عن العالم العربي، لم يكن لها أي معنى على الإطلاق"، كما كتب لاحقاً. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل بدأ مايلز يشعر بالملل من وظيفته التخطيطية في البيروقراطية المتزايدة التعقيد في مقر وكالة المخابرات المركزية. وكان هناك ضغط متزايد للمعلومات الاستخباراتية المغلفة، التي كانت تستمد الآن عادةً من مصادر تكنولوجية غير شخصية بدلاً من مصادر بشرية حية - "استخبارات الإشارات" بدلاً من "الاستخبارات البشرية" - لدعم قرارات سياسية محددة مسبقًا، بدلاً من تشكيل الاستخبارات ذاتها للسياسة.
"لقد أصبحت وكالة المخابرات المركزية نفسها وكالة سعيدة بالميزانية حيث تأتي الحلول أولاً"، كما قال.
وفوق كل شيء، سئم مايلز، اللاعب الأعظم، من كونه دائمًا على الجانب الخاسر، ليس أقلها تعرضه للمضايقات الساخرة من جانب ناصر، الذي كان لا يزال على اتصال دائم وودود معه.
لقد سخر منه ناصر قائلاً: "إن عبقريتكم أيها الأميركيون تكمن في أنكم لم تقوموا أبداً بحركات غبية واضحة المعالم، بل بحركات غبية معقدة فقط".
لقد كانت هذه "نقطة تحول في حياتي"، كما كتب مايلز في وقت لاحق. "لقد قمت بعد ذلك بتعديل لعبتي الشخصية".(11)

في مايو 1957، استقال مايلز من منصبه الحكومي واستعد للانتقال إلى بيروت، حيث كان هو وصديقه القديم جيم إيشيلبرجر يخططان لإنشاء شركة استشارية، وإجراء أبحاث للمصالح التجارية الأميركية في مختلف أنحاء المنطقة.

تذكرت لورين كوبلاند في وقت لاحق أن كيم وبولي روزفلت أقاما لهما "حفل وداع كبير". "لقد كنا موضع حسد شديد، وحاول الناس تكوين صداقات معنا رغم أنهم لم "يرونا" من قبل!". وعند وصولهما إلى بيروت في يوليو، استأجر آل كوبلاند شقة كبيرة تطل على البحر ورتبوا لأطفالهما لحضور المدرسة الأميركية. وقد تعرفت لورين على العديد من علماء الآثار الذين كانوا يقومون بالتنقيب في لبنان، وانضمت إلى أول عملية حفر لها بصفتها "غسالة الزجاجات الرئيسية"، وكانت هذه بداية متواضعة لمسيرة أكاديمية شهيرة.

وفي الوقت نفسه، استأجر مايلز مكتب "كوبلاند آند آيشلبرجر" المجاور لمقر شركة خط التابلاين للنفط وفتحه للعمل. وكان أول عملائه من المسؤولين التنفيذيين في شركات النفط الذين التقى بهم هو وآيتش في العام السابق أثناء بحثهما عن فكرة فوستر دالاس الفاشلة بشأن إنشاء جمعية لمستخدمي قناة السويس. وكانت شركة الخليج للنفط التي تتخذ من مدينة بيتسبرغ مقراً لها تريد الحصول على معلومات حول التطورات الإقليمية التي قد تؤثر على عمليات الحفر في الكويت، وكان شركة كوبلاند آند آيشلبرجر مسرورة بتلبية طلبها، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن القيام بذلك يعني التفوق على مستشاري الخليج السابقين، شركة بريتيش بتروليوم للنفط (كما تم تغيير اسم شركة النفط الأنجلو-إيرانية في عام 1954 عقب الانقلاب على مصدق).

وبعد أن نجح في التعاقد مع عميلين رئيسيين آخرين، أحدهما شركة بان آم للطيران، كان ضباط وكالة الاستخبارات المركزية السابقون يكسبون ما لا يقل عن ثلاثة أمثال رواتبهم الحكومية السابقة.

وكما كان الحال أثناء فترة عمله في شركة بوز، ألين، وهاملتون، ظل مايلز "خريجاً وفياً" لوكالة الاستخبارات المركزية، وظل على اتصال منتظم مع رئيسه القديم، آلن دالاس، وأدى له مهام متكررة. ولكن هذه المرة، لم يكن هناك عودة من خلال "الباب الدوار" إلى الخدمة الحكومية. فقد انتهت أيام مايلز كضابط استخبارات بدوام كامل.(12)

ثم جاء دور كيم روزفلت.
ففي أواخر عام 1957، انجرف كيم، على الرغم من رغبته، إلى التخطيط لوكالة الاستخبارات المركزية للإطاحة بالزعيم وبطل الإستقلال الإندونيسي أحمد سوكارنو، وهو "المحايد" الأبرز في حركة دول العالم الثالث.
(من المترجم :- لن تنجح خطط الوكالة حتى عام 1965، وبدعم من الجيش بزعامة الجنرال سوهارتو سيتم الإطاحة بسوكارنو، بحزبه القومي، والقيام بعملية موسعة للذبح الجماعي ل"الشيوعيين الملاحدة" المزعوميين في إندونيسيا في عملية إبادة جماعية موسعة لرقم بين 1 الى 2 مليون إندونيسي -غير معروف الرقم بدقة!- تم ذبحهم طوال سنتي 65 و66 ، كثير منهم من الأقليات العرقية العديدة في إندونيسيا، خصيصاً الصينيين-الإندونيسيين، وغيرهم من الأقليات العرقية، وقامت جاكارتا بقطع علاقاتها بالصين! وأصبح سوهارتو وزمرته حليفاً رائعا لواشنطن وللسي آى ايه طوال الحرب الباردة -قبل أن تتخلى عن دعمه إدارة كلينتون في التسعينات بعد نهاية تلك الحرب- لدرجة أن بعض "الاستراتيجيين" الأمريكيين قالوا بحكمة رجعية أن حرب فيتنام -التي خسرتها واشنطن- لم يكن هناك داعي لاستمرارها بعد المذبحة الإندونيسية الرائعة)

التفاصيل عن خطة أندونيسيا 1957 ليست واضحة، لكن مايلز كتب لاحقًا عن "ثقة كيم التي تلقت ضربة أخرى في محادثة مع آلن دالاس وفرانك ويزنر ورئيس قسم التدريب ديزموند فيتزجيرالد حول عملية مقترحة في إندونيسيا".
في 12 سبتمبر، في ذروة الأزمة السورية، أخبرت الزوجة بولي الأم بيلي روزفلت أن "كيم كان في حالة من الفوضى الرهيبة في المكتب الليلة الماضية"، مضيفة أنه "يشعر بالإحباط الشديد بشأن الشرق الأوسط". وفي وقت لاحق من نفس الرسالة، أثارت بولي مرة أخرى "المسألة القذرة المتعلقة بالمال"، مشيرة إلى أن رسوم جروتون قد ارتفعت للتو وأن الأسرة ستواجه صعوبة في دفع رسوم هارفارد في ذلك الشهر. ولجعل الأمور أسوأ، كان هناك احتمال قوي بأن يضطر كيم إلى ترك كل شيء والسفر إلى الخارج في مهمة للوكالة، مما ترك بولي حابسة "أنفاسها طوال اليوم، ... على أمل أن تكون أخبار هذا المساء أفضل". ومع اقتراب ليالي الخريف، خيم شعور عميق بالكآبة على أسرة روزفلت.(13)
ولم يكن هناك سوى حل واحد. فقبل فترة وجيزة من عيد الميلاد في ديسمبر 1957، أعلن كيم عن نيته الاستقالة من الوكالة وتولي منصب لدى صاحب عمل خاص. وفي يناير حضر "حفل توديع عزوبية" على شرفه أقامته وكالة الاستخبارات المركزية وآلن دالاس ـ وتنبأت بولي بهذا الحدث لبيلي، بسخرية شديدة: "ستعلن الخطب وما إلى ذلك بصوت عالٍ أنهم جميعًا آسفون لرؤية كيم يترك الخدمة الحكومية".
وبدأ في التنقل إلى المقر الرئيسي لشركة "جلف أويل" في بيتسبرغ لمناقشة الشروط. وبعد ذلك بفترة وجيزة، تم تعيينه في مكتب فخم في واشنطن نائباً لرئيس المسؤول عن العلاقات الحكومية، وتنسيق العمل بين صاحب عمله الجديد، والبيروقراطيات المختلفة ذات الصلة في

واشنطن، والعائلات المالكة وكبار المسؤولين في الدول المنتجة للنفط في الشرق الأوسط
"مؤيد ذو مستوى رفيع، وفاتح الأبواب، ومُسهل للمشاكل"، كما وصفه الآن زميله القديم في جروتون وهارفارد، بنيامين ويلز.(14)

وعلى غرار مايلز، لم يقطع كيم علاقاته بوكالة الاستخبارات المركزية؛ بل إنه كان ينقل التقارير التي أعدتها شركة "كوبلاند وإيشيلبرجر" في بيروت لصالح شركة جلف أويل إلى زملائه القدامى في الوكالة بشكل روتيني، بل وشجع مايلز على تنمية صداقته مع ناصر، الذي كان "رفيقه" الفريد في القاهرة، لأغراض استخباراتية.
وبعبارة أخرى، كان كيم أيضاً من الخريجيين الأوفياء للوكالة.

ومع ذلك، فبعد عقدين من العمل الحكومي لم يقطعهما سوى فترات من الدعوة العامة للقضية العربية، كان "احتضان الشركات الكبرى المربح" (كما قال ويلز) بمثابة تحول حاسم. فهل كان قس جروتون ليوافق على ذلك؟ ولعل كيم، الذي بلغ الأربعين للتو، قد فعل ما يكفي لإرضاء أخلاقيات جروتون والتوقعات الروزفلتية بالتضحية في زمن الحرب من أجل الوطن: فقد أشار التكريم الذي ناله عشية رحيله عن وكالة الاستخبارات المركزية إلى أنه بصفته "المهندس الرئيسي للعمليات السياسية للولايات المتحدة في الشرق الأدنى"، فقد قام بعمل "ذو أهمية كبرى للأمن القومي للولايات المتحدة". وعلى أية حال، فقد أصبح بوسعه الآن على الأقل تحمل تكاليف رسوم جروتون ـ ومنزل أكبر في واشنطن، حيث انتقل هو وبولي بعد فترة وجيزة من توليه وظيفته الجديدة.(15)

ومن بين الثلاثي العروبي الأصلي في وكالة الاستخبارات المركزية، لم يبق سوى أرتشي روزفلت. وعلى الرغم من عدم رضاه عن سياسة إدارة أيزنهاور، لم يكن هناك أي شك كبير في أن يترك أرشي الوكالة: فقد كان ضابط استخبارات مخلصًا للغاية بحيث لا يستطيع القيام بذلك. ومع ذلك، في أوائل عام 1958، تم نقله من العالم العربي إلى منصب جديد كرئيس محطة في مدريد، مما ترك ل نورمان بول السيطرة الكاملة على الشرق الأدنى.
لم يتم توثيق أسباب هذه الخطوة، ولكن من الواضح أن آرتشي لم يكن سعيدًا بذلك. قال للزوجة: "تخيلي إرسالي إلى أحد البلدان القليلة التي لا أتحدث لغتها". "لقد أمضيت الكثير من حياتي في دراسة الشرق الأوسط - فماذا أعرف عن إسبانيا؟" هل عوقب آرتشي على فشل محاولات الانقلاب المتعاقبة في سوريا، أم أن استيائه من خط الإدارة أصبح واضحًا للغاية؟ (16)

ما كان واضحاً هو التأثير الإجمالي لكل هذه التغييرات، وكما وصفها بيل إيفلاند في وقت لاحق، "تغيير كامل لحرس وكالة المخابرات المركزية في الشرق الأوسط"، على نحو مماثل لطرد المستعربين من الخدمة الحكومية في مكتب الخدمات الاستراتيجية بعد تقسيم فلسطين في عام 1947. وحتى إيفلاند نفسه سرعان ما تبع زملائه في الوكالة إلى القطاع الخاص.(17)

انتهت اللحظة العروبية التي بدأت قبل عشر سنوات، عندما وقف كيم، وآرتشي، ومايلز معًا على أسوار القلعة في حلب.

ولكن كان لا يزال هناك فصل واحد متبقي في الدراما: خاتمة عقيدة أيزنهاور المناهضة للقومية.

كان عام 1958 بمثابة عام للاضطرابات في مختلف أنحاء الشرق الأوسط،
حيث اجتاحت موجة القومية الناصرية أخيرًا الأنظمة المحافظة المتبقية من أيام الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية.
في الأول من فبراير، اندمجت الحكومتان المصرية والسورية لتشكيل الجمهورية العربية المتحدة، وهو ما يشير إلى انتصار مصر في المنافسة الإقليمية الطويلة مع الهاشميين للسيطرة على سوريا (على الرغم من أن الاتحاد لم يدم طويلاً، حيث انفصلت سوريا في عام 1961). وردت المملكتان العراقية والأردنية بإنشاء الاتحاد العربي المنافس، وهي لفتة عقيمة لم تخدم سوى تأجيج المشاعر القومية ضدهما.
(من المترجم :- انتصرت مصر في المنافسة الإقليمية مع مملكتي الهاشميين العراق والأردن للسيطرة على سوريا في 1958، وستبدأ منافسة مصرية-سعودية تالية على سوريا -وعلى العراق وعلى لبنان وعلى اليمن وعلى السودان- وعلى كل الإقليم، ستنتهي بانتصار الرياض -وتل أبيب- في يونيو 1957 وما تلاها من الحوادث الجسام)

وفي إطار مواصلة التقليد المخز للوكالة المتمثل في مؤامرة الانقلاب السورية الفاشلة STRAGGLE، اجتمعت لجنة تنسيق عربية تتألف من ممثلين عن الحكومات العربية المحافظة في بيروت لتدبير مخططات مختلفة ضد ناصر ورئيس الاستخبارات السورية السراج، في حين كانت أجهزة الاستخبارات الغربية تنظر إلى الأمر بقلق إلى حد ما.
وفي مارس 1958، فضح السراج الملك سعود وخدعه و"جعل منه قرد" من خلال كشفه عن مؤامرة سعودية فجة بشكل خاص لرشوته شخصياً لمعارضة تشكيل الجمهورية العربية المتحدة.

وأجبرت الفضيحة الناتجة الملك سعود فعلياً على التنازل عن العرش (لئلا ننسى أن هذا كان المرشح الذي اختاره أيزنهاور ليكون الزعيم العربي الضروري)، تاركاً العرش السعودي للأمير فيصل، والذي كان شاغل للمنصب أقل جاذبية في نظر إدارة أيزنهاور. وفي كل مكان ينظر المرء إليه في العالم العربي، يجد أن القوميين يهزمون المحافظين المؤيدين للغرب.(18)

ولكن الأسوأ لم يأت بعد.
ففي شهر مايو 1958، تصاعدت التوترات الطائفية في لبنان، التي أثارها ناصر والسراج، إلى انتفاضة شاملة ضد الرئيس كميل شمعون. وبتشجيع من كبار رجال الأعمال اللبنانيين وشركة نفط لم يذكر اسمها، ربما خليجية، تطوع مايلز كوبلاند في يونيو لاستخدام قناته الداخلية في القاهرة للوساطة ومحاولة التوصل إلى هدنة. ولكن لم يبد شمعون ولا ناصر استعداداً للاستجابة؛ بل إن مايلز وجد صديقه المصري في مزاج عدائي غير عادي، فاشتكى من أن الولايات المتحدة "تعتبره طفلاً مثيراً للمشاكل وليس مسؤولاً مسؤولاً".
وفي الوقت نفسه، انسحب شمعون المتحدي إلى داخل القصر الرئاسي، حيث كان بيل إيفلاند، الذي يبدو أنه من أشد المؤيدين للرئيس اللبناني على الرغم من اعترافه في وقت لاحق بتعاطفه مع القومية العربية، يزوره بانتظام، متحدياً نيران المتمردين في سيارته ديسوتو البيضاء والذهبية، ويساعد في إخفاء مجوهرات عائلة شمعون في خزانة السفارة الأميركية.

كانت نقطة الاشتعال التالية هي الأردن، حيث زعم "الملك الشاب الشجاع" حسين في أوائل يوليو أنه اكتشف مؤامرة أخرى للجيش ضده، وهذه المؤامرة تنطوي أيضًا على تهديد للنظام الملكي الهاشمي

في العراق. وبينما ساعد ضابط وكالة المخابرات المركزية الشاب جاك أوكونيل في كشف مؤامرة تضم اثنين وعشرين ضابطًا أردنيًا، مر لواء مشاة عراقي تم استدعاؤه للدفاع عن عرش حسين عبر بغداد في وقت مبكر من صباح الرابع عشر من يوليو.
ويبدو أن أحدًا في العاصمة العراقية لم ينتبه إلى تحذيرات الأردن بشأن انقلاب محتمل، لأن ما حدث بعد ذلك أخذ محطات وكالة المخابرات المركزية والمخابرات البريطانية هناك على حين غرة تمامًا.(19)

في الساعة السادسة صباحًا، انتشرت القوات واستولت على مواقع رئيسية، وهاجمت مقر إقامة رئيس الوزراء نوري السعيد (استيقظ رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية كارلتون سويفت، الذي كان نائمًا على سطح منزله بسبب حرارة الصيف، على صوت إطلاق النار من عبر نهر دجلة) ثم نزلوا على القصر الملكي.
ولقد واجهوا هناك الملك الشاب فيصل الثاني وولي العهد (وخاله) عبد الإله، الصديق القديم لأرتشي روزفلت، وقتلوهم بالرصاص.
وفي اليوم التالي، نبش حشد من الغوغاء في المدينة جثة عبد الإله المدفونة على عجل، ومثلوا بها، وجروها عارية في الشوارع. وتعرف الحشد على نوري، الذي تنكر في هيئة امرأة عجوز لتفادي القبض عليه من قِبَل الجيش، فقتلوه؛ ولقيت جثته مصيراً مماثلاً.
كما قتل العديد من الأوروبيين والأميركيين في ذلك اليوم، ومن بينهم يوجين بيرنز من كاليفورنيا، الذي تم التعرف عليه لاحقاً، وبمفارقة مروعة، باعتباره عامل إغاثة لدى الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط.
وقد أثارت المذبحة ذهول المراقبين في لندن وواشنطن؛ فقد خشوا الآن الانهيار الكامل للنظام الملكي القديم في مختلف أنحاء المنطقة.(20)

واعتقاداً منه بأن لبنان سوف يكون الدولة العربية التالية التي تستسلم للثورة القومية، توسل شمعون إلى الولايات المتحدة للتدخل عسكرياً، مستشهداً بعقيدة أيزنهاور. ولقد شكّل هذا معضلة كبرى بالنسبة لإدارة أيزنهاور. فبرغم التأكيدات اللبنانية والبريطانية المستمرة بأن مشاكل البلاد كانت بسبب التدخل الشيوعي والناصري، فإن أغلب المراقبين الأميركيين كانوا يدركون تمام الإدراك أن الانقسامات الطائفية الداخلية كانت في واقع الأمر تشكل التهديد الرئيسي لحكومة شمعون التي كانت تكتسب المزيد من عدم الشعبية.

ورغم ذلك فقد أصبح لبنان بمثابة اختبار حاسم لمصداقية الولايات المتحدة: فإذا لم تستجب واشنطن لتوسلات شمعون، فإن الحكومات الأخرى الموالية للغرب في المنطقة سوف تستنتج بكل تأكيد أنها كانت في وضع أفضل إذا ما تكيفت مع قوى القومية الناصرية. ولقد قدم الأميركيون على الأرض في بيروت نصائح متضاربة. ففي مشهد كلاسيكي للدبلوماسيين المشفرين في مواجهة الدبلوماسيين العاديين، حث بيل إيفلاند على دعم شمعون، في حين نصح السفير الأميركي روبرت ماكلينتوك بالاستماع إلى المعارضة.(21)

ولكن من الجدير بالملاحظة أن أعلى صوت محلي يحذر من العمل العسكري كان صوت المستعرب القديم ويليام إيدي، الذي انتقل من المملكة العربية السعودية إلى لبنان قبل عدة سنوات للمساعدة في إدارة خط أنابيب نقل النفط عبر الحدود التابلاين التابع لشركة أرامكو، ويعيش الآن فترة تقاعده في بلد مولده.

قال إيدي لمكلينتوك: "إن التدخل المسلح من جانب الحلفاء الغربيين في الصراع الأهلي في لبنان سيكون بمثابة كارثة للمصالح الأميركية".

وأوضح إيدي أن شمعون، بصفته مسيحياً مارونياً، لم يكن ممثلاً لسكان لبنان؛ بل إنه لم يكن حتى ممثلاً للطائفة المارونية، التي كان

بطريركها يحاول العيش في سلام مع الأغلبية المسلمة (وهذا صدى لاهتمام إيدي السابق بتعزيز الحوار المسيحي الإسلامي). إن الدعم العسكري للرئيس سوف يكون بمثابة "عمل عدواني ضد نصف السكان على الأقل"، واستحضر ذكريات النهب الاستعماري السابق، بل ودعى إلى المقارنة بمعاملة الاتحاد السوفييتي "للدول الأسيرة" حسب التعبيرات الغربية.

واصل إيدي: وعلاوة على ذلك، فإن هذا من شأنه أن يعرض القوات الغربية لخطر لا داعي له، كما أظهرت تجربة البريطانيين في فلسطين والفرنسيين في الجزائر أن الجيوش المحتلة "عاجزة عن وقف موجة العنف والكراهية المنتشرة للغزاة".

وعبر عن مشاعر مماثلة أيضًا العضو الناجي الآخر من الجيل الأول من مستعربي مكتب الخدمات الاستراتيجية، هارولد ب. هوسكينز، الذي حذر وزارة الخارجية من أن الإنزال الأمريكي في لبنان قد يخدم "تحالف الولايات المتحدة مع القوى الاستعمارية وضد الأغلبية المسلمة في المنطقة".

"ما دام الصراع داخلياً بشكل واضح"، خلص إيدي في رسالة أخرى من بين العديد من هذه الرسائل، هذه الرسالة إلى رئيس خط الTAPline، "أنا أثق في أن جندياً أميركياً أو بريطانياً أو فرنسياً لن يضع قدمه في لبنان، لإحياء ذكريات الحلفاء في مصر، أو الروس في المجر".(22)

تم تجاهل نصيحة إيدي. وفي محاولة يائسة لإنقاذ مصداقية أميركا، أمرت الإدارة بإنزال القوات في بيروت في 15 يوليو، ودعمت على مضض عملاً بريطانياً مماثلاً في الأردن بعد يومين. كانت العمليات المتزامنة، التي يعود تخطيطها إلى مناقشات في مجموعة العمل الأنجلو-أميركية بشأن سوريا في الخريف السابق، هي المؤشر الأكثر

دراماتيكية حتى الآن على المدى الذي أصبحت فيه القوة الأميركية في الشرق الأوسط، التي ارتبطت ذات يوم بجهود استبدال النظام الإمبراطوري القديم بشيء جديد، مرتبطة الآن بالأنظمة الاستعمارية البريطانية والفرنسية الفاشلة.
لقد استحضرت هذه القضية برمتها ذكريات "دبلوماسية الزوارق الحربية" من العصر الفيكتوري، أو سياسة "قرقعة البنادق" التي اكتشفها الوزير دين أتشيسون في مصر قبل ثورة 1952 مباشرة. وفي الوقت نفسه، كانت هناك نوعية سريالية إلى حد ما في عملية الإنزال نفسها، والتي بدت بعيدة كل البعد عن أن تواجه بمعارضة عسكرية محلية، بل كانت تثير اللامبالاة. ومنذ ذلك الحين، ركزت العديد من الروايات على حقيقة مفادها أن مشاة البحرية الذين نزلوا من السفينة خاضوا إلى الشاطئ بين المستحمين في الشمس مرتدين البكيني والصبيان في الشوارع الذين يبيعون المشروبات الغازية. ولقد حاول بيل إيدي، الذي أذهلته هذه المشاهد كلها، أن يستمتع على الأقل بحضور رجاله المحبوبين في بيروت، والممثل الشخصي للرئيس أيزنهاور، وصديقه القديم روبرت مورفي، الذي مهد الطريق دبلوماسياً في عام 1942 لعمليات الإنزال "الشعلة" في المغرب والجزائر.(23)

وكانت المفارقة النهائية أن إيدي، الذي استخدم قبل ستة عشر عاماً معرفته العربية لإعداد رأس جسر للقوات الأميركية خلال الحرب العالمية الثانية ل"تحرير" شمال أفريقيا، أصبح الآن يشاهد مذهولاً، بينما تعود القوات الأميركية إلى العالم العربي للدفاع عن النظام الإمبراطوري القديم.

الفصل الحادي والعشرون:
الخاتمة

من عجيب المفارقات أن آفاق العلاقات الأميركية-العربية أشرقت لفترة وجيزة بعد رحيل عروبيو وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية عن الساحة.

ففي أعقاب كوارث عام 1958، دعت إدارة أيزنهاور إلى هدنة في مواجهتها مع الناصرية. وفي قرار حافل بالرنين الذي يتردد صداه في حقبة لاحقة مع غزو العراق في 2003، اختار أيزنهاور ومستشاروه عدم القيام بعمل عسكري ضد العراق الثوري، معتبرين أن القيام بذلك من شأنه أن يخسر الولايات المتحدة المزيد من الدعم في العالم العربي ويخلق مشاكل لا يمكن التغلب عليها لأي قوة احتلال أميركية.
(ومع ذلك، فقد استمعوا إلى اقتراحات مختلفة للقيام بعمل سري ضد الزعيم العراقي الجديد، عبد الكريم قاسم، من بينها خطة اقترحتها "لجنة تعديل الصحة" التابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية تتضمن منديلًا مسمومًا؛ ومن الممكن أيضًا أن تكون الوكالة مرتبطة بمحاولة اغتيال قاسم في عام 1959 والتي تورط فيها قاتل بعثي شاب مرتبط بالسي آى ايه يدعى صدام حسين.)

وقد برزت الغرائز البراجماتية الطبيعية لأيزنـهاور بشكل أكبر عندما استقال جون فوستر دالاس من منصب وزير الخارجية في أبريل 1959، بسبب إصابته بالسرطان، وتوفي في الشهر التالي. (من المترجم:- هناك صورة شهيرة لناصر وأيزنـهاور في سبتمبر 1960 وهما يضحكان معا أثناء زيارة ناصر لنيويورك لحضور افتتاحية الجمعية العامة للأمم المتحدة)
ولقد امتد التكيف المضطرب مع القومية العربية الذي ميز الأيام الأخيرة من رئاسة أيزنـهاور إلى إدارة جون كينيدي 1961، جون كينيدي حاول حتى التواصل شخصياً مع ناصر، الذي كان مقارباً له في السن ومن نفس الجيل.(1)

ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن يواجه جون كينيدي نفس المشاكل التي واجهها سلفه: صعوبة حل الصراع الفلسطيني والانقسام داخل العالم العربي بين قوى القومية الثورية والمحافظة، والتي اندمجت كلها وتمحورت في عام 1962 حول حرب أهلية في المملكة المتوكلية اليمنية الصغيرة (اليمن الشمالي كما ستعرف تاليا)، حيث دعم المصريون العسكر الجمهوري الثوري ودعم السعوديون الملكيين، وعملت الولايات المتحدة بشكل حتمي وراء حلفائها القدامى السعوديين.
ثم حدث إغتيال كينيدي (من المترجم :- بتنفيذ السي آى ايه! وآلن دالاس الذي طرده كينيدي من منصب مدير الوكالة، وبالتعاون مع جهات عديدة في أمريكا، لا مجال لتفصيلها هنا)
وجاء نوفمبر 1963 وترقية نائب الرئيس ليندون جونسون إلى منصب الرئيس، وهو سياسي تكساسي مخضرم تبين أنه الرئيس الأكثر تأييدًا للصهيونية منذ هاري ترومان، حيث رأى إسرائيل على أنها نوع من حصن ألامو في الشرق الأوسط، وناصر كمدينة سانتا آنا في عصرها

المتأخر. (من المترجم:- أحداث متعلقة بحروب تكوين "جمهورية تكساس" وانفصالها عن المكسيك في النصف الأول من القرن ال19، قبيل انضمامها كولاية من الولايات المتحدة تاليا)
وردًا على ذلك، حشد الزعيم المصري قاعدته القومية بخطب معادية لأميركا بشكل متزايد، معلنًا أنه "لن يقبل منطق العصابات التي يتبعه رعاة البقر". وفي الوقت نفسه، ساءت العلاقات بين إسرائيل وجيرانها العرب بشكل مطرد، مما شجع المتطرفين على الجانبين ودفع المنطقة إلى حافة الحرب الشاملة.(2)

وإذا كانت الهزائم العروبية في عهد أيزنهاور قد أسست للنمط الأساسي للعلاقات الأميركية مع الشرق الأوسط في السنوات التي تلت ذلك، فإنها شكلت أيضاً المناقشات الداخلية اللاحقة في أمريكا حول النزاع العربي-الإسرائيلي. ففي عام 1963، كشفت جلسات استماع لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ حول تسجيل "العملاء الأجانب"، برئاسة ويليام فولبرايت (مع بعض المساعدة البحثية من إلمر بيرجر)، أن جهود الضغط الممولة من إسرائيل في الولايات المتحدة، بما في ذلك "مراقبة ومكافحة جهود الجماعات "المعادية"، قد نمت بشكل هائل منذ أوائل الخمسينيات. وفي الوقت نفسه الذي كان فيه نفوذ اللوبي الإسرائيلي يتزايد، كانت هياكل القوة الاجتماعية والسياسية التي دعمت ذات يوم شبكة كيم روزفلت العروبية والمعادية للصهيونية الحكومية-الخاصة تنهار.
ولقد كانت الهيمنة العرقية التي لم تكن محل نزاع من قبل للأميركيين الأنجلو-أميركيين على الساحل الشرقي تتآكل؛ فلم يعد رجال الدين البروتستانت الكبار مثل إدوارد إلسون، على سبيل المثال، يتمتعون بالقدرة على الوصول إلى وسائل الإعلام الوطنية التي كانوا يتمتعون بها خلال أوائل الخمسينيات. وأدى الغزو الفاشل لكوبا في عملية خليج

الخنازير عام 1961 (وهو على وجه التحديد ذلك النوع من العمل العسكري الذي نصح كيم وغيره بعدم القيام به) إلى إجبار مدير الاستخبارات المركزية الأميركية آلن دالاس على الاستقالة، وتشويه صورة وكالة الاستخبارات المركزية التي كانت في يوم من الأيام ذهبية.
وفي منتصف الستينات، كانت أولى بوادر المعارضة الداخلية لحرب فيتنام تعمل على تقويض الإجماع المناهض للشيوعية الذي مكن وكالة الاستخبارات المركزية من الحفاظ على غطاءها أمام منظمات واجهة لها مثل الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط. والواقع أن المنشورات الصهيونية مثل تقرير سي كينين عن الشرق الأدنى بدأت تلمح بقوة إلى أن منظمة AFME كانت تتلقى أموالاً حكومية سرية.
وفي عام 1966، وخوفاً من فضحها، أمر وزير الخارجية دين راسك بمراجعة "الدعم المستمر من جانب الولايات المتحدة لمنظمة AFME من خلال قنوات وكالة الاستخبارات المركزية". وقد أوضح أحد ضباط المنظمة في وقت لاحق: "كانوا يخططون لطرق لقطع هذا الدعم".(3)
ولكن هذه الجهود جاءت متأخرة للغاية. ففي السابع عشر من فبراير 1967، وبعد ثلاثة أيام من نشر إعلان في مجلة رامبارتس اليسارية يكشف عن ارتباط وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية بمجموعات طلابية أميركية، حددت صحيفة نيويورك تايمز منظمة "AFME" بالإسم باعتبارها متلقية لمنح من مؤسسة "جيه فريدريك براون" التي تتولى تمويل المنظمة. وظهرت قصص مماثلة عن مؤسسات أخرى مولت المنظمة على مدار الأسبوع التالي في الصحيفة. وقد أسعد هذا التأكيد العلني لما كانوا يشتبهون فيه منذ فترة طويلة أعداء منظمة "AFME".
ولقد ناشد الحاخام فيليب س. بيرنشتاين، رئيس لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية (أيباك AIPAC)، الرئيس جونسون أن يضع حداً للتمويل الحكومي لمنظمة AFME، مشيراً (وفقاً لتقرير إحدى

الصحف) إلى أن المنظمة "نشرت آراء معادية لإسرائيل ومعادية للصهيونية تضر بدولة إسرائيل"، وقذفت وسبّت شريحة كبيرة من الشعب الأميركي، وكانت من أكبر المؤيدين لمنظمة الطلاب العرب، "التي تستغل ضيافة الولايات المتحدة". وقد أدلى العديد من أعضاء الكونجرس المؤيدين لإسرائيل بتصريحات مماثلة.
ورد مديرو منظمة AFME بالإصرار على أنهم لم يكونوا على علم بالمصدر الحقيقي لتمويلهم، وبالتالي فإن برنامجهم لم يتأثر به (وهو دفاع عن النفس شائع بين واجهات الوكالة "التي فُضِحَت") في حين سارعوا إلى تسريع عملية التسليم من وكالة المخابرات المركزية إلى رعاة جدد من القطاع الخاص.

وكان من المقرر عقد اجتماع لمجلس الإدارة لمناقشة هذه التحركات في الخامس من يونيو 1967. وبدأت الآمال تتنامى في أن تتمكن AFME من النجاة مما أطلق عليه نائب الرئيس التنفيذي الجديد، أورين د. باركر، فيما بعد "حربنا في عام 1967".(4)
وفي نفس اللحظة التي كان يجتمع فيها أعضاء مجلس الإدارة في مقر AFME في واشنطن، وصلت أنباء عن هجوم إسرائيلي مفاجئ على مصر. وكما يتذكر باركر في وقت لاحق، فقد قضينا بقية اليوم "نراقب حرب الأيام الستة وهي تزداد تدميراً على الدول العربية ساعة بساعة" (بعد تدمير القوات الجوية المصرية -للمرة الثانية!-، حوّل الإسرائيليون انتباههم إلى سوريا). وفي غضون أسبوع واحد، هزمت إسرائيل الجيوش المصرية والأردنية والسورية، واستولت على أراضٍ تبلغ ثلاثة أمثال مساحتها الأصلية، بما في ذلك سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية ومرتفعات الجولان السوري. وفي الوقت نفسه، ومع ارتباط الولايات المتحدة في العقل العربي بإسرائيل، تصاعد العنف ضد الأهداف الأميركية في مختلف أنحاء المنطقة.

حتى أن منظمة AFME المؤيدة للعرب اضطرت إلى إغلاق مراكزها الميدانية في القدس ودمشق وبغداد (وقد نهب حشد من الطلاب مكتبها في العاصمة العراقية وأحرقوه، وهم المستفيدون الرئيسيون المقصودون من هذه المنظمة) وأصدرت أوامر بإجلاء أسر ممثليها من القاهرة وطرابلس وبيروت وعمان. وفي الداخل، لم تجد المناشدات التي وجهها زعماء المنظمة إلى الرئيس جونسون بأن "توقف الولايات المتحدة العدوان الإسرائيلي بأية تدابير ضرورية" آذاناً صاغية. ولأنها جاءت بعد فترة وجيزة من فضح رامبارتس عن تفاصيلها، فقد أكملت حرب الأيام الستة إستئصال منظمة AFME من جذورها.

(5)

(من المترجم :- جميلة الفقرة الأخيرة للمؤلف! حيث تلمح -دون القول مباشرة- إلى أن ما يسمى فضيحة المجلة اليسارية رامبارتس ذاتها -التي من المفترض أنها فضيحة للسي آى ايه- كانت ربما عن طريق معلومات وصلت إليهم من داخل أطراف في الوكالة ذاتها!! استباقا لحرب يونيو 67 التي تلوح في الأجواء، على طريقة المثل :- البرص يقطع ذيله! او cut your losses)

إن الأحداث التي شهدها عام 1967 - الحربان، إحداهما أجنبية والأخرى داخلية - كانت درامية بلا شك، ولكن الحقيقة هي أن شبكة المواطنين العروبين الأمريكيين المعادين للصهيونية التي أسسها كيم روزفلت أول عقد الخمسينات كانت قد استنفدت قواها منذ فترة طويلة. وكان الدليل الأكثر إيلاماً على هذا هو المصائر الشخصية التعيسة التي لقيها بعض أشهر أعضائها:

دوروثي تومسون، التي كانت تشعر بالمرارة حتى وفاتها في عام 1961 بسبب المعاملة التي لاقتها على أيدي الصهاينة؛

إلمر بيرجر، الذي ازداد عزلته في المجتمع اليهودي الأمريكي وتم عزله في نهاية المطاف عن قيادة المجلس الأمريكي لليهودية بعد حرب الأيام الستة؛

والمستعرب الأشهر ويليام إيدي، الذي توفي في بيروت في عام 1962، وهو يدرك تمام الإدراك أن حسن الظن الأميركي-العربي على النطاق الشعبي العربي قد تلاشى في السنوات الأخيرة من حياته.

أما بالنسبة لكيم روزفلت نفسه، فإنه لم يستعد أبداً حماسته ونفوذه الذي كان يتمتع به في سنوات حياته الأولى. كانت حياته المهنية في مجال الأعمال بعد عمله في وكالة الاستخبارات المركزية ناجحة إلى حد معقول، وخاصة بعد استقالته من شركة جلف أويل في عام 1964 وتأسيسه شركته الاستشارية الخاصة، كيرميت روزفلت وشركاؤه، مستخدماً اتصالاته في القصور والوزارات في الشرق الأوسط لتمهيد الطريق في المنطقة لعملاء شركات السلاح الأمريكية مثل رايثيون ونورثروب.
وقدر تقرير صادر عن نورثروب في عام 1974 قيمة العقود التي ساعد في الفوز بها لشركة السلاح في كل من إيران والمملكة العربية السعودية بنحو مليار دولار.
ولكن في العام التالي، غرق كيم في فضيحة عندما كشفت لجنة فرعية للعلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ عن أدلة على دفع نورثروب رشاوى لجنرالين في سلاح الجو السعودي في صفقة طائرات مقاتلة، وتم الكشف عن صفحات من مراسلات كيم مع الشركة، والتي كشفت عن أنه استشار "أصدقائه في وكالة الاستخبارات المركزية" بشأن تحركات شركات السلاح الأمريكية المنافسة.(6)

ولقد تراجعت مسيرة كيم الأدبية الواعدة في منتصف العمر. فقد رفضت صحيفة "ساترداي إيفينينج بوست" مقاله عن أزمة السويس، "شبح السويس"، كما أثبتت مبيعات مذكراته عن رحلته إلى إفريقيا التي تتبع فيها خطى جده ثيودور، "رحلة سفاري عاطفية"، أنها مخيبة للآمال. ولزيادة الطين بلة، فقد حقق كتاب "لعبة الأمم" الذي صدر عام 1969 للكاتب مايلز كوبلاند، والذي تسبب محتواه المثير للدهشة في "متاعب وإحراج" لكيم، نجاحاً نسبياً.

والأمر الأكثر أسفاً هو أن ما كان ينبغي أن يكون تتويجاً لمسيرة كيم المهنية، وهو نشر القصة التي تم التدرب عليها جيداً عن انقلاب عام 1953 في إيران عام 1979، تحول إلى شيء آخر غير ذلك.

وحتى قبل نشره، واجه كتاب "انقلاب مضاد" مشاكل: أولاً، معارضة الشاه، الذي اعترض، بعد الاطلاع على مسودة مبكرة، على تصويره باعتباره "متردداً مجبراً على اتخاذ قرارات حاسمة مختلفة" (وليس من الواضح ما إذا كان هذا الاحتجاج قد أثر على التصوير المجامِل للملك الوارد في النسخة النهائية من الكتاب). ثم تقدم جهاز المخابرات البريطانية (إم آي 6) مطالباً بإزالة جميع الإشارات إلى تورطه في التخطيط لخطة TP-AJAX.

وبدلاً من الشروع في إعادة كتابة كاملة، لجأ كيم إلى حيلة استبدال اسم شركة النفط الأنجلو-إيرانية باسم جهاز المخابرات البريطانية في جميع أنحاء المخطوطة. وعندما علمت شركة BP (كما أصبحت الآن شركة النفط الأنجلو-إيرانية) بهذا التطور، هددت باتخاذ إجراءات تشهيرية، مما دفع ناشر كيم، ماكجرو هيل، إلى إتلاف أول طبعة بعد أن تم توزيع النسخ بالفعل على المراجعين.

وبحلول ذلك الوقت، كانت الثورة الإيرانية التي أطاحت بالشاه ونصبت آية الله الخميني زعيماً أعلى قد اندلعت، وما بدا في السابق لمعظم

الناس وكأنه انتصار أميركي في الحرب الباردة تحول بدلاً من ذلك إلى حالة كلاسيكية من رد الفعل العكسي. وكما قال أحد المراجعين الذين شاهدوا نسخة من الطبعة المطبوعة التي أتلفت، فإن انقلاب عام 1953 كان "حدثاً غيّر بشكل كبير مسار التاريخ السياسي الإيراني الحديث"، ومع ذلك فقد تم تقديمه هنا باعتباره "عملاً من المغامرة الشخصية المناسبة تمامًا لابن إحدى العائلات العظيمة في أميركا".

حاول كيم الاعتراف بهذه التطورات في مقدمة النسخة النهائية من "انقلاب مضاد"، والتي صدرت في نهاية المطاف في عام 1980، بعد تأخير أخير بسبب أزمة الرهائن الأميركيين في طهران. وقال: "لقد تحولت القصة البطولية إلى قصة مأساوية".(7)

وبكل الأحوال السياسية، رواية كيم عن انقلاب 1953 على غرار طريقة روايات كيبلينج لم تكن لتحظى بقبول نظراً لأن أذواق القراء في الغرب قد تحولت الآن إلى روايات تجسس أكثر "واقعية" مثل حكايات جون لو كاريه عن العملاء المزدوجين والخيانة والكلبية ـ عالم الجاسوس المزدوج كيم فيلبي وليس عالم كيم.
وإذا ما راجعنا مسار السنوات الأخيرة من حياة كيم روزفلت، فسوف نشعر بأن الرجل قد تخلف عن الركب المنتظر منه بسبب مسيرة التاريخ. ولكن على الرغم من كل خيبات الأمل والإحباطات، نجح كيم حتى النهاية في الاحتفاظ بالاتزان والثقة بالنفس التي أفلتت من أبيه كيرميت الأب المنتحر يأساً من حياته.
فقد أعلن في تقريره في احتفال لم شمل الخريجين رفاقه في هارفارد للسنة الستين، قبل وقت قصير من وفاته في عام 2000 عن عمر يناهز الرابعة والثمانين: "لقد عشت حياة مرضية ومثيرة في كثير من الأحيان، وأنا فخور بها حقًا".

ولعل من المتوقع أن تركز جميع نعي كيم على عملية TP-AJAX الإيرانية وعواقبها غير المقصودة؛ ولم يعلق سوى القليل على مسألة "عروبته".(8)

وماذا عن ابن عم روزفلت الآخر الأقل شهرة؟
بعد أن تم تكليفه بمهام بعيدة عن الشرق الأوسط في عام 1958، خدم آرتشي لمدة سبعة عشر عامًا أخرى في وكالة المخابرات المركزية، في مدريد ولندن، حيث خلف فرانك ويزنر كرئيس لمحطة لندن في عام 1962 (عانى ويزنر من مرض عقلي وتوفي في النهاية منتحرًا في عام 1965)، وأخيرًا في واشنطن كرئيس لأقسام إفريقيا وأوروبا.
كانت مسيرة مهنية نموذجية لمحترفي الاستخبارات، وعندما ترك الوكالة في عام 1975 لبناء عش تقاعده من خلال العمل مع ديفيد روكفلر في قسم بنك تشيس مانهاتن الدولي، حصل آرتشي على ميدالية الاستخبارات المتميزة وغمرته موجات الثناء الصادق.
ولكن مذكراته التي نشرت في عام 1988 تكشف عن أنه كان قد أصيب في هذه المرحلة بخيبة أمل شديدة إزاء قيادة الوكالة ـ فقد كان يرى أن المديرين جيمس شليزنجر وويليام كولبي خانا منصبيهما من خلال استرضاء السياسيين ـ فضلاً عن إخفاق الإدارات المتعاقبة في الالتفات إلى نصيحة خبراء المنطقة. وشعر أن الوكالة فقدت روحها المؤسسية وأنها "لم تعد مكاناً سعيداً للعمل".
وكما كان الحال مع ابن عمه كيم، كان هناك شعور ملموس بالإهدار في حياة آرتشي اللاحقة، ونبرة رثائية من الحنين إلى أمجاد الماضي لعائلة روزفلت وإغراء الطفولة للطريق الذهبي إلى سمرقند. ولكن الندم كان مخففاً بقدرة آرتشي على الفكاهة الساخرة الساخرة ـ فقد كان سعيداً بسرد قصة كيف كان الحلاق في المحل المجاور لمقر تشيس مانهاتن يخاطبه بلقب "السيد روكفلر"، وكيف كان تحَيَّى زوجته أحياناً بلقب

"هابي"، وهو اسم زوجة نيلسون روكفلر. كما كان سعيداً أيضاً عندما عُيِّنت لاكي رئيسة للبروتوكول في البيت الأبيض في عهد ريغان، وبالتالي حصلت على رتبة سفير. (وظلت في هذا العمل حتى إدارة أوباما!)
وبعبارة أخرى، كان آرتشي لا يزال يستمتع بالحياة إلى حد كبير عندما توفي فجأة في نومه عن عمر يناهز الثانية والسبعين، في عام 1990. (9)

وماذا عن العضو الثالث في الثلاثي، الذي كان يُطلق على نفسه في الأصل لقب "لاعب اللعبة"؟
لقد أقام مايلز كوبلاند وعائلته في بيروت خلال ستينيات القرن العشرين، حيث كانوا يقيمون في فيلا عربية رائعة تطل على البحر الأبيض المتوسط. كان رجل الاستخبارات المركزية السابق لا يزال يتمتع بمساره الداخلي للسياسة والدولة في القاهرة في ستينات القرن ال20، وبصفته خريجًا وفيًا للوكالة، كان يتنقل ذهابًا وإيابًا عبر المنطقة في محاولة لتجنب الأزمة العربية-الإسرائيلية في أواخر الستينيات. ومع ذلك، كانت الظروف في لبنان تتدهور، وواجهت أعمال الاستشارات التي كان يعمل بها مايلز مشاكل عندما هرب جيم إيشيلبرجر مع زوجة شريك ثالث، جون لوفكين.
وبحلول عام 1970، توفي ناصر بسبب أزمة قلبية، وكان مايلز في علاقة سيئة مع العديد من زملائه السابقين لنشره كتاب "لعبة الأمم" (يقال إن مدير وكالة الاستخبارات المركزية ريتشارد هيلمز كان "غاضبًا" منه)، وانتقلت عائلة كوبلاند إلى منطقة سانت جونز وود المورقة في لندن. ومع ذلك، لم تنته مغامرات الأسرة بعد. وبعد أن اكتسب الأطفال الشهرة والثروة في صناعتي الموسيقى والترفيه، وبناء لورين لسمعتها كعالمة آثار، اتجه مايلز إلى الصحافة، فكتب لمجلة

ناشيونال ريفيو الأميركية المحافظة (كان رئيس تحريرها جيمس بيرنهام معجباً بكتابه لعبة الأمم) وظهر بشكل متكرر على الإذاعة والتلفزيون البريطانيين كمعلق غير حكيم على التجسس والشرق الأوسط.
ولم تمنعه هذه المهنة الجديدة من الاستمرار في العمل كمستشار أعمال رفيع المستوى ودبلوماسي مشفر من حين لآخر: فبعد الثورة الإيرانية بفترة وجيزة، وبناءً على اقتراح من أصدقائه في وزارة الخارجية، تعاون مرة أخرى مع كيم روزفلت ورفيقه القديم في سوريا حسني الزعيم ستيف ميد للتخطيط لمهمة إنقاذ رهائن السفارة الأميركية.
ووجد الوقت للمساعدة في تصميم لعبة لوحية مبنية على لعبة الأمم لصالح شركة Waddington's البريطانية لتصنيع الألعاب، حيث يقوم اللاعبون الذين يمثلون "القوى العظمى" بالتلاعب بـ "القادة" و"العملاء السريين" للسيطرة على منطقة كارك الخيالية. ("المهارة والشجاعة هما المتطلبان الرئيسيان في هذه اللعبة غير الأخلاقية والساخرة"، كما أعلن مايلز على العلبة. "الهدف الأول لأي لاعب هو إبقاء نفسه في اللعبة").
ولكن مايلز بدأ يتباطأ في نهاية المطاف في أواخر ثمانينيات القرن العشرين، حيث أثرت الإصابات التي تعرض لها في حادث سيارة خطير والتهاب المفاصل عليه، واستقر لكتابة سيرته الذاتية، "لاعب اللعبة"، التي ظهرت في عام 1989. وتوفي بسبب قصور في القلب في عام 1991، عن عمر يناهز أربعة وسبعين عامًا، بعد وقت قصير من عمله كمستشار في تحقيق اسكتلندا في تفجير طائرة لوكربي.(10)

لقد حقق مايلز نجاحًا كبيرًا في الحياة، حيث ارتفع فوق مكانته الأصلية وتجاوز إبني العم لآل روزفلت وهم يتحركون في الاتجاه الآخر هبوطاً.

وكان الأمر نفسه ينطبق على العديد من العملاء السريين الآخرين من خلفيات من غير جامعات رابطة اللبلاب الذين ازدهروا في الإثارة المسكرة للحرب العالمية الثانية والحرب الباردة:
ستيف ميد، الذي استمتع بعد تقاعده من الجيش بوظيفة ثانية كمستشار مالي، وروكي ستون، وهو ناشط نشط في مجال الصم بعد تقاعده من الوكالة.
وكان ويلبر كرين إيفلاند هو الشخص الوحيد من سلالة مايلز المتواضعة الذي لم يحظ بنفس القدر من النجاح. فخلال فترة عمله في بيروت كوكيل شخصي لآلن دالاس، أقام إيفلاند صداقة مع الجاسوس البريطاني-السوفيتي المزدوج كيم فيلبي، الذي كان يعيش ويعمل في العاصمة اللبنانية آنذاك كمراسل في الشرق الأوسط. وبحماقة، حافظ المغامر المستعرب على اتصاله بالعميل المزدوج حتى بعد انشقاق الأخير إلى الاتحاد السوفييتي في عام 1963، حيث تبادل معه البطاقات والرسائل المرحة في موسكو.
ووجدت التقارير حول تعاملات إيفلاند المستمرة مع فيلبي طريقها إلى ملفات وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي الخاصة به، والتي أصبحت بالفعل كثيفة بسبب التقارير حول علاقاته الزوجية والشكاوى التي رفعها مسؤولون مختلفون تصادف وجودهم معه أثناء تجواله الدبلوماسي المشفر في الشرق الأوسط. لقد فقد إيفلاند تصريحه الأمني واشتبه في وجود يد خفية رسمية في واشنطن تطارده عندما فشلت صفقة تجارية له وانتهى به الأمر في السجن في سنغافورة في عام 1976. حتى أنه زعم أن حادثة دهس وهروب بالسيارة حدثت له بعد نشر مذكراته المفعمة بالكشف "الحبال الرملية" في عام 1980 كانت محاولة لاغتياله. وبعد حرمانه من معاش حكومي، توفي بيل إيفلاند في فقر في بوسطن في عام 1990. (11) اتضح أن ممارسة الألعاب تنطوي على بعض مخاطر الإصابة الشخصية بعد كل شيء.

إن تجاهل بعض الإنجازات الإيجابية التي حققها المستعربون في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية لصالح واشنطن أمر غير عادل.
فبفضل تقليد التفاعل الشخصي مع العالم العربي الذي ورثوه عن أسلافهم في مكتب الخدمات الاستراتيجية، اكتسبوا بسرعة مستوى مذهلاً من الخبرة والمعرفة المباشرة بالشرق الأوسط، وهو ما كذب افتقار الولايات المتحدة إلى أي مشاركة رسمية سابقة في المنطقة.
وتمتعوا بدرجة من الوصول إلى الزعماء في الشرق الأوسط والتأثير عليهم ـ بما في ذلك أبرز شخصية عربية في عصره، جمال عبد الناصر ـ وهو ما لم يتمكن أي جيل من المسؤولين الأميركيين من تكراره منذ ذلك الحين.
كما بذلوا جهوداً مخلصة وخلاقة لحل الصراع العربي-الإسرائيلي، وهي الجهود التي، على الرغم من فشلها، كانت بمثابة مقدمة لجوانب رئيسية من مبادرات السلام الأمريكية الأكثر نجاحاً في وقت لاحق.
كما حاولوا كبح جماح أسوأ التجاوزات المعادية للقومية التي ارتكبها وزير الخارجية جون فوستر دالاس ونظراؤهم في جهاز الاستخبارات الخارجية البريطاني. وبالمقارنة ببعض الأخطاء الفادحة التي ستأتي لاحقًا في سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط، فإن التركيز المبكر لوكالة الاستخبارات المركزية على العمليات السرية التي لاتتطلب غزوا عسكريا لتأمين الأهداف الأميركية في المنطقة يبدو حكيمًا تقريبًا بالمقارنة.
(من المترجم :- ياسلام على الإنسانية، ياسلام على الحنية)

ولكن في النهاية، تبدو الإخفاقات والعواقب النهائية للعروبية التي تبنتها جهات في وكالة الاستخبارات المركزية أكثر أهمية. ربما كان كيم روزفلت والآخرون راغبين في بناء نوع جديد من العلاقات الغربية مع

العالم العربي، وهي علاقة غير إمبريالية وغير استشراقية تعكس سجل الأميركيين في "الإحسان غير الأناني" في المنطقة.
ولكن في الواقع، انتهى بهم الأمر إلى تكرار الكثير من التجربة الإمبراطورية البريطانية في الشرق الأوسط، ودعم الملكيات العميلة بالتدخلات السرية والإعانات السرية، أولاً في إيران 1953 ثم في الدول العربية أيضًا. وحتى في تلك الحالات التي دعموا فيها القوميين العرب التقدميين - أي في سوريا (إذا كان حسني الزعيم يعتبر كذلك) وفي مصر الضباط الأحرار - فقد غذوا أيضاً ميلاً نحو الاستبداد العسكري وإنشاء الدول البونابرتية القمعية التي لا يزال العرب يحاولون التخلص منها اليوم. وأصبحت الإمبراطورية البريطانية السرية إمبراطورية سرية لأميركا؛ وأصبحت اللعبة الكبرى لبريطانيا اللعبة الكبرى لأميركا.

وكانت جهود المستعربين لحشد التعاطف والدعم للقضية العربية في الولايات المتحدة محكوم عليها بالفشل أيضاً. فقد كان ترتيب التمويل السري من قِبَل وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية للأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط، في حين ضمن لفترة وجيزة سماع صوت مؤيد للعرب على الأقل في المناقشات المحلية حول السياسة الأميركية تجاه المنطقة، سبباً في النهاية في ضرر أكبر من نفعه.
وعلى الرغم من كل حبهم لسرد القصص، فقد فشل المستعربون في سرد قصة العرب بطرق استحوذت على خيال زملائهم الأميركيين. أين كان المعادل العربي لرواية الخروج، تلك الرواية الناجحة للغاية التي تتحدث عن تأسيس إسرائيل للكاتب الصهيوني ليون أوريس؟ (12)

ولم يكن العروبيون أنفسهم مسؤولين بالضرورة عن هذه الإخفاقات. كان هؤلاء العروبيون يعانون من عوائق وإحباطات مستمرة بسبب

عوامل خارجة عن إرادتهم: تدخل وزير الخارجية دالاس، ومكائد نظرائهم البريطانيين في جهاز الاستخبارات الخارجية البريطاني (إم آي 6)، ومقاومة مخططاتهم في العالم العربي نفسه.
ومع ذلك، فإن العيوب الداخلية في عروبية وكالة الاستخبارات المركزية كانت سبباً في إدانتها منذ البداية. وقد شملت هذه العيوب آثاراً متبقية من أنماط التفكير الإمبريالية والاستشراقية ذاتها التي كانت تدعي رفضها، وميلاً شخصياً قوياً نحو المغامرة الرومانسية، ونفاد صبر أرستقراطي تجاه العمليات العادية للحكم الديمقراطي، والتي تجلى ذلك في استعداد المستعربين للجوء إلى الدبلوماسية المشفرة في الخارج والتمويل الحكومي السري لشبكة كيم روزفلت العروبية المعادية للصهيونية في الداخل. وفي هذا الصدد، كانت تجربة العروبيين نموذجية للانجراف المبكر لوكالة الاستخبارات المركزية من مهمتها الأصلية في جمع المعلومات الاستخباراتية نحو انشغال متزايد بالعمليات السرية ذات القيمة المشكوك فيها؛ وفي التصوير من رواية كيم، كانت اللعبة قد صرفت انتباههم عن السعي.

وبعد أكثر من نصف قرن، أصبحت أصداء تجربة عروبيو وكالة المخابرات المركزية متعددة:-
في الجهود الأخيرة التي بذلها الساسة للتلاعب بالمعلومات الاستخباراتية حول العراق وأسلحة الدمار الشامل المزعومة والتعاون مع بن لادن بحيث تناسب مع نتائج سياسية محددة مسبقًا؛
في الجدل المستمر حول السياسة الأميركية فيما يتعلق بالنزاع العربي-الإسرائيلي، بما في ذلك المناقشات بين الصهاينة ومناهضي الصهيونية داخل المجتمع اليهودي الأميركي حول المستويات المناسبة من الدعم لإسرائيل؛

وفي المناقشات حول الدور المحتمل لوكالة المخابرات المركزية في إحداث تغيير في الأنظمة في دول الشرق الأوسط ذات الحكومات القمعية (بعض التصريحات الأخيرة تاليا ل"الربيع" المزعوم حول افتقار الوكالة إلى الأصول في سوريا يمكن أن ترجع بسهولة إلى صيف عام 1957)؛ ولكن في الوقت نفسه، هناك تناقض واضح بين السياسة الأميركية في الشرق الأوسط والتوتر المستمر الذي برز بشكل دراماتيكي بفعل الربيع العربي، بين الرغبة الاستراتيجية في الاستقرار الإقليمي والدافع إلى دعم التطلعات الديمقراطية للعرب العاديين ـ بين الماكيافيلية والمثالية، كما قد يقول مايلز كوبلاند.

من الواضح أن عصر عروبيي وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية كان الأساس للعلاقة الأميركية الحالية مع الشرق الأوسط. وفي وقت يشهد تغيرات متجددة وعميقة في العالم العربي، فإن من المفيد لكل المعنيين بالسياسة الأميركية في تلك المنطقة أن يدرسوا اللحظة السابقة بعناية، وأن يفهموا بشكل أفضل القوى التاريخية الأساسية، المحلية والأجنبية، والثقافية والعاطفية والسياسية، التي شكلت المواجهة الأميركية-الشرق أوسطية المتوترة منذ ذلك الحين.

انتهى.

هوامش المؤلف ومراجِعه

هوامش المقدمة:

1. هناك مقالتان جديرتان بالملاحظة بشكل خاص: دوغلاس ليتل، "المهمة المستحيلة: وكالة المخابرات المركزية وعبادة العمل السري في الشرق الأوسط"، Diplomatic History 28، العدد 5 (2004): 663-701؛ و دبليو سكوت لوكاس وأليستير موري، "التحالف الخفي: وكالة المخابرات المركزية وجهاز المخابرات البريطاني قبل وبعد السويس"، Intelligence and National Security 15، العدد 2 (2000): 95-120.

2. انظر، على سبيل المثال، المنتدى الخاص في عدد سبتمبر 2012 من Diplomatic History. وسوف يلاحظ المؤرخون الأكاديميون للعلاقات الخارجية الأميركية تأثير اهتمامات علمية حديثة أخرى على الصفحات التالية، وخاصة النوع الاجتماعي، والاستشراق، ونظرية التحديث، والجهات الفاعلة غير الحكومية في شبكات الدولة الخاصة. ويمكن العثور على مناقشات صريحة لهذه المفاهيم في بعض الأحيان في الحواشي.

3. ومن الأمثلة الممتازة على هذا النهج في مجال تاريخ الاستخبارات كتاب إيفان توماس، The Very Best Men: Four Who Dared: The Early Years of the CIA (نيويورك: سايمون وشوستر، 1995).

هوامش الفصل الأول:

1. كيرميت "كيم" روزفلت الابن (المشار إليه فيما بعد باسم KR)، "إغراء الشرق"، The American Boy– Youth’s Companion 58 (مايو 1931): 58.

2. KR، A Sentimental Safari (نيويورك: كنوبف، 1963)، xiii.

3. انظر إدوارد دبليو سعيد، introduction to Kim، بقلم روديارد كبلينج (لندن: بنغوين، 1989)، 30-46.

4. أرشي روزفلت (المشار إليه فيما بعد باسم AR)، For Lust of Knowing: Memoirs of an Intelligence Officer (بوسطن: ليتل، براون، 1988)، 4؛ KR إلى إديث روزفلت، 18 ديسمبر 1944، الجزء الثاني، الصندوق 12، المجلد 6، أوراق كيرميت روزفلت وبيل روزفلت (المشار إليها فيما بعد باسم KRBRP)، مكتبة الكونجرس، واشنطن العاصمة؛ KR، A Sentimental Safari، xx.

5. KR، A Sentimental Safari، 7-8.

6. كيرميت روزفلت مقتبس في بيتر كولير، The Roosevelts: An American Saga (نيويورك: سايمون وشوستر، 1994)، 198-199؛

ثيودور روزفلت مقتبس في مايكل ب. أورين , Power, Faith, and Fantasy: America in the Middle East, 1776 to the Present (نيويورك: نورتون، 2007)، 319؛
روديارد كبلينج إلى كيرميت روزفلت، 2 أغسطس 1917، KRBRP، Rudyard، Kipling، 61، I.

7. Kermit Roosevelt [Sr.]، War in the Garden of Eden (نيويورك: Scribner's Sons، 1919)، 14-15، 25.
لاحقًا، شهد كيم روزفلت أيضًا على افتتان مماثل في طفولته بـ Nights، مستشهدًا على وجه التحديد بالترجمة التي أجراها المستكشف البريطاني العظيم السير ريتشارد فرانسيس بيرتون. KR، Arabs, Oil, and History: The Story of the Middle East (Port Washington, NY: Kennikat, 1969)، 21.

8. Kermit Roosevelt, War in the Garden of Eden، 165؛ Kipling to Kermit Roosevelt، 3 سبتمبر 1918، KRBRP، Rudyard، Kipling، 61، I.

9. كيرميت روزفلت، War in the Garden of Eden، 201-204.

10. بريا ساتيا، Spies in Arabia: The Great War and the Cultural Foundations of Britain's Covert Empire in the Middle East (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2008)؛ تي إي شو [لورانس] إلى كيرميت روزفلت، 27 ديسمبر 1928، الأول، 89، شو، توماس إدوارد، KRBRP.

11. كيرميت روزفلت الثالث، مقابلة أجراها المؤلف، واشنطن العاصمة، 12 أبريل 2010.

12. لودج مقتبس في روبرت د. دين، Imperial Brotherhood: Gender and the Making of Cold War Foreign Policy (أمهرست، ماساتشوستس: مطبعة جامعة ماساتشوستس، 2001)، 21؛ TR مقتبس في المرجع نفسه، 19؛ والتر إيزاكسون وإيفان توماس، The Wise Men: Six Friends and the World They Made: Acheson, Bohlen, Harriman, Kennan, Lovett, McCloy (نيويورك: سايمون وشوستر،1986)، 48.

13. بيبودي مقتبس في إيزاكسون وتوماس، Wise Men، 47؛ بيبودي مقتبس في توماس، Very Best Men، 82؛ لودج مقتبس في تشارلز س. ماير، Among Empires: American Ascendancy and Its Predecessors (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، 2006)، 22.

14. كي آر إلى بيلي روزفلت، 22 أكتوبر 1928، الجزء الثاني، 12.3، كيه آر بي آر بي؛ إنديكوت بيبودي، التقرير الشهري، 14 ديسمبر 1928، الجزء الثاني، 12.8، كيه آر بي آر بي؛ ويليام إي موت إلى بيلي روزفلت، 19 فبراير 1929،KRBRP، 12.3، II؛ KR إلى بيلي روزفلت، 1 فبراير 1929، KRBRP، 12.3، II.

15. KR إلى بيل روزفلت، 24 مايو 1929، KRBRP، 12.3، II؛ KR، قصيدة بدون عنوان، بدون تاريخ، I، 14، روزفلت، كيرميت جونيور (كيم)، KRBRP.

16. كيرميت روزفلت إلى KR، 24 يوليو 1934، 14، I، روزفلت، كيرميت جونيور (كيم)، KRBRP؛ KR مقتبس في توماس، Very Best Men، 108.

17. KR إلى إثيل روزفلت، 1 مارس 1935، KRBRP، 12.4، II؛ KR إلى بيلي روزفلت، 15 أكتوبر، 2 نوفمبر، 9 يوليو، 25 يوليو، و30 يوليو 1935، KRBRP، 12.4، II.

18. KR إلى بيلي روزفلت، 4 ديسمبر 1935، KRBRP، 12.4، II؛ KR إلى بيلي روزفلت، 9 يوليو، و19 أكتوبر 1936، KRBRP، 12.5، II؛ KR إلى كيرميت روزفلت، 20 أبريل 1937، KRBRP، 12.5، II؛ بيبودي إلى كيرميت روزفلت، 26 فبراير 1938، 79، I، بيبودي، إنديكوت، KRBRP.

19. KR إلى بيلي روزفلت، 24 نوفمبر 1940، 142، I، روزفلت، كيرميت، KRBRP. لمزيد من المعلومات حول الغرفة، انظر جوزيف إي. بيرسيكو، Roosevelt's Secret War: FDR and World War II Espionage (نيويورك: راندوم هاوس، 2001)، 10-13.

20. لمزيد من المعلومات عن دونوفان، انظر دوغلاس والر، Wild Bill Donovan: The Spymaster Who Created the OSS and Modern American Espionage (نيويورك: فري برس، 2011). KR إلى كيرميت روزفلت، 11 مارس 1941، 14، I، روزفلت، كيرميت الابن (كيم)، KRBRP؛ KR إلى بيلي روزفلت، بدون تاريخ، 142، I، روزفلت، كيرميت (الابن)، KRBRP؛ KR، Countercoup: The Struggle for the Control of Iran (نيويورك: ماكجرو هيل، 1979)، 23-24؛ "سجل خدمة المسرح"، 26 ديسمبر 1944، 658، روزفلت، كيرميت، ملفات الموظفين، 1941-1945، سجلات مكتب الخدمات الاستراتيجية، مجموعة السجلات (المشار إليها فيما بعد باسم 226 RG)، الأرشيف الوطني (المشار إليه فيما بعد باسم NA)، كوليدج بارك، ماريلاند.

21. رسالة من بيبودي إلى بيلي روزفلت، 16 يونيو 1943، المجلد الأول، 142، روزفلت، كيرميت، KRBRP.

هوامش الفصل الثاني:

1. رسالة من أرشيبالد روزفلت الابن إلى كاثرين تويد، بدون تاريخ، 12.7، أوراق أرشيبالد روزفلت الابن (المشار إليها فيما بعد باسم ABRP)، مكتبة الكونجرس، واشنطن العاصمة.

2. أرشيبالد روزفلت الابن Lust of Knowing، 11، 33، 19.

3. نفس المصدر، 26.

4. نفس المصدر، 14، 16.

5. نفس المصدر، 24، 26.

6. نفس المصدر، 23. كانت السمة غير التقليدية في عائلة أرشيبالد روزفلت أكثر وضوحًا في حالة شقيقة أرشيبالد روزفلت ثيودورا، التي انتقلت إلى أمريكا الجنوبية في أواخر الثلاثينيات لمتابعة مهنة في الرقص الحديث. وفي وقت لاحق، نشرت ثيودورا كيوج سلسلة من الروايات التي اشتهرت بشكلها وموضوعها الجريئين.

7. رسالة من أرشيبالد روزفلت الابن إلى جريس روزفلت، بدون تاريخ، 12.7، ABRP؛ جون م. بوتر إلى ج. إي. بوكستون، 3 يونيو 1942، 658، روزفلت، أرشيبالد بولوك، ملفات الموظفين، 1941-1945، NA، RG 226.

8. TR مقتبس في Oren، Power، Faith، and Fantasy، 319؛ Jardine مقتبس في Peter L. Hahn، Crisis and Crossfire: The United States and the Middle East Since 1945 (واشنطن العاصمة: Potomac Books، 2005)، 2.

9. للحصول على رواية حديثة موثوقة للعلاقات الأمريكية العربية تؤكد على التقاليد التبشيرية، انظر Ussama Makdisi، Faith Misplaced: The Broken Promise of U.S.- Arab Relations: 1820–2001 (نيويورك: PublicAffairs، 2010).

10. عالم اللاهوت صموئيل هوبكنز، مقتبس في كتاب عباس أمانات وماجنوس ت. بيرنهاردسون، محرران، U.S.-Middle East Historical Encounters: A Critical Survey (جينسفيل: مطبعة جامعة فلوريدا، 2007)، 2. انظر رشيد الخالدي، Resurrecting Empire: Western Footprints and America's Perilous Path in the Middle East (بوسطن: بيكون، 2004)، 30-35.

11. سيعود نفوذ جاك فيلبي لاحقًا ليطارد الأميركيين والبريطانيين في صورة ابنه، العميل المزدوج كيم فيلبي.

12. انظر توماس دبليو ليبمان، Arabian Knight: Colonel Bill Eddy USMC and the Rise of American Power in the Middle East (فيستا، كاليفورنيا: سلوا، 2008).

13. كارلتون س. كون، A North Africa Story: The Anthropologist as OSS Agent, 1941–1943 (إبسويتش، ماساتشوستس: جامبيت، 1980)، 15-16.

14. ويليام إيدي، "المغاربة يسحبون سكاكينهم في طنجة"، 1957، 17.1، أوراق ويليام ألفريد إيدي (المشار إليها فيما بعد باسم WAEP)، مكتبة سيلي جي مود للمخطوطات، جامعة برينستون، برينستون، نيوجيرسي؛ إيدي مقتبس في كتاب ر. هاريس سميث، OSS: The Secret History of America's First Central Intelligence Agency (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1972)، 51.

15. باتون مقتبس في كتاب ستيوارت ألسوب وتوماس برادين، Sub Rosa: OSS and American Espionage (نيويورك: هاركورت، بريس آند وورلد، 1964)، 87.

16. في رواية انتقادية للغاية عن TORCH، يلاحظ المؤرخ برادلي إف سميث أن "إيدي كان قد أدى مهامه الاستخباراتية ببراعة" (The Shadow Warriors: O.S.S. and the Origins of the C.I.A. [نيويورك: كتب أساسية، 1983]، 156).

17. AR، Lust of Knowing، 64، 50؛ AR، مقال غير منشور عن سيبليني، 3.5، ABRP؛ AR, Lust of Knowing, 68.

18. AR, Lust of Knowing, 70; انظر، على سبيل المثال، AR, "Anti-American Activities of French Among Arbs," January 23, 1943, II, 1.9, KRBRP.

19. AR, Lust of Knowing, 79; AR, "Anti-American Propaganda Conducted by the French Authorities Among the Arabs," March 23, 1943, II, 1.10, KRBRP.

20. AR to Jay Allen, February 15, 1943, II, 1.9, KRBRP; AR, "Conversation with the Sultan of Morocco," March 23, 1943, II, 1.10, KRBRP; AR إلى روبرت شيروود، "الحج السنوي إلى مكة"، 15 سبتمبر 1943، 3.6، ABRP.

21. سميث، OSS، 64.

22. AR، "بعض الحقائق حول تنازل الباي"، بدون تاريخ، 3.9، ABRP؛ AR، Lust of Knowing، 101، 108؛ AR، "ملخص الوضع العربي في تونس"، بدون تاريخ [يوليو 1943]، 3.9، ABRP.

23. AR، "تقرير عن أنشطتي"، بدون تاريخ [يوليو 1943]، 3.10، ABRP؛ AR، Lust of Knowing، 114.

24. 110 ،AR، Lust of Knowing.

25. هناك تشابه قوي بين نوع العروبية الذي تبناه آرتشي روزفلت وخطاب الحرب الباردة الأميركي "ما بعد الاستشراقي" حول الشرق الأوسط الذي وصفته المؤرخة الثقافية ميلاني ماكاليستر في كتابها الرائد "Epic Encounters".
ووفقاً لما ذكرته ماكاليستر، "عملت القوة الأميركية جاهدة على كسر المنطق الأوروبي القديم وتثبيت أطر عمل جديدة"، مؤكدة على قيم "الانتماء والاستيلاء والاستقطاب" بدلاً من "التباعد والاختلاف والاحتواء". وترصد ماكاليستر تعبيرات عن هذا الدافع ما بعد الاستشراقي في الثقافة الشعبية الأميركية؛ وأنا أفعل ذلك في العمليات التي تقوم بها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية. انظر كتاب ميلاني ماكاليستر "Epic Encounters: Culture, Media, and U.S. Interests in the Middle East since 1945"، طبعة محدثة مع فصل يتناول أحداث ما بعد الحادي عشر من سبتمبر (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 2005)، ص 11، 2.

هوامش الفصل الثالث:

1. كولير، 303، The Roosevelts؛ KR إلى كيرميت روزفلت، 23 فبراير 1932، KRBRP، 12.3، II؛ 118، 350، AR، Lust of Knowing.

2. 23-24، KR، Countercoup. دخل أحد أبناء تيد روزفلت، كوينتين الثاني، في الواقع متطوعا في سلاح الجو الصيني، حيث توفي في حادث تحطم طائرة عام 1949 أثناء توجهه من شنغهاي إلى هونج كونج في مهمة لوكالة المخابرات المركزية. كولير، 449، The Roosevelts.

3. دين أتشيسون إلى بيتر كارلو، 27 يونيو 1946، 142، I، روزفلت، كيرميت (الابن)، KRBRP؛ بيلي روزفلت، مذكرات، 10 يونيو 1942، 136، I، مذكرات 1942-1945، KRBRP.

4. 36، KR، Countercoup. عمل لانديس، وهو ابن مبشرين ومنتقد للإمبريالية الأوروبية، على حل الاحتكارات البريطانية في مصر وتشجيع القوميين المصريين بهدوء. انظر أورين، Power, Faith, and Fantasy، 458-460.

5. 4، KR، Arabs, Oil, and History؛ ستيفن بينروز إلى تي. إف. بلاند، 2 أبريل 1944، 658، روزفلت، كيرميت، ملفات الموظفين، 1941-1945، NA، RG 226؛ نشرة مشروع NE رقم 27، صوفيا، 18 أبريل 1944، 55، "تاريخ مكتب الخدمات الاستراتيجية بالقاهرة"، NA، RG 226.

6. AR, Lust of Knowing, 349–350.

7. KR, Arabs, Oil, and History, 3, 4; Bickham Sweet-Escott, Baker Street Irregular (London: Methuen, 1965), 73;

Macmillan quote in Matthew Jones, "'Kipling and All That': American Perceptions of SOE and British Imperial Intrigue in the Balkans, 1943–1945," in The Politics and Strategy of Clandestine War: Special Operations Executive, 1940–1946, ed. Neville Wylie (London: Routledge, 2007), 99.

8. Secretary of State Hull to Ambassador Winant, August 27, 1942, Foreign Relations of the United States [يُشار إليها فيما بعد باسم FRUS], 1942: Vol. 4: The Near East and Africa (واشنطن العاصمة: مكتب الطباعة الحكومي، 1942)، 27، 28. انظر أيضًا سميث، 124-125 ،OSS.

9. سويت-إسكوت، 136 ،Baker Street Irregular؛
"لـ هوسكينز من دونوفان"، 3 يناير 1943، 3.9، أوراق هارولد ب. هوسكينز، مكتبة سيلي ج. مود للمخطوطات، جامعة برينستون، برينستون، نيوجيرسي.

10. الكابتن جون تولمين، "توصية بالجائزة للسيد ستيفن ب. ل. بينروز"، 11 نوفمبر 1944، 5.12، أوراق ستيفن ب. ل. بينروز الابن، كلية ويتمان، والا والا، واشنطن.

11. جين سمايلي هارت، مقابلة أجرتها فرانسيس ستيكلز، 1 أكتوبر 1990، 3.9، أوراق بينروز؛ باري روبين، Istanbul Intrigues (نيويورك: ماكجرو هيل، 1989)، 134؛ ستيفن بينروز إلى جوردون لاود، 28 يوليو 1943، 5.4، أوراق بينروز.

12. KR, Arabs, Oil, and History، 5؛ مقابلة هارت.

13. بينروز إلى السيد هاولاند، 12 نوفمبر 1942، سجلات مكتب الخدمات الاستراتيجية التي تم رفع السرية عنها، أوراق بينروز.

14. KR, Arabs, Oil, and History، صفحات 7، 15، 39.

15. KR, Countercoup، 37.

16. مايكل ب. زيرينسكي، "أعطوا إذن لقيصر ما هو لقيصر: المربون المشيخيون الأمريكيون ورضا شاه"، Iranian Studies 26، الأعداد 3-4 (1993): 354؛ دونالد ن. ويلبر، Adventures in the Middle East: Excursions and Incursions (برينستون، نيوجيرسي: داروين، 1986)،135-137.

17. AR, Lust of Knowing، 121.

18. المصدر نفسه، 124؛ أر إلى كاثرين تويد، 22 يونيو 1944، 1.3، ABRP.

19. AR, Lust of Knowing، صفحات 350-351، 313.

20. جونز، "كيبلينج وكل ذلك"، 104؛ "سجل خدمة المسرح" ولويس ج. ليري، "تقييم كيرميت روزفلت"، 8 يناير 1945، 658، روزفلت، كيرميت، ملفات الموظفين، 1941-1945، RG 226 ،NA.

21. أنتوني كيف براون، محرر، The Secret War Report of the OSS (نيويورك: منشورات بيركلي، 1976)، 179؛ تولمين، "توصية بالجائزة".

هوامش الفصل الرابع:

1. AR, Lust of Knowing, 209–210.

2. المصدر نفسه، 128، 127؛ انظر AR إلى K. W. Roosevelt، 12 فبراير 1945، 1.6، ABRP؛ AR, Lust of Knowing، 208.

3. AR, Lust of Knowing، 169.

4. AR, diary, 3 April 1944, 1.5, ABRP؛ AR, Lust of Knowing، 137.

5. 206، 207، AR, Lust of Knowing؛ AR, "ملاحظات عن قبائل العراق"، 1 ديسمبر 1945، 2.6، ABRP؛ AR, Lust of Knowing، 169.

6. AR, Lust of Knowing، 413.

7. المصدر نفسه، 36؛ AR، "دراسة في الوقاحة"، نيويورك هيرالد تريبيون، 15 فبراير 1940.
انظر أيضًا AR، Lust of Knowing، 40-42.

8. AR، Lust of Knowing، 219.

9. المصدر نفسه، 201، 34.

10. من فيليب حتي إلى AR، 4 سبتمبر 1945، 1.6، ABRP؛
AR، Lust of Knowing، 212؛ AR، مذكرات، 27 ديسمبر 1945، 1.5، ABRP؛ AR، مذكرات، 5 يناير 1946، 1.7، ABRP.

11. تشرشل مقتبس في ستيفن كينزر، All the Shah's Men: An American Coup and the Roots of Middle East Terror، الطبعة الثانية. (هوبكن، نيوجيرسي: وايلي آند سونز، 2008)، 39.

12. لمزيد من المعلومات حول هذا التاريخ المبكر الواعد، انظر منصور بوناكداريان، "التوقعات العظيمة: العلاقات الأميركية الإيرانية، 1911-1951"، في أمانات وبيرنهاردسون، محرران، U.S.-Middle East Historical Encounters، 121-141.

13. لوي هندرسون إلى دين أتشيسون، "الوضع الحالي في الشرق الأدنى ـ خطر على السلام العالمي"، بلا تاريخ [ديسمبر 1945]، FRUS 1946، المجلد 7، 2.
للحصول على ملخص للدراسات التاريخية الحديثة حول النوايا السوفييتية تجاه إيران، انظر أود أرن ويستاد، The Global Cold War: Third World Interventions and the Making of Our Times (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2005)، 60-64.

14. Lust of Knowing ،AR، صفحات 228، 215، 230.

15. المصدر نفسه، 231.

16. المصدر نفسه، 204.

17. المصدر نفسه، 226، 237-238؛ AR، يوميات، 20 يونيو 1946، 1.7، ABRP.

18. Lust of Knowing ،AR، صفحات 240، 437.

19. المصدر نفسه، 438؛ AR إلى K. W. Roosevelt ،20 يناير 1945، 1.6، ABRP؛ AR، يوميات، 19 يونيو 1946، 1.7، ABRP.

20. جورج في. ألين، مذكرات غير منشورة عن الخدمة في إيران، 70-71، أوراق جورج في. ألين، مكتبة هاري إس. ترومان (المشار إليها فيما بعد باسم HSTL)، إندبندنس، ميزوري؛ أركنساس، مخطوطة الكتاب، 2.8، ABRP.

هوامش الفصل الخامس :

1. مقتبس من كتاب رودري جيفريز جونز، The CIA and American Democracy، الطبعة الثالثة (نيوهافن، كونيتيكت: مطبعة جامعة ييل، 2003)، ص 30.

2. بيتر جروس، Gentleman Spy: The Life of Allen Dulles (بوسطن: هوتون ميفلين، 1994)، ص 104؛
آلن دالاس، "مذكرة بشأن القسم 202 (وكالة المخابرات المركزية) من مشروع قانون توفير مؤسسة الدفاع الوطني"، 25 أبريل 1947، 2، ص 224-234 (أبريل 1947)، السجلات العامة لوزارة الخارجية، المجلد 59، الوثائق التكميلية من سلسلة العلاقات الخارجية المتعلقة بمجتمع الاستخبارات الأمريكي، HSTL.

3. سيلر مقتبس في كتاب إتش دبليو براندز، Inside the Cold War: Loy Henderson and the Rise of American Empire, 1918–1961 (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1991)، ص 189.

4. للاطلاع على وجهات نظر مختلفة بشأن مسألة هندرسون ومعاداة السامية، انظر المرجع نفسه، ص 190-191، وإيليهو بيرجمان، "اعتراف غير متوقع: بعض الملاحظات على فشل حملة أخيرة في وزارة الخارجية الأميركية لإجهاض دولة يهودية"، Modern Judaism 19، العدد 2 (مايو 1999): ص 165-166.

5. انظر، على سبيل المثال، رسالة بينروز إلى فريد ف. جودسيل، 9 ديسمبر 1942، سجلات مكتب الخدمات الاستراتيجية، أوراق بينروز؛ بينروز إلى مخفي، 4 فبراير، 17 فبراير، و11 مارس 1943، 5.3، أوراق بينروز

6. انظر على سبيل المثال، رسالة بنروز إلى إل. ويندل فيفيلد، 31 ديسمبر 1942، سجلات مكتب الخدمات الاستراتيجية، أوراق بينروز.
كتب بينروز: "إنني حريص على منع تنفيذ سياسات أقنعتني دراساتي الطويلة بأنها تشكل خطراً ليس فقط على الشرق الأدنى بل وعلى أنصار هذه السياسات أنفسهم في الأمد البعيد".

7. المحلل المذكور في كتاب روبرت فيتاليس، America's Kingdom: Mythmaking on the Saudi Oil Frontier (ستانفورد، كاليفورنيا: مطبعة جامعة ستانفورد، 2007)، ص 64.

8. "ملخص تقرير المقدم هارولد ب. هوسكينز عن الشرق الأدنى"، مرفق مع رسالة كورديل هال إلى فرانكلين روزفلت، 7 مايو 1943، FRUS 1943، المجلد 4، 782؛ "مذكرة محادثة، بقلم المقدم هارولد ب. هوسكينز"، واشنطن العاصمة، 27 سبتمبر 1943، FRUS 1943، المجلد 4، 812، 813.

9. للحصول على وصف تفصيلي للاجتماع بين روزفلت وابن سعود مع التأكيد على دور إيدي، انظر ليبمان، Arabian Knight، 133-144.

10. اقتبس ترومان في كتاب أورين "Power, Faith, and Fantasy"، ص 484.

11. انظر ليبمان، Arabian Knight، ص 219-226، ومايكل جيه كوهين، "وليام أ. إيدي، وجماعة الضغط النفطية، ومشكلة فلسطين"، Middle Eastern Studies 30، العدد 1 (1994): 166-180؛ اقتبس ترومان في ليبمان، Arabian Knight، ص 218.

12. لقد تم سرد قصة التحضير لتقسيم فلسطين واعتراف هاري ترومان بإسرائيل في مايو 1948 في عدد لا يحصى من الكتب والمقالات، وأحدثها كتاب أليس رادوش ورونالد رادوش، "A Safe Haven: Harry S. Truman and the Founding of Israel" (نيويورك: هاربر، 2009).

13. "عواقب تقسيم فلسطين"، تقديرات مكتب الأبحاث 55، 28 نوفمبر 1947، 214، ملف سكرتير الرئيس: ملف الاستخبارات، 1946-1953، HSTL.
انظر ليبمان، Arabian Knight، 232-234؛ انظر أيضًا توماس دبليو ليبمان، "النظرة من عام 1947: وكالة المخابرات المركزية وتقسيم فلسطين"، Middle East Journal 61، العدد 1 (2007): 17-28.

14. ويليام إيدي، بيان، 10 أكتوبر 1947، 8.6، WAEP. انظر ليبمان، 234-235، Arabian Knight.

15. للتغيير في معنى "العروبي"، انظر روبرت د. كابلان، The Arabists: The Romance of an American Elite (نيويورك: فري برس، 1993)، 98؛ بالنسبة لتداول الصور الاستشراقية للعرب في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، انظر دوغلاس ليتل، American Orientalism: The United States and the Middle East Since 1945 (تشابل هيل: مطبعة جامعة نورث كارولينا، 2002)، 25-33؛ وللصدى الثقافي للصهيونية في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، انظر ميشيل مارت، "بناء مثال عالمي: معاداة السامية، واليهود الأمريكيون، وتأسيس إسرائيل"، Modern Judaism 20، العدد 2 (2000): 181-208؛ وللمحاولات التبشيرية لتثقيف الأمريكيين حول العالم العربي، انظر أسامة مقدسي، ""معاداة أمريكا"" في العالم العربي: تفسير لتاريخ موجز"، Journal of American History 89، العدد 2 (2002): 541-542.

16. AR, Lust of Knowing, 293, 295.
تم التعرف على مايك ميتشل من خلال الأسماء المستعارة في كتاب Archie Roosevelt's Lust of Knowing وMiles Copeland (المشار إليه فيما بعد باسم MC)، The Game Player: The Confessions of the CIA's Original Political Operative (لندن: Aurum، 1989): Luke Gabriel وNick Michelson، على التوالي.
يظهر اسمه الحقيقي في سجلات OSS ونسخة منقحة من KR، مقابلة مع R. Harris Smith، بدون تاريخ، 10، مجموعة R. Harris Smith، مؤسسة هوفر، جامعة ستانفورد، ستانفورد، كاليفورنيا.

لم يذكر آرتشي روزفلت اسم دينيت في مذكراته، ولكن تم التعرف على ضابط CIG المتوفى في كتاب Game Player لكوبلاند، 81.
وتم تأكيد هذا التعريف في كتاب مايكل ميتشل إلى AEXP، "أرشيبالد روزفلت"، 28 مارس 1947، 658، روزفلت، أرشيبالد بولوك، ملفات الموظفين، 1941-45، NA، RG 226.

17. AR, Lust of Knowing، 293.

هوامش الفصل السادس :

1. MC, Game Player, 2;
John Keay, Sowing the Wind: The Seeds of Conflict in the Middle East (New York: Norton, 2003), 390.
وكتب كوبلاند هي: Game Player; The Game of Nations: The Amorality of Power Politics (London: Weidenfeld & Nicolson, 1969); Without Cloak or Dagger: The Truth About the New Espionage (New York: Simon & Schuster, 1974).

2. مصدر سري؛ فيلبي مقتبس في Karl E. Meyer وShareen Blair Brysac, Kingmakers: The Invention of the Modern Middle East (New York: Norton, 2008), 352.

3. لورين كوبلاند، رسالة إلكترونية إلى المؤلف, نوفمبر 20, 2010;
MC, Game Player, 4, 6;
مايلز أ. كوبلاند الثالث، مقابلة أجراها المؤلف، هوليوود، كاليفورنيا، 22 فبراير 2010؛
ويلبر كرين إيفلاند، Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East (نيويورك: نورتون، 1980)، 96؛
جينا وبير، مكتبة دبليو. إس. هول للمجموعات الخاصة، جامعة ألاباما، رسائل إلكترونية إلى المؤلف، 23 نوفمبر 2010 و29 نوفمبر 2010.

4. MC, Game Player، 8-9؛ دان مورغنسترن، مقابلة هاتفية أجراها المؤلف، 22 نوفمبر 2010؛
باتريك وايت، رسالة إلكترونية إلى المؤلف، 18 نوفمبر 2010؛
MC، DD/صحيفة بيانات الموظفين، 4 نوفمبر 1955، CO5650522، طلب من المؤلف بموجب قانون حرية المعلومات لوكالة المخابرات المركزية (المشار إليه فيما بعد باسم قانون حرية المعلومات).

5. MC, Game Player، 11-12؛ جيمس إل. جيلبرت، وجون ب. فينيجان، وآنا براي، In the Shadow of the Sphinx: A History of Army Counterintelligence (واشنطن العاصمة: مكتب الطباعة الحكومي، 2005)، 32.

6. MC, Game Player، 28.

7. رسالة إلكترونية إلى لورين كوبلاند، 20 نوفمبر 2010؛ MC، بيان التاريخ الشخصي، بدون تاريخ [1945]، CO5651590، قانون حرية المعلومات لوكالة المخابرات المركزية.

8. MC, Game Player، 54، 56؛
MC، بيان التاريخ الشخصي.

9. رسالة إلكترونية إلى لورين كوبلاند، 20 نوفمبر 2010؛ MC, Game Player، الفصل 10؛ مقابلة كيرميت روزفلت الثالث.

10. 80 ،79 ،MC, Game Player.

11. المصدر نفسه، 81؛ ديلي تلغراف، 2 يونيو 1990، 13.4، ABRP؛
سلوى "لاكي" روزفلت، مقابلة أجراها المؤلف، واشنطن العاصمة، 13 أبريل 2010.

12. 11، MC، Game of Nations؛ 112، MC, Game Player؛ AR، مذكرات، 20 سبتمبر 1947، 1.7، ABRP.

هوامش الفصل السابع :

1. KR, Countercoup, 51.
تضمنت مقالات كيم في هاربر: "العرب يعيشون هناك أيضًا"، مجلة هاربر (أكتوبر 1946): 289-294؛ "عقدة النقص في مصر"، مجلة هاربر (أكتوبر 1947): 357-364؛ "اللعبة الثلاثية من أجل الشرق الأوسط"، مجلة هاربر (أبريل 1948): 359-369.
وقد وجدت أجزاء كبيرة من هذه المقالات طريقها حرفيًا إلى KR، Arabs, Oil, and History.

2. بولي إلى بيلي روزفلت، 1 يونيو [1947]، 142، I، روزفلت، كيرميت، KRBRP.

3. رسالة من KR إلى بيلي روزفلت، 14 يونيو 1947، المجلد الأول، ص 143، روزفلت، ماري جاديس (بولي)، KRBRP.

4. KR، Arabs, Oil, and History، صفحات 87، 106، 103، 117، 103.

5. المصدر نفسه، ص 251، 250، 67.

6. المصدر نفسه، ص 7، 259.

7. المصدر نفسه، ص 98، 146، 43.

8. المصدر نفسه، ص 265، 11، 156.

9. المصدر نفسه، ص 84.

10. المصدر نفسه، ص 184-185، 178.

11. مقابلة أجراها المؤلف مع جوناثان روزفلت، واشنطن العاصمة، 20 فبراير 2010.

12. المصدر نفسه؛ KR، "العرب يعيشون هناك أيضًا"؛ جورج ليفيسون إلى إلمر بيرجر، 7 أبريل 1948، 74.9، أوراق المجلس الأمريكي لليهودية (المشار إليها فيما بعد باسم ACJP)، جمعية ويسكونسن التاريخية، ماديسون؛

مذكرة وزارة الخارجية المقتبسة في هان، Crisis and Crossfire، 23. تشمل مقالات كيم ورسائله من هذه الفترة "الشرق الأوسط واحتمال الحكومة العالمية"، Annals of the American Academy of Political and Social Science 264 (يوليو 1949): 52-57؛ "هل سيقاتل العرب؟"، Saturday Evening Post، 27 ديسمبر 1947، 20-56؛ "لغز مفتي القدس"، Saturday Evening Post، 12 يونيو 1948، 26-166؛ الرسالة، نيويورك تايمز، 8 يونيو 1948، 24.

13. أعيد نشر هذه المقالة، التي ظهرت في عدد يناير 1948 من Middle East Journal، تحت عنوان KR، تقسيم فلسطين: درس في سياسة الضغط (نيويورك: معهد الشؤون العربية الأمريكية، 1948). الاقتباسات من الصفحات 1 و2 و14 من الكتيب.

14. اقتبس المكتب العربي من مقال روري ميلر، "أكثر من يخطئ ضده؟ قضية المكتب العربي، واشنطن، 1945-1948"، Diplomacy and Statecraft 15، العدد 2 (2004): 311، 318. لمزيد من المعلومات عن طوطح، انظر كولين رذرفورد، "تعليم الدكتور خليل طوطح" (أطروحة الماجستير، جامعة ولاية كاليفورنيا، لونغ بيتش، 2010).

15. إن أفضل جهد سابق لتشريح الشبكة الناشئة العروبية المعادية للصهيونية التي تتبناها الدولة والقطاع الخاص هو كتاب ماثيو ف. جاكوبس، "Imagining the Middle East: The Building of an American Foreign Policy، 1918-1967" (تشابل هيل: مطبعة جامعة نورث كارولينا، 2011)، الفصل الخامس.

16. أر، مذكرات، 6 نوفمبر 1947، 1.7، إيه بي آر بي؛ ويليام موليجان، سيرة ذاتية مختصرة لجيه تي ديوس، 1.17، أوراق ويليام إي موليجان، المجموعات الخاصة، مكتبة جامعة جورج تاون، واشنطن العاصمة؛ KR, Arabs, Oil, and History، الفصل السادس عشر. وقد تحدى المؤرخ روبرت فيتاليس مؤخرًا النسخة الرسمية لتاريخ أرامكو، موثقًا المعاملة القاسية التي تعرضت لها موظفيها العرب في America's Kingdom.

17. توماس أ. كولسكي، Jews Against Zionism: The American Council for Judaism، 1942-1948 (فيلادلفيا: مطبعة جامعة تيمبل، 1990)؛ إلمر بيرجر، Memoirs of an Anti-Zionist Jew (بيروت: معهد الدراسات الفلسطينية، 1978)؛ جاك روس، Rabbi Outcast: Elmer Berger and American Jewish Anti-Zionism (واشنطن العاصمة: كتب بوتوماك، 2011).

18. بيرجر إلى ليفيسون، 23 سبتمبر 1946، 74.7، المجلس الأمريكي لليهودية. المعلومات الأخرى حول روابط المجلس الأمريكي لليهودية بوزارة الخارجية مأخوذة من كولسكي، Jews Against Zionism.

19. ليفيسون إلى بيرجر، 16 يونيو 1947، 74.8، أوراق المجلس الأمريكي لليهودية.

20. جيمس م. بومول إلى دونالد بوليس، 25 نوفمبر 1947، 63.12، ACJP؛ ليفيسون إلى جيمس بومول، 8 نوفمبر 1947، 74.8، ACJP؛ بيرجر إلى دوروثي تومسون، 14 فبراير 1949، 122.2، ACJP.

21. مقابلة جوناثان روزفلت؛ مقابلة كيرميت روزفلت الثالث؛ بولي روزفلت إلى بيرجر، بدون تاريخ، 4، كيرميت روزفلت الابن 1954، إضافة ACJP، M67–130؛ ليفيسون إلى ليسينج روزنفالد، 20 مارس 1953، 75.3، ACJP.

22. فرجينيا سي. جيلدرسليف، كيه آر، وجارلاند إيفانز هوبكنز إلى آلن دالاس، 21 فبراير 1948، 49.10، أوراق ألين دبليو دالاس، مكتبة سيلي جي مود للمخطوطات، جامعة برينستون، برينستون، نيوجيرسي؛

فرجينيا كروشيرون جيلدرسليف، Many a Good Crusade: Memoirs (نيويورك: ماكميلان، 1954)، 171 وما يليه. بالنسبة للنساء والجمعيات، انظر هيلين لافيل، Cold War Women: The International Activities of American Women's Organisations (مانشستر، المملكة المتحدة: مطبعة جامعة مانشستر، 2002).

23. "لجنة جديدة تعارض خطة فلسطين للأمم المتحدة"، هيرالد تريبيون، 3 مارس 1948، 45.3، ACJP؛
"قصة عشرين عامًا"، Near East Report، أكتوبر 1964، ب-13؛ بيرجر إلى ليفيسون، 16 أبريل 1948، 74.9، ACJP.

24. جيلدرسليف، 409-410، Many a Good Crusade: Memoirs؛
ليفيسون إلى بيرجر، بدون تاريخ [ربما 19 أو 20 مارس 1948]، 74.9، ACJP.

25. ترومان مقتبس في أورين، 495، Power, Faith, and Fantasy؛ KR، بيان، 12 أبريل 1948، 45.3،ACJP؛
KR إلى روزنوالد، 15 أبريل 1948، 45.3، ACJP؛ KR إلى بيرجر، 10 مايو 1948، 45.3، ACJP.

26. جيلدرسلييف إلى بيرجر، 26 نوفمبر 1948، 45.3، ACJP؛ KR إلى بيرجر، 25 مايو 1949، 106.1، ACJP؛ بيرجر إلى ليفيسون، 18 فبراير 1949، 74.10، ACJP؛ بيرجر إلى KR، 3 مارس 1949، 106.1، ACJP.
وحول جيلدرسليف والطلاب اليهود، انظر روزاليند روزنبرج، "الإرث الحي: فرجينيا جيلدرسليف: فتح البوابات"، Columbia University Alumni Magazine، صيف 2001، http://www.columbia.edu/cu/alumni/Magazine/Summer2001/Gildersleeve.html.

هوامش الفصل الثامن :

1. لورين كوبلاند، رسالة إلكترونية إلى المؤلف، 23 نوفمبر 2010؛ AR، Lust of Knowing، ص 326-325.

2. AR، Lust of Knowing، ص 296-297.

3. MC، Game Player، 91-92؛ MC، Without Cloak or Dagger، 48n.

4. كابل ميتشل مقتبس في 296، AR، Lust of Knowing؛ إيان كوبلاند، Wild Thing: The Backstage, on the Road, in the Studio, off the Charts: Memoirs of Ian Copeland (نيويورك: سايمون وشوستر، 1995)، 34؛
ميتشل مقتبس في 296، AR، Lust of Knowing؛ AR، مذكرات، 14 أكتوبر و24 أكتوبر 1947، 1.7، ABRP.

5. MC, Game of Nations, 34–36; MC, Game Player, 86; MC, Game of Nations, 34.

6. لورين كوبلاند، رسالة إلكترونية إلى المؤلف، 23 نوفمبر, 2010.

7. KR, Arabs, Oil, and History, الفصل 15.

8. MC, Game Player, 89; "بيان السياسة"، 5 يناير 1949، 11، بيان السياسة - سوريا ولبنان، القسم 54D403، مكتب شؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا وأفريقيا، مكتب شؤون الشرق الأدنى، الملفات الموضوعية 1920-1954، NA ،RG 59.

9. KR, Arabs, Oil, and History, 268–270.

10. مقابلة شخصية مع مايلز كوبلاند الثالث;
ريبيكا جودمان، "مواطن من سينسيناتي قاتل في الحرب العالمية الثانية، وعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية"، Cincinnati Enquirer، 22 مايو 2004؛
MC, Game Player، 93، 88، 89.

11. دين ر. هينتون مقتبس في دوغلاس ليتل، "الحرب الباردة والعمل السري: الولايات المتحدة وسوريا، 1945-1958"، Middle East Journal 44، العدد 1 (1990): 55؛
جوزيف ساترثويت، "خلفية الانقلاب العسكري في سوريا"، 30 مارس 1949، 11، المجلد 1 يناير 1949، المجموعة NA ،RG 59 ،54D403.

12. سوريا جوينت ويكاس، 3 ديسمبر 1948، 22، 350 سوريا (جوينت ويكاس)، سوريا، سفارة دمشق، سجلات عامة سرية، 1943-1963، وظائف الخدمة الخارجية بوزارة الخارجية، NA ،RG 84؛
ستيفن جيه ميد، "خطط قائد الجيش السوري للاستيلاء على السلطة"، 10 مارس 1949، 20، 1 من 4، يناير-مارس 1949، السياسة السورية، سجلات عامة سرية بسوريا، NA ،RG 84.

13. MC, Game of Nations, ص42; MC, Game Player، ص93-94، 99.

14. MC، Game Player، 184، 94.
لانتقادات لرواية مايلز، انظر، على سبيل المثال، أندرو راثميل، "كوبلاند والزعيم: إعادة تقييم الأدلة"، Intelligence and National Security 11، رقم. 1 (1996): 89–105.

15. ليتل، "الحرب الباردة والعمل السري"، 56n29؛ هينتون مقتبس في أندرو راثميل، Secret War in the Middle East: The Covert Struggle for Syria، 1949–1961 (لندن: دراسات أكاديمية توريس، 1995)، 182n153؛ وزير الخارجية السوري مقتبس في ليتل، "الحرب الباردة والعمل السري"، 56n29.

16. MC, Game Player، 94–98.

17. "الملحق الأمريكي يقاتل مسلحين"، نيويورك تايمز، 10 مارس 1949، 6؛
مقابلة مايلز كوبلاند الثالث؛
Syria Joint Weeka, March 18, 1949, 22, 350 Syria (Joint Weekas ;)، سجلات سوريا السرية العام، RG 84, NA.

18. Syria Joint Weeka, March 18, 1949؛
فيليب برودميد إلى لندن، 15 مارس 1949، FO 371/75529، مكتب السجلات العامة (المشار إليه فيما بعد باسم PRO)، كيو، لندن.

19. MC, Game Player، ص100؛ باتريك سيل، The Struggle for Syria: A Study of Post-War Arab Politics، 1945-1958 (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1965)، 44؛ MC, Game Player، ص101.

20. جيمس كيلي إلى أتشيسون، 1 أبريل و5 أبريل 1949، 20، 2 من 4، يناير-مارس 1949، السياسة السورية، السجلات العامة السرية لسوريا، NA، RG 84.

21. كيلي إلى أكيسون، 1 أبريل 1949، 20، 2 من 4، 1949 يناير-مارس، السياسة السورية، السجلات العامة السرية لسوريا، NA، RG 84؛ ميد مقتبس في ليتل، "الحرب الباردة والعمل السري"، 55؛
مذكرة محادثة بين الزعيم وميد، 20 أبريل 1949، 20، 2 من 4، 1949 يناير-مارس، السياسة السورية، السجلات العامة السرية لسوريا، NA، RG 84؛ ميد، "المعرفة المسبقة للملك ابن سعود بالانقلاب السوري"، 26 مايو 1949، 20، 2 من 4، 1949 يناير-مارس، السياسة السورية، السجلات العامة السرية لسوريا، NA، RG 84؛ MC, Game of Nations، ص44.

22. "اتفاقية خط الأنابيب عبر الحدود في سوريا؛ التصديق المحتمل من قبل الحكومة العسكرية"، 6 أبريل 1949، 19، سوريا ولبنان، 1948-المذكرات، المجموعة 53D468، سجلات مكتب شؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا وأفريقيا، ملفات مكتب مساعد وزير الخارجية جورج سي ماكجي، 1945-1953، NA، RG 59؛
كيلي إلى أكيسون، 28 أبريل 1949، 20، 2 من 4، 1949 يناير-مارس، السياسة السورية، السجلات العامة السرية لسوريا، NA، RG 84؛
ميد، "الزعيم ينظم فرقة خاصة للأسلحة القوية"، 28 أبريل 1949، 20، 2 من 4، 1949 يناير-مارس، السياسة السورية، السجلات العامة السرية لسوريا، NA، RG 84؛ سوريا جوينت ويكاس، 15 أبريل 1949، 22، 350 سوريا (جوينت ويكاس)، سوريا السجلات العامة السرية، NA، RG 84.
أصبحت مبادرة الزعيم للسلام إلى إسرائيل فيما بعد موضوع نزاع محتدم بين المؤرخين الإسرائيليين بعد أن زعم آفي شلايم أنها كانت فرصة تاريخية ضائعة. انظر آفي شلايم، "حسني زعيم وخطة إعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين في سوريا"، Journal of Palestine Studies 15، العدد 4 (1986): 68-80.

23. سيل، 58 ،The Struggle for Syria.

24. كيلي إلى أتشيسون، 4 أبريل و4 يونيو 1949، 20، 2 من 4، 1949 يناير-مارس، السياسة السورية، السجلات العامة السرية لسوريا، NA، RG 84؛
"الملخص السياسي رقم 6 لشهر يوليو 1949،" PRO، FO 371/75528؛
"الزعيم يزين الأميركيين،" نيويورك تايمز، 24 يوليو 1949، 4.

25. سيل، الصراع على سوريا، 61n8؛ "الملخص السياسي رقم 7 لشهر أغسطس 1949،" FO 371/75528، PRO.
لمزيد من المعلومات حول قضية صعدة، انظر راثميل، Secret War، 44-50؛
سيل، The Struggle for Syria، الفصل 8.

26. ر. هاريسون إلى أتشيسون، 11 أغسطس 1949، 21، 3 من 4، يناير-مارس 1949، السياسة السورية، السجلات العامة السرية السورية، NA، RG 84؛
لورين كوبلاند، بريد إلكتروني، 23 نوفمبر 2010.
يستعرض راثميل الأدلة المتعلقة بإعدام الزعيم في كتابه "الحرب السرية"، ص 50-51.

27. MC، Game Player، ص 101-102؛ MC، Game of Nations، ص 45.

هوامش الفصل التاسع:

1. NSC 10/2، 18 يونيو 1948، FRUS 1945–50: ظهور مؤسسة الاستخبارات، 714.

2. مقتبس في 299 ،AR، Lust of Knowing؛ تقرير الوضع والكفاءة، 9 يونيو 1949، CO5640569، قانون حرية الوصول للمعلومات التابع لوكالة المخابرات المركزية.

3. تقرير تقييم الموظفين، أكتوبر 1952–أكتوبر 1953، CO5654072، قانون حرية الوصول للمعلومات التابع لوكالة المخابرات المركزية؛ 110 ،KR، Countercoup.

4. عمل آلن دالاس، رئيس قسم الشرق الأدنى السابق في وزارة الخارجية، خلال أواخر الأربعينيات كمستشار قانوني لشركة Overseas Consultants Inc.، وهي شركة أمريكية خاصة تقدم المشورة للحكومة الإيرانية بشأن قضايا التنمية، وقام بجولة في الشرق الأوسط بصفته رئيسًا لجمعية كليات الشرق الأدنى.

5. AR, Lust of Knowing, 298, 299; Personnel Action Request, September 1950, CO5654133, CIA FOIA; MC, Game of Nations, 51.

6. قبل تعيينه رئيسًا لقسم NEA، عمل كيم كمستشار بدوام جزئي لـ OPC من أبريل إلى يونيو 1949، حيث ساعد في "إنشاء برنامج عملياتي رئيسي".
عقد الخدمة الشخصية، أبريل 1949، CIA FOIA، CO5654059.

7. KR إلى أعضاء CJP، 21 يونيو 1948، 45.3، ACJP؛
"تشكيل هيئة اتصال لإغاثة الشرق الأدنى"، نيويورك تايمز، 12 سبتمبر 1949، 8.

8. بيتر كيرث، "تذكر دوروثي تومسون"، 26 أكتوبر 2004،
www.ifamericansknew.org/media/dthompson.html.
انظر أيضًا بيتر كيرث، American Cassandra: The Life of Dorothy Thompson (بوسطن: ليتل، براون، 1990)؛ و ماريون ك. ساندرز، Dorothy Thompson: A Legend in Her Time (بوسطن: هوتون ميفلين، 1973).

9. انظر، على سبيل المثال، بيرجر إلى تومسون، 27 يناير 1949، 122.2، ACJP؛
بيرجر إلى كي آر، 8 فبراير 1949، 106.1، ACJP؛
إيدي إلى تومسون، بلا تاريخ [ربما يوليو 1950]، 10.9، WAEP.

10. انظر كتاب هيو ويلفورد، "The Mighty Wurlitzer: How the CIA Played America" (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، 2008). وقد أتاحت وكالة المخابرات المركزية مؤخراً، في شكل منقح إلى حد كبير، تاريخها الخاص بهذه العملية: مايكل وارنر، "Hearts and Minds: Three Case Studies of the CIA's Covert Support of American Anti-Communist Groups in the Cold War, 1949-1967" (لانجلي، فيرجينيا: وكالة الاستخبارات المركزية، 1999).
وتشير بعض القرائن في النص غير المنقح، مثل الإشارة في الصفحة الرابعة عشرة إلى منظمة تستهدف "المسلمين العرب المتعلمين"، إلى أن الفصل الرابع من هذا العمل، المعنون "سياسة خفية"، مخصص للأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط. ولكن للأسف، تم تنقيح الفصل بالكامل.

11. انظر، على سبيل المثال، بيرجر إلى KR ،9 يونيو 1950، 106.1، ACJP؛ بيرجر إلى ليفيسون، 21 يونيو 1950، و8 ديسمبر 1950، 74.11، ACJP؛ إيدي إلى كورنيليوس فان إنجرت، 28 ديسمبر 1950، صندوق غير مفهرس، المراسلات والمخطوطات بعد الحرب، المجلد 1950-51، أوراق كورنيليوس فان إتش إنجرت، المجموعات الخاصة، مكتبة جامعة جورج تاون، واشنطن العاصمة؛ إنجرت إلى إيدي، 30 ديسمبر 1950، أوراق إنجرت؛ ساندرز، دوروثي تومسون، 335؛ بيرجر إلى ليفيسون، 23 يناير 1951، 75.1، ACJP.

12. بيرجر إلى تومسون، 16 مارس 1951، 2.10، أوراق دوروثي تومسون (المشار إليها فيما بعد باسم DTP)، مركز أبحاث المجموعات الخاصة، مكتبة جامعة سيراكيوز، سيراكيوز، نيويورك؛ بيرجر إلى ليفيسون، 31 مارس 1951، 75.1، ACJP؛ "مقابلة مع الآنسة دوروثي تومسون"، 5 أبريل 1951، 2.10، DTP؛ تومسون، 5 أبريل 1951، 2.10، DTP؛ م. سنيدر إلى الآنسة سانسوم، 11 مايو 1951، 24.12، أوراق آلن دالاس؛ AFME 59.1 ،1951-1952 ،Annual Report، أوراق جون نوفين جونيور (المشار إليها فيما بعد باسم JNP)، مكتبة جامعة شيكاغو، مركز أبحاث المجموعات الخاصة.

13. إنجرت إلى تومسون، 29 يونيو 1951، 2.15، DTP؛ تومسون إلى جارانتي تراست، يوليو 1951، 38.5، DTP؛ إنجرت إلى تومسون، 1 يونيو 1951، 2.15، نشر كتابيًا؛ إيدي إلى هوبكنز، 11 يناير 1954، 3.1، DTP.

14. باتريس جودفري ديمومبينز (ابن إليوت بالتبني)، مقابلة هاتفية أجراها المؤلف، 7 يوليو 2009؛ ماثر جرينليف إليوت إلى صموئيل وإلسا إليوت، 10 يوليو 1950، 1.4، أوراق عائلة إليوت، مركز خدمة الأرشيف، جامعة بيتسبرغ؛ إليوت إلى والديه، 2 يونيو 1951، 1.5، أوراق إليوت؛ إليوت إلى والديه، 18 نوفمبر 1951، 1.5، أوراق إليوت.

15. ويلفورد، 152 ،The Mighty Wurlitzer؛ "الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط: الاجتماع الثاني للأعضاء المؤسسين"، 12 ديسمبر 1951، 2.13، نشرة دورية؛ "سُمِع في واشنطن"، ،Near East Report 7 مارس 1967، 19.

16. بيرجر إلى ليفيسون، 20 ديسمبر 1951، 75.1، ACJP.

17. التقرير السنوي لجمعية الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط، 1951-1952؛ "طلب العضوية الاستشارية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة"، بدون تاريخ، 4.13، نشرة دورية؛ التقرير السنوي لجمعية الشرق الأوسط الأميركية، 1953-1954، 59.1، JNP.

18. تقارير سنوية مختلفة لجمعية الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط، 59.1، JNP.

19. التقرير السنوي لجمعية الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط، 1954-1955، 59.1، JNP؛ هارولد لامب، "أمل أمريكي واحد"، 15 مايو 1951، 19، بداية جمعية أصدقاء الشرق الأوسط، أوراق هارولد لامب، قسم المجموعات الخاصة، مكتبة يونغ للأبحاث، جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس؛ اقتبس إيدي في ليبمان، Arabian Knight، 277؛ التقرير السنوي لجمعية الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط 1953-1954.

20. "الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط"، بدون تاريخ [1951]، 4.13، DTP.

21. إنجرت إلى هيو بولوك، 19 أبريل 1952، صندوق غير مُفهرس، مجلد 1952-1953، أوراق إنجرت؛ "بيان مبدئي بشأن موقف أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكيين بشأن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط"، 17 سبتمبر 1956، 59.2، JNP؛

"الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط: الاجتماع الثاني للأعضاء المؤسسين"، 12 ديسمبر 1951، 2.13، DTP؛ إيدي إلى روبرت أ. ماكلور، 9 يناير 1951، 2.14، نشر على موقع مكتبة الكونغرس؛ إيدي إلى تومسون، 7 يونيو 1951، 2.4، DTP.

22. "الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط" و"مسودة أولية للبيان الصحفي"، بدون تاريخ [1951]، 4.13، DTP.

23. التقرير السنوي لجمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأميركيين، 1953-1954.

24. هوبكنز إلى جون فوستر دالاس، 19 يونيو 1953، 6/1953-611.80، RG 59، غير متاح؛ ج. م. تروتبيك (السفارة البريطانية، بغداد) إلى أنتوني إيدن، 28 مايو 1952، PRO، FO 371/98247؛ "مسودة، قصة غرض"، 19 سبتمبر 1958، 59.3، JNP.

25. انظر، على سبيل المثال، التقرير السنوي لـ 1953-1954، AFME؛ بيرجر إلى ليفيسون، 29 أكتوبر 1951، 75.1، ACJP؛ بيرجر إلى موريس لازارون، 11 مارس 1952، 73.7، ACJP؛ بيرجر إلى ليفيسون، 30 يوليو 1952، 75.2، ACJP.

26. تومسون إلى جيلدرسليف، 2 أغسطس 1951، 38.6، DTP؛ تومسون إلى بيرجر، 5 ديسمبر 1952، 122.2، ACJP؛ تومسون مقتبس في 428، American Cassandra، Kurth.

27. Eddy إلى Thompson، 11 أكتوبر 1951، 2.14، DTP.

28. Eveland، Ropes of Sand، 125؛ مصدر سري؛ المرجع نفسه.

29. أرمين إتش ماير إلى جي لويس جونز، "الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط"، 24 سبتمبر 1959، مقتبس من كتاب "U.S. Propaganda in the Middle East—The Early Cold War Version"، تحرير جويس باتل، كتاب الإحاطة الإلكترونية للأرشيف الأمني القومي رقم 78، 13 ديسمبر 2002، http://www.gwu.edu/~nsarchiv/NSAEBB/NSAEBB78/essay.htm؛
إيدي، "المساعدات الحكومية الأميركية من خلال المؤسسات الخاصة"، 14 فبراير 1959، 11.11، WAEP.

30. بيرتون بيري إلى وزارة الخارجية، "مشاريع خاصة لمعهد الاستثمار الدولي للدول الإسلامية"، 1 أكتوبر 1952، 1952-511.80/10، NA، RG 59.

31. إليوت إلى والديه، 15 أبريل و31 مايو 1953، 1.6، أوراق إليوت؛ مقابلة غودفروي-ديمومبين.

32. انظر، على سبيل المثال، إتش. بن سميث إلى نوفين، 15 سبتمبر 1958، 59.3، JNP؛ لورين ني نورتون، مقابلة مع المؤلف، سياتل، واشنطن، 15 أغسطس 2009؛ هوبكنز إلى هارولد يو. ستوبارت، 11 مايو 1954، 3.7، DTP؛ كيرث، كاساندرا الأمريكية، 422؛ تومسون إلى هوبكنز، 20 مايو 1954، 5.11، DTP؛ مقابلة نورتون.

33. إيفلاند، 291، Ropes of Sand, 125؛ أندرو تالي، CIA: The Inside Story (نيويورك: مورو، 1962)، 78-79؛ التقرير السنوي لجمعية الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط، 1954-1955؛ التقرير السنوي لجمعية الأصدقاء الأميركيون للشرق الأوسط، 1951-1952.

34. رسالة إليوت إلى والديه، 29 ديسمبر 1953، 1.6، أوراق إليوت. للاطلاع على عمل جديد بالملاحظة حول العلاقة بين وكالة المخابرات المركزية واليسار غير الشيوعي، انظر فرانسيس ستونور سوندرز، The Cultural Cold War: The CIA and the World of Arts and Letters (نيويورك: دار نشر نيو، 2000).

35. MC, Game Player، ص110؛ AR, Lust of Knowing، صفحات 300-301، 306.

36. AR, Lust of Knowing، الفصل 23؛
سلوى "لاكي" روزفلت، Keeper of the Gate (نيويورك: سايمون وشوستر، 1990)، الفصل 14؛
MC, Game Player، 111؛ "إيه بي روزفلت الابن، الآنسة شوكر الأربعاء"، نيويورك تايمز، 2 سبتمبر 1950، ص 24.

هوامش الفصل العاشر:

1. بيرتون هيرش، The Old Boys: The American Elite and the Origins of the CIA 1992)؛ طبعة ثانية، سانت بطرسبرغ، فلوريدا: تري فارم بوكس، 2002)، 221؛
MC, Game Player، صفحات 123، 116، 121.

2. توماس، 72، 65، Very Best Men؛ كيه آر إلى بيلي روزفلت، 17 يوليو 1952، المجلد الأول، 142؛ روزفلت، كيرميت (الابن)، KRBRP؛ دالاس مقتبس في جروس، 415، Gentleman Spy؛
MC, Game Player، ص127، 111.

3. أتشيسون مقتبس في دبليو سكوت لوكاس، Divided We Stand: Britain, the US, and the Suez Crisis (لندن: هودر وستوتون، 1991)، 14؛ اقتبس أتشيسون في ليتل، 164، American Orientalism.

4. KR، العرب والنفط والتاريخ، الفصل 11؛ KR، فصل "عقدة النقص في مصر"، 357-364؛
"مصر تحتجز كيرميت روزفلت"، نيويورك تايمز، 19 يناير 1951، 10.
وفقًا لصحيفة نيويورك تايمز، كان كيم يسافر بصفته "مستشارًا غير رسمي للشرق الأوسط لدى وزارة الخارجية".

5. KR، العرب والنفط والتاريخ، 99؛ MC، لاعب اللعبة، 131؛ KR إلى بيلي روزفلت، 11 يونيو، لا عام [1951]، 142، I، روزفلت، كيرميت (الابن)، KRBRP.

6. MC، لعبة الأمم، 51؛ مقابلة KR مع ر. هاريس سميث؛ MC، لاعب اللعبة، 144-145؛
MC, Game of Nations, 51.

7. بولي إلى بيل روزفلت، 7 مارس 1952، المجلد الأول، 143، روزفلت، ماري جاديس (بولي)، بدون تاريخ، 1950-1959، KRBRP؛ مقابلة مع KR بواسطة آر هاريس سميث

8. MC, Game of Nations, 53; MC, Game Player, 148–156.
في كتاب حديث، يقتبس مؤرخ الاستخبارات جوردون توماس مباشرة تعليقات يُفترض أن ناصر أدلى بها بشأن هذه الاجتماعات، ولكن لا يوجد ما يشير إلى مصدره. انظر جوردون توماس، Secret Wars: One Hundred Years of British Intelligence Inside MI5 and MI6 (نيويورك: Thomas Dunne Books، 2009)، 143–144.

9. NSC staff study, January 18, 1952, مقتبسة في لوكاس, Divided We Stand, 13;
ومن بين الأعمال العديدة التي تذكر دور إيفانز: جويل جوردون، Nasser's Blessed Movement: Egypt's Free Officers and the July Revolution (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1992)، 164؛ رامي جينات، "ناصر والسوفييت: إعادة تقييم"، في Rethinking Nasserism: Revolution and Historical Memory in Modern Egypt، تحرير إيلي بوديه وأون وينكلر (جينسفيل: مطبعة جامعة فلوريدا، 2004)، 233؛
KR, Arabs, Oil, and History، ص 87، 96؛
ويليام ليكلاند، مقابلة هاتفية أجراها مايكل دوران، 4 أبريل 2010، مكتبة سيلي جي مود للمخطوطات، جامعة برينستون، برينستون، نيوجيرسي؛
MC, Game Player، ص 148.

10. مقابلة ليكلاند (يستمر ليكلاند في الاعتراف بإمكانية لقاء كوبلاند وروزفلت بأعضاء صغار في حركة الضباط الأحرار)؛ جوليان أميري إلى إيدن، 22 ديسمبر 1951، 680، 1/2 سياسي عام، 1945-1957، أوراق جوليان أميري، مركز أرشيفات تشرشل، كلية تشرشل، كامبريدج، المملكة المتحدة؛ جوردون، Nasser's Blessed Movement، ص162؛ إيفلاند، 98n، Ropes of Sand؛
KR، مقابلة هاتفية أجراها كينيت لوف، 5 مايو 1970، 4، أوراق كينيت لوف، مكتبة سيلي جي مود للمخطوطات، جامعة برينستون، برينستون، نيوجيرسي؛ مقابلة KR أجراها آر هاريس سميث؛ بيل إلى بولي روزفلت، 3 أبريل 1952، 143، I، روزفلت، ماري جاديس (بولي)، بدون تاريخ، 1950-1959، KRBRP.

11. أوين إل. سيرز، A History of the Egyptian Intelligence Service: A History of the Mukhabarat, 1910–2009 (نيويورك: روتليدج، 2010)، 26؛
مايكل دوران، "من هو بيل؟"، 13، Princeton Alumni Weekly أكتوبر 2010، http://paw.princeton.edu/issues/2010/10/13/pages/8702/index.xml.

12. MC, Game of Nations، 63؛ "مسودة مذكرة إلى دوروثي تومسون"، 8 سبتمبر 1952، 2.17، DTP؛ MC, Game of Nations، 52.

13. "مسودة مذكرة إلى دوروثي تومسون"؛ "زيارة الدكتور إدوارد إل. آر. إلسون إلى الشرق الأوسط نيابة عن "الأصدقاء الأميركيين للشرق الأوسط"، صندوق غير مفهرس، المراسلات والمخطوطات بعد الحرب، المجلد 1952-1953، أوراق إنجرت؛ MC, Game of Nations، 62.

14. مقابلة لاكلاند؛ دوران، "من هو بيل؟"؛ انظر كيلي ماكفارلاند، "كل شيء عن التلاعب بالألفاظ: اللغة الجنسانية والاستشراقية في العلاقات الخارجية الأميركية المصرية، 1952-1961" (أطروحة دكتوراه، جامعة ولاية كنت، 2010)، الفصل 1؛ MC, Game of Nations، 62؛ لورا م. جيمس، Nasser at War: Arab Images of the Enemy (نيويورك: بالجريف ماكميلان، 2006)، 4.

15. رالف ستيفنسون، "مصر: المراجعة السنوية لعام 1953"، 25 يناير 1954، PRO، PREM 11/629؛ أ. كيركبرايد، المحضر، 3 يوليو 1953، PRO، FO 371/104258؛ روجر ماكينز إلى إيدن، 3 أبريل 1953، PRO، FO 371/102731؛ روبن هانكي إلى جيمس بوكر، 23 يونيو 1953، PRO، FO 371/102731؛ كيركبرايد، المحضر.

16. جيمس، Nasser at War، 3؛ ويلي موريس إلى آلان روثني، 10 ديسمبر 1958، FO 371/133799، PRO؛ محمد حسنين هيكل، Cutting the Lion's Tail: Suez Through Egyptian Eyes (نيويورك: دار أربور، 1987)، 33؛ محمد الطويل، لعبة الأمم وعبد الناصر (القاهرة: المكتب المصري الحديث،

1986)، 50؛ أنتوني نوتنج، ناصر (نيويورك: داتون، 1972)، 45، 58؛ ناصر مقتبس في ديفيد دبليو ليش، "عبد الناصر والولايات المتحدة"، في بوديه ووينكلر، محرران، 223 ،Rethinking Nasserism.

17. دونالد نيف، Warriors at Suez: Eisenhower Takes America into the Middle East (نيويورك: ليندن/سايمون وشوستر، 1981)، 87.

18. كيرميت روزفلت إلى مايلز كوبلاند، بدون تاريخ، أعيد إنتاجه في كتاب الطويل، لعبة الأمم، 390.

19. ت. إي. لورنس، Seven Pillars of Wisdom: A Triumph (جاردن سيتي، نيويورك: دوبلداي، دوران، 1935)، 8، 73، 67، 91.

20. جمال عبد الناصر، Egypt's Liberation: The Philosophy of the Revolution (واشنطن العاصمة: الشؤون العامة، 1955)، 87-88.

21. MC, Game Player, 111.

22. 22. رسالة جيلدرسليف إلى جون فوستر دالاس، 26 مارس 1953؛ رسالة لامب إلى جون فوستر دالاس، 16 فبراير 1953، 9، روا روس (2)، سلسلة الموظفين، جون فوستر دالاس، وزير الخارجية: أوراق 1951-1959 (المشار إليها فيما بعد باسم JFDP)، مكتبة دوايت د. أيزنهاور (المشار إليها فيما بعد باسم DDEL)، أبيلين، كانساس.

23. ليفيسون إلى روزنوالد، 20 مارس 1953، 75.3، ACJP؛ جروس، Gentleman Spy, 386؛ بيرجر إلى ليفيسون، 2 و10 مارس 1953، ACJP ,75.3

هوامش الفصل الحادي عشر :

1. "دالاس يرى ضرورة للتحرك في الشرق الأوسط"، نيويورك تايمز، 10 مايو 1953، 4.

2. دالاس مقتبس في كتاب راي تاكيه، The Origins of the Eisenhower Doctrine: The US, Britain, and Nasser's Egypt، 1953-1957 (نيويورك: سانت مارتن، 2000)، 9؛ "مذكرة المحادثة، أعدت في السفارة في القاهرة"، 12 مايو 1953، مجلة الجامعة الأميركية 1952-1954، المجلد 9، 19-25؛ محمد حسنين هيكل، The Cairo Documents: The Inside Story of Nasser and His Relationship with World Leaders, Rebels, and Statesmen (جاردن سيتي، نيويورك: دوبلداي، 1973)، 43.

3. حسنين هيكل، 42 ،The Cairo Documents؛ "أهداف وسياسات الولايات المتحدة فيما يتعلق بالشرق الأدنى"، 14 ،NSC 155/1 يوليو 1953، 5، NSC 155/1-الشرق الأدنى (2)، مكتب البيت الأبيض، مكتب المساعد الخاص لشؤون الأمن القومي، سلسلة NSC، سلسلة أوراق السياسات الفرعية، DDEL.

4. لورين كوبلاند، بريد إلكتروني إلى المؤلف، 25 نوفمبر 2010؛ 113، 116-120، MC، Game Player؛ تقرير تقييم الموظفين، يونيو 1953، CO5651569، قانون حرية المعلومات لوكالة المخابرات المركزية.

5. إيفلاند، 103 ،Ropes of Sand؛ MC, Game Player, 129. لمزيد من المعلومات حول أصول الحرب النفسية، انظر Kenneth Osgood, Total Cold War: Eisenhower's Secret Propaganda Battle at Home and Abroad (Lawrence: University Press of Kansas, 2006), الفصل 1.

6. MC, James Burnham obituary, National Review, September 11, 1987, 37; MC, Game of Nations, 260.

7. باربرا س. هيل، "دائرة باريتو بجامعة هارفارد"، Journal of the History of the Behavioral Sciences، المجلد 4، العدد 4 (1968): 316-334.

8. رسالة من مايلز كوبلاند إلى جيمس بيرنهام، 15 أبريل 1970، 6.4، أوراق جيمس بيرنهام، مؤسسة هوفر، جامعة ستانفورد، ستانفورد، كاليفورنيا؛ رسالة من جيمس بيرنهام، نعي بيرنهام، 37؛ مقابلة مع مايلز كوبلاند الثالث.

9. MC, Game Player، الصفحات 140-141.

10. المصدر نفسه، الصفحات 141، 142؛ "تاريخ شركة بووز ألين"، http://www.boozallen.com/about/history.
لمزيد من المعلومات عن لانسديل، انظر جوناثان ناشيل، Edward Lansdale's Cold War (أمهرست: مطبعة جامعة ماساتشوستس، 2005). ولإلقاء نظرة على مثال ممتاز للأبحاث الحديثة حول السياسة الخارجية الأميركية والتحديث، انظر كتاب مايكل إي. لاثام، "The Right Kind of Revolution: Modernization, Development, and U.S. Foreign Policy from the Cold War to the Present " (إيثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل، 2011). وقد أكدت أغلب الأدبيات حول نظرية التحديث، أو مجموعة الأفكار التي وجهت برنامج التحديث في الولايات المتحدة، على التأثير الفكري لتالكوت بارسونز من جامعة هارفارد، وكشفت عن تحول من التركيز في السنوات الأولى من الحرب الباردة على استراتيجيات التنمية الليبرالية إلى نهج أكثر إكراهاً واستبداداً منذ أواخر الخمسينيات، كما يتبين في مبدأ "التحديث العسكري". إن مثال كيم روزفلت ومايلز كوبلاند يشير إلى جانب آخر من نظرية التحديث كان قد تم تجاهله في السابق، والذي نشأ في دائرة باريتو بجامعة هارفارد وكان أكثر تحفظًا منذ البداية، والذي وجد تعبيرًا عمليًا في دعم وكالة المخابرات المركزية للحكومات العسكرية القومية في الشرق الأوسط قبل عدة سنوات من بدء انتشار مفاهيم التحديث العسكري على نطاق أوسع.

11. MC, Game Player, 158–161.

12. المصدر نفسه، 161؛ رسالة بريد إلكتروني إلى لورين كوبلاند، 25 نوفمبر 2010؛ كوبلاند، Wild Thing، 36.

13. 161، 163، MC, Game Player. لمزيد من المعلومات حول كيرنز وعلاقته بوكالة المخابرات المركزية، انظر الفيلم الوثائقي الممتاز Frank Kearns: American Correspondent (PBS، 2012).

14. 239، 164، MC, Game of Nations؛ بريد إلكتروني من لورين كوبلاند، 25 نوفمبر 2010.
وفيما يتعلق بصداقة مايلز المستمرة مع ناصر، انظر على سبيل المثال، رسالة رايموند هير إلى جون فوستر دالاس، 8 ديسمبر 1958، 7، 320 العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة، السجلات العامة السرية لمصر، RG 84 ،NA: "زار كوبلاند القاهرة مرة أخرى في الفترة من 3 إلى 4 ديسمبر [1958] بغرض الحصول على معلومات أساسية. وكالعادة، رأى ناصر، الذي كان ودودًا على ما يبدو وفي مزاج للحديث".

15. هيكل، 42، Cutting the Lion’s Tail؛ ولفجانج لوتز مقتبس في توماس، 141، Secret Wars.

16. أطلق كوبلاند على الفصل 16 من كتاب "لاعب اللعبة" عنوان "شهر العسل الناصري"؛ يشير هيكل إلى "فترة شهر العسل هذه تقريبًا" في كتابه "قطع ذيل الأسد"، 42.
للاطلاع على آراء جاكسون بشأن الشرق الأوسط، انظر سي. دي. جاكسون، سجل، 13 أبريل 1953، 68، سجل-1953 (1)، أوراق سي. دي. جاكسون، DDEL.

17. لورين كوبلاند، رسالة إلكترونية إلى المؤلف، 29 نوفمبر 2010؛
آيشلبرجر مقتبس في MC، لعبة الأمم، 74، 241-256.

18. MC، لاعب اللعبة، 165؛ MC، لعبة الأمم، 82؛ MC، لاعب اللعبة، 166-167؛ MC، لعبة الأمم، 88؛ سيرز، 34، History of the Egyptian Intelligence Service.
ربما تم توفير التدريب على كتابة ملخصات الاستخبارات من قبل تشارلز د. كريمينز، ضابط في مكتب التقديرات الوطنية التابع لوكالة المخابرات المركزية والمرجع العلمي في القومية العربية والذي أشار إليه مايلز كوبلاند بأنه يؤدي "مهمة دبلوماسية خاصة في مصر خلال عام 1955" (MC، لعبة الأمم، 257). تم تأكيد وجود كريمينز في مصر في ذلك العام في كتاب إيفلاند، 145-146، Ropes of Sand.

19. MC، لعبة الأمم، 86-88.

20. "مقتطف من رسالة"، 18 مارس 1954، 679.3، 1/2 السياسة العامة، 1945-1957، أوراق أميري.
كان فيلق أفريقيا القوة الاستكشافية الألمانية في شمال أفريقيا التي هزمت بشكل حاسم من قبل الحلفاء في العلمين عام 1942.

21. أندريه جيروليماتوس، Castles Made of Sand: A Century of Anglo-American Espionage and Intervention in the Middle East (نيويورك: كتب توماس دون، 2010)، 134-137؛ تيموثي نفتالي، "راينهارد جيلين والولايات المتحدة"، في ريتشارد بريتمان وآخرون، U.S. Intelligence and the Nazis (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2005)، 404-405، 417n166.

22. نفتالي، "راينهارد جيلين"، 405؛ سيرز، History of the Egyptian Intelligence Service،
33. وربما يكون من قبيل المصادفة أن يكون رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية في مدريد بحلول عام 1959 هو آرتشي روزفلت.

23. MC, Game of Nations, 84؛ كريستوفر سيمبسون، Science of Coercion: Communication Research and Psychological Warfare، 1945-1960 (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1994)، 74؛
"نفقات لورانس دبليو تيد أثناء رحلته إلى الشرق الأوسط"، 5.12، أوراق بول إم. إيه. لاينبارجر، مؤسسة هوفر، جامعة ستانفورد، ستانفورد، كاليفورنيا. ورغم أن أوراق Linebarger لا تحتوي على الكثير غير ذلك فيما يتعلق بالعمل الذي قام به لصالح وكالة المخابرات المركزية، فإن وضعه كمستشار مؤكد في Harrison G. Reynolds to Paul Linebarger, June 13, 1956, 5.12, Linebarger Papers.

24. إيدن وتشرشل مقتبسان في كتاب مايكل ت. ثورن هيل، Road to Suez: The Battle of the Canal Zone (سترود: ساتون، 2006)، 123.

25. كوبلاند، لاعب اللعبة، 116-118؛ "كيرميت روزفلت يرى نجيب"، نيويورك تايمز، 25 يناير 1954، 5؛

ماكينز إلى وزارة الخارجية (المشار إليها فيما بعد باسم FO)، 9 مارس 1954، PRO، FO 371/108415؛ الطويل، لعبة الأمم وعبد الناصر، 390-391؛ هاجرتي مقتبس في لوكاس، Divided We Stand، 16.

26. ناصر مقتبس في كتاب سعيد ك. أبوريش، Nasser: The Last Arab (نيويورك: سانت مارتن، 2004)، 54. وحول احتمال تورط وكالة المخابرات المركزية في محاولة اغتيال مدبرة، انظر جوردون، Nasser's Blessed Movement، 179-180؛ جيمس، Nasser at War، 7.

27. ويليام ل. كليفلاند ومارتن بونتون، A History of the Modern Middle East، الطبعة الرابعة. (بولدر، كولورادو: وست فيو، 2009)، 307.

هوامش الفصل الثاني عشر :

1. هناك عملان حديثان يدين لهما هذا الفصل بالفضل، وهما الرواية السردية سهلة القراءة التي كتبها كينزر بعنوان "All the Shah's Men"، الطبعة الثانية (هوبكن، نيوجيرسي: وايلي، 2008)، ومجموعة من المقالات التي كتبها علماء بارزون في هذا المجال، مثل مارك جيه. غاسيوروسكي ومالكولم بيرن، محرران، Mohammad Mosaddeq and the 1953 Coup in Iran (سيراكيوز، نيويورك: مطبعة جامعة سيراكيوز، 2004).

2. انظر مازيار بهروز، "انقلاب 1953 في إيران وإرث توده"، في غاسيوروسكي وبيرن، محرران، Mohammad Mosaddeq، 102-125.

3. "رجل العام"، مجلة التايم، 7 يناير 1952. لمناقشة مؤثرة للمستشرقين. تصورات مصدق، انظر ماري آن هيس، Empire and Nationhood: The United States, Great Britain, and Iranian Oil، 1950-1954 (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 1997)، 229-233.

4. انظر مالكولم بيرن، "الطريق إلى التدخل: العوامل المؤثرة على سياسة الولايات المتحدة تجاه إيران، 1945-1953"، في جاسيووركسي وبيرن، محرران، Mohammad Mosaddeq، 216-217، ومارك ج. جاسوروفسكي، "انقلاب 1953 ضد مصدق،" في المرجع نفسه، 235-236؛ إيفان إل. جي. بيرسون، In the Name of Oil: Anglo-American Relations in the Middle East، 1950-1958 (إيستبورن: ساسكس أكاديميك، 2010)، 21؛ للاطلاع على نص القرار 136/1 لمجلس الأمن القومي، وتقرير التقدم الكاشف الصادر في مارس 1953 بشأن تنفيذه، انظر كتاب الإحاطة الإلكترونية لأرشيف الأمن القومي، Mohammad Mossadeq and the 1953 Coup in Iran، 22 يونيو 2004، http://www.gwu.edu/~nsarchiv/NSAEBB/NSAEBB126/index.htm.

5. مونتي وودهاوس، "إيران، 1950-1953"، 16 أغسطس 1976، أوراق كريستوفر مونتاج وودهاوس، مركز ليدل هارت للأرشيف العسكري/أرشيف كينجز كوليدج، لندن. لمزيد من المعلومات حول دور وودهاوس والتخطيط البريطاني بشكل عام، انظر سي. إم. وودهاوس، Something Ventured (لندن: غرناطة، 1982)، الفصلان 8-9؛ ستيفن دوريل، MI6: Fifty Years of Special Operations (لندن: Fourth Estate، 2000)، الفصل 27؛ ويليام روجر لويس، "بريطانيا والإطاحة بحكومة مصدق"، في Gasioworksi وByrne، محرران، Mohammad Mosaddeq، 126-177.

6. "Smith Collection، 10، Notes on the Life of Allen Dulles".

7. Game Player، MC، الفصل 18؛ 331n12، "1953 Coup"، Gasiorowski.

8. Goiran مقتبس في Dorril, MI6, 584. انظر Gasiorowski, “1953 Coup,” 331n10.

9. Smith مقتبس في Makins to FO, August 17, 1953, PREM 11/514, PRO.

10. Gasiorowski, “1953 Coup,” 250.

11. الشاه مقتبس في William Shawcross, The Shah’s Last Ride: The Fate of an Ally (New York: Simon & Schuster, 1988), 70؛
KR مقتبس في KR, Countercoup, 196–197؛ الشاه مقتبس في المرجع نفسه، 199.

12. وودهاوس, Something Ventured, 135؛ ويلبر, Adventures in the Middle East, 9, 189؛ MC, Game Player, 190–191.

13. انظر داريوش باياندور، Iran and the CIA: The Fall of Mosaddeq Revisited (نيويورك: بالجريف ماكميلان، 2010).

14. دونالد ن. ويلبر، "الإطاحة برئيس الوزراء مصدق في إيران، نوفمبر 1952-أغسطس 1953"، ورقة تاريخية لوكالة المخابرات المركزية رقم 208، مارس 1954. وللاطلاع على النص الكامل لهذه الوثيقة، ومناقشة مفيدة لظروف تسريبها، يرجى زيارة الموقع الممتاز لأرشيف الأمن القومي،
http://www.gwu.edu/~nsarchiv/NSAEBB/NSAEBB28.
وللاطلاع على دراسة حديثة تركز على دور مصدق، يرجى الاطلاع على كريستوفر دي بيليج، "Patriot of Persia: Muhammad Mosaddeg and a Tragic Anglo-American Coup" (نيويورك: هاربر، 2012)، ص 242-244.

15. أمانات مقتبس في كتاب ماير وبريساك، Kingmakers، ص 347.

16. كيرميت روزفلت، العرب والنفط والتاريخ، ص 271.

17. كيرميت روزفلت، انقلاب مضاد، ص 2.

18. وودهاوس، Something Ventured، 120؛ ويلبر، "Overthrow"، 6؛ كيرميت روزفلت، Countercoup، 115؛ ويلبر، "Overthrow"، 94.

19. KR، Countercoup، 2، 77، 85-86.

20. وودهاوس، "Iran, 1950–1953"؛ ويلبر، "Overthrow"، 36؛ KR، Countercoup، 59؛ محضر الجلسة الأولى، 24 أغسطس 1953، PRO، FO 371/104570؛ KR، "مذكرة ممثل وكالة المخابرات المركزية"، المرفقة بوالتر بيديل سميث إلى دوايت أيزنهاور، بدون تاريخ [أواخر أغسطس/أوائل سبتمبر، 1953]، 32، إيران، 1953 حتى 1959 (8)، السلسلة الدولية، أوراق دوايت د. أيزنهاور كرئيس للولايات المتحدة، 1952-1961 (ملف آن ويتمان) (يشار إليه فيما بعد باسم AWF)، DDEL.

21. KR، انقلاب مضاد، 138؛ ماكلور إلى جاكسون، 14 سبتمبر 1953، 73، ماكلور، روبرت، أوراق جاكسون، DDEL.

22. KR، انقلاب مضاد، 140، 191، 172.

23. المصدر نفسه، 205، 204؛ ويلبر، ""Overthrow" ،80؛ اللورد سالزبوري، سجل المحادثة، 26 أغسطس 1953، PRO ،PREM 11/514؛ ويلبر، ""Overthrow" ،84.

24. KR، "مذكرة ممثل وكالة المخابرات المركزية"؛ KR، انقلاب مضاد، 207.

25. جيه. إيه. فورد إلى دي. بي. بيتبلادو، 2 سبتمبر 1953، PRO ،PREM 11/514، نقلاً عن رسالة من KR إلى ويليام سترانج؛ انظر KR، "مذكرة ممثل وكالة المخابرات المركزية"؛ KR، الانقلاب المضاد، 209؛ دوايت د. أيزنهاور، The White House Years, vol. 1, Mandate for Change، 1953-1956 (جاردن سيتي، نيويورك: دبلداي، 1963)، 164.

26. ريتشارد وجلاديس هاركنس، "الأعمال الغامضة لوكالة المخابرات المركزية"، ساترداي إيفينينج بوست، 6 نوفمبر 1954، 66، 68؛ مقابلة جوناثان روزفلت؛ توماس باورز، "كتاب رهينة"، Nation، 12 أبريل 1980، 438، 437.

27. ألبرت حوراني، "أسطورة ت. إي. لورنس"، في Adventures with Britannia: Personalities, Politics, and Culture in Britain، محرر. ويليام روجر لويس (أوستن: مطبعة جامعة تكساس، 1996)، 23-24.

28. روديارد كبلينج، Kim: Authoritative Text, Backgrounds, Criticism، محرر. زهرة ت. سوليفان (نيويورك: نورتون، 2002)، 176.

هوامش الفصل الثالث عشر :

1. Citation, September 23, 1953, I, 143, Roosevelt, Mary Gaddis (Polly), KRBRP, 1950–59. انظر أيضًا 45, National Security Medal, Confidential Files, White House Central Files (يُشار إليها فيما بعد باسم DDEL ،(WHCF.

2. "رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي يفوز بميدالية لعمله في مجال الأمن" ,New York Times, May 28, 1955, 4.

3. انظر، على سبيل المثال، ديفيد ليش, The Arab-Israeli Conflict: A History (New York: Oxford University Press, 2008), 178–179.
هناك قدر كبير من الأدبيات حول ALPHA. المعالجة الفردية الأكثر شمولاً هي كتاب نيل كابلان, Futile Diplomacy, vol. 4, Operation Alpha and the Failure of Anglo-American Coercive Diplomacy in the Arab-Israeli Conflict، 1954-1956 (لندن: فرانك كاس، 1997).

4. إيفلاند، 182 ،Ropes of Sand.

5. ليفيسون، "ملاحظات حول اجتماع عقد في 8 أبريل 1953"، 75.3، ACJP؛ دالاس مقتبس في كولسكي، Jews Against Zionism، 192؛ AFME Annual Report، 1953-1954.

تم ترميز السياسة الجديدة في توجيه مجلس الأمن القومي 155/1، الذي سعى إلى "عكس الاتجاهات المعادية لأمريكا في الرأي العام العربي" ووضع حد "للمعاملة التفضيلية" لإسرائيل (مقتبس في ليتل، American Orientalism، 89).

6. بيرجر، Memoirs of an Anti-Zionist Jew، 41؛ بيرجر، ملاحظات، 23 يونيو 1953، 7، الحكومة - هنري أ. بيرود 1953، الإضافة ACJP، M68–068؛ بيرجر إلى ليفيسون، 14 يوليو 1952، 75.2، ACJP.

7. بيرجر إلى ليفيسون، 11 مارس 1952، 75.2، ACJP؛ بيرجر إلى ليفيسون، 20 مايو 1953، 75.3، ACJP؛ بيرجر إلى بولي روزفلت، 8 يونيو 1953، 106.1، ACJP؛
بشأن الدعم المحتمل من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لمشاريع ACJ، انظر، على سبيل المثال، Berger to KR، 18 مايو 1954، 4، Kermit Roosevelt, Jr. 1954، Addition M67–130،
ACJP؛ Byroade مقتبس في Henry Byroade، مقابلة أجراها نيل م. جونسون، 19 سبتمبر 1988، Association for Diplomatic Studies and Training Foreign Affairs Oral History Project (يُشار إليها فيما بعد باسم FAOHP).

8. "آراء ثلاثة محررين أمريكيين بشأن مشاكل الشرق الأوسط"، 8 يناير 1954، 611.80/1–854، RG 59، NA؛ "القضية العربية الإسرائيلية في الحملة المسجلة"، نيويورك تايمز، 30 أكتوبر 1954، 9؛ "وفاة إدوارد إل. آر. إلسون عن عمر يناهز 86 عامًا؛ رجل دين مؤثر في واشنطن، نيويورك تايمز، 28 أغسطس 1993، 26.

9. ليونارد وير إلى [ريتشارد هـ.] سانجر، "اقتراحات من دمشق بشأن الأصدقاء الأميركيين في الشرق الأوسط"، 1 ديسمبر 1952، 511.80/12–152، NA، RG 59؛ إدوارد إلسون، مقابلة أجراها بول هوبر، واشنطن العاصمة، 22 سبتمبر 1968، تاريخ كولومبيا الشفوي، 230، 14.3–4، أوراق إدوارد إل. آر. إلسون، أرشيفات الجمعية التاريخية المشيخية، فيلادلفيا؛ إلسون إلى أيزنهاور، 24 فبراير 1957، 1.3، أوراق إلسون؛ إلسون إلى جون فوستر دالاس، 3 يناير 1958، 128، إلسون، إدوارد إل، 1958، JFDP، مكتبة مخطوطات سيلي جي مود، جامعة برينستون، برينستون، نيوجيرسي؛ إلسون، "ملاحظات وتعليقات بشأن القاهرة"، بدون تاريخ [1957]، 59.1، JNP؛ إلسون إلى أيزنهاور، 4 أغسطس 1958، 1.3أ، أوراق إلسون؛ حول إلسون في منزل عائلة أيزنهاور، انظر بيرجر إلى كلارنس إل كولمان الابن، 29 نوفمبر 1955، 8، بيرجر، دكتور إلمر 1955، الإضافة M68–068، ACJP

10. كولسكي، Jews Against Zionism، 192-194؛ إليوت إلى والديه، 27 أبريل 1954، 1.7، أوراق إليوت؛ إلسون إلى أيزنهاور، 24 يوليو 1958، 1.3أ، أوراق إلسون؛ أيزنهاور إلى أيزنهاور، 28 يوليو 1958، 1.3أ، أوراق إلسون. حول دبلوماسية الشعوب، انظر أوسجود، Total Cold War، وكريستينا كلاين، Cold War Orientalism: Asia in the Middlebrow Imagination، 1945-1961 (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 2003).

11. التقرير السنوي لـ AFME، 1953-1954؛ مذكرة محادثة، وزارة الخارجية، واشنطن، 27 يناير 1955، FRUS 1955-57، المجلد 14، 28؛ مذكرات إيفلين شوكبورج، 27 يناير 1955، MS191/1/2/4، أوراق إيفلين شوكبورج، المجموعات الخاصة، مكتبة أبحاث كادبوري، جامعة برمنجهام، المملكة المتحدة. "إن الجهود الأمريكية الرامية إلى "تقليص نفوذ اليهود" على مدى العامين الماضيين لن تكون مستدامة لفترة أطول، عندما تقترب الانتخابات"، هذا ما قاله دالاس لشوكبورج.

12. إشارات إلى ك. ر. وبيروود وإلسون في جون ب. ألترمان، "المساعدات الأمريكية لمصر في الخمسينيات: من الأمل إلى العداء"، Middle East Journal 52، العدد 1 (1998): 58، 60؛ بالنسبة لناصر بشأن كيم وحسين، انظر Nutting, Nasser، 119-120؛ "ك" وتهامي مقتبسان في الطويل، لعبة الأمم، 399، 153.

13. بيرجر إلى لازارون، 20 ديسمبر 1954، 3، دكتور موريس س. لازارون 1954، إضافة M67-130، ACJP؛ إيفلاند، حبال الرمل، 92؛ جون فوستر دالاس إلى أيزنهاور، 23 ديسمبر 1954، 2، سري للغاية-أ-ب (4)، سلسلة المراسلات العامة والمذكرات، DDEL ،JFDP؛ مقابلة إلسون، 257-258؛ تومسون إلى جينر، 6 يناير 1955، 39.19، DTP؛ بيرود إلى توسون, January 17, 1955, 3.9, DTP.

14.إلمو هاتشيسون إلى إيدي، 28 نوفمبر 1955؛ إيدي إلى ديفين أ. جاريتي، 21 سبتمبر 1955؛ إيدي إلى جيمس ت. دوس، 4 ديسمبر 1955، 8.8، WAEP. إلى جانب ديفين-أدير، يبرز هنري ريجنري كناشر كان صديقًا لشبكة AFME-ACJ. انظر نوفين إلى إيدي، 29 يوليو 1955، 8.8، WAEP.

15. عبد الناصر, Egypt’s Liberation, 5, 9.

16. انظر بيرجر, Memoirs of an Anti-Zionist Jew, 68–70.

17. "مصر: الثورية"، تايم، 26 سبتمبر 1955، 25-28؛ ويليام زوكرمان، "اليهود الأميركيون يصابون بالهستيريا بشأن الشرق الأوسط"، تايم، 28 نوفمبر 1955، 28.

18. مارك جليكمان، "صوت واحد ضد العديد: دراسة سيرة ذاتية لإلمر بيرجر، 1948-" (أطروحة دكتوراه، كلية الاتحاد العبري - المعهد اليهودي للدين، 1990)، 112؛ روث بيرجر، "الإسرائيليون أعطونا سببًا للنقد"، 1955، 8.8، WAEP؛ بليك كوتشران إلى وزارة الخارجية/وكالة الإعلام الأميركية، "زيارة إلمر بيرجر إلى الأردن"، 13 يونيو 1955، 032 بيرجر، إلمر/6-1355، NA ،RG 59؛ إلمر بيرجر، من يعرف أفضل يجب أن يقول ذلك! (نيويورك: المجلس الأمريكي لليهودية، 1955). كان بيرجر أيضًا شرارة البدء لجهود إنشاء "لجنة المواطنين لدعم سياسة أمريكية للحياد المتعاطف في الشرق الأوسط"، مستفيدة من نفس المجموعة من الأفراد التي شكلتها لجنة العدل والسلام في الأرض المقدسة في أواخر الأربعينيات، ومن بينهم فيرجينيا جيلدرسليف. وعلى الرغم من الدعم من هنري بيرود، فشلت اللجنة في الانطلاق، ويبدو أنها كانت ضحية لتردد الرئيس المقترح، السفير المتقاعد الآن كافري. هوبكنز إلى بيرجر، 21 ديسمبر 1956؛ بيرجر إلى هوبكنز، 21 يناير 1955؛ بيرود إلى هوبكنز، 5 فبراير 1955، 6، أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكيون 1955، الإضافة ACJP ،M67-130.

19. الدولة إلى تل أبيب، إلخ، "زيارة الدكتور بيرجر إلى الدول العربية وإسرائيل"، 1 أغسطس 1955، 032 بيرجر، إلمر (دكتور)/8-155، NA ،RG 59؛ بيرجر، 58 ،Memoirs of an Anti-Zionist Jew. كان إدوارد لانسديل، الذي كان يدرب الآن الرئيس الفيتنامي الجنوبي نجو دينه دييم بالطريقة التي درب بها سابقًا الرئيس الفلبيني ماجسايساي، يُقال إنه كان في الخلفية لأصدقاء فيتنام الأميركيين، تمامًا كما كان كيم روزفلت وراء أصدقاء الشرق الأوسط الأميركيين. لمزيد من المعلومات حول هذه المنظمة، انظر جوزيف ج. مورجان، The Vietnam Lobby: The American Friends of Vietnam، 1955-1975 (تشابل هيل: مطبعة جامعة نورث كارولينا، 1997).

20. إسحاق ألتيراس، Eisenhower and Israel: U.S.-Israeli Relations، 1953-1960 (جينسفيل: مطبعة جامعة فلوريدا، 1993)، 106؛ تومسون إلى جاكوب بلاوشتاين، 23 فبراير 1954، 39.8، DTP؛ إلسون إلى جيني سي. لوينثال، يوليو 1955، 14.7، أوراق إلسون؛ ليليام ليفي، "مسؤول وزارة الخارجية في هجوم وقح على اليهود والأرثوذكسية"، 9 ،National Jewish Post نوفمبر 1956، 1.18، أوراق إلسون؛ "ضغوط الدعاية"، 3 ،Near East Report يونيو 1957، 24. من غير الواضح مدى النفوذ الذي مارسه إلسون شخصيًا على أيزنهاور. في حين تشير بعض المصادر إلى وجود علاقة وثيقة بين الاثنين، ادعت سكرتيرة الرئيس، آن سي ويتمان، أن رئيسها كان يعتبر قسه "مزيفًا" (مقتبس من كتاب جيفري فرانك، Ike and Dick: Portrait of a Strange Political Marriage [نيويورك: سايمون وشوستر، 2013]، ص 172).

21. بن جوريون مقتبس في كتاب ألتيراس، 35 ،Eisenhower and Israel؛ ومسؤولو الدعاية الإسرائيلية مقتبسون في بيتر إل. هان، "الولايات المتحدة وإسرائيل في عهد أيزنهاور: إعادة النظر في "العلاقة الخاصة"، في كتاب The Eisenhower Administration, the Third World, and the Globalization of the Cold War، تحرير كاثرين سي. ستاتلر وأندرو إل. جونز (لانهام، ماريلاند: رومان آند ليتل فيلد، 2006)، 227.

22. مالكولم كير، The Arab Cold War, 1958–1967: A Study of Ideology in Politics، الطبعة الثانية (أكسفورد: المعهد الملكي للشؤون الدولية / مطبعة جامعة أكسفورد، 1967).

هوامش الفصل الرابع عشر :

1. عامر مقتبس من "مصر: الثورية"، 28.

2. 196 ،MC, Game Player.

3. كوبلاند إلى كيرميت، 29 نوفمبر 1954، مقتبس من الطويل، لعبة الأمم، 398. انظر MC, Game of Nations، 123-126؛ إيفلاند، Ropes of Sand، 99-102؛ باتريك تايلر، A World of Trouble: The White House and the Middle East—from the Cold War to the War on Terror (نيويورك: فارار، شتراوس وجيرو، 2009)، 42-44.

4. كوبلاند إلى كيرميت، 2 يناير [1955]، مقتبس من الطويل، لعبة الأمم، 392-393.

5. كيرميت إلى كوبلاند، 2 يناير، [1955]، مقتبس في المرجع نفسه، 394. انظر MC, Game of Nations، 150؛ سمير رأفت، "برج القاهرة"، Cairo Times، 16 أكتوبر 1997، http://www.egy.com/zamalek/97-10-16.php؛ بريد إلكتروني من لورين كوبلاند، 29 نوفمبر 2010.

6. كوبلاند إلى كيرميت، 29 نوفمبر 1954، مقتبس في الطويل، لعبة الأمم، 398؛ MC, Game of Nations، 179-180؛ ناصر مقتبس في كتاب نيف، Warriors at Suez، 67.

7. رسالة إلى جون فوستر دالاس، 11 مايو 1955، 1، 320 مصر-الولايات المتحدة الأمريكية 1955، مصر، سفارة القاهرة، السجلات العامة السرية، 1953-1955، NA، RG 84.

8. ناصر مقتبس في كتاب نيف، Warriors at Suez، 76؛ MC, Game of Nations، 129.

9. لمناقشة ممتازة لهذه القضية تستند جزئيًا إلى الأرشيفات الروسية والتشيكية، انظر جاي لارون، "قطع عقدة جورديان: السعي المصري بعد الحرب العالمية الثانية للحصول على الأسلحة وصفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية لعام 1955"، مشروع تاريخ الحرب الباردة الدولي، ورقة عمل رقم 55، واشنطن العاصمة، 2007.

10. MC, Game Player، 199؛ ألترمان، "المساعدات الأمريكية لمصر"، 60؛ الطويل، لعبة الأمم، 153-155، 420-423؛ لوكاس وموري، "التحالف الخفي"، 100؛ لارون، "قطع العقدة الغوردية"، 28-30؛ ك. ر، "شبح السويس"، مخطوطات غير منشورة، 6، 5، روزفلت، كيرميت، أوراق الحب؛ رسالة إلى جون فوستر دالاس، 21 سبتمبر 1955، FRUS 1955-57، المجلد 14، 492-493.

11. مكالمة هاتفية إلى السيد هوفر في واشنطن، 20 سبتمبر 1955، 4، مكالمة هاتفية عامة 1 سبتمبر 1955-30 ديسمبر 1955 (5)، سلسلة المراسلات والمذكرات العامة، DDEL ،JFDP؛ KR، مقابلة أجراها كينيت لوف، واشنطن العاصمة، 24 فبراير 1964، 5، روزفلت، كيرميت، أوراق لوف.

12. MC, Game of Nations، 133؛ حسنين هيكل، 51-52، Cairo Documents,؛ هيكل، Cutting the Lion's Tail، 77؛ FRUS 1955-57، المجلد 14، 520.

13. MC, Game of Nations، 135؛ لوكاس، 340، Divided We Stand؛ تريفيليان مقتبس في المرجع نفسه، 60.

14. جيمس ن. كورتادا، مقابلة أجراها تشارلز ستيوارت كينيدي، 1 سبتمبر 1992، FAOHP؛ MC, Game of Nations، 137؛ بيرود وناصر مقتبس في هيكل، 53، Cairo Documents.

15. KR وجونستون مقتبس في نيف، 92، Warriors at Suez؛ إيفلاند، 148، Ropes of Sand؛ بيرود مقتبس في نيف، 92، Warriors at Suez؛ هيكل، 77، Cutting the Lion's Tail

16. مذكرات إيفلين شوكبيرج، 26 سبتمبر 1955، MS191/1/2/4، أوراق شوكبيرج؛ ماكميلان مقتبس في مذكرة محادثة، نيويورك، 26 سبتمبر 1955، FRUS 1955–57، المجلد. 14، 518؛ برقية وكالة المخابرات المركزية في FRUS 1955–57، المجلد. 14، 521؛ جورج ألين، مقابلة أجراها كينيت لوف، أرلينجتون، فيرجينيا، 6 يوليو 1966، 4، ألين، جورج، أوراق لوف.

17. هيكل، 54، Cairo Documents؛ مكالمة هاتفية من آلن دالاس، 29 سبتمبر 1955، 4، مكالمة هاتفية - عامة 1 سبتمبر 1955 - 30 ديسمبر 1955 (5)، سلسلة المراسلات العامة والمذكرات، DDEL ،JFDP؛ نقلاً عن بيرود في نيف، 95، Warriors at Suez؛ مقابلة ألين؛ نيف، 95، Warriors at Suez.

18. مقابلات ألين وروزفلت التي أجراها لوف؛ 142، MC, Game of Nations.

19. السفارة في مصر لدى وزارة الخارجية، 1 أكتوبر 1955، FRUS 1955–57، المجلد 14، 539؛ MC، Game of Nations، 143.

20. MC، Game Player، 197؛ MC، Game of Nations، 136.

21. MC، Game of Nations، 143.
لم تنته ممارسة الدبلوماسية المشفرة مع إدارة أيزنهاور. في فبراير 2011، زار المخضرم في خدمة وزارة الخارجية فرانك جي ويزنر الثاني، نجل أول رئيس للعمليات السرية لوكالة المخابرات المركزية، القاهرة كمبعوث خاص لإدارة أوباما لإقناع الدكتاتور المصري المسن حسني مبارك بالتخلي عن السلطة. ولكن المهمة أتت بنتائج عكسية عندما أعلن ويزنر علناً أن مبارك يجب أن يظل في السلطة حتى يتمكن من الإشراف على انتقال منظم إلى الديمقراطية، وبالتالي تناقض مع الدعوات إلى اتخاذ إجراءات أكثر إلحاحاً من جانب البيت الأبيض وسفيرة أوباما في القاهرة، مارجريت سكوبي.

هوامش الفصل الخامس عشر:

1. إدوارد ر. ف. شيهان، Kingdom of Illusion (نيويورك: دار راندوم هاوس، 1964)، 80، 57، 149، 145، 182، 153، 56، 221.

2. ليونارد موزلي، Dulles: A Biography of Eleanor, Allen, and John Foster Dulles and Their Family Network (نيويورك: دار ديال، 1978)، 348. وفيما يتعلق بالتوترات بشأن واحة البريمي، انظر توري ت. بيترسون، "التنافس الأنجلو-أمريكي في الشرق الأوسط: الصراع على واحة البريمي، 1953-1957"، International History Review 14، العدد 3 (1992): 71-91.

3. رسالة ك. إلى الأخ الأكبر، 23 ديسمبر 1954، مقتبسة في الطويل، لعبة الأمم، 399. انظر كابلان، Futile Diplomacy، 4:48؛ مايكل ب. أورين، "مبادرات السلام السرية بين مصر وإسرائيل قبل حملة السويس"، Middle Eastern Studies 26، العدد 3 (1990): 361؛ شمعون شامير، "انهيار مشروع ألفا"، في كتاب Suez 1956: The Crisis and Its Consequences، محرر ويليام. روجر لويس وروجر أوين (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1989)، 79.

4. للحصول على تفسيرات مختلفة للفصل بين المكتب العربي والرواية الإسرائيلية، انظر AR، Lust of Knowing، 298، ومايكل هولزمان، James Jesus Angleton, the CIA, and the Craft of Counterintelligence (أمهرست: مطبعة جامعة ماساتشوستس، 2008)، 152-153.

5. مكالمة هاتفية من آلن دالاس، 6 يناير 1956، 5، مذكرات Telcon. General 3 يناير 1956-30 أبريل 1956 (8)، سلسلة المراسلات والمذكرات العامة، DDEL، JFDP.

6. JNP، 59.1، 1955-1956، AFME Annual Report.

7. "القاهرة مدعومة بالسلاح"، نيويورك تايمز، 11 أكتوبر 1955، 4؛ رسالة الدولة إلى دمشق، "آراء وزارة الخارجية الأمريكية بشأن مشكلة العرب وإسرائيل"، 11 يناير 1956، NA، RG 59، 684A.86/1–1156.

8. مكالمة هاتفية من آلن دالاس، 6 يناير 1956، 5، مذكرات تيلكون. عام 3 يناير 1956–30 أبريل 1956 (8)، سلسلة المراسلات والمذكرات العامة، DDEL، JFDP؛ مدخل يوميات الرئيس، 11 يناير 1956، FRUS 1955–57، المجلد 15، 23؛ بولي إلى بيلي روزفلت، 9 يناير 1956، 143، I، روزفلت، ماري جاديس (بولي)، بدون تاريخ، 1950-1959، KRBRP.

9. روبرت أندرسون إلى الدولة، 19 يناير 1956، 34، محادثات ألفا-أندرسون مع BG وناصر، كربونات الهواتف الواردة والصادرة، المجلد 1 من 2، المجموعة 59D518، وثائق عن مشاريع ألفا وماسك وأوميجا، 1945-1957، NA، RG 59؛ رسالة إلى أندرسون، 1 فبراير 1956، FRUS 1955-1957، المجلد 15، 119-120.

10. كيرميت روزفلت مقتبس في نيف، 135، Warriors at Suez.

11. هيكل، 56، Cairo Documents.

12. رسالة إلى واشنطن رقم 22، 24 يناير 1956، FRUS 1955-57، المجلد 15، 61، 63.

13. مذكرة محادثة مع وزير الخارجية، 18 أكتوبر 1955، FRUS 1955-57، المجلد 14، 612-613؛ "أخرجوا الشرق الأوسط من السياسة الداخلية! رسالة مفتوحة إلى كل مواطن أمريكي"، 25 ،New York Times يناير 1956، 20؛
تومسون مقتبسة في في "مساعد يمني يقول إن الغرب يخسر في الشرق الأوسط بسبب "مجموعات الضغط على الأقليات"،" 27 ،New York Times يناير 1956، ص 4."

14. وكيل وزارة الخارجية (هوفر) إلى القاهرة، 31 يناير 1956، FRUS 1955-57، المجلد 15، 117؛ كيرميت روفلت، "شبح السويس"؛ رسالة إلى أثينا رقم 70، 2 فبراير 1956، FRUS 1955-57، المجلد 15، 129.

15. رسالة إلى واشنطن رقم 78، 7 فبراير 1956، FRUS 1955-57، المجلد 15، 148؛ مذكرة إلى واشنطن، 8 فبراير 1956، FRUS 1955-57، المجلد 15، 154؛ رسالة إلى واشنطن رقم 83، 20 فبراير 1956، FRUS 1955-57، المجلد 15، 195.

16. تومسون مقتبسة في "الصهاينة يهاجمون ارسال الدبابات للعرب"، 20 ،New York Times فبراير 1956، 2؛ إليوت إلى تومسون، 27 فبراير 1956، 14، AFME، يناير-فبراير 1956، DTP؛ إليوت، "السلام العربي الإسرائيلي لا يزال ممكنًا"، 26 فبراير 1956، 14، AFME، يناير-فبراير 1956، DTP.

17. رسالة إلى وكالة الاستخبارات المركزية رقم 88، 22 فبراير 1956، FRUS 1955-57، المجلد. 15، 204.

18. رسالة من كوبلاند إلى ألن دالاس رقم 93، 22 فبراير 1956، 34، محادثات ألفا أندرسون مع BG وناصر، البرقيات الواردة - يناير - مارس 1956، الجزء 1، المجموعة NA ،RG 59، 59D518 (تظهر هذه الرسالة أيضًا، مع حذف هوية المؤلف، في FRUS 1955–57، المجلد 15، 209)؛ من Byroade إلى جون فوستر دالاس، 23 فبراير 1956، FRUS 1955–57، المجلد 15، 211، 212.

19. لويد سي جاردنر، Three Kings: The Rise of an American Empire in the Middle East After World War II (نيويورك: دار نيو بريس، 2009)، 162؛ مذكرات شوكبيرج، 3 مارس 1956، 403، MS191/1/2/4، أوراق شوكبيرج.

20. مقابلة كيرميت روزفلت مع لوف؛ إيدن مقتبس في لوكاس، 88 ،Divided We Stand.

21. أندرسون إلى جون فوستر دالاس، 6 مارس 1956، FRUS 1955–57، المجلد 15، 305.

22. كابلان، 4:252 ،Futile Diplomacy؛ مذكرات شوكبيرج، 8 مارس 1956، 414، MS191/1/2/4، أوراق شوكبيرج.

هوامش الفصل السادس عشر:

1. 194 ،MC, Game Player.

2. المصدر نفسه.

3. هذه التفاصيل وغيرها من التفاصيل المتعلقة بالسيرة الذاتية مأخوذة من النسخة المنشورة لمذكرات إيفلاند، Ropes of Sand، و"Outlines"، وهي مسودة مخطوطة موجودة في أوراق ويلبر كرين إيفلاند (WCEP)، مؤسسة هوفر، جامعة ستانفورد، ستانفورد، كاليفورنيا.

4. MC, Game Player، 215.

5. إيفلاند، Ropes of Sand، 114.

6. المصدر نفسه، 169.

7. المصدر نفسه، 170؛ إيفلاند إلى آلن دالاس ونورمان بول، 1 أبريل 1956، 6، WCEP؛ ضابط MI6 مقتبس في إيفلاند، "Outlines"، 6، 481؛ إيفلاند إلى دالاس وبول.

8. شيستر كوبر, The Lion's Last Roar: Suez, 1956 (New York: Harper & Row, 1978), 69; هيكل, Cutting the Lion's Tail, 103; بيتر رايت, Spycatcher: The Candid Autobiography of a Senior Intelligence Officer (New York: Viking, 1987), 160–161; MC, Game Player, 201.

9. فوستر دالاس إلى أيزنهاور, March 28, 1956, 5, File Received from Mr. Hoover, Jr., Office (1), Subject Series, JFDP, DDEL; إيفون كيركباتريك إلى ماكينز, March 19, 1956, FO 371/118869, PRO; FO Intel 29, "السياسة الأنجلو-أمريكية في الشرق الأوسط" February 23, 1956, PREM 11/1937, PRO.

10. آلن دالاس مقتبس في NSC minutes, February 17, 1955, 6, NSC Series, AWF, DDEL; فوستر دالاس إلى أيزنهاور, March 28, 1956, 5, File Received from Mr. Hoover, Jr., Office (1), Subject Series, JFDP, DDEL; Selwyn Lloyd to Eden, April 6, 1956, PREM 11/1937, PRO. وحول آمال أيزنهاور في أن يصبح سعود زعيمًا مسلمًا، انظر ناثان جيه سيتينو، From Arab Nationalism to OPEC: Eisenhower, King Sa'ūd and the Making of U.S.-Saudi Relations (بلومنجتون: مطبعة جامعة إنديانا، 2002)، 95.

11. رسالة لويد إلى ماكينز، 16 مارس 1956، PRO، PREM 11/1463؛ رسالة ماكينز إلى لويد، 6 أبريل 1956، PRO، PREM 11/1937؛ مذكرة محادثة، "محادثات ثنائية مع البريطانيين في باريس (الشرق الأدنى)"، 3 مايو 1956، 55، أوميجا المجلد 4، المجموعة 61D417، الأمانة التنفيذية، ملخصات الاجتماعات وملفات المشروع، 1951-1959، NA، RG 59؛ ألين دالاس إلى جون فوستر دالاس، 11 مايو 1956، 55، أوميجا المجلد 4، القسم NA، RG 59، 61D417.

12. كيرميت روزفلت مقتبس في Hersh, The Old Boys، 313. انظر أيضًا، KR, Countercoup، 210.
أشار مايلز كوبلاند إلى نفس النقطة تقريبًا في The Game Player، حيث زعم أن وكالة المخابرات المركزية لم يكن ينبغي لها أن تشارك في ما كان في الأساس عملية شبه عسكرية وأعلن أن PB-SUCCESS "فضيحة وطنية" (MC, Game Player، 192).

13. أموري مقتبس في هيرش, The Old Boys، 449n32؛ هيكل، Cutting the Lion's Tail، 104؛ MC, Game Player، 165–166.

14. ف. هـ. راسل إلى ويليام رونتري، 29 مارس 1956، 38، أوميجا - التطورات - متفرقات، 1956، المجلد 2 من 2، المجموعة RG 59، 59D518، غير متاح؛ مجموعة تخطيط سياسة الشرق الأوسط، "مؤسسة تنمية الشرق الأدنى المقترحة"، 9 أبريل 1956، 36، أوميجا - اجتماعات مجموعة تخطيط سياسة الشرق الأوسط 9/4/56 إلى 30/6/56، المجلد 1 من 2، المجموعة RG 59، 59D518، غير متاح.

15. روجر جويران وKR إلى راسل، 18 مايو 1956، يقتبسان رسالة بتاريخ 17 مايو 1956، من محطة وكالة المخابرات المركزية في القاهرة، 37، مذكرات أوميجا، إلخ، من 24 أبريل 1956 إلى 30 يونيو 1956، 2 من 3، المجموعة NA ،RG 59، 59D518؛ مذكرة لمجموعة تخطيط سياسة الشرق الأوسط، "آراء محطة القاهرة ذات الصلة بتخطيط أوميجا"، 2 مايو 1956، 55، أوميجا المجلد 4، المجموعة NA ،RG 59، 61D417؛ بايرود إلى جون فوستر دالاس، 19 أبريل 1956، FRUS 1955–57، المجلد 15، 556–560.

16. يونغ مقتبس في كتاب دوريل, MI6, 609؛ إيفلاند, Ropes of Sand, 197.

17. هيرش, The Old Boys, 449؛ Shuckburgh diary, January 12, 1956, MS191/1/2/4, Shuckburgh Papers.

18. MC, Game Player، 176، 181؛ ويلبر، Adventures in the Middle East، 191-192.

19. MC, Game of Nations، 16؛ ألن دالاس مقتبس في المصدر نفسه، 171.

20. MC, Game Player، 285.
انظر توماس ب. ألين، War Games: The Secret World of the Creators, Players, and Policy Makers Rehearsing World War III Today (نيويورك: ماكجرو هيل، 1987)، 5؛ شارون غاماري تبريزي، "محاكاة ما لا يمكن تصوره: ألعاب حرب المستقبل في الخمسينيات والستينيات"، Social Studies of Science 30، العدد 2 (2000): 163-223.

21. هيكل، Cairo Documents، 58؛ جون فوستر دالاس مقتبس في كتاب Takeyh, The Origins of the Eisenhower Doctrine, 120.

22. رونتري إلى جون فوستر دالاس, مايو 23, 1956, 55, Omega Vol. 5, Lot 61D417, RG 59, NA; هير مقتبس في كتاب Eveland, Ropes of Sand, 181.

23. إيفلاند, Ropes of Sand, 208.

24. إيفلاند, "Outlines," 586.

هوامش الفصل السابع عشر:

1. لوكاس، Divided We Stand، 120؛ ناصر مقتبس في هيكل، Cairo Documents، 68.

2. مايلز كوبلاد مقتبس في إيفلاند، Ropes of Sand، 193؛
بيرجر إلى ليفيسون، 6 أغسطس 1956، 8، دكتور إلمر بيرجر 1956، إضافة ACJP، M68-068.

3. دالاس مقتبس في كيث كايل، Suez: Britain's End of Empire in the Middle East (1991؛ تقرير، لندن: توريس، 2003)، 130؛ "المناورة الدرامية"، تايم، 30 يوليو 1956، 9.

4. ناصر مقتبس في لوكاس، Divided We Stand، 139؛ مقابلة ألين؛ "كيف أزعج مساعد وكالة المخابرات المركزية الدبلوماسية في مصر"، واشنطن بوست، 24 سبتمبر 1956، 5؛ مقابلة KR مع لوف.
لاحظ آلن دالاس أن كيم روزفلت "كان غاضبًا تقريبًا مثل ناصر" بسبب إلغاء القرض، ودعاه ومايلز كوبلاند وفرانك ويزنر إلى اجتماع مشترك بين وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية للتنبؤ برد فعل الزعيم المصري. ووفقًا لمذكرات كوبلاند، أثار ويزنر إمكانية تأميم ناصر لقناة السويس، لكن المتخصصين في المنطقة "استخفوا به وأجبروه على الصمت" (MC، Game Player، 200؛ انظر أيضًا المرجع نفسه، 170-171).

5. هناك أدبيات واسعة النطاق حول أزمة السويس. انظر، على وجه الخصوص، كايل، Suez؛ لوكاس، Divided We Stand؛ نيف، Warriors at Suez؛ وثورن هيل، Road to Suez.

6. فريدمان مقتبس في تومسون إلى فريدمان، 19 سبتمبر 1955، 6.2، DTP؛ جيمس إتش شيلدون، "الأصدقاء الأميركيون لأعداء إسرائيل"، American Zionist (أبريل 1953): 10-13.

7. روس، Rabbi Outcast، 74؛ ألفريد ليلينتال، "تقرير عن عمليات AFME من عضو إلى أعضاء آخرين"، 25 يناير 1955، 3.9، DTP؛ ألفريد ليلينتال، "مذكرة إلى أعضاء المجلس الوطني للأصدقاء الأميركيين للشرق الأوسط"، 11 يونيو 1955، 69.22، أوراق ألفريد أ. ليلينتال، مؤسسة هوفر، جامعة ستانفورد، ستانفورد، كاليفورنيا.

8. جورج كامب كايزر إلى أليس ب. ويلين، 30 أبريل 1953، 24.6، ACJP؛ والتر فان كيرك إلى روزويل ب. بارنز، 25 يناير 1954، ومارثا أ. روي إلى فان كيرك، 5 فبراير 1954، 16.2، RG 6، سجلات المجلس الوطني للكنائس، الجمعية التاريخية المشيخية، فيلادلفيا.

9. ريتشارد هـ. سانجر إلى باركر ت. هارت، 2 فبراير 1953، 511.80/2–253، NA، RG 59؛ جي. إتش. دامون إلى سانجر، 2 أبريل 1953، 4، القسم 68D99، مكتب شؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا، مكتب مستشار الشؤون العامة، ملفات الموضوع 1963–66، NA، RG 59؛ سانجر وستيفن ب. دورسي إلى بايرود، 4 فبراير 1954، 511.80/2–454، NA، RG 59.

10. إيدي إلى هوبكنز، 11 يناير 1954، 3.1، DTP؛ إيدي إلى تومسون، 16 فبراير 1954، 3.4، DTP.

11. كاي سيستو إلى تومسون، 9 مارس 1954، 3.8، DTP؛ ليلينثال، "تقرير عن عمليات AFME"؛ سانجر إلى ألين، 21 يناير 1955، 4، NA، RG 59، Lot 68D99.

12. "مسح خاص"، Near East Report، أكتوبر 1964، B-16؛ AFME Annual Report 1954-1955، 59.1، JNP؛ "سمع في واشنطن"، Near East Report، 7 مارس 1967، 19.

13. إنجرت إلى تومسون، 10 يوليو 1956، 3.16، DTP.

14. هوبكنز إلى ستوبارت، بدون تاريخ [سبتمبر 1956]، 3.16، DTP؛ AFME Annual Report 1956-1957، 59.2، JNP.
توضح مراسلات هوبكنز مع ستوبارت أن الأخير كان يتحكم في ميزانية كبيرة وكان لديه معرفة شخصية طويلة الأمد بهوبكنز.

15. تومسون إلى تشارلز هولاك، 8 يناير 1957، 6.17، DTP؛ تومسون إلى جون إن. ويلر، 23 ديسمبر 1956، 6.16، DTP؛

16. AFME Annual Report، 1956-1957؛ هوبكنز إلى ستوبارت، بدون تاريخ [سبتمبر 1956]، 3.16، DTP؛ JNP، 59.3، AFME Annual Report، 1957-1958.

17. ثيودور ر. فراي إلى السيد كريتزمان، 1 أبريل 1957، 4، المجموعة NA، RG 59، 68D99؛ مذكرة المحادثة، "العلاقات الأمريكية مع الشرق الأوسط"، 8 مايو 1958، 4، المجموعة NA، RG 59، 68D99.

18. JNP، 59.4، AFME Annual Report، 1958-1959؛ أتش. بن سميث إلى نوفيين، 15 سبتمبر 1958، 59.3، JNP؛ William T. Dodson إلى [محذوف]، 10 يوليو 1958، 59.3، JNP؛ التقرير السنوي لـ 59 -1958، AFME؛ التقرير السنوي لـ AFME لأعوام 1962-1963، و1963-1964، و1964-1965، 60.1، JNP؛
Orin D. Parker، مقابلة أجراها المؤلف، Oceanside، CA، 10 يوليو 2009.

19. هتشيسون إلى إيدي، 28 سبتمبر 1955، 9.7، WAEP؛ بيرجر، Memoirs of an Anti-Zionist Jew، 103؛ هتشيسون مقتبس في "مسح خاص"، Near East Report، ب-19؛ انظر "ضغوط الدعاية"، Near East Report، 15 أكتوبر 1958، 138؛ مكالمة هاتفية مع الدكتور إدوارد إلسون، 22 فبراير 1957، 6، مذكرات مكالمة هاتفية عامة يناير 1957-28 فبراير 1957 (1)، سلسلة المراسلات العامة والمذكرات، JFDP، DDEL؛ بيرجر، 92، Memoirs of an Anti-Zionist.

20. "مسح خاص"، Near East Report، ب-19. لمزيد من المعلومات حول التأثير المتزايد لنظرية التحديث على سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط بعد أواخر الخمسينيات، انظر جاكوبس، Imagining the Middle East، 164-186.

21. "مسودة، قصة غرض"، 19 ديسمبر 1958، 59.3، JNP.

22. "جرد نشاط الحكومة الأمريكية والمنظمات الخاصة فيما يتعلق بالمنظمات الإسلامية كجانب من العمليات الخارجية"، 3 مايو 1957، 39، مجموعة العمل الخاصة بالإسلام، Lot 62D430، OCB Executive Secretariat، Regional and Country Operations Files، 1953-1961، RG 59، NA. انظر روبرت درايفوس، Devil's Game: How the United States Helped Islamic Fundamentalism (نيويورك: Metropolitan Books، 2005).

23. محاضر اجتماع 17 أكتوبر 1956، 19 أكتوبر 1956، 2، المحضر الرابع، المجموعة RG 59، 62D430، NA؛ من إدوارد ب. ليلي إلى إلمر ب. ستاتس، 19 يونيو 1956، 78، 091.4 الشرق الأدنى (الملف 3) (6)، سلسلة ملفات OCB المركزية، مكتب البيت الأبيض، موظفو مجلس الأمن القومي: أوراق، 1948-1961، DDEL.

هوامش الفصل الثامن عشر:

1. فرانسيس راسل، "السياسات الأميركية تجاه ناصر"، 4 أغسطس 1956، 38، أوميجا - التطورات - 1956، Miscl.، المجلد 2 من 2، المجموعة NA، RG 59، 59D518.

2. مقتبس في AR, Lust of Knowing، 445.

3. انظر سلوى روزفلت، Keeper of the Gate.

4. AR، المواد السيرة الذاتية، 12.1، ABRP؛ 445، Keeper of the Gate..

5. الأسماء الرمزية في إيفلاند، "الخطوط العريضة"، 539؛
ألسوب مقتبس في المرجع نفسه، 256؛ المرجع نفسه، 545.

6. AR، Lust of Knowing، 445-446.

7. سيل، The Struggle for Syria، 275.

8. إيفلاند، Ropes of Sand، 189-190.

9. المصدر نفسه، 203.

10. AR, Lust of Knowing، صفحات 433، 443-444.

11. سلوى "لاكي" روزفلت، مقابلة أجراها تشارلز ستيوارت كينيدي، 24 نوفمبر 2003، FAOHP؛ مقابلة سلوى روزفلت مع المؤلف؛ دوريل، إم آي 6، الفصل 19؛ 447، 460، AR, Lust of Knowing؛ مقابلة سلوى روزفلت مع المؤلف؛ 366، AR, Lust of Knowing.

12. توم باور، The Perfect English Spy: Sir Dick White and the Secret War, 1935–90 (نيويورك: سانت مارتن، 1995)، 190؛ مايلز كوبلاند ينعي AR.
أجرى آرتشي مقابلات مع مسلمين أتراك من أجل مهام محتملة مع صوت أمريكا وعمليات حرب سياسية أخرى غير محددة في المقر الرئيسي لمحطة راديو AMCOMLIB في ميونيخ، Radio Liberation (روسي نصار، مقابلة أجراها إيان جونسون، 10 مايو/أيار 2006).
وحول AMCOMLIB وردود الفعل الناجمة عن عملياتها، انظر الكتاب الممتاز الذي كتبه إين جونسون، A Mosque in Munich: Nazis, the CIA, and the Rise of the Muslim Brotherhood in the West (بوسطن: هوتون ميفلين هاركورت، 2010).

13. AR, Lust of Knowing, 429–432.

14. المصدر نفسه, 451–452. وفقًا لبيل إيفلاند، "كان لدى آرتشي رغبة لا شعورية في الإشراف على انقلاب في سوريا ومضاهاة سمعة ابن عمه في إيران" (إيفلاند، "الخطوط العريضة"، 544-545).

15. ريتشارد بيستون، Looking for Trouble: The Life and Times of a Foreign Correspondent (لندن: براسي، 1997)، 16؛
نايجل أشتون، King Hussein of Jordan: A Political Life (نيوهافين، كونيتيكت: مطبعة جامعة ييل، 2008)، 62-63؛ إيفلاند، 191، 188 ، Ropes of Sandن؛ جاك أوكونيل مع فيرنون لوب، King's Counsel: A Memoir of War, Espionage, and Diplomacy in the Middle East (نيويورك: نورتون، 2011)، 5؛ AR, Lust of Knowing, 366.

16. AR, Lust of Knowing, 373–376; إيفلاند, Ropes of Sand, 199.

17. برقية توجيهية من وكالة المخابرات المركزية، 22 أغسطس 1956، 38، تقرير المهمة الخاصة إلى المملكة العربية السعودية، 20-27 أغسطس 1956، المجموعة NA ،RG 59 ،59D518؛ انظر، على سبيل المثال، مكالمة هاتفية من آلن دالاس، الأربعاء، 4 أبريل 1956، 4، مذكرات الاتصالات الهاتفية العامة 3 يناير 1956-30 أبريل 1956 (3)، سلسلة المراسلات والمذكرات العامة، JFDP ،DDEL؛ مايلز كوبلاند، Without Cloak or Dagger، 192-193.
لمناقشة تفصيلية لمزاعم كوبلاند، والتي تخلص إلى أنها ذات مصداقية بالفعل، انظر باريت جيه ريوردان، "برنامج المحراث وخداع كوبلاند في قضية قناة السويس للطاقة"، في International Journal of Intelligence and Counterintelligence 17، العدد 1 (2004): 124-143.

18. إيفلاند، Ropes of Sand، 212-213. للحصول على رواية ساخرة منقولة عن البعثة، انظر MC، Game Player، 207-208.

19. ألين إلى جون فوستر دالاس، "أديب شيشكلي وإمكانية الانقلاب في سوريا"، 27 يونيو 1956، FRUS 1955-57، المجلد 13، 581؛ سيل، The Struggle for Syria، الفصل 20.

20. سيل، The Struggle for Syria، 245؛ "ملاحظات حول الشخصيات السورية"، 1 مايو 1957، PRO ،FO371/121857؛ ر. سي. سترونج إلى وزير الخارجية، 4 أكتوبر 1956، 30، سوريا 350 سوريا 1، 1956، سجلات عامة سرية لسوريا، 1943-1963، NA ،RG 84.

21. إيفلاند، Ropes of Sand، 125؛ باركر ت. هارت، مقابلة أجراها ويليام ر. كروفورد، 27 يناير 1989، FAOHP؛ نيويورك تايمز، 16 يوليو 1956، 6؛ إيفلاند، Ropes of Sand، 190؛ السفير مقتبس في MC، Game of Nations، 188.

22. إيفلاند، Ropes of Sand، 221؛ سيل، The Struggle for Syria، 276؛ أنتوني جورست و دبليو سكوت لوكاس، "التواطؤ الآخر: عملية ستراجل والتدخل الأنجلو أمريكي في سوريا، 1955-1956"، Intelligence and National Security 4، رقم. 3 (1989): 590؛ رامثيل , Secret War, 121.

23. دوريل, MI6, 633؛ كايل, Suez, 275.

24. آلن دالاس اقتبسه جون فوستر دالاس في كتاب ريتشارد جيه ألدريتش، The Hidden Hand: Britain, America and Cold War Secret Intelligence (لندن: جون موراي، 2001)، 483؛ MC, Game Player، 207-210؛ "تقرير عن محادثة حول السويس مع بعض المصريين، نيويورك، 4 أكتوبر"، 9 أكتوبر 1956، 11، مصر، المجموعة 58D776، ملفات موضوعية لمكتب الاستخبارات والبحث، 1945-1960، RG 59، NA.

25. يونج مقتبس في باور, The Perfect English Spy, 193; ورقة خاصة من مكتب العلاقات الدولية رقم 2، "هتلر ناصر"، 14 أغسطس 1956، 11، مصر، المجموعة NA ،RG 59 ،58D776؛ هيكل، Cutting the Lion's Tail, 106; MC, Game of Nations، 178.

26. رونتري إلى جون فوستر دالاس، "محادثة مع الرئيس بشأن عملية MASK"، 19 أكتوبر 1956، 36، قناع - ثنائية الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، المجموعة NA ،RG 59 ،59D518؛ MC, Game Player، 201.

27. مذكرة محادثة، "ثنائية الولايات المتحدة والمملكة المتحدة"، 1 أكتوبر 1956، 36، أوميجا سوريا، المجموعة NA ،RG 59 ،59D518؛ "MASK"، بلا تاريخ، 36، اتفاقية ثنائية بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، المجموعة RG 59 ،59D518، غير متاح؛ مذكرة محادثة، "عملية القناع"، 18 أكتوبر 1956، 36، اتفاقية ثنائية بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، المجموعة RG 59 ،59D518، غير متاح؛ تقرير وكالة المخابرات المركزية مقتبس في كايل, Suez, 275؛ رونتري إلى جون فوستر دالاس ، 30 أكتوبر 1956، 36، Omega——Syria, Miscl.—Straggle, 1956، المجلد 1 من 2، المجموعة RG 59 ،59D518.

28. بروس لوكهارت مقتبس في دوريل, MI6, 641؛
دين مقتبس في كوبر, The Lion’s Last Roar, 159؛ كيرميت روزفلت، "شبح السويس".

29. مقابلة كيرميت روزفلت مع آر. هاريس سميث؛ كيرميت روزفلت، "شبح السويس"؛ أموري مقتبس في كتاب هيرش، 368 ،The Old Boys.

30. إيفلاند، 227 ،Ropes of Sand.

31. أنا ممتن جدًا لسكوت لوكاس لمشاركته هذه المعلومات معي.

هوامش الفصل التاسع عشر:

1. للحصول على وصف موثوق لمبدأ أيزنهاور، انظر سليم يعقوب، Containing Arab Nationalism: The Eisenhower Doctrine and the Middle East (تشابل هيل: مطبعة جامعة نورث كارولينا، 2004).

2. فضل عدد من الكتب الحديثة تفسيرًا تنقيحيًا للعلاقات الأنجلو-أمريكية في الشرق الأوسط بعد السويس، وكان أحدث مثال على ذلك كتاب سيمون سي سميث، Ending Empire in the Middle East: Britain, the United States, and Post-War Decolonization، 1945-1973 (نيويورك: روتليدج، 2012).

3. يونغ مقتبس في دوريل، 648 ،MI6؛ مكالمة هاتفية مع آلن دالاس، 30 أكتوبر 1956، 5، مذكرات تيلكون. عام 1 أكتوبر 1956-ديسمبر 1956. 29، 1956 (3)، سلسلة المراسلات والمذكرات العامة، JFDP ،DDEL؛ دوريل، 648-649 ،MI6؛ باور، 215-216 ،The Perfect English Spy.

4. شيهان، 277 ،239 ،Kingdom of Illusion. ادعى بيل إيفلاند معرفته غير المباشرة بخطة، الاسم الرمزي SIPONY، لتنفيذ "ثورة القصر" في القاهرة، لكنه لم يقدم أي معلومات أكثر تفصيلاً (انظر إيفلاند، Ropes of Sand، 244، 248). وعلى النقيض من إيفلاند، كتب مايلز كوبلاند في مذكراته عن "محاولات متقطعة مختلفة للعب على مزاج معاداة ناصر في تلك اللحظة"، بما في ذلك "تضييق قناة الاتصال مع ناصر لضمان أن تكون عملية إنقاذ مؤيدة لناصر جاهزة لتحل محل أي إجراءات مناهضة لناصر مهما كانت النتائج التي ستسفر عنها" (Game Player، 208). وتختلف الدراسات الأحدث التي أجراها المؤرخون أيضًا فيما يتعلق بمدى تورط الولايات المتحدة في العمل المباشر ضد ناصر. وهناك عملان يقللان من أهمية النشاط الأمريكي هما ماثيو ف. هولاند، America and Egypt: From Roosevelt to Eisenhower (ويستبورت، كونيتيكت: براجر، 1996)، 136-137؛ ولوكاس وموري، "التحالف الخفي"، 112. ويرد تفسير مختلف في ليتل، "المهمة المستحيلة"، 681-682.

5. إيفلاند، Ropes of Sand، 242-243؛ مذكرة لمجموعة عمل مكتب التنسيق المركزي بشأن الشرق الأدنى (NSC 5428)، "برنامج الأمن الداخلي للعراق"، 4 يونيو 1957، 44، 091. العراق (3)، سلسلة ملفات مكتب التنسيق المركزي، مكتب البيت الأبيض، موظفو مجلس الأمن القومي: أوراق، 1948-1961، DDEL.
ربما كان نجاح الولايات المتحدة مع سعود مدينًا أيضًا بشيء لجهود رونالد إروين ميتز، ضابط الاتصال بين أرامكو والملك السعودي. مثل بيل إيدي، كان ميتز من قدامى المحاربين في مكتب الخدمات الاستراتيجية وله علاقات وثيقة مع وكالة المخابرات المركزية. انظر مذكرات كاي بيرد عن طفولته في الشرق الأوسط، Crossing Mandelbaum Gate: Coming of Age Between the Arabs and Israelis، 1956-1978 (نيويورك: سكريبنر، 2010)، في الفصل ال3.

6. 117 ،KR, Arabs, Oil, and History؛ المسؤولون الذين تم الاستشهاد بهم في بيرسون، In the Name of Oil، 113.

7. انظر لورانس تال، Politics, the Military, and National Security in Jordan، 1955-1967 (نيويورك: بالجريف ماكميلان، 2002)، 44-45؛ آفي شلايم، Lion of Jordan: The Life of King Hussein in War and Peace (نيويورك: كنوبف، 2008)، 135-140؛ أشتون، King Hussein of Jordan، 63-64.

8. تال، 45-46 ،Politics, the Military, and National Security in Jordan؛
"الطريق إلى الزرقاء"، مجلة تايم، 29 أبريل 1957، 27.

9. انظر، على وجه الخصوص، Tal, Politics, the Military, and National Security in Jordan, 47–49.

10. مسؤول بريطاني مقتبس في المرجع السابق، 48؛ سعيد ك. أبوريش، Beirut Spy: The St. George Hotel Bar (لندن: بلومزبري، 1989)، الفصل 5؛
جون فوستر دالاس مقتبس في دوغلاس ليتل، "دمية تبحث عن محرك دمى؟ الولايات المتحدة، والملك حسين، والأردن، 1953–1970"، International History Review 17، العدد 3 (1995): 524n3؛
مايلز كوبلاند Game of Nations، 209.

11. سي. دي. جاكسون مقتبس في يعقوب، 138 ،Containing Arab Nationalism؛ محاضر مجلس الأمن القومي، 16 مايو 1957، 7، سلسلة مجلس الأمن القومي، AWF، DDEL؛ ليتل، "دمية"، 525.

12. آلن دالاس مقتبس في يعقوب، 143 ،Containing Arab Nationalism.
انظر بيرسون، In the Name of Oil، 145؛ زاكاري كارابيل، Architects of Intervention: The United States, the Third World, and the Cold War، 1946-1962 (باتون روج: مطبعة جامعة ولاية لويزيانا، 1999)، 159؛ إيفلاند، Ropes of Sand، 252.

13. مكالمة هاتفية مع آلن دالاس، 17 أبريل 1957، 6، مذكرات هاتفية - جنرال مارس 1957 - 30 أبريل 1957 (2)، سلسلة المراسلات والمذكرات العامة، DDEL، JFDP.

14. محادثة مع هارولد كاشيا، 24 ديسمبر 1956، 1، مذكرات المحادثة - عامة - من أ إلى د (3)، سلسلة المراسلات العامة والمذكرات، DDEL، JFDP؛
رسالة من آلن دالاس إلى هوفر وآخرين، 10 نوفمبر 1956، 7، وكالة المخابرات المركزية المجلد 1 (4)، سلسلة الموضوعات، سلسلة فرعية أبجدية، مكتب البيت الأبيض، مكتب سكرتير الموظفين، DDEL؛

راثميل، Secret War، 127؛ مكالمة هاتفية مع آلن دالاس، 17 أبريل 1957، 6، مذكرات محادثة هاتفية - عام مارس 1957-30 أبريل 1957 (2)، سلسلة المراسلات العامة والمذكرات، JFDP، DDEL.

15. إدوارد ل. واجونر إلى فريزر ويلكنز، 13 مايو/أيار 1957، 1، العلاقات الأمريكية السورية، مكتب شؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا، مكتب شؤون الشرق الأدنى، سجلات مكتب شؤون الجمهورية العربية المتحدة، 1956-1962، NA، RG 59؛ مكالمة هاتفية مع آلن دالاس، 17 أبريل 1957، 6، مذكرات هاتفية عامة، مارس 1957-30 أبريل 1957 (2)؛ مكالمة هاتفية مع آلن دالاس، 28 مايو 1957، 6، مذكرات هاتفية عامة، 7 مايو 1957-27 يونيو 1957 (4)، سلسلة المراسلات العامة والمذكرات، DDEL، JFDP.

16. إيفلاند، "الخطوط العريضة"، 714؛ إيفلاند, Ropes of Sand, 246.

17. "خارجا من البرد: جاسوس ماهر سابق يروي قصصًا مثيرة للاهتمام من مؤامراته السابقة"، Wall Street Journal، 19 أكتوبر 1979، 1، 41؛
انظر أيضًا "وفاة الناشط الجاسوس ضعيف السمع روكي ستون"، Washington Post، 24 أغسطس 2004.

18. إيفلاند، "الخطوط العريضة"، 275، 306؛ "بيان النقيب عبد الله الشيخ عطية من الكتيبة المدرعة بشأن المؤامرة الأمريكية في سوريا"، 14.11، ABRP.

19. إيفلاند، Ropes of Sand، 254؛ "بيان النقيب عطية".

20. انظر راثميل، Secret War، 139؛ يعقوب، 154-155، Containing Arab Nationalism؛ ديفيد دبليو. ليش، Syria and the United States: Eisenhower's Cold War in the Middle East (بولدر، كولورادو: وستفيو، 1992)، 119.

21. انظر "خارجا من البرد"، 41؛ إيفلاند، Ropes of Sand، 254؛ عمان إلى لندن، 26 أغسطس 1957، PRO، FO 371/128245؛
تيم وينر، Legacy of Ashes: The History of the CIA (نيويورك: دوبلداي، 2007)، 139.

22. مقتبس في كتاب يعقوب، Containing Arab Nationalism، 169.

23. جون إس. دي. أيزنهاور، مذكرة مؤتمر مع الرئيس، 21 أغسطس 1957، 48، سوريا (3)، السلسلة الدولية، DDEL، AWF؛ محاضر الاجتماع في الغرفة 5100، 21 أغسطس 1957، 1، المجموعة 66D123، الأمانة التنفيذية، السجلات المتعلقة بمشروع جاما، 1957-1958، NA، RG 59؛ مذكرة محادثة مع الرئيس، 7 سبتمبر 1957، FRUS 1955-1957، المجلد 13، 687-688.

24. هارولد ماكميلان إلى جون فوستر دالاس، بدون تاريخ [أواخر أغسطس/أوائل سبتمبر 1957]، 48، سوريا (2)، السلسلة الدولية، DDEL، AWF؛
كاتشيا إلى وزارة الخارجية، 14 سبتمبر 1957، PRO، PREM 11/2329.

25. مذكرة محادثة، تقرير مجموعة العمل المشتركة بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بشأن سوريا، 21 سبتمبر 1957، 11، السيدة بيرناو، سلسلة الموضوعات، DDEL، JFDP. لمزيد من التفاصيل حول تقرير مجموعة العمل، انظر ماثيو جونز، "الخطة المفضلة": تقرير مجموعة العمل الأنجلو-أمريكية بشأن العمل السري في سوريا، 1957"، Intelligence and National Security 19، العدد 3 (2004): 401-415.

26. كاشيا وماكميلان، مقتبسان في كتاب بيرسون، In the Name of Oil، ص 136.

27. ستيفن بلاكويل، British Military Intervention and the Struggle for Jordan: King Hussein, Nasser, and the Middle East Crisis، 1955-1958 (نيويورك: روتليدج، 2009)، ص 86.
لمزيد من المعلومات حول مجموعات العمل الأنجلو-أمريكية اللاحقة، انظر ماثيو جونز، "العلاقات الأنجلو-أمريكية بعد السويس، صعود وانحدار تجربة مجموعة العمل، والتحدي الفرنسي لحلف شمال الأطلسي، 1957-1959"، Diplomacy and Statecraft 14، العدد 1 (2003): 49-79.

هوامش الفصل العشرين :

1. رسالة بولي روزفلت إلى أفراد الأسرة، 28 يناير 1955، 143، روزفلت، ماري جاديس (بولي)، بدون تاريخ، 1950-1959، KRBRP.

2. نفس المصدر؛ إخطار بإجراءات الموظفين، 20 أغسطس 1956، CO5654040، قانون حرية المعلومات لوكالة المخابرات المركزية؛ رسالة بولي إلى بيلي روزفلت، 4 يوليو 1955، 143، روزفلت، ماري جاديس (بولي)، بدون تاريخ، 1950-1959، KRBRP.

3. رسالة بولي إلى بيلي روزفلت، 3 يناير 1950، 143، روزفلت، ماري جاديس (بولي)، بدون تاريخ، 1950-1959، KRBRP؛
سلوى روزفلت، Keeper of the Gate، 162؛ مقابلة سلوى روزفلت التي أجراها كينيدي.

4. AR, Lust of Knowing, 434.

5. مقابلة كيرميت روزفلت مع ريتشارد هاريس سميث

6. كاتشيا إلى FO، 25 سبتمبر 1957، PRO، PREM 11/2521؛ لويد إلى ماكميلان، 15 أكتوبر 1957، بريم 11/2521، برو؛ كاتشيا إلى FO، 9 نوفمبر 1957، PRO، PREM 11/2521.

7. كاتشيا إلى FO، 21 أكتوبر 1957، PRO، PREM 11/2521؛ مذكرة للمسؤول التنفيذي، "خلفية مسودة تقرير التقدم في الشرق الأدنى (NSC 5428) المؤرخ 14 ديسمبر 1956"، 18 ديسمبر 1956، 78، 091.4 الشرق الأدنى (الملف رقم 4) (4)، سلسلة ملفات OCB المركزية، مكتب البيت الأبيض، طاقم مجلس الأمن القومي: أوراق، 1948-1961، DDEL.

8. دالاس مقتبس في إيفلاند، 309، Ropes of Sand.
فيما يتعلق بـ "الارتباط"، انظر بشكل خاص أندرو كوكبورن وليزلي كوكبيرن، Dangerous Liaison: The Inside Story of the U.S.-Israeli Covert Relationship (نيويورك: هاربر كولينز، 1991).

9. يعقوب، 178، Containing Arab Nationalism؛
تشارلز دبليو يوست، مقابلة أجراها توماس سوبيس، 13 سبتمبر 1978، 26، مشروع التاريخ الشفوي، DDEL؛ مقابلة لاكلاند؛ هاريسون سايمز، مقابلة أجراها تشارلز ستيوارت كينيدي، 25 فبراير 1989، FAOHP.

10. السيناتور ريتشارد ب. راسل مقتبس في :The President’s Proposal on the Middle East Hearings, Eighty-Fifth Congress, First Session (واشنطن العاصمة: مكتب الطباعة الحكومي، 1957)، 709، 706؛ تقرير بروس لوفيت مقتبس في آرثر م. شليزنجر الابن، Robert Kennedy and His Times، المجلد 1 (بوسطن: هوتون ميفلين، 1978)، 475.

11. MC, Game of Nations, 182;
MC, Game Player, 195;
ناصر مقتبسا في MC, Game of Nations, 183;
MC, Game Player, 205.

12. لورين كوبلاند، رسالة إلكترونية، 29 نوفمبر, 2010; MC, Game Player, 209–211.

13. MC, Game Player, 209; بولي إلى بيلي روزفلت, 12 سبتمبر 1957, 143, Roosevelt, Mary Gaddis (Polly), undated, 1950–59, KRBRP.
ربما كان كوبلاند يشير إلى مشروع هايك الكارثي. انظر جون برادوس , Safe for Democracy: The Secret Wars of the CIA (Chicago: Ivan R. Dee, 2006), 166–180.

14. بولي إلى بيلي روزفلت، 10 يناير، بدون سنة [1958]، 143، روزفلت، ماري جاديس (بولي)، بدون تاريخ، 1950-1959، KRBRP؛
بنيامين ويلز، "خدمة النفط والعرب ووكالة المخابرات المركزية"، New Republic، 26 يوليو 1975، 11.

15. إم سي إلى أندرسون، 5 سبتمبر 1964، 282، كون-كوب (4)، أوراق روبرت ب. أندرسون، دي دي إل؛ ويلز، "خدمة النفط والعرب ووكالة المخابرات المركزية"، 11؛ تقرير مجلس الجوائز، 19 ديسمبر 1957، CO5654063، قانون حرية المعلومات لوكالة المخابرات المركزية.

16. مقتبس في سلوى روزفلت، Keeper of the Gate، 164.

17. إيفلاند، "الخطوط العريضة"، 762.

18. إيفلاند إلى جون فوستر دالاس، "التطورات الأخيرة فيما يتعلق بالوضع السوري"، 28 يناير 1958، وثيقة وكالة المخابرات المركزية التي تم رفع السرية عنها، WCEP؛ سي تريسي بارنز إلى باتريك دين، 21 مارس 1958، PRO، FO 371/133799. انظر إيفلاند، Ropes of Sand، 273.

19. ناصر مقتبس في رايموند هير إلى جون فوستر دالاس، 18 يونيو 1958، 7، 320 العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة، السجلات العامة السرية لمصر، NA، RG 84؛
إيفلاند، Ropes of Sand، 280؛ أوكونيل، King’s Counsel، الفصل. 1.
لمزيد من المعلومات حول مهمة السلام التي قام بها مايلز إلى القاهرة، انظر MC, Game of Nations, 199–201. هذه حالة أخرى من حالات تأكيد مزاعم كوبلاند اللاحقة من خلال الوثائق المعاصرة.

20. سفارة بغداد لدى الدولة، "انقلاب 14 يوليو وسلوك الموظفين"، 2 أغسطس 1958، 49، 350 انقلاب عراقي، يوليو 1958، سفارة الولايات المتحدة ومفوضيتها، بغداد، السجلات العامة السرية، 1936–61، NA، RG 84؛ تالي، CIA، 78–79؛ إيفلاند، Ropes of Sand، 291.

21. انظر بيرسون، In the Name of Oil، الفصل 6؛ إيفلاند، 282–283، Ropes of Sand.

22. رسالة من إيدي إلى روبرت ماكلينتوك، 25 يونيو 1958، 1، أزمة لبنان، مايو 1958، المجموعة 59D600، سجلات مكتب الاستخبارات والبحث، ملفات أزمة لبنان، 1958، NA، RG 59؛ "إلى وكيل الوزارة والوزير من خلال هندرسون من هارولد هوسكينز"، 17 يوليو 1958، 5.38، أوراق هوسكينز؛ رسالة من إيدي إلى جون نوبل، 30 يونيو 1958، 1، أزمة لبنان، مايو 1958، المجموعة NA، RG 59، 59D600.

23. رسالة من إيدي إلى الأطفال، 20 يوليو 1958، 6.7، WAEP.

هوامش الفصل الحادي والعشرين: الخاتمة

1. انظر رولاند بوب، "التكيف مع علاقة العمل: القومية العربية وسياسات الحرب الباردة الأميركية في الشرق الأوسط، 1958-1960"، Cold War History 10، العدد 3 (2010): 397-427.
حول العراق، انظر كينيث أوسجود، "أيزنهاور وتغيير النظام في العراق: الولايات المتحدة والثورة العراقية عام 1958"، في كتاب America and Iraq: Policy-Making, Intervention and Regional Politics، تحرير ديفيد رايان وباتريك كيلي (نيويورك: روتليدج، 2009)، 4-35.

2. ناصر مقتبس في أورين، 523، Power, Faith, and Fantasy.

3. بيرجر، 92، Memoirs of an Anti-Zionist Jew؛ من AFME/المقر الرئيسي إلى AFME/مجلس الإدارة، 12 أغسطس 1963، 59.5، JNP؛ "Heard on the Propaganda Front"، Near East Report، 8 سبتمبر 1964، 76؛ 27، Rodger P. Davies to Mr. Twinam يناير 1972، 3، الخليج الفارسي، 1972، مكتب الشئون الخاصة بالشرق الأدنى وجنوب آسيا، مكتب نائب مساعد الوزير، الملفات الموضوعية لـ NA، RG 59، 1967-1974، Rodger P. Davies (شكرًا لـ Roland Popp على لفت انتباهي إلى هذه الوثيقة)؛ مقابلة باركر.
لمزيد من المعلومات حول جلسات الاستماع لبرنامج فولبرايت، انظر راندال بينيت وودز، Fulbright: A Biography (Cambridge: Cambridge University Press، 1995)، 309-311.

4. "5 مجموعات جديدة مرتبطة بقنوات وكالة المخابرات المركزية"، نيويورك تايمز، 17 فبراير 1967، 1؛
"ويتني تراست حصلت على مساعدة"، نيويورك تايمز، 25 فبراير 1967، 10؛
"هالتس يطلب ملايين الدولارات من وكالة المخابرات المركزية لأصدقاء الشرق الأوسط"، National Jewish Post and Opinion، 31 مارس 1967؛ مقابلة باركر.

5. أورين. د. باركر، "أوقات وأماكن وأشخاص مثيرة للاهتمام: تعليقات على تجارب حياتي"، مذكرات غير منشورة، 238؛ مدير البرامج لمجلس الإدارة، 26 يونيو 1967، 60.2، جيه إن بي؛ "أخبار عن AFME"، العدد الخاص رقم 1، 1967، 60.2، JNP.
أعيد تشكيل AFME لاحقًا باسم AMIDEAST، وهي منظمة غير حكومية حقيقية متخصصة بشكل أساسي في تبادل الطلاب بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط.

6. توماس في. جونز إلى ريموند كرم، 23 أغسطس 1974، 4، إيران/روزفلت/نورثروب، مجموعة جوناثان كويتني، أرشيف الأمن القومي، جامعة جورج واشنطن، واشنطن العاصمة؛
ويلز، "خدمة النفط والعرب ووكالة المخابرات المركزية"، 10.

7. مقابلة كيرميت روزفلت مع لوف؛ "روزفلت / عن كوبلاند"، 5 مايو 1970، 5، أوراق روزفلت وكيرميت ولوف؛
وزير البلاط أسد الله علم مقتبس في باياندور، Iran and the CIA، 178n14؛
باورز، "كتاب رهينة"؛ هربرت ميتجانج، "ناشر "يصحح" كتابًا عن تورط وكالة المخابرات المركزية في إيران"، نيويورك تايمز، 10 نوفمبر 1979، 13؛
ريتشارد دبليو كوتام، مراجعة لكتاب "انقلاب مضاد: الصراع من أجل السيطرة على إيران"، بقلم كيرميت روزفلت، في Iranian Studies 14، العدد 3/4 (1981): 269؛
كيرميت روزفلت، Countercoup، ix.

8. كيرميت روزفلت مقتبس في جوين كينكيد، "كيرميت روزفلت: حياة موجزة لمتآمر في هارفارد، 1916-2000"، Harvard Magazine، يناير-فبراير 2011،
http://harvardmagazine.com/2011/01/kermit-roosevelt?page=0,1.

9. AR, Lust of Knowing، ص 474؛
كولير، The Roosevelts، ص 474.

10. لورين كوبلاند، بريد إلكتروني إلى المؤلف، 7 ديسمبر 2010؛
هيلمز مقتبس من مصدر سري؛ "مايلز كوبلاند، فليرقد بسلام"، National Review، 11 فبراير 1991، 18؛
مايلز كوبلاند، Game Player، الفصل 23.
يتذكر مايلز كوبلاند الثالث أن العائلة تلقت مكالمات متكررة من الأصدقاء يطلبون توضيحًا لقواعد لعبة الأمم المعقدة للغاية (مقابلة مايلز كوبلاند الثالث).

11. انظر، على سبيل المثال، كيم فيلبي إلى بيل إيفلاند، تم استلامها في 13 يوليو 1978 (تم إرسالها بالبريد في 27 يونيو)، 5، قانون حرية المعلومات لمكتب التحقيقات الفيدرالي، WCEP ("عندما تأتي الثورة الإنجليزية، لن أمانع في إقامة منزل ريفي كمنازل الداشا الروسية في كوتسوولدز"، قال فيلبي لإيفلاند)؛ 3، قانون حرية المعلومات لوكالة المخابرات المركزية، و5، قانون حرية المعلومات لمكتب التحقيقات الفيدرالي، WCEP؛
ماري باريت، "المعارض المحترم: ويلبر كرين إيفلاند من وكالة المخابرات المركزية"، Washington Report on Middle East Affairs (مارس 1990): 28.

12. كانت جهود إدوارد لانسديل، زميل كيم روزفلت الهادئ، لإثارة اهتمام الرأي العام الأميركي بمصير الشرق الأقصى في الحرب الباردة، وخاصة قضية فيتنام، أكثر نجاحاً.
ويبدو أن كيم روزفلت الإبن كان يفتقر إلى موهبة لانسديل الاستثنائية في التلاعب بوسائل الإعلام الأميركية. انظر كتاب المؤلف ويلفورد، The Mighty Wurlitzer، الفصل ال8.

انتهت الهوامش والمراجع